

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النَّيْسَابُورِيِّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحْقِيقَ

الدُّكْتُورَ مُفِيدَ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الْأَوَّلُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز

هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

«مُقَدِّمَةُ الْمَحَقِّقِ»

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّد المرسلين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد ، فقد شهد القرن الرابع للهجرة ازدهاراً أدبياً واسعاً تجلّى بظهور عدد كبير من الكتب المتخصصة في شتى مجالات المعرفة الانسانية ، فرغم مظاهر الوهن المتعدّدة التي أثقلت جسم الدولة العباسية وجعلته ينوء تحت جموح الأطماع والأهواء والقلاقل ، فإنّ الأدب العربي شهد جموحاً من نوع آخر ، جموحاً نحو الابداع والكمال ، ساهم في نهضته المباركة عددٌ كبيرٌ من الأدباء الذين أغنوا الفكر العربي والاسلامي بكتابات قيمة وابتكارات رائعة ، كان لها الأثر المرجو في تعميق الفكر وخدمة الثقافة والأدب ، وأبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري ، واحدٌ من أولئك الذين ساهموا في هذه النهضة المباركة ، بحيث قدّم للعربية عدداً كبيراً من المؤلفات والمصنّفات التي تنوّعت لتشمل اغراضاً متنوعة في الآداب واللغة والفكر .

ولد أبو منصور في نيسابور عام ٣٥٠ للهجرة وإليها نفي ، وكان في أوّل حياته فراءً ، يخيّط جلود الثعالب فنسب إلى صناعته ، ومن ثمّ انتقل من حوك الفراء إلى حوك الكليم ، فاشتغل باللغة والأدب والتاريخ فنبغ واشتهر ، ولم تتحدّث كتب التراجم عن تفاصيل حياته ومراحلها وأدوارها ، إلّا أنّها أسهبت في ذكر فضله وعلمه ، فقد ذكره فريق من كبار المؤلّفين ، وأشاروا إلى مكانته ومؤلفاته التي بلغت

حدّاً لا بأس له من الكثرة والغنى والتنوع ، فقال ابن الأنباري في نزهة الألباء عنه :
« كان أديباً فاضلاً فصيحاً بليغاً ، صنف كتباً كثيرة ، وأخذ عن أبي بكر
الخوارزمي » .

وقال ابن بسّام صاحب كتاب الذخيرة في حقه : « كان في وقته راعي تلعات
العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين في زمانه ، وإمام المصنّفين
بحكم قرانه ، وسار ذكره سير المثل ، وضربت إليه آباط الأيل ، وطلعت دواوينه في
المشارك والمغارب ، طلوع النجم في الغياهب ، تأليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع ،
وأكثر راوي لها وجامع ، من أن يستوفيهما حدّاً أو وصف ، أو يوفي حقوقها نظم أو
رصف » .

وقال عنه الباخرزي صاحب دمية القصر : « هو جاحظ نيسابور ، وزبدة
الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت الأعيان فضله ، وكيف تنكر
وهو المزن يحمد بكلّ لسان ، أو كيف يستر وهو الشمس لا تخفى بكلّ مكان » .

أما كتابه « يتيمة الدهر » الذي قمنا بشرحه وضبط نصوصه قدر الامكان فإنه
أكثر مؤلفاته شهرة وتداولاً ، كونه يقدّم فيه ترجمة وافية لكثير من الشعراء المعاصرين له
أو السابقين لزمانه بقليل ، وهذه الترجمة تختلف عمّا عرفناه في كتب الطبقات ، لأنه
يجمع فيها كلّ جماعة من الشعراء حسب بلدهم أو إقليمهم أو البلاط الذي سلكهم
في عداده ، ومثال ذلك ما فعله بشعراء الشام ، وشعراء مصر من حيث الأقاليم ،
وبشعراء دولة بني حمدان وبلاط سيف الدولة في حلب ، وبني بويه في بغداد
وأصبهان ..

وقد بدأت فكرة الكتاب لديه في سنّ مبكرة إذ بدأه سنة ٣٨٤ هجرية ، ثم
رجع إليه بعد فترة من الزمن بعد أن اكتمل عوده وقوي مراسه ، ليتمّ في كهولته ما

استهله في شبابه ، وقد قسّم الرجل كتابه إلى أقسامٍ أربعة وأردفه بعد مدّة بقسمٍ خامس ، لم يكن أهل الأدب واللغة قد اطلعوا عليه وقد نشر هذا القسم في طهران ، وفيه تتأت لما جاء في الأقسام السابقة له ، بحيث تضمّن أبواباً ثلاثة حملت العناوين التالية : « تتمّة القسم الأول في محاسن أهل الشام والجزيرة ، وتتمّة القسم الثاني في محاسن أشعار أهل العراق ، وتتمّة القسم الثالث في محاسن أهل الرّي وهمدان وأصفهان وسائر بلاد الجبل » وقد قدّم الثعالبي في هذه الأقسام تراجم لشعراء عدّة يظهر أنّهم كانوا أقلّ شهرةً من الذين ترجم لهم في الأقسام الأربعة السابقة فألحقهم بهذا القسم بعد أن تمكّن من الوقوف على نماذج من أشعارهم .

أمّا غاية الكتاب فهي خدمة اللغة العربية التي هي لغة القرآن الكريم ، عن طريق الشعر الذي يرى فيه فضلاً وعلماً وتقدّم مكانة ، يقول في مقدمته « ولما كان الشعر محمّدة الأدب وعلم العرب الذي اختصوا به دون سائر الأمم ، ولبسانهم جاء كتاب الله المنزل على النبيّ فيهم المرسل ، صلوات الله وسلامه عليه ، كانت أشعار الاسلاميين أرقّ من أشعار الجاهليين وأشعار المخضرمين ، ثم كانت أشعار العصرين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ، ولانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى درجات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حدّ الشعر إلى السحر فكأن الزمان ادّخر لنا من نتائج البراعة وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ورونق الطلاوة » وهكذا فإن الثعالبي يتقدّم لتصنيف عمله وإتمامه مدفوعاً برغبة داخلية قويّة قوامها الحبّ للعربية والإدراك العميق لأبعاد الكلمة وأثرها البعيد الغور في النفس الانسانية التي قدّر لها نصيبٌ من الحسّ والرّفاهية والذوق . .

والثعالبي في اليتيمة لم يقتصر على الترجمة المحضة والاستشهاد بالنصوص الشعرية ، بل نراه يورد آراءً نقدية قيّمة وتعليلاتٍ أدبية ممتعة تنمُّ عن ذوقٍ أدبيّ رفيع ، كما يعتمد في كثير من الأحيان إلى المقارنة والموازنة بين من يترجم له وبين غيره

من الشعراء في الفن الشعري الذي برع فيه ويكشف بلياقة وكياسة عن مدى تأثر الشاعر بغيره من السابقين والمعاصرين ويتعقب بحس أدبي وذوق مرهف صورته ومعانيه ، فيشهد له بما قدم من توليدات مبتكرة وجديدة ، ويرشد إلى ما كان فيه تابعاً ومقلداً ، كما نراه أحياناً يصوب المعنى ويشير إلى الاستعمال السليم ، مثال ذلك تعليقه على بيت شعري لأبي القاسم عبد الصمد بن بابك يقول :

نشوة نفاس الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان

فيرى الثعالبى أنه « لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب ، بنفس المدوح وهو ملك عظيم ، لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق » وكان ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان
كما نراه يشير إلى سقطات أبي بكر محمد بن محمد الخوارزمي فيقول : « ومآزل فيه أقبح زلة قوله من قصيدة في الصاحب وقد اعتل :

نعوا إلى نفس المجد ساعة أخبروا بما يشتكي من سقمه ويمارس
فإن في لفظة النعي ما فيها من الطيرة ؛ إذ هي مما يقع في المراثية لا في العيادة .
ويقول أيضاً عنه ومن سقطاته المنكرة قوله للصاحب :

ومهيّب كأنما أذنب الناس إليه فهم مغشون ذلاً
وظريف كأن في كل فعل من أفاعيله عرائس تجلى

فإن الكبراء والمحتشمين لا يوصفون بالظرف إذ هو من أوصاف الأحداث والقيان والشبان ، ولم يرض بالفرطة في هذه اللفظة حتى شبه أفاعيله بعرائس تجلى ، فلو مدح محتثاً لما زاد .»

وفي حديثه عن أكثر الشعراء فإننا نراه يتتبع سرقاتهم ويشير إلى المعاني التي اقتبسوها من غيرهم ، ويقطع في مواضع كثيرة سرد القصيدة ليذكر سرقة بيت منها ، كحديثه عن أبي سعيد الرستمي حين يقول :

بدورٌ زهتهن الملاحه أن يرى لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافر
فيقطع الثعالي القصيدة ليذكر أنه سرقة من قول القائل :

ولما تنازعنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا

ولا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ ، بل نراه يورد في كتابه فصولاً خاصة يتتبع فيها سرقات الشعراء ، كما فعل في حديثه عن السري الرّقاء حيث عقد له فصلاً مسهباً أشار فيه إلى سرقاته الكثيرة ، وذكر النصوص التي تأثر بها وضمّنها قصائده ، كما أنه لم ينس أن يشير إلى نوع السرقة ، وهل استطاع الشاعر أن يتفوق على سابقه أم أنه قصر في بلوغ شأوه ، يقول معلقاً على بيت لأبي الحسن عليّ بن هارون بن المنجم « ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى » .

أما حديثه عن المتنبي فقد طال نظراً لإعجابه الشديد بالرجل ، إلا أن هذا الإعجاب لم يمنعه من ذكر هفواته التي اعترف بها المنصفون من النقاد ، يقول الثعالي بهذا الصدد « ومنها إتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء والافصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت وقلة التناسب، وتنافر الأطراف وتخالّف الأبيات، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ويعود لهذه العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط، فبيناه يصوغ أفعر حلبي وينظم أحسن عقد وينسج أنفوس وشي ويختال في حديقة ورد ، إذا به قد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة أو تعويض اللفظ أو تعقيد المعنى إلى المبالغة في التكلف والزيادة في التعمق والخروج إلى الافراط والإحالة والسفسفة والركاكة والتبرّد والتوحش باستعمال الكلمات الشاذة ، فمحا

تلك المحاسن وكدر صفاءها وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها واستهدف لسهام العائنين وتحكك باللسنة الطاعنين «وهكذا فإن الثعالبي لم يقتصر في اليتيمة على الترجمة الخالصة وتسجيل النصوص ، بل كان له رأي خاص يمثل ذوقه الأدبي وحسه الشعري ، وهذا الرأي مبني على خبرة واسعة وإطلاع عميق استطاع بهما أن يصل إلى تعليقات موفقة لم تجانب الصواب ، بل حالفته وعمقته وأرشدت إليه في كثير من الأحيان ، إلا أنه في تعليقاته ونقداته لم يخرج عما تعارف عليه الذوق النقدي العربي القديم ، الذي كان ينظر إلى القصيدة بيتاً بيتاً وبناءً مفككاً يفصل فيه البيت عن سابقه وتاليه ، ويركز على استعمالات الألفاظ واختيار المعاني ، ولا يشير إلى البناء الكلي للقصيدة ذلك البناء الذي يتحد فيه اللفظ والمعنى ليؤديان الصورة الفنية الممتعة ، فقد ظل الشعر في نظره لفظاً ومعنى لا عملاً فنياً متكاملًا تجمعه وحدة عضوية متماسكة .

بعد هذا العرض يمكننا أن نقول : إن اليتيمة كتاب هام لا غنى عنه لكل من يتعانى الأدب ويسلك دروبه لأنه يعرفنا بالنقلة التي وصل إليها الشعر في عصره ، سواء من حيث النوعية أو الكمية فضلاً عن تقديمه ترجمة وافية لكثير من شعراء العربية الذين لولا الجهد المشكور الذي بذله أبو منصور ، لظل أكثرهم في عالم المجهول والنسيان . . .

والله من وراء القصد

وهو ولي التوفيق

د. مفيد محمد قميحة

فهرس بأهم الآثار التي خلفها الثعالبي

خلف الثعالبي كتباً قيمة أربت على الثمانين كتاباً ، وقد وضع لها الأستاذ عبد الفتاح محمد فهرساً بأسماؤها والأماكن الموجودة فيها ، وتنوّعت هذه الكتب بين اللغة والسيرة والأخبار والبلاغة والأدب شعراً ونثراً واخترنا منها ما يلي :

- (١) أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين ، وملوك الجاهلية وملوك الاسلام .
- (٢) أحسن ما سمعت ، وهو مختصر على عشرة أبواب ، أوله : أمّا بعد حمد الله على آلائه الخ . . ويعرف بالآلي والدّرر .
- (٣) أربع مسائل منتخبة من مؤلفات العلامة أبي منصور الثعالبي :

(أ) منتخبات كتاب التمثيل والمحاضرة .

(ب) المبهج .

(خ) سحر البلاغة وسرّ البراعة .

(د) النهاية في الكناية .

(٤) الاعجاز والايجاز ، أو الابعار والاعجاز .

(٥) كتاب الأمثال المسمّى بالفرائد والقلائد ، ويسمى أيضاً العقد النفيس في نزّهة المجلس .

(٦) برد الأكباد في الأعداد .

(٧) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب .

- (٨) خاص الخاص ، وفيه مواضيع شعرية ونثرية ، أودع فيه من عيون الغرر ونصوص الكتب ما يكاد يخرج من حدّ الإعجاب إلى حدّ الإعجاز .
- (٩) رسالة فيما جرى بين المتنبي وسيف الدولة .
- (١٠) سرّ الأدب في مجاري لغة العرب .
- (١١) غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم .
- (١٢) فقه اللغة وسرّ العربية .
- (١٣) الكناية والتعريض .
- (١٤) لطائف المعارف .
- (١٥) المؤنس الوحيد في المحاضرات ، طبع منه مختصرات .
- (١٦) اللطائف والظرائف ، في مدح الأشياء وأضدادها ، ومعه اليواقيت والمواقيت في مدح الشيء وذمّه .
- (١٧) مرآة المروءات .
- (١٨) مكارم الأخلاق .
- (١٩) من غاب عنه المطرب .
- (٢٠) والمتحل - وهو منتخبات من فحول الشعراء العرب .
- (٢١) المقصور والممدود .
- (٢٢) نثر النظم وحلّ العقد .
- (٢٣) يتيمة الدهر .
- (٢٤) الغلمان .
- (٢٥) الشكوى والعتاب .
- (٢٦) تحفة الوزراء .
- (٢٧) لباب الأدب .
- (٢٨) طبقات الملوك .
- (٢٩) نسيم السحر .
- وغير ذلك كثير . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على الصفوة المختار من خلقه
أجمعين ، وعلى آله وصحبه .

وبعد ، فهذا كتاب « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » الذي يقول فيه
أبو الفتوح نصر الله بن قلافس الشاعر الإسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمة أ بكر أفكار قديمة
ماتوا وعاشت بعدهم فلذاك سميت اليتيمة

وهو الكتاب الذي لولاه لكانت قد « بقيت محاسن أهل عصر مؤلفه - وهي
التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على
كثرة النقد - غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها ، ويشد أزرها ، ولا
مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد أوابدها » مع أنه « قد سبق مؤلفو
الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين
كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكلم من كتاب فاخر عملوه ،
وعقد باهر نظموه ، لا يشينه إلا نبو العين من إخلق جدته ، وبلى برده ، ومج
السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته »^(١) وهو كتاب قد جمع الكثير من غرر

(١) من مقدمة الثعالبي في كتاب اليتيمة (ص ٢٦ ج ١) .

شعراء القرن الرابع وصدر القرن الخامس : ملوكهم وأمرائهم ووزرائهم وقضاتهم ، ذوي الجدم منهم وذوي المجون ، في رقعة البلاد التي كانت يد العرب مبسوطة عليها يومذاك ، من بلاد الشام والعراق وجران ومصر والمغرب والأندلس وغيرها ، وهذه الحقبة من الزمن - على ما كان فيها من التفرق والاضطراب السياسي - أنضر حقب الزمان في الآداب والعلوم والفنون .

وقد بقي الكتاب - على رغم أنه طبع مرتين قبل اليوم - سراً محجوباً لرداءة عرضه وفشو الأغاليط فيه وقلة العناية بروائه ، فأردت أن أخدم العربية التي أشربت حبها من عهد الصغر بإخراجه في صورة ترضى عنها النفس وينشرح لها الصدر ، فتوفرت على مراجعته على أصوله المخطوطة ، وعلى ما تيسر لي من دواوين الشعراء ومجاميع الشعر ، حتى استقام لي نص صحيح أو قريب من الصحة ، ثم قدمته للنشر في هذه الضائقة التي غلت فيها أسعار الورق ، وشح وجود الجيد منه ، وتهافت الناس فيها على نشر دوريات قليلة الغناء ، فازدحمت بها دور الطباعة ، وأعوز الأدباء أن يجدوا للتأنيج قرائحهم مكاناً في هذا الميدان .

وهذه المطبوعة من هذا الكتاب - فيما نعتقد - خير ما يقرأ المتأدبون من نسخ الكتاب ، أصلحنا فيها الكثير مما فشا في سابقيتها من الأغاليط ، وكانت طريقنا أن نستبقي النص كما هو في أصول الكتاب ما وجدنا له محملاً من الصحة ، فإن لم نجد له ذلك ووجدناه في ديوان من دواوين الشعر على وجه آخر صحيح غيرناه إليه ، وبيننا ذلك في أسفل صفحات الكتاب أحياناً ، فإن لم نثر على النص في كتاب آخر وظهر لنا فيه وجه صحيح غيرناه إليه والتزمنا في هذه الحال أن نبين عملنا في أسفل صحف الكتاب ، وإن لم نثر على النص في كتاب آخر ولم يستقم لنا فيه وجه صحيح ، أشرنا إلى أنه لم يبين لنا فيه وجه يوثق به ، والله وحده الذي يعلم كم قاسينا في هذه السبيل من جهد ، وعنده وحده جزاء ذلك كله ، إنه لا يجزي على الخير سواه ، ولا يعرف خفيات الأمور غيره .

وفي الكتاب مجون كثير ، كما تجده في المختار من شعر أبي الرقعمق وأبي القاسم الواساني وابن لنكك وأبي الحسن السلامي وابن سكرة الهاشمي وابن الحجاج وغيرهم ، وقد ترددنا كثيراً في أن نجاري بعض أدباء هذا العصر فنحذف هذا المجون ولو من بعض نسخ الكتاب ، ولكننا « لم نشأ أن نحذف شيئاً مما في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، تخرجاً منهم وتأنساً زعموا ، وحرصاً على مكارم الأخلاق ظنوا - لأننا لا نؤلف كتاباً نختار فيه ما نشاء وندع ما نشاء ، وإنما نحقق نصاً قيده صاحبه في زمن كان الناس فيه أشد تخرجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه . ولأننا لا نرى من حقنا أن نتصرف في كتب الناس ثم نبقيها منسوبة إليهم فيجيئوا يوم المعدلة يتعلقون بمن ظلمهم يجادلونه عن أنفسهم ، والله يعلم أننا لا نقل عن هؤلاء المتأدبين الذين يفسدون كتب الناس ، تخرجاً من المجون ولا حرصاً على مكارم الأخلاق » ولأن الغرض من نشر هذا الكتاب ، واحتمال الجهد الجاهد في تحقيقه ، والصبر على الكثير مما يغري بعضه بالانصراف ، إنما هو أن ندل قراء الأدب العربي على الحياة الأدبية والحياة الاجتماعية والسياسية في هذه الحقبة التي كان هؤلاء الشعراء يعيشون فيها ، وأن نضع بين أيديهم النصوص التي تدلهم على ما يتوجهون إليه من مناحي البحث ، فلو أننا سمحنا لأنفسنا بحذف شيء مما اشتمل عليه الكتاب لكننا قد أضعنا هذه الغاية ، ولكننا كمن يجهز جندياً للقتال فيضع في يده سيفاً من الخشب ، ويقعده على صهوة جواد من قصب .

هذا ، ومؤلف الكتاب نفسه يشعر بما عسى أن يقوله عنه بعض الناس ، ويصر - مع ذلك - على أن يذكر المجون ، ويعتذر عنه ، فأبي معذرة لمن يقدم على نشر كتابه وقد حذف منه هذا النوع من الكلام ، اسمع إليه يقول في مطلع حديثه عن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج « هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر

من العقل بسجف ، ولا ييني جل قوله إلا على سخف ، فإنه من سحرة الشعر ،
وعجائب العصر ، وقد اتفق من رأيته وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن
المعرفة بالشعر ، على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى
طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم يركاقداره على ما يورده من المعاني التي
تقع في طرزه مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحاة
والبلاغة ، وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بشعر الخلدين والمكدين
وأهل الشطارة . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل - كما قال إبراهيم بن
المهدي - لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن
الحرم ، ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل ، ولكنه على علاته تتفكه
الفضلاء بشار شعره ، وتستملح الكبراء ببنات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح
نظمه ويحتلم المحتشمون فرط رفته وقذعه ، ومنهم من يغلو في الميل إلى ما
يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ، فلم
يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة
غالي مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والآنعام ، مجاب إلى مقترحه من
الصلوات الجسم « ولسنا نريد إلا أن تقرأ هذه العبارة ثم تقرأها ثم تقرأها ، ثم
أحكم وكن من المنصفين .



وهذا الكتاب قد وضعه مؤلفه على أربعة أقسام يشتمل كل قسم منها على
أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان وشعرائهم وغيرهم من أهل
الشام وما يجاورها ومصر والموصل والمغرب ، ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من

طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ، ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبل وفارس وجرجان وطبرستان وأصفهان ، من وزراء الدولة الديلمية وكتابتها وقضاتها وشعرائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطائرين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالها ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور ، والغرباء الطائرين عليها والمقيمين بها .

وقد وفى المؤلف فيه بما وعد ، فجمع فيه « من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم سيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غره ، ولم تفتض عذره ، ولم ينتقص قدم العهد وتطول المدة زبره » وضمنه « من نسج طباع هؤلاء وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، ما يشتمل على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة ، ويتضمن من طرفهم وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار »^(١) والتزم ألا يورد في هذا الكتاب إلا « لب اللب ، وحبّة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، وواسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحسن والسرقات »^(٢) .

وإن يكن في هذا الكتاب نقص يصح أن يعتد به بعض الناس على صاحبه ،

(١) انظر (ص ٢٨ ج ١) .

(٢) من مقدمة المؤلف (ص ٢٩ ج ١) .

فهو أنه لم يعن بجمع أخبار من تعرض للاختيار له من الشعراء مما يتضمن نشأتهم ومواليدهم ووفياتهم وتصرف الدهر بهم ، بل إنه لم يتعرض في بعضهم إلا لاختيار عدة أبيات وقعت له أو سمعها من بعض رواتها من الأدباء ، فالكتاب - في نظر هؤلاء - ناقص وفي مسيس الحاجة إلى إتمام هذا النقص ، ولعلمهم يستوجبون على من يتعرض لتحقيقه أن يسد هذه الثلمة ، ونحن نقرر أن هذا الكتاب لم يوضع في تأريخ الأدب والشعر ، ولا كان الغرض منه تأريخ حياة الأدباء والشعراء ، ولكنه وضع في صميم الأدب ولبابه ، فهو يعني بالقول أكثر مما يعني بحال قائله ، وكثير من الشعراء الذين جرى لهم ذكر في الكتاب واختار لهم صاحبه لم يكن يعرف عنهم شيئاً ، بل لعله لم يسمع بهم ولا درى من شأنهم غير ما يرويه لهم من الشعر القليل ، ومحقق الكتاب لم يقصد من تحقيقه إلا تمكين القارئ من دراسة الأدب واستنباط ما يريد من نصوصه ، غير حافل بما جرى على أهل هذا الأدب من تصارييف الدهر ، فوق أنه لا يريد أن يتحمل عبثاً قد يشق عليه احتماله ، وقد لا يجد لبعض من تعرض لهم المؤلف ذكراً في غير هذا الكتاب ، فهو يرى أن يكتفي بتحقيق النص تحقيقاً يطمئن إليه ، ويستطيع به أن يضمن لقارئه الطمأنينة ، وهذا وحده مما لا يستهين به إلا من لا يريد أن يكون من المنصفين .

* * *

على أن في هذا الكتاب عيباً لا نريد أن نغضي لصاحبه عنه ، وهو - فيما نعتقد - شر من ذلك العيب الذي قدمنا ذكره ، وليس لنا أن نغفر هذا العيب وإن كانت للثعلبي عنه معاذر أكثر من عدد الحصى ، لأن ذلك العيب يغطي على كل محمدة ، بل إنه ليشكك في كل محمدة ، وهذا العيب هو العصبية ، وتظهر هذه العصبية في ناحيتين من كتابه : أما إحدى هاتين الناحيتين ففي حديثه عن شعراء الشام حيث يعقد باباً موضوعه « فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان ، وذكر السبب في ذلك » ويستهلله بقوله « لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من

شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم » ثم يعد جماعة من طبقة العتابي ومنصور النمري ، وجماعة من طبقة الرقي وكشاجم والصنوبري ، ثم يقول « فأما العصريون ففيما أسوقه من غر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم » ويستدل لذلك بقربهم من خطط العرب ، وبعدهم عن الأعاجم ، وقلة اختلاطهم بغير العرب ممن تفسد الخلطة بهم الألسنة ، وغير ذلك مما تقرأه في هذا الفصل .

فالتعالي لم يكتف بتقديم شعراء الشام على كل من ذكرهم في كتابه ، ولم يكتف بتقديمهم على كل من ذكرهم في القسم الأول منه ، لأن التقديم الذكري لا يدل إلا على العناية ، بل يفضلهم على شعراء سائر البلدان ، ويجعل ذلك مطلع كتابه ، ثم حين يريد أن يبين السبب في ذلك يجعل المفضول هم شعراء العراق وما يجاورها ، فينسى « سائر البلدان » التي عقد الفصل عليها ، ويذكر أن قرب العراق من بلاد فارس واختلاط أهل العراق بالفرس سبب ضعف الشعراء من عرب العراق عن الشعراء من عرب أهل الشام ، ونسي قرب الشام من بلاد الروم ، واختلاط عرب الشام بالروم ، وأن هذا القرب وهذا الاختلاط قد يكونان سبباً في فساد ألسنة العرب من أهل الشام .

وأما الناحية الثانية ففي حديثه عن الشعراء من الملوك والرؤساء ، فهو يفرد لملوك كل ناحية باباً ، وهو يثنى عليهم أوفر الثناء ، وهو يستبيح أن يروي الضعيف من شعرهم في حين أنه شرط ألا يروي إلا لب الباب ، وهو أظهر في هذه الناحية حين يتحدث عن أبي الحسن سيف الدولة على ابن عبد الله بن حمدان .

اسمع إليه يقول في مقدمة الكتاب « فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد ، فلأن الكلام معقود به والمعنى لا يتم دونه ، ولأن ما يتقدمه أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير ، وإنما ينفق مثل ذلك

بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله «^(١) ولست أريد أن أعرض عليك ما قاله في سيف الدولة الحمداني ، ولا ما قاله في عضد الدولة البويهى ، ولا ما قاله في غيرهما من الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء ، ولكنى أكتفى بأن أشير إلى أنه جعل لرواية ما لا يتفق مع شرط الكتاب سببين أحدهما أن يكون الجيد محتاجاً إلى غير الجيد ، وثانيهما أن يكون قائل غير الجيد رئيساً أو وزيراً .



والكتاب - بعد هذا - أوفى المراجع الأدبية لمن يريد أن يدرس الشعر العربي ، ولمن يريد أن يدرس الحالة الاجتماعية والسياسية من طريق النتاج الأدبي ، في القرن الرابع وصدر من القرن الخامس الهجري ، وقد خشي الثعالبي أن يكون للشعراء السابقين على عصره أثبات جمعها علماء الأدب من عيون الشعر وفنونه ، ولا يكون لشعراء عصره من يتصدى لمثل ذلك ، فندب نفسه للاضطلاع بهذا العبء .

رأى كتاب البارع في أخبار الشعراء الذي صنفه هارون بن المنجم ، ورأى طبقات الشعراء الذي صنفه الشاعر البارع أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز ، فأحب أن يكون لشعراء عصره كتاب مثل هذين الكتابين وغيرهما ، فصنف « يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر » والذي يؤخذ من مقدمته أنه صنّفه مرتين ، أما المرة الأولى فقد تصدى لعمله^(٢) « في سنة أربع وثمانين وثلثمائة والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحه باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب ، إلى ذوي الأخطار والرتب ، ومقيماً ثمار الورق مقام نثار الورق ، وكتبه في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ، فارتفع كعجالة الراكب وقبسة العجلان » وأما المرة الثانية فحين رأى نفسه يحاضر « بأخوات كثيرة لما فيه

(١) أنظر (ص ٧ ج ١) .

(٢) أنظر (ص ٤ ج ١) .

وقعت باخرة إليه ، وزيادات جمة عليه حصلت من أفواه الرواة لديه ، فقال : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل آذانهم ، ولم يصافح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به الذي يستحق به حسن الإحماذ ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ، ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع والإتمام هدف المرام ، فجعل بينه وينقضه ، ويزيده وينقصه ، ويمحوه ويثبت ، ويتنسخه ثم ينسخه ، وربما افتتحه ولا يختتمه ، ويتنصفه فلا يستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدرك عصر السن والحنكة ، وشارف أوان الثبات والمسكة ، فاختلس لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهز رقدة من عين الزمان ، واغتنم نبوة من أنياب النواذب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمر في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غير ترتيبها ، وجدد تبويبها ، وأعاد ترصيفها ، وأحكم تأليفها ، وصار مثله فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ^(١) وكان من آثار هذه العناية وهذا الجهد أن رأى كتابه « سحر العقول ، ويملك القلوب ، ويعجب الملوك كما يعجب الرعية ، ويحسن أثره على الشعراء كما يطيب ثمره للكتاب ، ويسير في الآفاق مسير الأمثال ، ويسري في البلاد مسرى الخيال ، ولقي أعيان الفضل وأفراد الدهر أطلب له من طير الماء للماء ، وأحرص عليه من المرضى على الشفاء » ^(٢) ومع هذا كله لم يكن الكتاب قد أشبع نهمته ، ولا سدّ الفراغ الذي قدر أن يسده ، وهذا شأن أهل العلم في كل عصر : ما يزال أحدهم يجد ويدأب حتى يظن أنه استولى على الغاية وأوفى على الأمد ، ثم يظهر له ما يرى معه أنه لا يزال في أول الطريق ، وهذا هو الذي وقع لأبي منصور فقد « وقع له على الأيام ما يخطر في سلك اليتيمة ، ويصلح لللاحق به ، ولا يسوغ تأخيرها عن أخواته ، سيما وقد خلا منه مكان قوم من السادة والكبراء لا مترك لثمار خواطرهم ووسائل قلائدهم »

(١) أنظر (ص ٥ ج ١) .

(٢) من مطلع مقدمته لكتابه تمة اليتيمة (ص ١ ج ١ طبع طهران) .

وحيث يتردد في أن يعود إلى النسخة الثانية من اليتيمة فينبى فيها وينقض ، ويصنع فيها ما صنعه في نسختها الأولى ، يتردد في ذلك لأن الكتاب قد سار في الأفق وطار ذكره في الأقطار وانتسخه الأدباء والرؤساء . فما يلبث أن « يعن له حذو كتاب لطيف على تمثيله وترتيبه ، يودعه ما شذ عنه من طرزه وجنسه ، ويجريه مجرى الفرخ له والعلاوة عليه » .

* * *

ويذكر صاحب كشف الظنون من ذبول اليتيمة عدة مؤلفات :

(١) دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، تصنيف أبي الحسن علي بن الحسن الباخري المتوفى في عام ٤٦٧ سبعة وستين وأربعمائة ، وقد طبع في حلب .

(٢) خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر ، تأليف عماد الدين الإصفهاني المتوفى في عام ٥٩٧ سبعة وتسعين وخمسمائة من الهجرة ، ويذكر حاجي خليفة أنه في عشر مجلدات ، وأنه يجمع من عام ٥٠٠ خمسمائة إلى عام ٥٩٢ اثنين وتسعين وخمسمائة .

(٣) زينة الدهر ، تصنيف أبي المعالي سعد بن علي الوراق المتوفى في عام ٥٦٨ ، وهو تذييل لدمية الباخري يقع في مجلد واحد .

ويذكر صاحب كشف الظنون أيضاً أن لأبي الحسن علي بن زيد البيهقي كتاباً على « يتيمة الدهر » اسمه « وشاح الدمية » كما يذكر أن لتقي الدين بن عبد القادر المصري المتوفى في عام ١٠٠٥ من الهجرة مختصراً لليتيمة في مقدار نصفها .

* * *

وقد كان ظهور كتاب « يتيمة الدهر » حافزاً لأبي الحسن علي بن بسام

الشتريني المتوفى في عام ٥٤٢ من الهجرة ، على تصنيف كتابه « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » وقد قلد ابن بسام أبا منصور في كل شيء ، فكما أن أبا منصور يجعل كتابه « في محاسن أهل العصر » يجعل ابن بسام كتابه « في محاسن أهل الجزيرة » وكما أن كتاب الثعالبي مقسم إلى أربعة أقسام يبنى ابن بسام كتابه على أربعة أقسام ، وكما جعل الثعالبي فصولاً من كل قسم من أقسام كتابه للملوك والأمراء والوزراء والرؤساء ومن في حكمهم جعل ابن بسام الأمر في كتابه على هذا الوجه .

ويقول الدكتور طه حسين بك في مقدمة الجزء الأول من الذخيرة « وهو (يريد ابن بسام) قد سار سيرة الثعالبي في العناية بالملوك والأمراء والرؤساء وما يكون من تأثيرهم في الأدب ، وما يكون من إنتاجهم الأدبي الخاص ، ولكن العناية بهذه الناحية من الحياة الأدبية كانت أشد وأقوم وأجدى من عناية الثعالبي ، فهو لا يكتفي بهذا الإطار الذي لا غناء فيه والذي تمتلئ به اليتيمة ، وهو لا يكتفي برواية مقتطفات من الآثار الأدبية للملوك والوزراء والأمراء كما فعل الثعالبي ، ولكنه يعرض تأريخهم عرضاً دقيقاً مفصلاً ، يرد آثارهم الأدبية إلى مصادرها ، بل يرد الآثار الأدبية التي أنشئت في بيئتهم إلى مصادرها . وبعض هذا الكلام مما يؤيد ما ذكرناه عن عصبية الثعالبي ، وبعضه الآخر مما قد أبنا عنه وعذرنا الثعالبي فيه ، على أن أبا منصور قدوة وابن بسام مؤتم ، ومن شأن المقتدي أن يتجنب وجوه النقص التي طرأت على من سبقه .

ومما يتصل بالكلام على فروع « يتيمة الدهر » ذلك الكتاب البديع الذي ألفه الثعالبي نفسه ، بعد أن كثر تردده على اليتيمة ، وبعد أن ملأ عينيه من النظر إليها وأشبع نفسه من التفكير فيها ، ذلك هو كتابه « سحر البلاغة وسر البراعة » فإنه كتاب جمع فيه عبارات في مواضيع كثيرة من نوع ما يسميه أساتذة الإنشاء العربي في هذا العصر بالجمال المختارة ، وقد أخرج بعض هذه الجمل « من غرر نجوم الأرض ، ونكت أعيان الفضل من بلغاء العصر في النثر » وحل بعضها الآخر « من

نظم أمراء الشعر الذين أورد ملح أشعارهم في الكتاب المترجم بيتيمة الدهر ،
فللق جميع ذلك ونسقه ، وسرده وساقه ، وأنفق عليه جميع ما رزقه ، وعمله
بجهد الخاطر ، وكد الناظر وعرق الجبين ، وتعب اليمين . . « (١) .



وبعد ، فأحسب أنني أسديت إلى قراء العربية يداً لا يجحدها أحد منهم
بتحقيق نصوص هذا الكتاب ، وتقويم ما اعوج منها بفعل الناسخين والناشرين ،
وبشرح ما دعت الحاجة إلى شرحه من المفردات ، وبالإشارة أحياناً إلى المواطن
التي يجد فيها القارئ ما لم يتعرض له الشعالي من أحوال الشعراء وترجماتهم .

وكم كنت أود أن أضبط ما يحتاج إلى الضبط منه ، بل لقد ضبطت ذلك في
أصول الكتاب التي قدمتها للنشر ، ولكن الضرورة اقتضت أن يخرج الكتاب غير
مضبوط بالشكل ، لأن دار الطباعة التي اختارها الناشر - مع الأسف المحض - لم
يكن فيها من الحروف القابلة للضبط ولا من الحركات ما يكفي للقيام بهذا العمل ،
وكان لا بد من انتظار عام كامل أو قريب منه حتى تتمكن من البدء في العمل على
الوجه الذي أحب ، وآثر الناشر أن يظهر على الوجه الذي تراه على أن يطول به أمد
الانتظار .

هذا ، وأنت غير محتاج إلى الضبط بالشكل ، لأن الشعر الذي تضمنه هذا
الكتاب ليس من الشعر العويص الذي يكثر فيه الغريب ، ولأنني ضبطت لك
بالعبارة في أسفل الصفحات ما ظننت أنك محتاج إلى ضبطه .

والأمور كلها بيد الله يصرفها كيف يشاء .

كتبه المعترف بالله تعالى

أبو رجاء

محمد محيي الدين عبد الحميد

(١) من مطلع كتاب « سحر البلاغة وسر البراعة للشعالي » .

يتيمة الدهر

في محاسن أهل العصر

لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي
المتوفى في عام ٤٢٩ من الهجرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خير ما بدىء به الكلام وختم ، وصلى الله على النبي المصطفى وآله وسلم^(١) .

أما بعد ، فإن محاسن أصناف الأدب كثيرة ، ونكتها قليلة ، وأنوار الأقاويل موجودة ، وثمارها عزيزة^(٢) وأجسام النثر والنظم جمّة ، وأرواحهما نزرة^(٣) ، وقشورهما معرضة ، ولبوبهما معوزة^(٤) . ولما كان الشعر عمدة الأدب^(٥) ، وعلم العرب الذي اختصت به [عن] سائر الأمم ، ولبسانهم جاء كتاب الله المنزل ، على النبي منهم المرسل ، صلوات الله عليه وآله وسلم^(٦) ، كانت أشعار

(١) في جـ « وصلى الله على خير نبي أرسل » .

(٢) الأنوار : جمع نور - بفتح النون وسكون الواو - وهو الزهر ، أو الأبيض منه خاصة . وعزيزة : نادرة قليلة الوجود ، وفي جـ « غزيرة » ولا يوافق ما قبله ولا ما بعده .

(٣) جمّة : كثيرة . ونزرة : قليلة .

(٤) تقول : عرضت الشيء فأعرض لي ، إذا أردت معنى أظهرته فظهر لي وبرز ، وهو من نواذر اللغة ، ونظيره كيبته فأكب . وأنت عارض والشيء معرض ، أي ظاهر بارز . واللبوب : جمع لب - بضم اللام - وهو من النخل والجوز واللوز ونحوها : ما في جوفها ، وقد غلب على ما يؤكل داخله ويرمى خارجه .

(٥) في جـ « محمّدة الأدب » .

(٦) في جـ « صلوات الله وسلامه عليه » .

الإسلاميين أرق من أشعار الجاهليين ، وأشعار المحدثين [اللطف من أشعار المتقدمين ، وأشعار المولدين أبدع من أشعار المحدثين] ، وكانت أشعار العصريين أجمع لنوادر المحاسن ، وأنظم للطوائف البدائع من أشعار سائر المذكورين ؛ لانتهاؤها إلى أبعد غايات الحسن ، وبلوغها أقصى نهايات الجودة والظرف ، تكاد تخرج من باب الإعجاب إلى الإعجاز ، ومن حد الشعر إلى السحر ، فكأن الزمان ادخر لنا من نتائج خواطرهم ، وثمرات قرائحهم ، وأبكار أفكارهم أتم الألفاظ والمعاني استيفاء لأقسام البراعة ، وأوفرها نصيباً من كمال الصنعة ، ورونق الطلاوة .

وكذلك قد ساد النبي محمد كل الأنعام وكان آخر مرسل^(١)

وقد سبق مؤلفو الكتب إلى ترتيب المتقدمين من الشعراء ، وذكر طبقاتهم ودرجاتهم ، وتدوين كلماتهم ، والانتخاب من قصائدهم ومقطوعاتهم ، فكم من كتاب فاخر عملوه ، وعقد باهر نظموه ، لا يشينه الآن إلا نبو العين من إخلاق جدته ، وبلى بردته ، ومع السمع لمردداته ، وملالة القلب من مكرراته . وبقيت محاسن أهل العصر التي معها رواء الحداثة ، ولذة الجدة ، وحلاوة قرب العهد ، وازدياد الجودة على كثرة النقد ، غير محصورة بكتاب يضم نشرها ، وينظم شذرها^(٢) ، ويشد أزرها ، ولا مجموعة في مصنف يقيد شواردها ، ويخلد فوائدها ، وقد كنت تصديت لعمل ذلك في سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، والعمر في إقباله ، والشباب بمائه ، فافتتحت باسم بعض الوزراء مجرياً إياه مجرى ما يتقرب به أهل الأدب إلى ذوي الأخطار^(٣) والرتب ، ومقيماً ثمار الورق ، مقام نثار الورق ، وكتبته في مدة تقصر عن إعطاء الكتاب حقه ، ولا تتسع لتوفية شرطه ،

(١) في م « ولذا قد ساد » .

(٢) ينظم : يجمع . والشذر - بفتح الشين وسكون الدال - المتفرق المتبدد .

(٣) الأخطار : جمع خطر - بفتح حاء - وأراد به القدر العالي والمنزلة الرفيعة .

فارتفع كعجالة الراكب ، وقبسة العجلان ، وقضيت به حاجة في نفسي . وأنا لا أحسب المستعيرين يتعاورونه ، والمتسخين يتداولونه ، حتى يصير من أنفس ما تشع عليه أنفس أدباء الإخوان ، وتسير به الركبان إلى أقاصي البلدان ، فتواترت الأخبار ، وشهدت الآثار ، بحرص أهل الفضل على غدره^(١) وعدهم إياه من فرص العمر وغرره^(٢) واهتزازهم لزهرة ، واقتفارهم لفقره^(٣) ، وحين أعرته على الأيام بصري ، وأعدت فيه نظري ، تبينت مصداق ما قرأته في بعض الكتب : أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتاباً فيبيت عنده ليلة إلا أحب في غداها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا في ليلة واحدة فكيف في سنين عدة ؟

ورأيتني أحاضر بأخوات كثيرة لما فيه وقعت بأخرة إلى^(٤) ، وزيادات جملة [عليه] حصلت من أفواه الرواة لدي . فقلت : إن كان لهذا الكتاب محل من نفوس الأدباء ، وموقع من قلوب الفضلاء ، كالعادة فيما لم يقرع من قبل أذانهم ، ولم يصفاح أذهانهم ، فلم لا أبلغ به المبلغ الذي يستحق حسن الإحتماد ، ويستوجب من الاعتداد أوفر الأعداد ؟ ولم لا أبسط فيه عنان الكلام ، وأرمي في الإشباع^(٥) والاتمام هدف المرام ؟ فجعلت أبنيه وأنقصه ، وأزيد وأنقصه ، وأمحوه وأثبت ، وأنسخه ثم أنسخه ، وربما أفتحه ولا أختتمه ، وأنتصفه فلا أستتمه ، والأيام تحجز ، وتعد ولا تنجز ، إلى أن أدركت عصر السن والحكمة^(٦) ، وشارفت

(١) الغدر - بضمين - جمع غدير ، وهو ما يتركه السيل من الماء .

(٢) الغرر - بضم ففتح - جمع غرة .

(٣) اقتفارهم : تتبعهم . تقول : اقتفر فلان الأثر ، وتقفره ، إذا تبعه . والفقر : جمع فقرة - بالكسر ، وبالفتح - وأصلها ما انتظم من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب ، وتستعار للجمل من الكلام البليغ .

(٤) في م « رأيتني أحاضر بأجواب كثيرة عما ينسب فيه وقعت بأخرة الى » .

(٥) في ج « وأرمي في الاتساع والاتمام » والمعنى واحد .

(٦) الحكمة - بضم الحاء وسكون النون - التجربة والخبرة . وتقول : حنكت السن الرجل - مخففاً من بابي نصر وضرب ، وبتشديد النون - إذا أحكمته التجربة وصيره الاختبار حكماً .

أوان الثبات والمسكة^(١) ، فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النواشب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت في تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت ترصيفها ، وأحكمت تأليفها . وصار مثلي فيها كمثل من يتأنق في بناء داره التي هي عشه ، وفيها عيشه ، فلا يزال ينقض أركانها ، ويعيد بنيانها ، ويستجدها على أنحاء عدة ، وهياث مختلفة ، ويستضيف إليها مجالس كالطواوس^(٢) ، ويستحدث فيها كنائس كالعرائس^(٣) ثم يقورها آخر الأمر قوراء توسع العين قرّة ، والنفس مسرة . ويدعها حسناء تخجل منها الدور ، وتتقاصر عنها القصور . فإن مات فيها مغفوراً له انتقل من جنة إلى أخرى ، وورد من جنة الدنيا على جنة المأوى .

فهذه النسخة الآن تجمع من بدائع أعيان الفضل ، ونجوم الأرض من أهل العصر ، ومن تقدمهم قليلاً وسبقهم يسيراً ، ما لم تأخذ الكتب العتيقة غره ، ولم تفتض عذره^(٤) ، ولم ينتقص قدم العهد وتطاول المدة زبره^(٥) وتشتمل من نسج طباعهم ، وسبك أفهامهم ، وصوغ أذهانهم ، على الحلل الفاخرة الفائقة ، والحلى الرائقة الشائقة . وتتضمن من طرفهم^(٦) وملحهم لطائف أمتع من بواكير الرياحين والثمار ، وأطيب من فوح نسيم الأسحار ، بروائح الأنوار والأزهار ، ما

(١) المسكة - بضم الميم - الرأي ، والعقل الوافر يرجع إليه .

(٢) الطواوس : جمع طاووس ، وهو طائر هندي معروف يضرب به المثل في الحسن والحالة ، والطاووس أيضاً : الرجل الجميل ، والأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبات .

(٣) الكنائس : جمع كناس - بكسر الكاف - وهو هنا بيت الطيبي الذي يستتر فيه وسط الشجر ، على التشبيه .

(٤) العذر - بضم ففتح - جمع عذرة - بالضم - وهي البكارة .

(٥) تقول : زبرت الكتاب أزبره زبراً - من باي ضرب ونصر - إذا كتبه .

(٦) الطرف - بضم الطاء وفتح الراء - جمع طرفة وهي الشيء الطريف . ووقع في جـ ، م « طرفهم » .

لم تتضمنه النسخة السائرة الأولى .

والشرط في هذه الأخرى إيراد لب اللب ، وحبة القلب ، وناظر العين ، ونكتة الكلمة ، واسطة العقد ، ونقش الفص ، مع كلام في الإشارة إلى النظائر والأحسن والسرقات ، وأخذ في طريق الاختصار ، ونبذ من أخبار المذكورين ، وغرر من فصوص [فصول] المترسلين ، يميل إلى جانب الاختصار . فإن وقع في خلال ما أكتبه البيت والبيتان - مما ليس من أبيات القصائد ، ووسائط القلائد - فلأن الكلام معقود به ، والمعنى لا يتم دونه^(١) ولأن ما يتقدمه^(٢) أو يليه مفتقر إليه ، أو لأنه شعر ملك أو أمير أو وزير أو رئيس خطير ، أو إمام من أهل الأدب والعلم كبير . وإنما ينفق^(٣) مثل ذلك بالانتساب إلى قائله ، لا بكثرة طائله .

وخير الشعر أكرمه رجالاً وشر الشعر ما قال العبيد
وإن أخرت متقدماً فعذري فيه أن العرب قد تبدأ بذكر الشيء والمقدم غيره ،
كما قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ﴾^(٤) وقال
تعالى : ﴿ يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ﴾^(٥) وكما قال حسان
ابن ثابت : وذكر بني هاشم [من الطويل] :

بها ليلٌ منهم جعفرٌ وابن أمّه عليٌّ ، ومنهم أحمدُ المتخيرُ
وكما قال الصلتان العبدى [من المتقارب] :

فملّتنا أننا مسلمون على دين صديقنا والنبي

(١) في جـ « لا يتم بدونه » .

(٢) في جـ « أو أن ما يتقدمه - الخ » .

(٣) في جـ ، م « ينفق » محرفاً عما أثبتناه ، وينفق - بالنون - مضارع نفقت السلعة تنفق - من باب نصر - نفاقاً ، إذا راجت ورغب فيها .

(٤) من الآية ٢ من سورة التغابن ، وفيها تقديم الكافر في الذكر على المؤمن .

(٥) من الآية ٤٣ من سورة آل عمران ، وفيها تقديم السجود في الذكر على الركوع .

وإن قدمت متأخراً فسيبيله على ما قال إبراهيم الموصلي لمسرور ، وقد تقدمه في المسير : إن تقدمتك كنت مطرماً لك ^(١) ، وإن تأخرت فلحق الخدمة .

وقال أبو محمد المزني للملك نوح في مثل تلك الحال : إن تقدمت فحاجب ، وإن تأخرت فذاك واجب .

ثم إن هذا الكتاب المقرر ينقسم إلى أربعة أقسام : يشتمل كل قسم منها على أبواب وفصول :

القسم الأول : في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام وما يجاورها ومصر والموصل [والمغرب] ولمع من أخبارهم .

القسم الثاني : في محاسن أشعار أهل العراق ، وإنشاء الدولة الديلمية من طبقات الأفاضل ، وما يتعلق بها من أخبارهم ونوادرهم ، وفصوص من فصول المترسلين منهم .

القسم الثالث : في محاسن أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان [وأصفهان] من وزراء الدولة الديلمية وكتابها وقضاتها وشعرائها وسائر فضلائها ، وما ينضاف إليها من أخبارهم وغرر ألفاظهم .

القسم الرابع : في محاسن [أشعار] أهل خراسان وما وراء النهر من إنشاء الدولة السامانية والغزنية ، والطائرين على الحضرة ببخارى من الآفاق ، والمتصرفين على أعمالهم ، وما يستطرف من أخبارهم ، وخاصة أهل نيسابور

(١) طرقت لك - بتشديد الراء - فأنا مطرّب لك : أي جعلت لك طريقاً . وأصله قولهم : طرقت فلان لابله .

والغرباء الطارئين عليها والمقيمين بها .

وفيما لم يقع إليّ من جنس هذا الكتاب كثرة ، ولعله يزيد على ما حصل لدي ، ومن يقدر على حصر الأنفاس وضبط بنات الأفكار ؟ وفي الزوايا خبايا ، ولا نهاية للخواطر ، ولا منقطع لمواد المحاسن ، وما على المؤلف إلا جهده ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

القسم الأول

في محاسن أشعار آل حمدان ، وشعرائهم ، وغيرهم من أهل الشام ، وما
يجاورها من مصر والموصل ، ولمع من أخبارهم ، وفيه عشرة أبواب .

الباب الأول ، [من القسم الأول]

في فضل شعراء الشام على شعراء سائر البلدان
وذكر السبب في ذلك

لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها أشعر من شعراء عرب العراق وما يجاورها ، في الجاهلية والإسلام ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فأما المحدثون فخذ إليك منهم العتابي . ومنصوراً النمري ، والأشجع السلمي^(١) ومحمد بن زرعة الدمشقي ، وربيعة الرقي . على أن في الطائيين^(٢) اللذين انتهت إليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية ، وها هما .

ومن مولدي أهل الشام المعوج الرقي ، والمريمي ، والعباسي المصيصي ، وأبو الفتح كشاجم ، والصنوبري ، وأبو المعتصم الأنطاكي ، وهؤلاء رياض الشعر، وحنائق الظرف .

فأما العصريون ففيما أسوقه من غرر أشعارهم أعدل الشهادات على تقدم أقدامهم .

والسبب في تبرز القوم قديماً وحديثاً على من سواهم في الشعر : قربهم من خطط العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة ألسنتهم

(١) اتفقت الأصول على ذكر هذا العلم مقترناً « بال » ودخول « أل » عليه للمح أصله كدخولها في الفضل والعباس والحارث .

(٢) أراد بالطائيين : أبا تمام حبيب بن أوس وأبا عبادة الوليد بن عبيد الله البحرني .

من الفساد العارض لألسنة أهل العراق لمجاورة الفرس والنبط ، ومداخلتهم إياهم ، ولما جمع شعراء العصر من أهل الشام بين فصاحة البداوة وحلاوة الحضارة ، ورزقوا ملوكاً وأمراء من آل حمدان وبنو ورقاء هم بقية العرب ، والمشغوفون بالأدب ، والمشهورون بالمجد والكرم ، والجمع بين أدوات السيف والقلم ، وما منهم إلا أديب جواد ، يحب الشعر وينتقده ، ويثيب على الجيد منه فيجزل ويفضل - انبعثت^(١) قرائحهم في الإجابة ، فقادوا محاسن الكلام بالين زمام ، وأحسنوا وأبدعوا ما شاءوا .

وأخبرني جماعة من أصحاب الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد أنه كان يعجب بطريقتهم المثلى ، التي هي طريقة البحتري في الجزالة والعدوبة . والفصاحة والسلاسة ، ويحرص على تحصيل الجديد من أشعارهم ، ويستملئ الطارئين عليه من تلك البلاد ما يحفظونه من تلك البدائع واللطائف ، حتى كسر دفترأ ضخم الحجم عليها^(٢) ، وكان لا يفارق مجلسه ، ولا يملأ أحد منه عينه غيره ، وصار ما جمعه فيه على طرف لسانه ، وفي سن قلمه ، فطوراً يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته ، وتارة يحله أو يورده كما هو في رسائله ، فمن ذلك قول القائل [من الطويل] :

سلامٌ على تلك المعاهد إنَّها شريعة وردي أو مهبّ شمالي^(٣)
ليالي لم نحذرُ حزون قطيعةٍ ولم نمش إلا في سهول وصال^(٤)
فقد صرت أرضى من سواكن أرضها بخلب برقٍ أو بطيف خيال^(٥)

(١) « انبعثت » هذا جواب لما في قوله « ولما جمع شعراء أهل الشام الخ » .

(٢) تقول : كسرت الكتاب على عدة أبواب بتشديد السين - إذا كنت قد جعلته عدة أبواب .

(٣) شريعة وردي : أي مكان ورودي الماء لئله ، ومهبّ شمالي : أي الريح الشمالية الباردة .

(٤) الحزون : الأرض الصعبة المسالك .

(٥) خلب برق : أي البرق اللامع الغير مصحوب بالمطر .

وقول الآخر [من الوافر] :

إذا دنت المنازل زاد شوقي ولا سيمًا إذا بدت الخيام^(١)
فلمح العين دون الحيّ شهرٌ ورجع الطرف دون السير عامٌ

وقول الآخر [من الخفيف] :

فسقى الله بلدةً أنت فيها كدموعي عند اعتراض الفراقِ
وأرانيك فالصبّا قد ترقّت يا بروحي إلى أعالي التراقي^(٢)

وقول الآخر [من الطويل] :

ووالله لا فارقت عقدة ودّه ولا حلت ما عمّرت عن حفظ عهده^(٣)
ولا بدّ أنّ الدهر كاشف أهله ويظهر للمولى موالاة عبدهِ |

وكان أبو بكر الخوارزمي في ريعان عمره ، وعنفوان أمره ، قد دوخ بلاد الشام ، وحصل من حضرة سيف الدولة بحلب في مجمع الرواة والشعراء ، ومطرح الغرباء الفضلاء ، فأقام ما أقام بها مع أبي عبد الله بن خالويه ، وأبي الحسن الشمشاطي ، وغيرهما من أئمة الأدباء ، وأبي الطيب المتنبي ، وأبي العباس النامي ، وغيرهما من فحول الشعراء^(٤) ، بين علم يدرسه ، وأدب يقتبسه ، ومحاسن ألفاظ يستفيدها ، وشوارد أشعار يصيدها ، وانقلب عنها وهو أحد أفراد الدهر ، وأمراء النظم والنثر ، وكان يقول : ما فتق قلبي ، وشحد فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، إلا تلك الطوائف

(١) لاسيما : هي هنا بتخفيف الياء مفتوحة مثلها في قول الشاعر وهو من شواهد النحاة

فيه بالعقود والإيمان لا سيما عقد وفاء به من أعظم القرب

(٢) التراقي : جمع ترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٣) لا حلت : لا تغيرت وتراجعت .

(٤) لفحول : جمع فحل ، وأصله الذكر من كلّ حيوان ويطلق على الراوي وعلى الشاعر الذي يغلب على كلّ شاعر يعارضه أو يفضل عليه .

الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي ،
وغصن الشباب رطيب ، ورداء الحدائث قشيب ، وما كان أكثر ما ينشدني ويكتبني
مما يضمن به على غيري من تلك الغرر التي تجري مجرى السحر والملح التي يقطر منها
ماء الظرف ، وأنا أكتبها في أماكنها من أبواب هذا القسم الأول ، بمشيئة الله
تعالى .

وممن خرجته تلك البلاد ، وأخرجته ، وكلامه مقبول محبوب ، آخذ
بمجامع القلوب : القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني ، فإنه جنى
ثمارها ، واستصحب أنوارها ، حتى ارتقى إلى المحل العلي ، وتطبع بطبع
البحري .

* * *

الباب الثاني

١ - في ذكر سيف الدولة أبي الحسن

علي بن عبد الله بن حمدان^(١)

وسياق قطعة من أخباره ، وملح من أشعاره

كان بنو حمدان ملوكاً وأمراء أوجههم للصباحة ، وألسنتهم للفصاحة ، وأيديهم للسماحة ، وعقولهم للرجاحة ، وسيف الدولة مشهور بسيادتهم ، وواسطة قلاذتهم^(٢) وكان - رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه ! - غرة الزمان ، وعماد الإسلام ، ومن به سداد الثغور^(٣) ، وسداد الأمور ، وكانت وقائعه في عصاة العرب تكف^(٤) بأسها [وتنزع لباسها] وتفلّ أنيابها ، وتذل صعابها ، وتكفي الرعية سوء آدابها . وغزواته تدرك من طاغية الروم الثار ، وتحسم شرهم المثار ، وتحسن في الإسلام الآثار . وحضرته مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدباء ، وحلبة الشعراء ، ويقال : إنه لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك - بعد الخلفاء - ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر ، وإنما السلطان سوق يجلب إليها ، ما ينفق لديها . وكان أديباً شاعراً محباً لجيد الشعر ، شديد الاهتزاز لما يمدح به ،

(١) أنظر ترجمة سيف الدولة في ابن خلكان (٦٦ / ٢ النيل) .

(٢) القلاذة : العقد ، وما تضعه الفتاة في جيدها من حلي وغيرها .

(٣) سداد الثغور : حمايتها وقوتها .

(٤) تكفّ : تمنع وتدفع وتصرف .

فلو أدرك ابن الرومي زمانه لما احتاج إلى أن يقول [من الكامل] :

ذهب الذين تهزهم مدأحهم هز الكماة عوالي المران^(١)
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم ملأ ريحية منهم^(٢) بمكان^(٣)
وكان كل من أبي محمد عبد الله بن محمد الفياض الكاتب ، وأبي الحسن علي
بن محمد الشمشاطي ، قد اختار من مدائح الشعراء لسيف الدولة عشرة آلاف
بيت ، كقول أبي الطيب المتنبي [من الطويل] :

خليلي إني لا أرى غير شاعر فلم منهم الدعوى ومني القصائد^(٤)
فلا تعجبا إن السيوف كثيرة ولكن سيف الدولة اليوم واحد^(٥)
له من كريم الطبع في الحرب منتضر ومن عادة الإحسان والصفح عامد^(٦)
ولما رأيت الناس دون محله تيقنت أن الدهر للناس ناقد^(٧)
ومن القصيدة المرقومة :

فلم يبق إلا من حماها من الظبا لمى شفتيها والثدي النواهد^(٨)
تبكي عليهن الباطريق في الدجى وهن لدينا ملقيات كواسد
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائب قوم عند قوم فوائد^(٩)

(١) العوالي : جمع عالية ، وهي أعلى القناة أو رأسها الذي يلي السنان ، والمران : بضم الميم وتشديد
الراء ، شجر باسق أوراقه كأوراق التوت ومنه تتخذ الرماح .

(٢) ملأ ريحية : أراد من الأريحية ، والعرب تحذف نون من الجارة إذا اضطرت إلى ذلك في الشعر وقد
ورد ذلك في أبيات كثيرة منها :

نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجبال

(٣) هذه الأبيات والتي بعدها في الديوان (١ / ٢٧١ / ٢٧٥) .

(٤) منتضر : انتضى السيف ، شهره واستلته من الغمد ، وغمد السيف : حيث يوضع ، قرابه ،
وجفنه .

(٥) ناقد : خبير ، يعرف من يختار للسيادة وكبار المهام .

(٦) اللمی : سمرة محبوبة في الشفة .

ومن شرف الإقدام أنك فيهم
وأنّ دماً أجرته بك فآخر
وكلّ يرى طرق الشجاعة والندى
نهبت من الأعمار ما لو حوته
فأنت حسامُ الملك والله ضاربُ
أحبك يا شمس الزمان وبدره
وذاك لأن الفضل عندك باهر
وعقول السري بن أحمد الموصلّي [من الوافر] :

أعزمتك الشهاب أم التّهار
خلقت منيةً ومنىً فأضحت
تحلّي الدين أو تحمي حماه
سيوفك من شكاة الثغر برء
وكفّاك الغمام الجون يسري
يمينٌ من سجيتها المنايا
حضرنا والملوك له قيامٌ
وزرنا منه ليث الغاب طلقاً
فكان لجوهر المجد انتظامٌ

أراحتك السحاب أم البحار^(١)
تمور بك البسيطة أو تمار^(٢)
فأنت عليه سورٌ أو سوار
ولكن للعدى فيها بوار^(٣)
وفي أحشائه ماءٌ ونار^(٤)
ويسري من عطيتها اليسار^(٥)
تغضُّ نواظراً فيها انكسار
ولم نر قبله ليشاً يُزار
وكان لجوهر المدح انتشار^(٦)

(١) مرموق : محبوب ، والمقة : الحب ، والشاكد : المعطي .

(٢) السهى والفراقد : النجوم والأقمار .

(٣) الراح : الكفّ الذي يكون به العطاء « راحة اليد » .

(٤) تمور : تموج وتضطرب .

(٥) البوار : الهلاك .

(٦) الجون : من الأضداد يطلق على الأسود والأبيض .

(٧) سجيتها : طبعها ، والمنايا : الحتوف ، واليسار : من اليسر .

(٨) انتظامٌ : من نظم الجواهر أي سلكها في عقد واحد .

فعثت مخيراً لك في الأماني وكان على العدو لك الخيار
فضيفك للحيا المنهل ضيفاً وجارك للربيع الطلق جاراً^(١)

وكقول أبي فراس الحارث بن سعيد [من البسيط] :

أشدّة ما أراه فيك أم كرم تجود بالنفس والأرواح تصطلم^(٢)
يا باذل النفس والأموال مبتسماً أما يهولك لا موت ولا عدم ؟
لقد ظننتك بين الجحفلين ترى أن السّلامة من وقع القنا تصم^(٣)
نشدتك الله لا تسمح بنفس علاً حياة صاحبها تحيا بها أمم
إذا لقيت رفاق البيض منفرداً تحت العجاج فلم تستكثر الخدم
تفدي بنفسك أقواماً صنعتهمو وكان حقهم أن يفتدوك هم
من ذا يقاتل من تلقى القتال به وليس يفضل عنك الخيل والبهم^(٤)
تضنّ بالطعن عناضنّ ذي بخلٍ ومنك في كلّ حالٍ يعرف الكرم
لا تبخلنّ على قومٍ إذا قتلوا أثنى عليك بنو الهيجاء دونهم
ألبيت ما لبسوا أركبت ما ركبوا عرفت ما عرفوا علّمت ما علموا
هم الفوارس في أيديهم أسلّ فإن رأوك فأسدّ والقنا أجم^(٥)

وكقول أبي العباس بن محمد النامي [من الوافر] :

خلقت كما أردتك المعالي فأنت لمن رجاك كما يريدُ

(١) الحيا المنهل : المطر المتصّبّب .

(٢) تصطلم : تزهق ، وتقطع من أصولها .

(٣) الجحفل : الجيش الجرّار ، والقنا : جمع قنّاة وهي من أدوات الحرب ، وتصم : مضارع وصم : أي غيّر .

(٤) يفضل عنك : يبقى بعد ما قتلت ، والبهم جمع بهمة وهو الفارس المتغطي بسلاحه وأدواته ، يريد : إذا كنت أنت تقتل جيش الأعداء وحدك فوارسه وأفراسه فجيّشك الذي أخرجته معك لتلقى به العدو لن يجد واحداً من فرسانه كيما يقتله .

(٥) الأسل : الرماح ، والأجم جمع أجمة ، وهي الغابة تكون مأوى السباع .

عجيبٌ أنَّ سيفك ليس يروى وسيفك في الوريد له ورود^(١)
وأعجب منه رمحك حين يسقى فيصحو وهو نشوانٌ يמיד^(٢)

وكقول أبي الفرج البيغاء [من الطويل] :

نداك إذا ضنَّ الغمام غمام وعزمك إن فلَّ الحسام حسام^(٣)
فهذا ينيل الرزق وهو ممنعٌ وذاك يردُّ الجيش وهو لهام^(٤)
ومن طلب الأعداء بالمال والظبا وبالسعد لم يبعد عليه مرام

وكقول أبي الفرج الوأواء [من المنسرح] :

من قاس جدواك بالسحاب فما أنصف بالحكم بين شكلين^(٥)
أنت إذا جدت ضاحكٌ أبداً وهو إذا جاد دامع العين

وكقول أبي نصر بن نباتة وهو من شعراء العراق [من البسيط] :

حاشاك أن تدعيك العرب واحدا يا من ترى قدميه طينة العرب
فإن يكنْ لك وجهٌ مثل أوجههم عند العيان فليس الصفر كالذهب^(٦)
وإن يكنْ لك نطقٌ مثل نطقهم فليس مثل كلام الله في الكتب
وكانت غمائم جوده تفيض ، ومآثر كرمه تستفيض ، فتؤرخ بها أيام المجد ، وتخلد
في صحائف حسن الذكر .

* * *

(١) ليس يروى : أي يظل ظمآنًا على كثرة ما يشرب من دم الأعداء .

(٢) يמיד : يتحرك ويضطرب يميناً وشمالاً .

(٣) ضنَّ : بخل ، وفلَّ الحسام : تكسرَّ حده .

(٤) لهام : كثير ضخم .

(٥) جدواك : عطاياك .

(٦) الصفر : بضمّ وسكون الفاء : النحاس لأن لونه أصفر .

فصل في انفجار ينابيع جوده على الشعراء

حدثني أبو الحسن علي بن محمد العلوي الحسيني الهمداني الوصي ، قال : كنت واقفاً في السَّمَّاطين^(١) بين يدي سيف الدولة بحلب ، والشعراء ينشدونه ، فتقدم إليه أعرابي رث الهيئة ، فاستأذن الحجاب في الإنشاد ، فأذنوا له ، فأنشد [من المنسرح] :

أنت عليّ وهذه حلبٌ قد نفذ الزاد وانتهى الطلبُ
بهذه تفخر البــــــــــــــلادوبالأمير تزهي على الوري العربُ
وعبدك الدهر قد أضرب بنا إليك من جور عبدك الهرب
فقال سيف الدولة ، « أحسنت ، والله أنت ! » . وأمر له بمائتي دينار.

وحكى ابن ليبب غلام أبي الفرج البيغاء أن سيف الدولة كان قد أمر بضرب
دنانير للصلوات في كل دينار منها عشرة مثاقيل ، وعليه اسمه وصورته ، فأمر يوماً
لأبي الفرج منها بعشرة دنانير ، فقال ارتجالاً [من المنسرح] :

نحن بجود الأمير في حرم
أبداع من هذه الدنانير لم
فقد غدت باسمه وصورته
نرتع بين السعود والنعم
يجر قديماً في خاطر الكرم
في دهرنا عوذة من العدم^(١)

فزاده عشرة أخرى .

وكان أبو فراس يوماً بين يديه في نفر من ندمائه ، فقال لهم سيف الدولة :

(١) السماطين : الصفيين .

(٢) العُودَة : ما يعلّق على الصبي من التماثيل ليقبه العين .

أيكم يجيز قلبي ، وليس له إلا سيدي (يعني أبا فراس) [من الخفيف] :

لك جسمي تعلُّه فدمي لم تُحلِّه^(١)
لك من قلبي المكا ن فلم لا تحلُّه

فارتجل أبو فراس ، وقال :

أنا إن كنت مالكاً فليَ الأمر كله

فاستحسنه وأعطاه ضيعةً بمنيج تغل ألفي دينار .

واستنشد سيف الدولة يوماً أبا الطيب المتنبي قصيدته التي أولها [من

الطويل] :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارم
وكان معجباً بها كثير الاستعادة لها ، فاندفع أبو الطيب المتنبي ينشدها ، فلما بلغ
قوله فيها :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ كأنك في جفن الردى وهونائمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً ووجهك وضاحٌ وثغرك باسمُ
قال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ، كما انتقد على امرئ القيس بيتاه
[من الطويل] :

كأني لم أركبُ جواداً للذةٍ ولم أتبطنُ كاعباً ذات خلخال^(٢)
ولم أسبأ الزقَّ الرويَ ولم أقلُ لخليي كرىً كرةً بعد إجفال^(٣)

(١) تعلُّه : تمرضه ، وتحلُّه : أي تستحلُّ سفكه .

(٢) أتبطن : أعلو ، والكاعب : الفتاة الناهد .

(٣) أسبأ : اشترى ، الزق : دنّ الخمر ، الروي : المملوء والإجفال : الإنهزام في سرعة .

وبيتاك لا يلتثم شطراهما ، كما ليس يلتثم شطرا هذين البيتين ، وكان ينبغي
لامرئ القيس أن يقول :

كأنِّي لم أركب جواداً ولم أقلُ لخليي كَرِّي كَرَّةً بعد إجمال
ولم أسبأ الزق الروي للذِّق ولم أتبطَّنْ كاعباً ذات خلخال
ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شكٌ لواقفٍ ووجهك وضاحٌ وثغرك باسم
تمرُّ بك الأبطال كلمي هزيمةً كأنك في جفن الردى وهونائم

فقال : أيد الله مولانا ! إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا
كان أعلم بالشعر منه ، فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب
لا يعرفه البراز معرفة الحائك ، لأن البراز يعرف جملمته ، والحائك يعرف جملمته
وتفاريقه ، لأنه هو الذي أخرجه من الغزلية الى الثوبية ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة
النساء بلذة الركوب للصيد ! وقرن السباحة في شراء الخمر للأضياف بالشجاعة
في منازلة الأعداء ، وأنا لما ذكرت الموت في أول البيت أتبعته بذكر الردى - وهو
الموت - ليجانسه ، ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوساً ،
وعينه من أن تكون باكية ، قلت * ووجهك وضاح وثغرك باسم * لأجمع بين
الأضداد في المعنى ، وإن لم يتسع اللفظ لجميعها . فأعجب سيف الدولة بقوله ،
ووصله بخمسين ديناراً من دنانير الصلات ، وفيها خمسمائة دينار .

وكان أبو بكر وأبو عثمان الخالديان من خواص شعراء سيف الدولة ، فبعث
إليهما مرة وصيفة ووصيفا ، ومع كل واحد منهما بدرة^(١) وتخت من ثياب مصر ،
فقال أحدهما من قصيدة طويلة ، وهي [من الكامل] :

لم يغد شكرك في الخلائق مطلقاً إلّا ومالك في النّوال حبيسُ

(١) البدره : صرة أو كيس توضع فيه الدراهم .

خوگتئا شمساً وبدراً أشرقت بهما لدينا الظلّمة الحنديس^(١)
 رشأ أتانا وهو حسناً يوسف وغزالةً هي بهجةً بلقيس
 هذا ، ولم تقنع بذاك وهذه حتّى بعثت المال وهو نفيس^٢
 أتت الوصيفة وهي تحمل بدرةً وأتى على ظهر الوصيف الكيس^(٣)
 وبررتنا مما أجادت حوكه مصرً ، وزادت حسنه تنيس^(٤)
 ففدا لنا من جودك المأكول وال مشروب والمنكوح والملبوس

فقال له سيف الدولة : أحسنت إلا في لفظه « المنكوح » ، فليست مما يخاطب بها الملوك ، وهذا من عجيب نقده .

حكى أبو إسحق إبراهيم بن هلال الصابي ، قال : طلب مني رسول سيف الدولة - وكان [قد] قدم إلى الحضرة - شيئاً من شعري ، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك ، فدافعتهُ أياماً ، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات ، وهي [من الكامل] :

إن كنتُ ختكتُ في الأمانة ساعةً فذممت سيف الدولة المحمودا
 وزعمت أن له شريكاً في العلا وجحدته في فضله التوحيدا
 قسماً لو أنني حالفٌ بغموسها لغريم دينٍ ما أراد مزيدا^(٥)

[وقال] فلما عاد الرسول إلى الحضرة ، ودخلت عليه مسلماً ، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة مكتوباً عليه اسمي ، وفيه ثلاثمائة دينار .

* * *

(١) الحنديس : من الحنديس ، وهو الليل الشديد الظلّة .

(٢) الوصيفة : الجارية ، والوصيف : الخادم .

(٣) بررتنا : من البرّ وهو المعروف والعطاء . والحوك : النسيج ، تنيس : مدينة بمصر اشتهرت بالنسيج .

(٤) الغموس : يقال الغموس النجم أي غاب وغمست الطعنة : أي اخترقت المطعون .

نبذ من ذكر وقائعه وغزواته

حدث أبو عبد الله الحسين بن خالويه ، قال : لما كانت الشام بيد الإخشيد محمد بن محمد بن طغج سار إليها سيف الدولة فافتتحها ، وهزم عساكره عن صفين ، فقال له المتنبي [من الكامل] :

يا سيف دولة ذي الجلال ومن له خير الخلائف والأنام سمي^١
أو ما ترى صفين كيف أتيتها فانجاب عنها العسكر الغربي^(١)
فكأنه جيش ابن حرب رعته حتى كأنك يا علي^٢ علي^(٢)

وقال أبو فراس من قصيدة طويلة [من الطويل] :

أتى الشام لما استذاب البهْم واغتدت بها أنؤب البيداء وهي قساور^(٣)
فثقف مناداً ، وأصلح فاسدً وذلل جباراً ، وأذعر ذاعر^(٤)

وكان ظهر رجل في الغرب يعرف بالمبرقع يدعو الناس إلى نفسه ، والتفت عليه القبائل ، وافتتح مدائن من أطراف الشام ، وأسر أبا وائل تغلب بن داود بن حمدان ، وهو خليفة سيف الدولة على حمص ، وألزمه شراء نفسه بعدد من الخيل وجملة من المال ، فأسرع سيف الدولة من حلب يغذ^(٥) السير حتى لحقه في اليوم الثالث بنواحي دمشق ، فأوقع به ، وقتله ، ووضع السيف في أصحابه ، فلم ينج إلا من سبق فرسه ، وعاد سيف الدولة إلى حلب ومعه أبو وائل ، وبين يديه رأس

(١) انجاب : انهزم وتراجع وانكشف .

(٢) ابن حرب : معاوية بن أبي سفيان ، وعلي الأول : سيف الدولة وعلي الثاني : الإمام علي بن أبي طالب .

(٣) البهْم : بفتح الباء وسكون الهاء : صغار أولاد الضأن ، والقساور : جمع قسورة ، وهو الأسد .

(٤) ثقف : قوم وعدل ، والمناد : المنحني المنعطف ، وذلل : أخضع ، وأذعر : أخيف وأفزع .

(٥) يغذ : يسرع .

الخارجي على رمح ، فقال أبو فراس يذكر ذلك [من الطويل] :

وأنقذ من مسّ الحديد وثقله أبا وائل ، والدهر أجده صاغراً^(١)
وآب ورأس القرمطيّ أمامه له جسدٌ من أكعب الرمح ضامراً^(٢)
وهذا من أحسن ما قيل في الرأس المصلوب على الرمح .

[ولبعضهم في مثل ذلك] [من البسيط] :

وعاد لكنّه رأسٌ بلا جسدٍ يسري ، ولكن على ساقٍ بلا قدم
وقال أبو الطيب في خلاص أبي وائل [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائل^(٣)
فدى نفسه بضمن النصار وأعطى صدور القنا الذابل^(٤)
ومتاهم الخيل مجنوبةً فجئن بكلّ فتىّ باسل^(٥)
كأنّ خلاص أبي وائل معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت على البعد عندك كالقائل
فلبّيته بك في جحفلٍ له ضامنٌ وبه كافل
وعدت إلى حلبٍ ظافراً كعود الحليّ إلى العاطل^(٦)

وكان سيف الدولة اصطنع بني كلاب ، وأدناهم ، وآمن سربهم^(٧) ، فقهروا

(١) أجده : أي ذليل .

(٢) آب : رجع ، وضامر : هزبل .

(٣) أسر : قيود .

(٤) النصار : الذهب الخالص ، القنا : يريد الرمح ، والذابل : الدقيق .

(٥) المجنوبة : السلسة القياد .

(٦) العاطل : يقال جيد عاطل ، أي خالٍ من الحليّ .

(٧) يقال « فلان آمن في سربه » بكسر السين وسكون الراء - أي آمن في حرمة وعياله ، وهو مستعار من سرب الأطباء والبقر الوحشي والقطا ، أي جماعتها .

العرب وعلت كلمتهم ، إلى أن بدرت منهم جفوة أحفظته^(١) فأسرى إليهم ، وأوقع بهم ، وملك حرمهم وأموالهم ، ثم صفح عنهم وكرم ، وجمع الحرم ، ووكل بهن الخدم وأفضل عليهن ، وأحسن إليهن ، فقال أبو الطيب من قصيدة [من الوافر] :

فعدن كما أخذن مكرّمات	عليهن القلائد والملاب ^(٢)
يثبنك بالذي أوليت شكراً	وأين من الذي تولي الثواب ؟
وليس مصيرهنّ إليك شيئاً	ولا في صونهنّ لديك عاب ^(٣)
ولا في فقدهنّ بني كلاب	إذا أبصرن غرتك اغتراب
وكيف يتمّ بأسك في أناس	تصيبهم فيؤلمك المصاب
ترفق أيها المولى عليهم	فإنّ الرفق بالجاني عتاب

هذا كلام مالحسنه غاية .

وعين المخطئين هم ، وليسوا	بأول معشرٍ خطئوا فتابوا
وأنت حياتهم غضبت عليهم	وهجر حياتهم لهم عقاب
وما جهلت أياديك البوادي	ولكن ربّما خفي الصواب
وكم ذنبٍ مولده دلال	وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جرّة سفهاء قوم	وحلّ بغير جارمه العذاب ^(٤)

كأنما اقتبس من قول الله سبحانه : ﴿ أتهلكنا بما فعل السفهاء منا ﴾^(٥) [ونحو من

هذا قول زياد في خطبته البتراء » والله لأخذن المحسن بالمسيء]

ولو غير الأمير غزا كلاباً ثناه عن شموههم ضباب

(١) أحفظته : أغضبته وأحنقته .

(٢) الملاب : بفتح الميم ، كلّ عطرٍ مائع ، وهو فارسي الأصل .

(٣) الشين : العيب والنقص .

(٤) الجرم : الذنب ، وجارمه : مقترفه .

(٥) من الآية ١٥٥ من سورة الأعراف .

وما أحسن ما كُنِّي عن الحرم بالشموس ، وعن المحاماة دونهم بالضباب .

ولكن ربهم أسرى إليهم فما نفع الوقوف ولا الذهاب
كذا فليسر من طلب المعالي ومثل سراك فليكن الطلاب

وكتب إليه أبو فراس في تلك الحال يداعبه [من المتقارب] :

وما أنس لا أنس يوم المغار	محجبةً لفظتها الحجب
دعاك ذووها بسوء الفعال	لما لا تشاء وما لا تحب
فوافتك تعثر في مرطها	وقد رأت الموت من عن كئيب ^(١)
وقد خلط الخوف لمّا طلع	ت دلّ الجمال بذلّ الرعب
تسرع في الخطو لا خفة	وتهتزّ في المشي لا من طرب
فلما بدت لك دون البيوت	بدا لك منهن جيش ^(٢) لجب ^(٣)
وما زلت ، مذ كنت ، تأتي الجميل	وتحمي الحريم وترعى الحسب
وتغضب حتى إذا ما ملكت	أطعت الرضا وعصيت الغضب
فكنت حماهنّ إذ لا حمى	وكنّت أباهنّ إذ ليس أب
فولينّ عنك يفدينها	ويرفعن من ذيلها ما انسحب
ينادين بين خلال البيو	ت لا يقطع الله نسل العرب
أمرت وأنت المطاع الكريم	بيذلّ الأمان وردّ النهب ^(٤)
وقد رحن من مهجات القلوب	بأوفر غنم وأعلى نشب ^(٥)
فإن هنّ يا بن الكرام السراة	رددن القلوب رددنا السلب ^(٥)

(١) المرط : الثوب الطويل الذيل ، وكئيب : هنا بمعنى القريب ، وقد استعمل « عن » هنا إسماعياً بمعنى الجهة فلذلك أدخل عليها « من » .

(٢) جيش لجب : أي ذو جلبة وصياح ، وذلك لكثرة عدده .

(٣) النهب : السلب .

(٤) النشب : المال وغيره من إبل وخبيل الخ ...

(٥) السراة : السادة الكرام .

وقال أيضاً يمدحه ويذكر نسوة بني كلاب [من البسيط] :

قد ضجّ جيشك من طول القتال به وقد درى الروم مذ جاورت أرضهم
أنّ ليس يعصمهم سهل ولا جبل^(١) في كلّ يوم تزور الشجر لا ضجر
يشيك عنه ، ولا شغل ، ولا ملل فالنفس جاهدة ، والعين ساهرة ،
والجيش منهمك ، والمال مبتذل توهمت كلاب غير قاصدها
وقد تكتفك الأعداء والشغل حتى رأوك أمام الجيش تقدمه
وقد طلعت عليهم دون ما أملوا فاستقبلوك بفرسان أسنتها
سود البراقع والأكوار والكلل^(٢) فكنت أكرم مسئول وأفضله
إذا وهبن فلا من ولا بخل

ويقال : إن سيف الدولة غزا الروم أربعين غزوة له وعليه ، فمنها أنه أغار على زبطرة وعرة وملطية ونواحيها فقتل وأحرق وسبى ، وانثنى قافلاً إلى درب موزار فوجد عليه قسطنطين بن فردس الدمستق فأوقع به وقتل صناديد رجاله ، وعقب إلى للدانه وقد تراجع من هرب منها فأعظم القتل وأكثر الغنائم ، و [قد] عبر الفرات إلى بلد الروم ، ولم يفعل أحد قبله ، حتى أغار على بطن هنريط ، فلما رأى فردس بعد مغزاه وخلو بلاد الشام منه غزا نواحي انطاكية ، فأسرى سيف الدولة يطوي المراحل : لا ينتظر متأخراً ، ولا يلوي على متقدم ، حتى عارضه بمرعش ، فأوقع به وهزمه ، وقتل رؤوس البطارقة ، وأسرى قسطنطين بن الدمستق ، وأصابته الدمستق ضربة في وجهه ، وأكثر الشعراء في هذه الواقعة ، فقال أبو الطيب [من الطويل] :

لكلّ امرئ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا

(١) يعصمهم : يمنعهم ويحميهم .

(٢) البراقع : أفتحة تستر بها النساء وجوهها . والأكوار : جمع كور وهو الرحل ، والكلل : الحالة .

وأن يكذب الإرجاف عنه بضدّه
وربّ مريدٍ ضرّه ضرّ نفسه
ويمسي بما تنوي أعاديّه أسعداً^(١)
وهادٍ إليه الجيش أهدى وما هدى

ومنها :

سريت إلى جيحان من أرض آمل
فولّى وأعطاك ابنه وجيوشه
ثلاثاً ، لقد أدناك ركضاً وأبعدا
جميعاً ولم يعط الجميع لتحمدا
وما طلبت زرق الأسنة غيره
ولكنّ قسطنطين كان له الفدا

وقال أبو فراس [من الطويل] :

وآب بقسطنطين وهو مكبلّ
وولّى على الرسم الدمستق هارباً
تحفّ بطاريقُ به وزراز^(٢)
وفي وجهه عذرٌ من السيّف عاذر
وللشدّة الصماء تقنى الذخائر^(٣)
وقد يقطع العضو النفيس لغيره
وتدفع بالأمر الكبير الكبائر

وسار سيف الدولة لبناء الحدث - وهي قلعة عظيمة الشأن - فاشتد ذلك على ملك الروم ، فجمع عظماء أهل مملكته ، وجهزهم بالصليب الأعظم وعليهم فردس الدمستق ، ثائراً بابنه قسطنطين في عدد لا يحصى ، حتى أحاطوا بعسكر سيف الدولة ، والتهبت الحرب ، واشتد الخطب ، وساءت ظنون المسلمين ، ثم أنزل الله نصره ، فحمل سيف الدولة يخرق الصفوف طلباً للدمستق ، فولّى هارباً ، وأسر صهره وابن بنته ، وقتل خلق كثير من الروم ، وأكثر الشعراء في هذه

(١) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .

(٢) الزراز : جمع الزرزاز ، وهو في الأصل الذكي الخفيف .

(٣) تقنى : تدخّر ، والدخائر : جمع ذخيرة ، وهو ما تدخّره لوقت الحاجة .

الوقعة ، فقال أبو الطيب وذكر الحدث [من الطويل] :

بناها فأعلى والقنا تفرع القنا
وكان بها مثل الجنون فأصبحت
تفيت الليالي كل شيء أخذته
وذكر ولد الدمستق فقال :

وقد فجعته بابنه وابن صهره
مضى يشكر الأصحاب في فوته الظبا
ويفهم صوت المشرفة فيهم
يسر بما أعطاك لا عن جهالة
وبالصهر حملات الأمير الغواشم
بما شغلها هامهم والمعاصم^(٢)
على أن أصوات السيوف أعاجم
ولكن مغنوماً نجا منك غانم
وقال السري في بناء الحدث [من البسيط] :

رفعت بالحدث الحصن الذي خففت
أعدته عدوياً في مناسبة
فقد وفي عرضه بالبيد واعترضت
مصغ إلى الجو أعلاه فإن خفقت
كان أبراجه من كل ناحية
منه الحوادث حتى ذل جانب
من بعد ما كان رومياً مناسبة^(٥)
طولاً على منكب الشعري مناكبه
زهر الكواكب خلناها تخاطبه
أبراجها والدجى وحف غياهبه^(٦)

(١) القنا : يقصد بها السلاح وعدة الحرب . ، والمنايا : جمع منية ، وهي الموت ، ومتلاطم : أي يزحم بعضه بعضاً ، متدافع .

(٢) التماثم : جمع تميمة وهي العود التي بقي من العين .

(٣) غوارم : مدينة .

(٤) الظبا : جمع ظبة ، وهي حد السيف والسكين وغيرهما .

(٥) عدوياً : منسوب إلى عدي ، وهو جد من أجداد سيف الدولة .

(٦) الوحف : الشعر الأسود ، والغياهب : الظلمات الشديدة .

ولأبي فراس في ذكرها [من الطويل] :

رأى الثغر مثغوراً فسدَّ بسيفه فم الدهر عنه وهو سغبان فاغر^(١)

* * *

ملح شعر سيف الدولة

ومما أنشدني أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المقيم لسيف الدولة في وصف قوس قزح ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرة [من الطويل] :

وساقٍ صبيحٍ للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سينة الغمض^(٢)
يطوف بكاسات العقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍ علينا ومنقضٍ
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً على الجوِّ دكناً والحواشي على الأرض^(٣)
يطرّزها قوس الغمام بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضٍ
كأذيال خودٍ أقلت في غلائلٍ مصبغةٍ والبعض أقصر من بعض^(٤)

وهذا من التشبيهات المملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها السوقة ، ونظيره قول ابن المعتز في وصف الهلال [من الكامل] :

فانظر إليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلته حمولةٌ من عنبرٍ

وقول أبي فراس - وهو مما يعرب عن استخدامه نفائس الفرس - [من الكامل] :

وكأنما البرك الملاء تحفها ألوان ذاك الروض والزهر

(١) مثغوراً : أي به ثغرة ، والسغب : الجوع ، وفاغر : فاتح .

(٢) الصبح : الشرب صباحاً ، سينة الغمض : أي الفتور الذي يلحق بالأجفان من النعاس .

(٣) الجنوب : الريح تهب جنوباً : والمطارف : ودكناً : قاتمة .

(٤) الخود : النساء الناعمة ، والغلائل : الثياب الرقيقة الناعمة ، تنسب إلى ابن الرومي .

بسَطُّ من الديباج بيضُ فروزت أطرافها بفراوزٍ خضر^(١)
وقوله من قصيدة [من الكامل] :

والماء يفصل بين زهر الـ رَوْض في الشَّطِين فصلا
كبساط وشيٍ جرَدَتْ أيدي القيون عليه نصلا^(٢)
وأنشدني أبو الحسن العلوي الهمداني ، قال : أنشدني سيف الدولة لنفسه .
وأنا أراه من قوله في صباه [من الوافر] :

أقبله على جزعٍ كشرب الطائر الفزع
رأى ماءً فأطعمه وخاف عواقب الطمع
وصادف فرصةً فدنا ولم يلتذّ بالجرع^(٣)

ينظر معناها إلى قول ابن المعتز [من المنسرح] :

فكم عناقٍ لنا وكم قبلٍ مختلساتٍ حذارٍ مرتقب
نقر العصافير- وهي خائفةٌ من النواطير- يانع الرطب^(٤)

ويحكى أنه كانت لسيف الدولة جارية من بنات ملوك الروم ، لا يرى الدنيا
إلا بها ، ويشفق من الريح الهابة عليها ، فحسدتها سائر حظاياها على لطف محلها
منه ، وأزمعن إيقاع مكروه بها من سم أو غيره ، وبلغ سيف الدولة ذلك ، فأمر
بنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً على روحها ، وقال [من الخفيف] :

راقبتني العيون فيك فأشفقت ولم أخلُ قطُّ من إشفاقٍ

(١) فروزت : ذيلت بحواشي .

(٢) القيون : مفرد هاقين وهو الحداد .

(٣) الجرع : شرب الماء بسرعة .

(٤) النواطير : جمع ناطور ، وهو الموكل بحراسة الكروم والأشجار .

ورأيت العذول يحسدني فيك مجدداً يا أنفس الأعلاق^(١)
 فتمنيت أن تكوني بعيداً والذي بيننا من الودِّ باقٍ
 ربُّ هجرٍ يكون من خوف هجرٍ وفراقٍ يكون خوف فراقٍ

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن خالويه بحلب لسيف
 الدولة [من الطويل] :

تجنّى عليّ الذنبَ والذنبَ ذنبه وعاتبني ظلماً وفي شقّه العتب^(٢)
 وأعرض لما صار قلبي بكفّه فهلاًّ جفاني حين كان لي القلبُ !^(٣)
 إذا برم المولى بخدمة عبده تجنّى له ذنباً وإن لم يكن ذنب^(٤)
 يشبه هذا المعنى [من الخفيف] :

وإذا ما الجفاء جهّز جيشاً سبقته طليعةٌ من تجنّى
 وأنشد أبو الحسن أحمد بن فارس ، قال : أنشدني شاعر يعرف بالمتيم^(٥)
 لسيف الدولة [من المديد] :

قد جرى في دمه دمه فإلى كم أنت تظلمه ؟
 ردّ عنه الطرف منك فقد جرّحه منك أسهمه^(٦)
 كيف يستطيع التجلّد منْ خطرات الوهم تؤلمه ؟^(٧)

(١) الأعلاق : جمع علق وهو من العقود .

(٢) شقّه : فمه .

(٣) أعرض : صدّ وامتنع .

(٤) برم : سئم وضجر .

(٥) المتيمّ : سبق للمؤلف في مطلع هذا البحث أن سماه أبا الحسن محمد بن أحمد الأفرريقي .

(٦) الطرف : العين والنظر .

(٧) خطرات الوهم : تخيّلُه وتصوره .

وأنشدني غير واحد له في أخيه ناصر الدولة أبي محمد عند وحشة جرت بينهما . [من الطويل] :

رضيت إليك العليا وقد كنت أهلها وقلت لهم بيني وبين أخي فرق
ولم يكُ بي عنها نكولٌ ، وإنما تجافيت عن حقي فتمّ لك الحق^(١)
ولا بدّ لي من أن أكون مصلياً إذا كنت أَرْضَى أن يكون لك سبق^(٢)

وأنشدت له أيضاً في وصف نار الكانون [من المنسرح] :

كأنما النار والرماد معاً وضوءها في ظلامه يحجبُ
وجنة عذراء مسّها خجلٌ فاستترت تحت عنبرٍ أشهب^(٣)

نظيرهما في الحسن قول كشاجم [من المنسرح] :

كأنما الجمر والرماد وقد كاد يوارى من ناره النورا
ورد جني القطاف أحمر قد ذرّت عليه الأكفّ كافورا

وقول أبي طالب المأموني [من الخفيف] :

ما ترى النار كيف أسقمها الـقـرّ فأصحت تخبو وطوراً تسعُر^(٤)
وغدا الجمر والرماد عليه في قميصٍ مذهبٍ ومعنبرُ

* * *

(١) النكول : الهرب والابتعاد .

(٢) المصلّى : هو من فرسان السباق الذي يجيء بعد الفرس الأول ، والأول يسمّى السابق .

(٣) الأشهب : ما كان لونه الشبهة ، وهي بياض غلب على السّواد .

(٤) القَرّ : البرد ، وتخبو : يضعف وهجها ، وتسعر : يشتدّ وهجها ويتقد .

الباب الثالث

٢ - في ذكر أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وأخباره وغرر أخباره وأشعاره^(١)

[هو ابن عم سيف الدولة المقدم ذكره ، وابن عم ناصر الدولة] .

كان فرد دهره ، وشمس عصره ، أدباً وفضلاً ، وكرماً ونبلاً ، ومجدداً وبلاغة وبراعة ، وفروسية وشجاعة ، وشعره مشهور سائر بين الحسن والجودة ، والسهولة والجزالة ، والعدوبة والفخامة ، والحلاوة والمتانة ، ومعه رواء الطبع ، وسمّة الظرف ، وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله إلا في شعر عبد الله بن المعتز ، وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقّدة الكلام ، وكان الصاحب يقول : « بديء الشعر بملك ، وختم بملك » يعني امرأ القيس وأبا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ، ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ، ولا يجترى على مجاراته ، وإنما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً له وإجلالاً ، لا إغفالاً وإخلالاً . وكان سيف الدولة يعجب جداً بمحاسن أبي فراس ، ويميزه بالإكرام عن سائر قومه ، ويصطنعه لنفسه ، ويصطحبه في غزواته ، ويستخلفه على أعماله ، وأبو فراس ينثر الدر الثمين في مكاتباته إياه ، ويوفيه حق سؤدده ، ويجمع بين أدبي السيف والقلم في خدمته .

* * *

(١) تجد ترجمة أبي فراس في وفيات الأعيان لابن خلكان (١٢٧ / ١ الحلبي) .

قطعة من أخباره مع سيف الدولة وأشعاره فيه سوى الروميات

حكى ابن خالويه قال : كتب أبو فراس إلى سيف الدولة ، وقد شخص من حضرته إلى منزله بمنج كتاباً صدره : «كتابي - أطال الله بقاء مولانا ! - من المنزل وقد وردته ورود السالم الغانم مثقل [البطن] والظهر وفراً وشكراً » . فاستحسن سيف الدولة بلاغته ، ووصف براعته . وبلغ أبا فراس ذلك فكتب إليه [من الكامل] :

هل للفصاحة والسماحة والعلا عني محيدٌ
إذ أنت سيدي الذي ربيتني ، وأبي سعيدٌ
في كل يومٍ أستفيد من العلاء وأستزيدُ
ويزيد في إذا رأيك في الندى خلقٌ جديدُ

وكان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس ؛ لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب ، فوافقت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتأقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها ، فقال [من السريع] :

محلّك الجوزاء أو أرفعُ وصدرك الدهناء بل أوسع^(١)
وقلبك الرحب الذي لم يزل للجد والهزل به موضع
رفّة بقرع العود سمعاً غدا قرع العوالي جلّ ما يسمع

فبلغت هذه الأبيات المهلبي الوزير فامر القيان [والقوالين] بحفظها

(١) الجوزاء : نجم في السماء ، والدهناء : صحراء من صحارى العرب ، يريد أن صدره مثلها في الاتساع .

(٢) العوالي : الرماح .

وتلحينها ، وصار لا يشرب إلا عليها .

وكتب أبو فراس إلى سيف الدولة [من الكامل] :

يا أيها الملك الذي أضحت له جمل المناقب^(١)
نتج الربيع محاسناً ألقننها غرر السحائب^(٢)
راقت ورق نسيمها فحكت لنا صور الحبايب
حضر الشراب فلم يطب شرب الشراب وأنت غائب

وتأخر عن حضرته لعله وجدها ، فكتب إليه [من الهزج] :

لقد نافسني الدهر بتأخيري عن الحضرة
فما ألقى من العلة ما ألقى من الحسرة

وأهدى الناس إلى سيف الدولة [في بعض الأعياد] وأكثروا ، فكتب إليه أبو

فراس [من الكامل] :

نفسى فداؤك قد بعثت تعهدي بيد الرسول
أهديت نفسى ، إنما يهدي الجليل إلى الجليل
وجعلت ما ملكت يدي صلة المبشر بالقبول
[لما رأيتك فى الأنا م بلا مثال أو عدل]^(٣)

وكتب إليه يعاتبه [من الكامل] :

قد كنت عدتني التي أسطوبها ويدي إذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملكته والمرء يشرق بالزلال البارد^(٤)

(١) المناقب : المآثر .

(٢) نتج الربيع : خلف ، وألقننها : أسقيناها والسحائب : الغيوم .

(٣) العديل : الشبيه والموازن .

(٤) يشرق : يغص ، والزلال : الماء العذب .

فصبرت كالولد التقى لبره أغضى على ألم لضرب الوالد
وعزم سيف الدولة على الغزو ، واستحلاف أبي فراس على الشام ، فكتب
إليه قصيدة منها [من البسيط] :

قالوا المسير فهزّ الرمح عامله
حقاً لقد ساءني أمرٌ ذكرت له
لا تشغلنّ بأمرِ الشام تحرسه
وإنّ للثغر سوراً من مهابته
لا يحرمنّي سيف الدّين صحبته
وما اعترضت عليه في أوامره

وارتاح في جفنه الصمصامة الخدم^(١)
لولا فراقك لم يوجد له ألمٌ
إن الشام على من حلّه حرمٌ
صخوره من أعادي أهله القمم
فهى الحياة التي تحيا بها النسم^(٢)
لكنّ سألت ، ومن عاداته « نعم »

وقال له [من الطويل] :

وما لي لا أثني عليك وطالما
وأوعدتني حتّى إذا ما ملكتني

وكتب إليه يعزیه [من السريع] :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ
كنّ المعزّي لا المعزى به

هيئات ما في الناس من خالدي
إن كان لا بدّ من الواحد

وكتب إليه [من الطويل] :

أيا عاتباً لا أحمل الدهر عتبه
سأسكت إجلالاً لعلمك أنّي

عليّ ، ولا عندي لأنعمه جحد^(٣)
إذا لم تكن خصمي لي الحجج اللدّ^(٤)

(١) الصمصامة : السيف ، والخدم : القاطع .

(٢) النسم : الناس والأرواح .

(٣) الجحد : النكران .

(٤) اللدّ : الشديدة القويّة .

وكان لسيف الدولة غلام يقال له نجا ، قد اصطنعه ونوه باسمه وقلده
 طرسوس وأخذ يقرع باب العصيان والكفران ، وزاد تبسطه وسوء عشرته لرفقائه ،
 فبطش به ثلاثة نفر منهم وقتلوه . فشق ذلك على سيف الدولة ، وأمر بقتل فتكته
 فكتب إليه أبو فراس [من المجتث] :

ما زلت تسعى بجدٍّ برغم شانيك مقبل^(١)
 ترى لنفسك أمراً وما يرى الله أفضل

وكتب إليه يستعطفه [من الكامل] :

إن لم تجاف عن الذنوب ب وجدتها فينا كثيرة^(٢)
 لكنّ عادتكَ الجميلة أن تغضّ على بصيره^(٣)

وكتب إليه يستعطفه [من الوافر] :

دع العبرات تنهمر انهما را	ونار الشوق تستعر استعارا
أتطفأ حسرتي وتقرّ عيني	ولم أوقد مع الغازين نارا
أقمت على الأمير وكنت ممّن	تعزّ عليه فرقه اختيارا
إذا سار الأمير فلا هدواً	لنفسٍ أو يؤوب ، ولا قرارا
ستذكرني إذا طردت رجالاً	دققت الرمح بينهم مرارا
وأرضٍ كنت أملؤها رجالاً	وجوّاً كنت أرهجه غبارا ^(٤)
إذا بقي الأمير قرير عينٍ	فديناه اختياراً واضطرابا
يمدّ على أكابرنا جناحاً	ويكفل عند حاجتها الصغارا ^(٥)

(١) شانيك : ميفضك .

(٢) تجاف : تصفح وتبتعد .

(٣) تغضّ : تتجاهل وتتعامى ، والبصيرة : المعرفة .

(٤) الرهج : بفتح الراء والهاء : الغبار ، وأرهج الرجل : أثار الغبار .

(٥) يريد أن عنايته قد شملت الكبار والصغار .

أراني الله طلعتة سريعاً
وبلّغه أمانيه جميعاً
وأصبحه السّلامة حيث سارا
وكان له من الحدثان جاراً^(١)

وكتب إليه [من الوافر] :

إذا حدّثن جمجمن الكلاما ^(٢)	ألا من مبلغ سرّوات قومي
وسيف الدولة الملك الهماما	بأنّي لم أدع فتيات قومي
ونار الحرب تضطرم اضطراما ^(٣)	شريت ثناءهنّ يبذل نفسي
أشدّ من المنية أو حيماما ^(٤)	ولما لم أجد إلّا فراراً
وقلت لصحبتي موتوا كراما	حملت على ورود الموت نفسي
إذا لم أركب الخطط العظاما	وهل عذرٌ وسيف الدين ركني
وأجعل فضله أبداً إماما	وأقفو فعله في كلّ أمر
وحسبي أن أكون له غلاما	وقد أصبحت متسبباً إليه
وأعطاني على الدهر الذّماما	أراني كيف أكتسب المعالي
وأنشأني فسدت به الأناما	وربّاني ففقت به البرايا
وزاد الله نعمته دواما	فأحياه الإله لنا طويلاً

* * *

ما أخرج من فخرياته

قال من قصيدة يذكر فيها إيقاعه ببني كعب وهو على مقدمة سيف الدولة وكان

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) السروات : جمع سرّة وهو جمع سري أو السراة مفرد بمعنى الأعلى من كلّ شيء ، ثم أريد منه العظيم القدر من الرجال . والجمجمة : الإسرار بالكلام وإخفاؤه .

(٣) تضطرم : تستعر وتضطلي .

(٤) الحمام : الموت .

قد حسن بلاؤه في تلك الوقعة [من الوافر] :

ألم ترنا أعزّ الناس جاراً	وأمنعهم وأمرعهم جناباً ^(١)
لنا الجبل المطلّ على نزارٍ	حللنا النجد منه والهضاباً ^(٢)
يفضّلنا الأنام ولا نحاشي	ونوصف بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربّعة بل نزارُ	بأنّا الرأس والناس الذنابي
ولما أن طغت سفهاء كعبٍ	فتحنا بيننا للحرب باباً
منحناها الحرائب غير أنّا	إذا جارت منحناها الحراباً ^(٣)
ولما ثار سيف الدين ثرنا	كما هيّجت آساداً غضاباً
أستّه إذا لاقى طعاناً	صوارمه إذا لاقى ضرباً
دعانا والأسنة مشرعاتُ	فكنا عند عودته الجواباً ^(٤)
صنائع فاق صانعها ففاقتُ	وغرسُ طاب غارسه فطاباً
وكنّا كالسهم إذا أصابت	مراميها فراميها أصاباً

هذا أحسن ما قيل في معناه ، وقد أخذه الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، فكتب في كتاب فتح تولاه للصاحب بأصبهان : « وهنّا الله مولانا كافي الكفاة هذه المناجح التي هي نتائج عزائم ، وثمرات صرائمه ، فما يرى عبده وصنيعته ، وسائر من يكتفه ظله وتريشه عنايته ، نفوسهم إذا وفقوا لمذهب من مذاهب الخدمة وهدوا لأداء حق من حقوق النعمة ، إلا سهاماً إذا أصابت فراميتها المصيب ، وما لها في المحمّدة نصيب » .

(١) أمرعهم جناباً : أخصهم محلاً وأكثرهم نعمة .

(٢) النجد : ما ارتفع من الأرض ، والهضاب : جمع هضبة ، وهي ما اطمأن من الأرض .

(٣) الحرائب : الأسلاب .

(٤) مشرعات : معدّة للقتال .

ولأبي فراس من قصيدة أولها [من الوافر] :

أيلحاني على العبرات لاحي	وقد يش العواذل من صلاح ^(١)
تملكني الهوى بعد التأبي	وراضني الهوى بعد الجماح ^(٢)
ألا يا هذه هل من مقيل	لضيفان الصبابة أو مراح
فلولا أنت ما قلقت ركابي	ولا هبت إلى نجد رياحي

ومنها :

ومن جرّك أوطنت الفيافي	وفيك غذيت ألبان اللقاح
أصاحب كلّ خلّ بالتجافي	وأسو كلّ داء بالسّماح
إذا ما عنّ لي أربّ بأرض	ركبت له ضمينات النّجاح ^(٣)
ولي عند العداة بكلّ أرض	ديون في كفالات الرماح

وله من قصيدة كتب بها إلى جعفر بن ورقاء [من الكامل] :

إنّا إذا اشتدّ الزّما	ن وناب خطبّ وادلهم ^(٤)
ألفيت حول بيوتنا	عدد الشجاعة والكرم
للقا العدا ييضم السيو	ف وللندی حمر النعم ^(٥)
هذا وهذا دأبنا	يودي دمّ ويراق دم ^(٦)

وله من قصيدة أولها [من الطويل] :

أقلّي فأيام المحبّ قلائل	وفي قلبه شغلّ عن اللوم شاغل
--------------------------	-----------------------------

(١) اللاحي : اللائم .

(٢) التأبي : الإمتناع ، وراضني : قاذني وطوّعني ، والجماع : الشرود .

(٣) ضمينات : من الضمان والحيطة .

(٤) ناب : حلّ ، وادلهم : اشتدّ واكفهر .

(٥) حمر النعم : الأبل .

(٦) يودي : يسفك ، ويراق : يسفك .

يقول فيها :

تطالبني البيض الصوارم والقنا
ووالله ما قصّرت في طلب العلا
مواعيد أيامٍ تطالبني بها
وأخلاف أيامٍ متى ما انتجعتها
تدفعني الأيام عما أريغه
خليليّ ، شدّا لي على ناقتيكما
فمثلي من نال المعالي بسيفه
وما كلّ طلابٍ من الناس بالغُ
وإنّ مقيماً منجح العزّ خائبُ
وما المرء إلا حيث يجعل نفسه
أصاغرنا في المكرمات أكابرُ
إذا صلت صولاً لم أجد لي مصولاً
وله من قصيدة أخرى [من الوافر] :

عذيري من طوالع في عذاري
وثوبٍ كنت ألبسه أنيقٍ
ومن ردّ الشباب المستعارِ
أجرّر ذيله بين الجواري

-
- (١) البيض : السيوف ، والصوارم : القواطع ، والمخايل : جمع مخيلة ، وأراد أن مخايل النجابة كانت ظاهرة عليه ، فتوسّم فيه جدّاه الشجاعة والإقدام .
(٢) المخاتل : الغادر .
(٣) الأخلاف : الأنداء والضروع ، والبكيات : جمع بكية وهي التي قلّ لبنها ، والحوافل : الممتلئة .
(٤) أريغه : أطلبه ، والغريم المماطل : أي المدين المؤفّ .
(٥) الناصل : الظاهر والخارج .
(٦) غالته : دهرته وأصابته ، والغوائل : الدواهي والمصائب .
(٧) السماكان : نجمان في السّماء .

وما زادت عن العشرين سنّي فما عذر المشيب إلى عذاري ؟

أخذه من قول أبي نواس [من الكامل] :

وإذا عددت السنّ كم هي لم أجد
رجعاً وما استمتعت من راعي التصابي
تلاعب بي على هوج المطايا
ونفسٍ دون مطلبها الثريا
وما يغنيك من همّ طوالٍ
عزيزٌ حيث حطّ السير رحلي
فأهلي من أنخت إليه عيسي

وله [من الوافر] :

لنا بيتٌ على عنق الثريا
تظللّه الفوارس بالعوالي
بعيد مذاهب الأطناب سامي^(١)
وتفرشه الولائد بالطعام

وله [من الوافر] :

لقد علمت سراة الحيّ أنا
يفيء الراغبون إلى ذراه
لنا الجبل الممنّع جانباه
ويأوي الخائفون إلى حماه

وله [من الوافر] :

لئن خلق الأنام لحتّ كأسٍ
ومزمارٍ وطنبورٍ وعودٍ

(١) الصغار : الذلّ .

(٢) قرنت : سلّكت ، والأحوال : جمع حول : وهي السنة ، ويقصد بها الأعمار .

(٣) العيس : الإبل .

(٤) الأطناب عمُد البيت ، وسامي : من السموّ .

فلم يخلق بنو حمدان إلا لمجدٍ أو لبأسٍ أو لجود
وله [من الوافر] :

علونا جوشناً بأشدّ منه وأثبت عند مشتجر الرماح^(١)
بجيشٍ جاش بالفرسان حتى ظننت البرّ بحرأ من سلاح^(٢)
والسنة من العذبات حمراً تخاطبنا بأفواه الرياح^(٣)
وأروع جيشه ليلٌ بهيمٌ وغرته عمودٌ للصباح^(٤)
صفوحٌ عند قدرته كريمٌ قليل الصفح ما بين الصفاح
وكان ثباته للقلب قلباً وهيته جناحاً للجناح^(٥)

وله من قصيدة [من الوافر] :

قتلت فتى بني عمرو بن عبدٍ وأوسعهم على الضيفان ساحا
ولست أرى فساداً في فسادٍ يجرّ على فريقه صلاحا

كان سيف الدولة قد أبعد كلاباً وشردّها ، فقصدت أبا فراس وهو ببالس في خف
من أصحابه ، وعليهم كثير بن عوسجة ، فهزمهم ، ثم طرحوا أنفسهم عليه وقدمت
وفودهم إليه ، فخرج وتوسط في أمرهم مع سيف الدولة ، وقال في ذلك [من
الوافر] :

سلي عتاً سراة بني كلابٍ ببالس عند مشتجر العوالي^(٦)

(١) الجوشن : الدرع ، مشتجر الرماح : تشابكها .

(٢) جاش : امتلاً وفاض .

(٣) العذبات : رؤوس الألسنة وأطرافها .

(٤) غرته : نوره وبياضه .

(٥) الجناح : يعني به جناح الجيش لأن الجيش كان يقسم إلى خمس فرق - القلب والمقدمة والمؤخرة والجناحان .

(٦) بالبس : بلدة بشط الفرات ، والعوالي : الرماح واشتجارها : اختلاطها .

لَقِينَاهُمْ بِأَسْيَافٍ قَصَارٍ كَفَيْنَ مَوْنَةَ الْأَسْلَ الطَّوَالِ^(١)
فَوَلَّى بَابِنَ عَوْسَجَةً كَثِيرٌ وَسَاعَ الْخَطُوفِ ضَنْكَ الْمَجَالِ
يَرَى الْبَرْغُوثَ إِذْ نَجَّاهُ مَنَّا أَجَلَ عَقِيلَةٍ وَأَحَبَّ مَالِ
تَدُورُ بِهِ إِمَاءُ بَنِي قَرِيطٍ وَتَسْأَلُهُ النِّسَاءُ عَنِ الرِّجَالِ
يَقْلَنَ لَهُ السَّلَامَةُ خَيْرَ غَنَمٍ وَإِنَّ الذَّلَّ فِي ذَاكَ الْمَقَالِ
وَعَادُوا سَامِعِينَ لَنَا فَعَدْنَا إِلَى الْمَعْهُودِ مِنْ شَرَفِ الْفَعَالِ
وَنَحْنُ مَتَى رَضِينَا بَعْدَ سَخَطٍ أَسُونَا مَا جَرَحْنَا بِالنَّوَالِ^(٢)

أخذه من قول أبي نواس :

وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنًا غَافِلَةً بِجُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلُّ مَا جَرَحَا
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةِ أُولَئِهَا [مِنَ الْوَافِرِ] :

وَقُوفُكَ بِالذَّيَّارِ عَلَيْكَ عَارٍ وَقَدْ رَدَّ الشَّبَابُ الْمُسْتَعَارُ
وَمِنْهَا :

وَكَمْ مِنْ لَيْلَةٍ لَمْ أَرَوْ مِنْهَا حَنَنْتُ لَهَا وَأَرْقَنِي ادِّكَارُ^(٣)
عَسَفْتُ بِهَا عَوَارِيَّ اللَّيَالِي أَحَقَّ الْخَيْلِ بِالرِّكْضِ الْمَعَارُ^(٤)
فَبْتُ أَعْلَى خَمْرًا مِنْ رَضَابٍ لَهَا سَكْرٌ وَلَيْسَ لَهَا خَمَارُ^(٥)

(١) للأسل : الرماح ، يقصد أن السيوف قامت مقام الرماح في الحرب .

(٢) أسونا : داوينا وخففنا آلام الجراح ، والنوال : العطاء .

(٣) لم أرو : لم أنل غايتي منها ، وأرقني : أسهرني

(٤) عسفت : ظلمت ، والعواري : جمع عارية ، وهو ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك ، وعجز هذا البيت من قول الشاعر :

وجدنا في كتاب بني تميم أحقَّ الخيل بالركض المعارُ

(٥) أعل : أنهل وأشرب ، والخمار : الصنداع يعتري شارب الخمر .

إلى أن رقّ ثوب الليل عنا ونادت قم فقد برد السّوار^(١)

ومنها :

إذا ما العزّ أصبح في مكانٍ
مقامي حيث لا أهوى قليلٌ
أبت لي همتي وغرار سيفي
ونفسٌ لا تجاورها الدّنايا
وقومٌ مثل من صحبوا كرامٌ
وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه
وكم ملكٍ نزعنا الملك عنه

سموت له ، وإن بعد المزارُ
ونومي عند من أقلّى غرارُ
وعزمي والمطيّة والقفار^(٢)
وعرضٌ لا يرفُ عليه عار
وخيلٌ مثل من حملت خيار
ضحىّ وعلا منابره المّعار^(٣)
وجبارٍ به دمه جبار^(٤)

وله من أخرى [من الطويل] :

ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها
ولكنّها الأيام تجري بما جرتُ
لقد قلّ أن تلقى من الناس مجملًا
ولست بجهم الوجه في وجه صاحبي

فضائل تحويها وتبقى فضائلُ
فيسفل أعلاها وتعلو الأسافل
وأخشى قريباً أن يقلّ المجامل^(٥)
وإن سأل الأعمار ما هو سائل^(٦)

وله [من الطويل] :

بخلت بنفسي أن يقال مبخلٌ
وأقدمت جنباً أن يقال جبانٌ

(١) السّوار : حلقة من ذهب تتخذ في المعصم وسوار الخمر : شدّتها .

(٢) غرار السيف : حدّه .

(٣) المّعار : الفرس المضمّر ، وفي الديوان :

وكم بلدٍ شتّاهنّ فيه ضحىّ وعلا منابره الغبار

(٤) جبار : بزّة شجاع - أي هدر دمه ولا نأثر له ، وفي الحديث : « جرح العجماء جبار » .

(٥) المجامل : المواسي والمشارك .

(٦) جهم الوجه : مقطّبه وعابسه .

وملكي بقايا ما وهبت مفاضةً
وله [من الوافر] :
ورمحٌ وسيفٌ قاطعٌ وسنانٌ^(١)

بأطراف المثقفة العوالي
وما تحلو مجاني العز يوماً
مما لكنا مكاسبنا إذا ما
إذا لم تمس لي نارٌ بأرضٍ
وله [من الكامل] :

غيري يغيره الفعال الجافي
لا أرتضي ودّاً إذا هو لم يدم
تعس الحريص وقلّ ما يأتي به
إنّ الغنيّ هو الغنيّ بنفسه
ما كلّ ما فوق البسيطة كافياً
وتعاف لي طمع الحريص فتوتي
ما كثرة الخيل العتاق بزائدي
خيلي - وإن قلّت - كثيرٌ نفعها
ومكارمي عدد النجوم ، ومنزلي
ويحول عن شيم الكريم الوافي^(٢)
عند الجفاء وقلّة الإنصاف
عوضاً عن الإلحاح والإلحاف
ولو انه عاري المناكب حافي
وإذا قنعت فبعض شيءٍ كافي^(٣)
ومروءتي وقناعتني وعفافي^(٤)
شرفاً ، ولا عدد السوام الضافي^(٥)
بين الصوارم والقنا الرّعاف^(٦)
مأوى الكرام ومنزل الأضياف

(١) المفاضة : الدرع الفضفاضة الوافية .

(٢) صالي : أصلى النار : أسعرها .

(٣) يحول : يتغير ويتحوّل .

(٤) البسيطة : الأرض .

(٥) تعاف : تكره وتأبى .

(٦) العتاق : الكريمة ، والسوام : الإبل وغيرها من الماشية .

(٧) الرّعاف : النازف للدماء .

لا أقتني لصروف دهري عدةً حتى كأنَّ خطوبه أحلافي^(١)
شيمٌ عرفت بهنَّ مذ أنا يافعٌ ولقد عرفت بمثلها أسلافي

وله [من الوافر] :

أتعجب إن ملكنا الأرض قسراً وأن تمسي وسائدي العراب^(٢)
وتربط في مجالسنا المذاكي وتنزل بين أرحلنا الركاب^(٣)
وهذا العزُّ أورثنا العوالي وهذا الملك ملكنا الضرابُ
فقصرك إنَّ حالاً ملكتنا لحالٌ لا تدمُّ ولا تعابُ

وله [من الطويل] :

ونحن أناسٌ لا توسَّط عندنا لنا الصدر دون العالمين أو القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن خطب الحسناء لم يغله المهر



الإخوانيات

[قال] وكتب بها إلى أخيه أبي الهيجاء [من المتقارب] :

حللت من المجد أعلى مكانٍ وبلغك الله أقصى الأماني
فإنك - لا عذمتك العلا - أخٌ لا كإخوة هذا الزمان
كسوت أخوتنا بالصفاء كما كسيت بالكلام المعاني

(١) أحلافي : أي مرافقي وأتباعي ، أو أنها عقدت حلفاً معي فهي لا تفارقي .

(٢) العراب : الخيل العربية .

(٣) المذاكي : جمع مذك ، وهو من الخيل ماتمَّ له بعد قروحه سنتان ، يقصد الخيل النشيطة الفتية .

وقال لصديق له وأحسن [من الخفيف] :

لم أؤاخذك بالجفاء لأنني واثقٌ منك بالوداد الصريح^(١)
فجميل العدو غير جميلٍ وقبيح الصديق غير قبيح

وله [من الكامل] :

ما كنت تصبر في القدي م فلم صبرت الآن عناً
ولقد ظننت بك الظن ن لأنه من ضنٌ ظناً^(٢)

وقال [من الكامل] :

أشفقت من هجري فسأطت الظنون على اليقين
وضننت بي فظننت بي والظن من شيم الضنين

وقال وكتب بها إلى أخيه [من الكامل] :

ولقد أبيتُ وجلّ ما أدعو به حتّى الصباح وقد أقضّ المضجع^(٣)
لا همّ إنّ أخي لديك وديعتي أبداً ، وليس يضيع ما تستودع

وكتب إلى أبي العشائر وهو أسير بأرض الروم [من الطويل] :

نفى النوم عن عيني خيالٌ مسلّم تأوّب من أسماء والركب نوم^(٤)
وخطبُ من الأيام أنساني الهوى وأحلى بفي الموت والموت علقم^(٥)
ووالله ما شبّبت إلّا علالةً ومن نار غير الحبّ قلبي يضرّم

(١) الوداد الصريح : الحبّ الصافي الذي لا تشوبه شائبة .

(٢) ضنٌ : بخل .

(٣) أقضّ المضجع : أي أفلقه وحرمه النوم .

(٤) تأوّب : رجع .

(٥) العلقم : الشديد المرارة .

فمن مبلغ عني الحسين ألوكة
لذيذ الكرى حتى أراك محرم
وأترك أن أبكي عليك تطيراً
تضمنها درُّ الكلام المنظم^(١)
ونار الأسى بين الحشا تنضم
وقلبي يبكي والجوانح تلطم^(٢)

لم يسمع أحسن من هذا البيت في التفجع بمنكوب .

وأظهر للأعداء فيك جلادة
وما أغربت فيك الليالي وإنها
طوارق خطبٍ ما تغبُّ وفودها
فما عرفتنني غير ما أنا عارف
وأكتم ما ألقاه ، والله يعلم
لتصدعنا من كلِّ شعبٍ وتثلم^(٣)
وأحداث أيامٍ تفدُّ وتثتم^(٤)
ولا علّمتني غير ما كنت أعلم
ومنها :

أندعو كريماً من يجود بماله
إذا لم يكن ينجي الفرار من الردى
لعمري لقد أعذرت لو أن مسعداً
وما عابك ابن السابقين إلى العلا
ومالك لا تلقى بمهجتك القنا
لعاً يا أخي لا مسك السوء ! إنه
ومن جاد بالنفس النفيسة أكرم
على حالة فالصبر أرجى وأحزم^(٥)
وأقدمت لو أن الكنائب تقدم
تأخر أقوامٍ وأنت مقدم
وأنت من القوم الذين همُّهم
هو الدهر في حاله يؤسى وأنعم^(٦)

(١) الألوكة : الرسالة .

(٢) تطيراً : تشاؤماً ، والجوانح : جوانب الصدر وأضلاعه .

(٣) أغربت : أظلمت ، وتصدعنا : من الصدع وهو الشق الذي يفرق بين وحدة الشيء والشعب : بكسر الشين : الناحية .

(٤) تغبُّ : تزور حيناً بعد حين يعني أن الخطوب كانت متلاحقة ، وتفدُّ : تأتي بالمصائب فذة أي مفردة ، وتثتم :

تأتي بها زوجاً ، وأصله قولهم « أتأتم المرأة » إذا ولدت توماً .

(٥) الردى : الموت والهلاك .

(٦) لعاً : دعاءً للعائر ، يعني نعلك الله ونجوت .

وكتب إليه قصيدة أخرى منها [من الكامل] :

أبَا العشائر إن أُسِرْتُ فطالما أسرت لك البيض الخفاف رجالا
لَمَّا أَجَلت المهر فوق رؤوسهم نسجت له حمر الشعور عقالا
ما أحسن ما اعتذر له مع إحسانه التشبيه .

يا من إذا حمل الحصان على الوجى قال اتخذ حبك التريك نعالا^(١)
ما كنت نهزة آخذ يوم الوغى لو كنت أوجدت الكميت مجالا^(٢)
أخذوك في كيد المضايق غيلةً مثل النساء تربب الرثبالا^(٣)
زلل من الأيام فيك يقيه ملك إذا عشر الزمان أقالا
بالخيل ضمراً والسيوف قواضباً والسمر لدناً والرجال عجالا^(٤)
وقال [من البسيط] :

ما كنت مذ كنت إلا طوع خلاني ليست مؤاخذه الإخوان من شاني
يجني الخليل فاستحلي جنايته حتى أدل على عفوي وإحساني
إذا خليلي لم تكثر إساءته فأين موقع إحساني وغفراني
يجني عليّ وأحنو صافحاً أبداً لا شيء أحسن من حان على جاني^(٥)
وقال [من الكامل] :

ما صاحبي إلا الذي من بشره عنوانه في وجهه ولسانه

(١) الوجى : التعب ، والحبك : جمع حبيكة وهي المنسوجة ، والتريك : بيضة المغفر ، يأمر حصانه أن يتخذ من مغافر أعدائه نعلاً له ، وذلك كناية عن قهره إيّاهم واستيلائه على عقائلهم .

(٢) نهزة : فرصة ، والكميت : الحصان يميل لونه إلى الحمرة الغامقة .

(٣) الرثبال : الأسد .

(٤) الضمر : الهزيلة ، والقواضب : القاطعة . ، والنسر : الرماح ، واللدن : اللين المرن .

(٥) الجاني : الأثم .

كم صاحب لم أغن عن إنصافه في عشرة وغنيت عن إحسانه
وكتب في وصف كتاب ورد عليه من صديق له [من البسيط] :

ووارد مورد أنساً يؤكدُهُ صدوره عن سليم الورد والصدر
شدت سحائبه منه على نزو تقسم الحسن بين السمع والبصر
عذوبة صدرت عن منطق جدو كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر^(١)
وروضة من رياض الفكر دبجها صوب القرائح لا صوب من المطر^(٢)
كأنما نشرت أيدي الربيع بها برداً من الوشي أو ثوباً من الجبر
وقال لأبي الحصين القاضي [من الكامل] :

من بحر شعرك أغترف وبفضل علمك أعترف
أنشدتني فكأنما شققت عن درّ الصدف
شعراً إذا ما قسته بجميع أشعار السلف
قصّر ن دون مداه تقصير الحروف عن الألف

وقال أيضاً [من الكامل] :

إنّي عليك أبا حصين عاتب والحرّ يحتمل الصديق ويغفر
وإذا وجدت على الصديق شكوته سرّاً إليه ، وفي المحافل أشكر^(٣)
هكذا شرط الصداقة ، لا كما حكاها أبو إسحاق الصابي في قوله [من
الخفيف] :

ومن الظلم أن يكون الرضى سراً ، ويبدو الإنكار وسط النادي

(١) منطق جدو : منطق فيه لين وسهولة .

(٢) دبجها : أتقن نظمها وصنعها ، والصوب : المطر .

(٣) وجدت : عتبت وغضبت .

ومن العدل أن يشاع بهذا مثل ما شاع ذاك في الأشهاد

* * *

الشكوى والعتاب ، سوى ما وقع في الروميات

قال [من الطويل] :

أراني وقومي فرقنا مذاهبُ
فأقصاهمُ أقصاهم من مساءتي
غريبٌ وأهلي حيث ما كرَّ ناظري
نسيك من ناسبت بالودِّ قلبه
وأعظم أعداء الرجال ثقاتها
وما الذنب إلا العجز يركبه الفتى
ومن كان غير السيف كافلُ رزقه

وقال [من البسيط] :

مالي أعاتب ؟ مالي ؟ أين يذهب بي ؟
أبغي الوفاء بدهرٍ لا وفاء له

وقال [من الطويل] :

تمنيتُم أن تُفقدوني ، وإنما
أما أنا أعلى من تعدُّون همَّة ؟
إلى الله أشكو عصبه من عشيرتي

(١) كرَّ ناظري : تطلَّع ، والعصائب : الجماعات .

(٢) جانب : ملازم .

(٣) الأصيد : السيد الكريم .

وإن حاربوا كنت المجنّ أمامهم
وإن ناب خطبٌ أو ألمّت ملامةٌ
وقال [من الطويل] :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا
فيا ليت داني الرحم منّا ومنكم
عداوة ذي القربى أشدّ مضاضةً
وقال [من الطويل] :

ويغتابني من لو كفاني غيبه
وعندي من الأخبار ما لو ذكرته
وقال [من الطويل] :

إذا كان فضلي لا أسوّغ نفعه
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقلٍ
فأفضل منه أن أرى غير فاضلٍ
يجوز على حوائها حكم جاهلٍ^(٤)

* * *

الغزل والنسب

[قال] [من الوافر] :

تبسم إذ تبسم عن أقاح
وأتحفني براحٍ من رضابٍ
وأسفر حين أسفر عن صباحٍ
وراحٍ من جنى خدٍّ وراحٍ^(٥)

(١) المجن : الترس الواقي والدرع الحصين .

(٢) المضاضة : الألم وشدته .

(٣) قرع المغتاب من ندم سناً : أي عضّ على أسنانه بقوة حتى تكسّر بعضها من الغيظ والحنق .

(٤) الحوباء : الروح والنفس .

(٥) الراح : الخمر ، والراح الأخيرة : باطن الكف الذي لا ينبت فيه الشعر .

فمن لألاء غرته صباحي ومن صهباء ريقته اصطباحي^(١)
وقال [من البسيط] :

سكرت من لحظه لا من مدامته وما بالثوم عن عيني تمايله
فما السلاف دهنتي ، بل سوافه ولا الشمول ازدهنتي ، بل شمائله
ألوى بعزمي أصداغ لوين له وغال صبري ما تحوي غلائله^(٢)

وقال [من الكامل] :

من أين الرشأ الغرير الأحور في الخدّ مثل عذاره المتحدّر^(٣)
قمرٌ كأنّ بعارضيه كليهما مسكاً تساقط فوق وردٍ أحمرٍ

وقال [من مixel البسيط] :

قد كان بدر السماء حسناً والنّاس في حبّه سواء
فزاده ربّه عذاراً تمّ به الحسن والبهاء
لا تعجبوا ربّنا قديرٌ يزيد في الخلق ما يشاء

وقال [من الطويل] :

وظبي غرير في فؤادي كناسه إذا اكتنست عين الفلاة وحورها^(٤)
فمن خلقه أجيادها وعيونها ومن خلقه عصيانها ونفورها

(١) غرته : طلّعه البيضاء ، والصهباء : الخمر والاصطباح : شرب الخمر صباحاً .

(٢) غال صبري : قتله .

(٣) الرشأ : الغزال ، والغرير : الشاب الحسن ، والأحور : من الحور وهو شدّة سواد العين وشدّة بياضها .

(٤) الكناس : بيت الظبي ومأواه .

وقال [من البسيط] :

وشادنٍ قال لي لمّا رأى سقمي وضعف جسمي والدمع الذي انسجما^(١)
أخذت دمعك من خدّي، وجسمك من خصري، وسقمك من طرفي الذي سقما

وقال [من الطويل] :

أساء فزادته الإساءة حظوةً حبيبٌ على ما كان منه حبيب
يعدّ عليّ الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوب ؟

وقال [من الرمل] :

أيُّها الغازي الذي يغزو بجيش الحبّ جسمي ما يقوم الأجر في غزو
بائمي للروم وك

وقال [من الكامل] :

وإذا يئستُ من الدنوّ رغبت في فرط البعاد أرجو الشهادة في هواك لأنّ روعي في جهاد

وقال [من الكامل] :

وكنى الرسول عن الجواب تظرفاً ولئن كنى فلقد علمنا ما عني^(٢)
قل يا رسول ولا تحاشِ فإنّه لا بدّ منه أساء بي أم أحسنا
الذنب لي فيما جناه لأنني مكّته من مهجتي فتمكّنا

وقال [من الوافر] :

عدتني عن زيارته عوادٍ أقلّ مخوفها سمر الرماح^(٣)

(١) الشادن : الغزال ، وانسجام الدمع : هطوله وذرفه .

(٢) كنّى : من الكناية ، أي أجاب عن السؤال بطريق خفي ، وعناه : قصده .

(٣) عدتني : منعتني ، والعوادي : الموانع .

ولو أني أطعت رسيس شوقي ركبت إليه أعناق الرياح^(١)
وقال [من الخفيف] :

يا عسوفاً بالمستهام الشفيق وعنيفاً على الرفيق الرفيق^(٢)
أسرق الدمع من نديمي بكأسٍ فأحلي عقيانها بالعقيق
وقال [من مخلع البسيط] :

لطيرتي بالصداع نالت فوق منال الصداع مني
وجدت فيه اتفاق سوء صدعني مثل صدّ عني
وقال [من البسيط] :

يا ليلةً لست أنسى طيبها أبداً كأنّ كلّ سرورٍ حاضرٍ فيها
باتت وبتٌ وبات الزقُّ ثالثاً حتى الصباح تسقيني وأسقيها
كأنّ سودَ عناقيدٍ بلمتها أهدت سلافتها خمراً إلى فيها^(٣)
وقال [من الوافر] :

مسيءٌ محسنٌ طوراً وطوراً فما أدري عدوي أم حبيبي
وبعض الظالمين وإنّ تناهى شهياً الظلم مغتفر الذنوب
وقال [من الخفيف] :

قمرٌ دون حسنه الأقمار وكثيبٌ من النقا مستعار^(٤)
وغزالٌ فيه نفارٌ، وما ين كمر من شيمة الطّباء النّفار

(١) رسيس شوقي : رفته ولينه .

(٢) العسوف : الجائر الظالم .

(٣) اللمة : شعر الرأس ، والسلاف : من صفات الخمر .

(٤) الكثيب : التلّ من الرمل ، والنقا : القطعة من الرمل المحدودة .

لا أعاصيه في اجتراح المعاصي في هوى مثله تطيب النَّار
قد حذرت الملاح دهرًا ولكنَّ ساقني نحو حَبِّه المقدار
كم أردت السلو فاستعطفني رقيةً من رقاك يا عيَّار

وقال [من الهزج] :

من السلوان في عيني لك آياتٌ وآثارٌ
أراها منك بالقلب وفي الأضلاع أبصار
إذا ما برد القل ب فما تسخنه النَّار

وقال [من المجث] :

يا معشرُ الناس هل لي ممَّا لقيت مجيرُ
أصاب غرةً قلبي ذاك الغزال الغير^(١)
فعمر ليلي طويلُ وعمر يومي قصير

وقال [من الرمل] :

أجملي يا أمَّ عمرو زادك الله جمالا^(٢)
لا تبعني برخصٍ إنَّ في مثلي يُغالي
[أنا إن جدت بوصلٍ أحسن العالم حالا]

* * *

الأوصاف والتشبيهات

قال في وصف الجسر [من الرجز] :

كأنَّما الماء عليه الجسر درجٌ بياضٍ خطٌّ فيه سطر

(١) غرة قلبي : مفطمه ، والغريز : الجميل الناعم .

(٢) أجملي : ترققي وتصبري .

كأَنَّهَا لَمَّا تَهَيَّأَ الْعَبْرُ أَسْرَةَ مُوسَى حِينَ شَقَّ الْبَحْرَ
 وَجَلَسَ يَوْمًا فِي الْبُسْتَانِ الْبَدِيعِ وَالْمَاءُ يَتَدَرَجُ فِي الْبَرْكِ ، فَقَالَ فِي وَصْفِهِ ،
 وَكُلُّ وَاصِفٍ فَإِنَّمَا يَشْبَهُ الْمَوْصُوفَ بِمَا هُوَ مِنْ جِنْسِ صِنَاعَتِهِ ، أَوْ بِمَا يَكْثُرُ رُؤْيَا لَهُ
 [مِنَ الْكَامِلِ] :

أَنْظُرْ إِلَى زَهْرِ الرَّبِيعِ وَالْمَاءِ فِي بَرْكِ الْبَدِيعِ
 وَإِذَا الرِّيحُ جَرَتْ عَلَيْهِ فِي الذَّهَابِ وَفِي الرَّجُوعِ
 نَثَرَتْ عَلَى بَيْضِ الصَّفَا نَحْ بَيْنَنَا حَلَقُ الدَّرُوعِ

وَقَالَ فِي وَصْفِ النَّارِ وَالْفَحْمِ [مِنَ الْكَامِلِ] :

لِلَّهِ بَرْدٌ مَا أَشَدَّ وَمَنْظَرٌ مَا كَانَ أَعْجَبُ
 جَاءَ الْغَلَامُ بِنَارِهِ هَوَجَاءَ فِي فَحْمٍ تَلْهَبُ
 فَكَأَنَّمَا جَمَعَ الْحُلِيِّ فَمَحْرَقٌ مِنْهُ وَمَذْهَبُ
 وَكَأَنَّمَا لَمَّا خَبَتْ مَا بَيْنَنَا نَدُّ مَعْشَبٍ^(١)

وَقَالَ [مِنَ الطَّوِيلِ] :

مَدَدْنَا عَلَيْنَا اللَّيْلَ وَاللَّيْلَ رَاضِعُ
 بِحَالٍ تَرَدُّ الْحَاسِدِينَ بَغِيظَهُمْ
 إِلَى أَنْ بَدَا ضَوْءُ الصَّبَاحِ كَأَنَّهُ
 إِلَى أَنْ تَرَدَّى رَأْسُهُ بِمَشِيبٍ
 وَتَطَرَفَ عَنَّا عَيْنُ كُلِّ رَقِيبٍ
 مِبَادِي نَصُولٍ فِي عِذَارِ خَضِيبٍ

وَقَالَ [مِنَ الرَّجَزِ] :

وَجَلَّ نَارٍ مُشْرِفٍ عَلَى أَعَالِي شَجَرَةٍ
 كَأَنَّ فِي رِءُوسِهِ أَحْمَرَةً وَأَصْفَرَةً

(١) خَبَتْ النَّارُ : ضَعُفَ وَهَجَهَا ، وَالنَّدُّ : نَوْعٌ مِنَ الطَّيْبِ .

قراضةٌ من ذهبٍ في خرقٍ معصرة^(١)

وقال في جارية مسبية [من الكامل] :

وخريدةٌ كرمت على آبائها زمناً ، وعند سبائها لم تكرم^(٢)
خطبت بحدّ السيف حتّى زوّجت كرهاً ، وكان صداقها للمقسم
راحت وصاحبها لعرسٍ حاضرٍ برضا الإله وأهلها في ماتم

ينظر معنى البيت الأول [والثالث] إلى قول المتنبي [من الطويل] :

تبكي عليهن البطاريق في الدجى وهنّ لدينا ملقياتٌ كواسدُ
بذا قضت الأيام ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائد

ولأبي فراس في طعنة أصابت خده [من الكامل] :

لما رأت أثر السنان بخذه ظلّت تقلّبه بوجهٍ عابسٍ
خلف السنّان به مواقع لثمها بشّس الخلافة للمحبّ البائس
حسن الثناء بقبح ما صنع القنا يوم الطعان بصحن خدّ الفارس

* * *

الحكمة والموعظة

قال [من الهزج] :

غنى النفس لمن يعق لـ خيرٌ من غنى المالِ
وفضل الناس في الأنف سـ ، ليس الفضل في الحالِ

(١) القراضة : الثّار ، ومعصرة : مصبوغة بالعصفر ، وهو نبات أصفر يصبغ به .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

وقال [من الكامل] :

المرء نصب مصائب لا تنقضي حتى يوارى جسمه في رسمه^(١)
فمؤجِّلٌ يلقى الردى في أهله ومعجِّلٌ يلقى الردى في نفسه

قال [من الكامل] :

أنفِقْ من الصبر الجميل فإنّه لم يخش فقراً منفقٌ من صبره
والمرء ليس ببالغٍ في أرضه كالصقر ليس بصائدٍ في وكره

وقال [من الكامل] :

خفّض عليك ولا تكن قلق الحشا ممّا يكون وعله وعساه^(٢)
والدهر أقصر مدّةً ممّا ترى وعساك أن تكفي الذي تخشاه

وقال [من الهزج] :

عرفت الشرّ لا للشر رّر لكن لتوقيه
فمن لا يعرف الشرّ من الناس يقع فيه

وقال [من الطويل] :

لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها إذا لم يكن للمبصرين بصائرُ
وهل ينفع الخطي غير مثقّفٍ وتظهر، إلّا بالصّقال ، الجواهر^(٣)
وكيف ينال المجد والجسم وادعُ وكيف يحاز الحمد والوفر وافر

وقال [من الطويل] :

إذا لم يعنك الله فيما تريده فليس لمخلوقٍ إليك سبيل

(١) نصب : أمام وهدف ، والرسم : القبر .

(٢) خفّض عليك : أي هوّن ولا تستصعب ، والحشا : ما انضمت عليه الضلوع .

(٣) الخطي : الرمح ، ومثقّف : مصقول .

وإن هو لم يرشدك في كل مسلكٍ ضللت ، ولو أن السَّمَاءَ دليلٌ^(١)
وقال [من الخفيف] :

لست بالمستقيم من هودوني اعتداءً ، ولست بالمستضامِ
ربّ أمرٍ عففت عنه اختياراً حذراً من أصابع الأيتامِ
أبذل الحقّ للخصوم إذا ما عجزت عنه قدرة الحكامِ

* * *

الروميات من غرر أبي فراس

لما أدركت أبا فراس حرفة الأدب ، وأصابته عين الكمال ، أسرته الروم في
بعض وقائعها وهو جريح ، وقد أصابه سهم بقي نصله في فخذه ، وحصل مثخناً
بخرشنة ، ثم بقسطنطينية ، وتناولت مدته بها لتعذر المفاداة ، وقد قيل : على كل
نجح رقيب من الآفات ، وقد كانت تصدر أشعاره في الأسر والمرض واستزادة
سيف الدولة ، وفرط الحنين إلى أهله وإخوانه وأحبابه ، والتبرم بحاله ومكانه ، عن
صدر حرج ، وقلب شجر ، تزداد رقة ولطافة ، وتبكي سامعها ، وتعلق بالحفظ
لسلاستها ، فمنها قوله [من الكامل] :

ما للعبيد من الذي يقضي به الله امتناعاً
ذدت الأسود عن الفرا ئس ثم تفرسني الضباغ !

وقوله [من السريع] :

قد عذّب الموت بأفواها والموت خيرٌ من مقام الذليل
إنّا إلى الله لما نابنا وفي سبيل الله خير السبيل

(١) السَّمَاءُ : نجمٌ يهتدى به .

ولما شقت فخذَه عن نصل السهم الذي أصابه قال [من الطويل] :
 فلا تصفن الحرب عندي ، فإنها طعامي مذُ بعت الصبا وشرابي
 وقد عرفت وقع المسامير مهجتي وشقق عن زرق النصول إهابي^(١)
 ولججت في حلو الزمان ومرة وأنفقت من عمري بغير حساب
 وقال بخرشنة [من الكامل] :

إن زرت خرشنة أسيراً فلقد حللت بها مغيراً
 ولقد رأيت النار تنتهب المنازل والقصورا
 ولقد رأيت السبي يجلد ب نحونا حوّاً وهوراً^(٢)
 من كان مثلي لم يبت إلاً أميراً أو أسيراً
 ليست تحلّ سراتنا إلاً الصدور أو القبورا

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الطويل] :
 دعوتك للجفن القريح المسهد لديّ ، وللنوم القليل المشرد
 وما ذاك بخلاً بالحياة وإنها لأوّل مبذول لأوّل مجتد^(٣)
 ولا زال عني أن شخصاً معرضاً لنبل العدا إن لم يصب فكان قد
 ولكنني أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسد
 وآبى وتآبى أن أموت موسداً بأيدي النصارى موت أكمد أكبد^(٤)
 نضوت على الأيام ثوب جلادتي ولكنني لم أنض ثوب التجلد^(٥)

(١) شقق : تفتح وأبنت ، وزرق النصول : كناية عن أدوات الحرب من سيف وغيره ، والإهاب : الجلد .

(٢) الحو : البيض من النساء ، والهور : النساء اللاتي في عيونهنّ حور ، وهو شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٣) المجتدي : السائل والطالب .

(٤) أكبد : أي مقروح الكبد من الحزن والغم .

(٥) نضوت : خلعت ، والجلادة : الصبر والتحمل والقوة .

فمن حسن صبرٍ بالسلامة واعد
فمثلك من يدعى لكلّ عظمةٍ
تشبّث بها أكرومةً قبل فوتها
فإن تفتدونني تفتدوا شرف العلا
يدافع عن أعراضكم بلسانه
متى تخلف الأيام مثلي لكم فتى
ولا وأبي ما ساعدان كساعدي
وإنك للمولى الذي بك أفتدي
وأنت الذي عرّفتني طرق العلا
وأنت الذي بلغتني كلّ غايةٍ
فيا ملبسي النعمى التي جلّ قدرها
ألم تر أنّي فيك صافحت حدّها
وفيك لقيت الألف زرقاً عيونها
يقولون جنبٌ عادةً ما عرفتها
فقلت أما والله ما قال قائلٌ
ولكن سألقاها فإمّا منيّةٌ
ولم أدر أنّ الدهر من عدد العدا

ومن ريب دهرٍ بالردى متوعدي
ومثلي من يفدي بكلّ مسودٍّ^(١)
وقم في خلاصي صادق العزم واقعد
وأسرع عوادي إليكم معودٌ
ويضرب عنكم بالحسام المهتد
طويل نجاد السيف رحب المقلد^(٢)
ولا وأبي ما سيّدان كسيّد
وإنك للنجم الذي بك أهتدي
وأنت الذي أهديتني كلّ مقصد
مشيت إليها فوق أعناق حسّدي
لقد أخلقت تلك الثياب فجدد^(٣)
وفيك شربت الموت غير مصرّد^(٤)
بسبعين فيها كلّ أشأم أنكد
شديدٌ على الإنسان ما لم يعوّد^(٥)
شهدت له في الخيل ألأم مشهد
هي الظنُّ أو بنيان عزٍّ مؤيد
وأنّ المنايا السود يرمين عن يد

(١) كلّ عظمة : كلّ أمر عظيم ، والمسودّ : أي سيّد .

(٢) نجاد السيف : حمائله وعلائقه ، والمقلد : موضع حمائل السيف .

(٣) أخلقت : بليت .

(٤) مصرّد : من التصريد ، وهو تقليل العطاء ، والشرب دون الارتواء .

(٥) جنب : أي ابتعد وتجنّب الشيء ، تلافاه .

وكتب إلى والدته وقد ثقل من الجراح التي به [من الطويل] :

مصابي جليلٌ والعزاء جميل	وظنني بأن الله سوف يدلُّ ^(١)
جراحُ تحامها الأساة مخافةً	وسقمان بادٍ منهما ودخيل
وأسرُ أقاسيه وليلٌ نجومه	أرى كلَّ شيءٍ غيرهنَّ يزول
تطول بي الساعات وهي قصيرةٌ	وفي كلَّ دهرٍ لا يسركَ طول
تناسني الأصحاب إلاَّ عصابةً	ستلحق بالأخرى غداً وتحول
وإنَّ الذي يبقى على العهد منهم	وإنَّ كثرت دعوهم لقليلٌ
أقلب طرفي لا أرى غير صاحبٍ	يميل مع النعماء حيث تميل
وصرنا نرى أنَّ المتارك محسنٌ	وأنَّ خليلاً لا يضرُّ وصول

كانه مأخوذ من قول المتنبي [من البسيط] :

إنَّا لفي زمنٍ تركُ القبيح به من أكثر الناس إنعاماً وإفضالاً

(رجع) :

تصفحت أحوال الزمان فلم يكن	إلى غير شاكٍ للزمان وصولٌ
أكلَ خليلٍ أنكدُ غير منصفٍ	وكلَّ زمانٍ بالكرام بخيلٌ
نعم دعت الدنيا إلى الغدر دعوةً	أجاب إليها عالمٌ وجهول
وفارق عمرو بن الزبير شقيقه	وخلى أمير المؤمنين عقيلٌ
فيا حسرتي من لي بخلٍ موافقٍ	أقول بشجوي مرةً ويقول
وإنَّ وراء السرِّ أمّاً بكاؤها	عليّ ، وإن طال الزمان ، طويلٌ
فيا أمّتا لا تعدمي الصبر ، إنّه	إلى الخير والنجح القريب رسول ^(٢)
فيا أمّتا لا تحبطي الأجر ، إنّه	على قدر الصبر الجميل جزيل

(١) يدل : ينتقم لي بأن يجعل له الدولة عليهم .

(٢) أمّتا : أي يا أمي ، وهذا الاستعمال خاص بالنداء .

فقد غال هذا الناس قبلك غول
وخضت سواد الليل وهو خيول
عشيّة لم يعطف عليّ خليل
وفيه وفي حدّ الحسام فلول^(١)
ومن لم يعزّ الله فهو ذليل
فليس لمخلوقٍ إليه سبيل

تأسّي كفاك الله ما تجدينه
لقيت نجوم الأفق وهي صوارمُ
ولم أراع للنفس الكريمة خلّة
ولكن لقيت الموت حتّى تركته
ومن لم يوقّ الله فهو ممزّق
ومن لم يرده الله في الأمر كلّه

وكتب إلى سيف الدولة [من الكامل] :

لا بالأسير ولا القتيل
فأُحسّ سحابة الليل الطويل
وبكاه أبناء السبيل
ح وأغمدت بيض النصول
م وكاشف الخطب الجليل
ف ويا عزيز لذا الذليل
في ظلّ دولته الظليل
ت بطول خدمته غليلي
ه لقد حننت إلى وصول
ب ولا الكذوب ولا الملول
ت وظلّتي عند المقيّل^(٢)
م وما وعدت من الجميل ؟
احمل على النفس الكريمة فيّ والقلب الحمول

هل تعطفان على العليل
باتت تقلّبه الأك
فقد الضيوف مكانه
وتعطّلت سمر الرما
يا فارح الكرب العظي
كن يا قويّ لذا الضعيف
قربه من سيف الهدى
لم أرو منه ولا شفي
ولئن حننت إلى ذرا
لا بالقطوب ولا الغضوب
يا عدّتي في النائبا
أين المحبّة والذما
احمل على النفس الكريمة فيّ والقلب الحمول

(١) الفلول : الشطوب ، والتكسر في حدّ الدسيف .

(٢) ظلّتي : أي ما يظلّني من حرّ الشمس كالفيء وغيره والقيلوله : الراحة وقت اشتداد الحرّ .

وكتب إلى والدته [من الكامل] :

لولا العجوز بمنبحٍ ما خفت أسباب المنيّه
ولكان لي عمّا سألت من الفدى نفسٌ أبيه
لكنّ أردت مرادها ولو انجذبت إلى الدنيّه
أمست بمنبحٍ حرّةً بالحزن من بعدي حرّيه^(١)
فيها التقى والدين مجـمـوعان في نفسٍ زكيّه
لا زال يطرق منبجاً في كلّ غاديّة تحيّه
يا أمّتا لا تحزني وثقي بفضل الله فيّه
يا أمّتا لا تيأسي الله الطافٌ خفيّه
أوصيك بالصبر الجميل فإنّه خير الوصيّه

وكتب إلى غلامين له [من الخفيف] :

هل تحسّان لي رفيقاً رفيقا	يحفظ الودّ أو صديقاً صدوقا
لا رعى الله يا خليلي دهرأ	فرّقنا صروفه تفريقا
كنت مولاكما وما كنت إلّا	والدأ محسناً وعمّاً شفيقا
فاذكراني وكيف لا تذكراني	كلما استخون الصديق صديقا
بتُ أبكيكما وإنّ عجيباً	أن يبيت الأسير يبكي الطليقا

وكتب إلى غلامه منصور [من الخفيف] :

مغرّم مؤلّم جريحٌ أسيرٌ	إنّ قلباً يطيق ذا لصبورٌ
وكثيرٌ من الرجال حديدٌ	وكثيرٌ من القلوب صخور
قل لمن حل بالشّام طليقاً :	بأبي قلبك الطليق الأسير

(١) حرّيه : جديره .

أنا أصبحت لا أطيق حراكاً كيف أصبحت أنت يا منصور
وكتب إليه [من السريع] :

ارثِ لصبِّ بك قد زدته على بلايا أسره أسرا
قد عدم الدنيا ولذاتها لكنّه ما عدم الصبرا
فهو أسير الجسم في بلدو وهو أسير القلب في أخرى
وكتب إليه أيضاً [من السريع] :

يا ليل ما أغفل عمّا بي حبائبي فيك وأحبابي
يا ليل نام الناس عن موجهٍ ناءٍ على مضجعه نابي^(١)
هبت له ريحٌ شاميةٌ متّت إلى القلب بأسباب^(٢)
أدت رسالات حبيبٍ بها فهمتها من بين أصحابي

بلغني أن صاحب كان يستظرف هذين البيتين ويستملحهما ويكثر
الإعجاب بهما .

وكتب إليهما [من المتقارب] :

لأيكم أذكر وفي أيكم أفكرُ
وكم لي على بلدتي بكاءٌ ومستعبر
ففي حلبٍ عدتي وعزّي والمفخر
وفي منبج من رضا ه أنفسُ ما أذخر^(٣)
ومن حبّها زلفةٌ بها يكرم المحشر
وأصيبةٌ كالفراخ خ أكبرهم أصغر

(١) ناءٍ : بعيد ، ونابي : لم يطمئن في نومه على الفراش .

(٢) متّت : وصلت ، والأسباب : الحبال والعلائق .

(٣) أنفس : أغلى وأثمن ، وأذخر : أي أذخر وأبقى .

يخيّل لي أمرهم	كأنّهم حضّر ^(١)
وقوم ألفناهم	وغصن الصّبا أخضر
فحزنيّ ما ينقضي	ودمعي ما يفتّر ^(٢)
أيا غفلت كيف لا	أرجى كما أحذر
وماذا القنوط الذي	أراه وأستشعر
بلى ، إنّ لي سيّداً	مواهبه أكثر
بذنبيّ أوردتني	ومن فضلك المصدر ^(٣)

وقال وقد حضره العيد [من السريع] :

يا عيد ما عدت بمحبوب	على معنّى القلب مكروب ^(٤)
يا عيد قد عدت إلى ناظر	عن كلّ حسنٍ فيك محبوب
يا وحشة الدار التي ربّها	أصبح في أثواب مريب ^(٥)
قد طلع العيد على أهلها	بوجه لا حسنٍ ولا طيب
ما لي وللدهر وأحداثه	لقد رماني بالأعاجيب

وقال وقد سمع حمامة تنوح بقربه على شجرة عالية [من الطويل] :

أقول وقد ناحت بقربي حمامة	أيا جارتني هل تشعرين بحالي
معاذ الهوى ما ذقت طارقة الهوى	ولا خطرت منك الهموم ببال
أتحمل محزون الفؤاد قوادم	على غصنٍ نائي المسافة عالي

(١) حضّر : من الاحتضار ، وهو النزاع عند الموت ، يريد أنّهم لفراقه يحضرون من الألم .

(٢) يفتّر : يضعف .

(٣) الورد : مكان ورود الماء للإستسقاء ، والمصدر : الرجوع عن الماء بعد الورد منه .

(٤) معنّى القلب : متألّم ومتعبه ، والمكروب : المحزون .

(٥) ربّ الدار : صاحبها ، والمريب : المستعبد .

أيا جارتنا ما أنصف الدهر بيننا
تعالى تري روحاً لديّ ضعيفاً
أيضحك مأسوراً وتبكي طليقةً
لقد كنت أولى منك بالدمع مقلّةً
تعالى أقاسمك الهموم تعالي^(١)
تردّد في جسمٍ يعذب بالي
ويسكتُ محزونٌ ويندب سالي^(٢)
ولكنّ دمعِي في الحوادث غالي

وكتب إلى سيف الدولة [من الطويل] :

أما لجميلٍ عندك ثوابُ
إذا الخلُّ لم يهجرِكَ إلّا ملالةً
إذا لم أجد من خلّةٍ ما أريده
وليس فراقٌ ما استطعت فإن يكنُ
ولا لمسيءٍ عندك متابُ
فليس له ، إلّا الفراق ، عتابُ
فعندي لأخرى عزمةٌ وركابُ
فراقٌ على حالٍ فليس إيابُ

أخذه من قول القائل وهو أوس بن حجر [من الطويل] :

إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذُ
إليه بوجهٍ آخر الدهر تقبل

(رجع) :

صبور ولو لم يبق منّي بقيةٌ
وقورٌ وأحداث الزمان تنوشني
بمن يشق الإنسان فيما ينوبه
وقد صار هذا الناس إلّا أقلّهمُ
تغايبت عن قومٍ فظنّوا غباوةً
قؤولٌ ولو أنّ السيوف جوابُ
وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ
ومن أين للحرّ الكريم صحابُ
ذئابُ على أجسادهن ثيابُ
بمفرق أغباننا حصىً وترابُ !

(١) كسر اللام من « تعالي » عند إسنادها إلى ياء المخاطبة وضمّها عند إسنادها لواو الجماعة لغة حجازية

قليلة ، والأكثر بقاء اللام مفتوحة في كلّ أحوالها .

(٢) السالي : من السلوان وهو الذي سلى الشيء : أي نسيه .

(٣) الخلّة : المصادقة . وعزمة وركاب : أي عزيمة إلى قصد غيرها .

(٤) تنوشني : تصيبني وترك في آثارها .

إذا علموا أنني شهدت وغابوا
تحكم في آسادهن كلاب
لدي ولا للمعتفين جناب
ولا ضربت لي بالعراء قباب^(١)
ولا لمعت لي في الحروب حراب
وكعب، على علائها، وكلاب
ولا دون ما لي في الحوادث باب
ولا عورتي للطالبين تصاب
إذا قل منه مضرب وذباب
ويوشك يوماً أن يكون ضراب
رحاب علي للعفاة رحاب
وأمواله للطالبين نهاب
وأظلم في عيني منه شهاب^(٢)

وبحر خطاني فيضه وهو مفعم
وموضع رحلي منه أسود مظلم

وللموت ظفر قد أطل وناب
ولا نسب بين الرجال قراب
ولي عنه فيه حوطة ومناب^(٣)

ولو عرفوني بعض معرفتي بهم
إلى الله أشكو أننا بمنازل
تمر الليالي ليس للنفع موضع
ولا شد لي سرج على متن سابح
ولا برقت لي في اللقاء قواطع
ستذكر أيامي نمير وعامر
أنا الجار لا زادي بطيء عليهم
ولا أطلب العوراء منها أصيها
بني عمنا، ما يفعل السيف في الوغى
بني عمنا، نحن السواعد والظبا
وما أدعي ما يعلم الله غيره
وأفعاله للراغبين كريمة
ولكن بنا منه بكفي صارم
ألم فيه بقول البحري [من الطويل] :

سحاب عداني جوده وهو ريق
وبدر أضاء الأرض شرقاً ومغرباً
(رجع) :

وأبطأ عني والمنايا سريعة
فإن لم يكن ود قريب تعده
فأحوط للإسلام أن لا يضيعني

(١) السابح : الحصان .

(٢) نبا : لم يستقر ، والصارم : السيف القاطع .

(٣) فأحوط : من الحيطة وهي الحذر من مقارفة الذنب .

ولكنني راضٍ على كلِّ حالةٍ
وما زلت أَرْضَى بِالْقَلِيلِ محبَّةً
وأطلب إبقاءً على الودِّ أرضه
كذاك الوداد المحض لا يرتجى له
ومثله للمتنبي [من الطويل] :

وما أنا بالبأغي على الحبِّ رشوةً
ضعيف هوىً يبغي عليه ثواب
(رجع) :

وقد كنت أخشى الهجر والشَّمْلَ جامعُ
فكيف وفيما بيننا ملك قيصرٍ
أمن بعد بذل النفس فيما تريده
فليتك تحلو والحياة مريَّة
وليت الذي بيني وبينك عامرُ
إذا صحَّ منك الودُّ فالكلُّ هينُ
وكتب إليه [من الكامل] :

بالكره مني واختيارك
يا تاركِي إنِّي لشك
كنَّ كيف شئت فأنِّي
أن لا أكون حليف دارك
رك ما حييت لغير تارك
ذاك المواسي والمشارك

وكتب إليه [من الطويل] :

أبى غَرْبٌ هذا الدَّمْعُ إلَّا تسرعاً
ومكنون هذا الحبِّ إلَّا تَضَوُّعاً^(١)

(١) المحض : الخالص الذي لا تشوبه شائبة نفعية وغيرها .

(٢) الغرب : وهو هنا بمعنى عرقٍ في العين ينزف الدمع فلا ينقطع ، أو مسيل الدمع وانهلاله .

وكنـت أرى أنـي مع الصـبر واجـدٌ
فلما استمرَّ الحـبُّ في غلوائـهِ
فحزنيَ حزن الهائمين مبرحاً
وهبت شبابي والشباب مضنَّةٌ
أبيت معنًى من مخافة عتبه
فلما مضى عصر الشبيبة كلَّه
تطلَّبت بين العتب والهجر فرجةً
وصرت إذا ما رمت في الخير لذةً
وها أنا قد حلـى الزمان مفارقي
فلو أنـني مكنت ممّا أريده
أما ليلةٌ تمضي ولا بعض ليلةٍ
أما صاحبٌ فردٌ يدوم وفاؤه
أفي كلِّ دارٍ لي صديقٌ أودّه
إذا خفت من أخوالي الروم خطّةً
وإن أوجعتني من أعادي شيمّةً
ولو قد رجوت الله لا شيء غيره
لقد قنعوا بعدي من القطر بالندى
وما مرَّ إنسانٌ فأخلف مثله

إذا شئت لي ممضى وإن شئت مرجعاً^(١)
رعت مع المضياغة الغرماً رعى^(٢)
وسرّي سرُّ العاشقين مضياً
لأبلغ من أبناء عمّي أروعا^(٣)
وأصبح محزوناً وأمسي مروّعا
وفارقني شرخ الشباب فودّعا^(٤)
فحاولت أمراً لا يرام ممّناً^(٥)
تتبعها بين الهموم تتبّعاً
وتوجني بالشيب تاجاً مرصّعا
من العيش يوماً لم أجد في موضعاً
أسرُّ بها هذا الفؤاد المفجعاً
فيصفي لمن يصفى ويرعى لمن رعى
إذا ما تفرّقنا حفظت وضيّعاً
تخوّفت من أعمامي العرب أربعا
لقيت من الأحباب أدهى وأوجعا
رجعت إلى ألي وأملّت أوسعا
ومن لم يجد إلّا القنوع تقنّعاً^(٦)
ولكن يرجى الناس أمراً مرقّعاً^(٧)

(١) ممضى : مصدر ميمي بمعنى المضيّ .

(٢) الغلواء : حدة الشباب ونشاطه وميعته .

(٣) مضنّة : يقال للشيء النفيس الذي تضنُّ به النفوس : إنّه علق مضنّة .

(٤) شرخ الشباب : ريعانه وحدّته ونشاطه .

(٥) الفرجة : الفسحة والخلاص .

(٦) القطر : المطر المنهلّ .

(٧) مرقّعاً : موصولاً .

تَنكَرَ سيفُ الدِّينِ لِمَا عَتَبْتَهُ
فَقُولَا لَهُ مِنْ صَادِقِ الْوَدِّ : إِنِّي
وَلَوْ أَنَّنِي أَكُنْتُ فِي جَوَانِحِي
فَلَا تَغْتَرَّرُ بِالنَّاسِ ، مَا كَلَّ مَنْ تَرَى
فَلِلَّهِ إِحْسَانٌ عَلَيَّ وَنِعْمَةٌ
أَرَانِي طَرَقَ الْمَكْرَمَاتِ كَمَا رَأَى
فَإِنْ يَكُ بَطْءٌ مَرَّةً فَلْتَطَالَمَا
وَإِنْ يَجْفُ فِي بَعْضِ الْأُمُورِ فَإِنِّي
وَإِنْ يَسْتَجِدَّ النَّاسُ بَعْدِي فَلَمْ يَزَلْ

وكتب إليه أبو فراس : مفاداتي إن تعذرت عليك فأذن لي في مكاتبة أهل
خراسان ومراسلتهم ليفادوني وينوبوا عنك في أمري ، فأجابه سيف الدولة بكلام
حسن ، وقال له : ومن يعرفك بخراسان ؟ فكتب إليه أبو فراس [من المتقارب] :

أَسِيفُ الْهَدَى وَقَرِيعُ الْعَرَبِ إِلَامَ الْجَفَاءِ ؟ وَفِيمَ الْغَضَبِ ؟
وَمَا بِالْكَتَبِ قَدْ أَصْبَحْتُ تَنَكَّبَنِي مَعَ هَذِي النُّكْبِ^(٣)
وَأَنْتَ الْكَرِيمُ ، وَأَنْتَ الْحَلِيمُ وَأَنْتَ الْعُطُوفُ ، وَأَنْتَ الْحَدَبِ^(٤)
وَمَا زِلْتَ تَسْعَفُنِي بِالْجَمِيلِ وَتَنْزِلُنِي بِالْمَكَانِ الْخَصْبِ
وَإِنَّكَ لِلْجَبَلِ الْمَشْمُخِرِ لِي ، بَلْ لِقَوْمِكَ ، بَلْ لِلْعَرَبِ
عَلَاً يَسْتَفَادُ ، وَعَافٍ يَفَادُ ، وَعَزٌّ يَشَادُ ، وَنَعْمَى تَرْبُ^(٥)
وَمَا غَضٌّ مَنِّي هَذَا الْإِسَارِ وَلَكِنْ خَلَصْتُ خُلُوصَ الذَّهَبِ

(١) رابني : أدخل في نفسي الريبة والشك ، والمفزع : الملجأ .

(٢) أوضعت : أسرعت ، وأفسدت .

(٣) تنكَّبني : تصيَّني وتساعد عليَّ ، والنكْب : المصائب .

(٤) الحدب : العطوف الشفوق .

(٥) العافي : الطالب المعروف ، ترب : تحمّد وتحفظ .

فقيم يقرّ عني بالخموم
 وكان عتيداً لديّ الجواب
 أنكر أني شكوت الزمان
 فالأرجعت فأعتبتني
 فلا تنسبنّ إليّ الخمول
 وأصبحت منك فإن كان فضل
 وإن خراسان إن أنكرت
 ومن أين ينكرني الأبعدون
 ألسنت وإياك من أسرو
 وداد تناسب فيه الكرام
 ونفس تكبرُ إلا عليك
 فلا تعدلن فذاك ابن عمّك ، لا ، بل غلامك عمّا يجب
 من الفضل والنسب المكتسب
 ليالي أدعوك من عن كثب
 ولاح من الأمر ما لا أحب
 لقلت صديقك من لم يغب

وكتب إليه أيضاً [من الوافر] :

زمانني كلّهُ غضبٌ وعتبٌ
 وعيش العين لديك سهلٌ
 فكيف وأنت دافع كلّ خطبٍ
 وأنت عليّ والأيام ألبٌ^(١)
 وعيشي وحده بفناك صعب
 مع الخطب الملمّ عليّ خطب

(١) أشب : ملثف ومتماسك .

(٢) ألب : أي مجتمعون عليّ .

فلا تحمل على قلبٍ جريحٍ به لحوادث الأيام ندب^(١)
أمثلي تقبل الأقوال فيه ومثلك يستمر عليه كذب^(٢)
جناني ما علمت ، ولي لسانٌ يقدّ الدرع والإنسان ، غضب^(٣)
وزندي وهو زندك ليس يكبو وناري وهي نارك ليس تخبو^(٤)
وفرعي فرعك السامي المعلّى وأصلي أصلك الزاكي وحسب
وفضلي تعجز الفضلاء عنه لأنك أصله والمجدّ ترب^(٥)
فدت نفسي الأمير وكان حظي وقربي عنده ما دام قرب^(٦)
فلما حالت الأعداء دوني وأصبح بيننا بحرٌ ودرب^(٧)
ظللت تبدّل الأقوال بعدي ويلغني اغتيابك ما يغب^(٨)
فقل ما شئت فيّ فلي لسانٌ مليءٌ بالثناء عليك رطب
وقابلني بإنصافٍ وظلم تجدني في الجميع كما تحب^(٩)

وبلغ أبا فراس أن والدته قصدت حضرة سيف الدولة من منبج تكلمه في
المفاداة ، وتتضرع إليه ، فلم يكن عنده ما رجت من حسن الإيجاب ، ووافق ذلك
عنفًا من الدمستق بأبي فراس ومن معه من الأسرى ، وزيادة في إرهابهم ، فكتب
إلى سيف الدولة [من المنسرح] :

يا حسرةً ما أكاد أحملها آخرها مزعجٌ وأولها
عليلةٌ بالشّام مفردةٌ بات بأيدي العدى معلّلا

(١) الندب : الجرح وجمعه ندوب .

(٢) يقدّ : يقطع ، والعضب صفة ثانية للسان وهي بمعنى القاطع .

(٣) كبا الزند : أي أنّه لم يخرج ناراً عند القدح ، وتخبو : تضعف وتنطفئ .

(٤) الترب : يقال فلان ترب فلان ، أي يساويه في السن .

(٥) حالت : منعت ووقفت في طريقي ، والدرب : الطريق الموصل إلى بلاد الروم .

(٦) يغب : يزور الفينة بعد الفينة .

إذا اطمأنت ، وأين ؟ أو هذأت
تسأل عنا الركبان جاهدة
يا من رأى لي بحصن خرشنة
يا من رأى في الدروب شامخة
يا أيها الركبان هل لكما
يا أمّنا هذه منازلنا
عنت لها ذكرةً تقلقلها^(١)
بأدمع ما تكاد تمهلها
أسد شريّ في القيود أرجلها
دون لقاء الحبيب أطولها
في حمل نجوى يخفّ محملها
نتركها تارة ونزلها

ومنها :

يا سيّداً ما تعدّ مكربة
ليست تنال القيود من قدمي
لا تتيّمُ والماء تدركه
أنت سماءً ونحن أنجمها
أنت سحابً ونحن وابله
بأيّ عذرٍ رددت والهة
جاءتك تمتاح ردّ واحدنا
تلك العقود التي عقدت لنا
أرحامنا منك ، لم تقطعها ؟
سمحت منّي بمهجةٍ كرمت
إن كنت لم تبذل الفداء لها
تلك المودات كيف تهملها
إلاً وفي راحتك أكملها
وفي اتباعي رضاك أحملها
غيرك يرضى الصغرى ويقبلها^(٢)
أنت بلادٌ ونحن أجبلها
أنت يمينٌ ونحن أشملها
عليك دون الورى معولها^(٣)
ينتظر الناس كيف تقفلها^(٤)
كيف وقد أحكمت تحلّلها
ولم تزل دائباً توصّلها
أنت ، على ياسها ، مؤملها
فلم أزل في هواك أبذلها
تلك المواعيد كيف تغفلها

(١) عنت : خطرت في بالها ، والذكرة : الفكرة ، وتقلقلها : تقضّها وتقلقلها .

(٢) التيمّم : هو استعمال التراب للوضوء في حال الجنابة وعدم توفر الماء .

(٣) والالهة : العاشقة الحزينة المفجوعة ، ومعولها : أي الذي يعولها .

(٤) تمتاح : أصل الامتياح ، استخراج الماء من البئر والمراد هنا : تسأل ، وتقفلها : ترجعها وتعيدها .

أين المعالي التي عرفت بها
يا واسع الدار كيف توسعها
يا ناعم الثوب كيف تبدله
يا راكب الخيل لو بصرت بنا
رأيت في الضر أوجهاً كرمت
قد أثر الدهر في محاسنها
لا يفتح الناس باب مكرمة
أينبري دونك الكرام لها
وأنت إن عزَّ حادثٌ جَلُّ
منك تردّي بالفضل أفضلها
فإن سألنا سواك عارفةً
لم يبق في الناس أمةٌ عرفتُ
نحن أحقُّ الوري برأته
يا منفق المال لا يريد به
أصبحت تشري مكارماً فضلاً
لا يقبل الله قبل فرضك ذا

تقولها دائماً وتفعلها ؟
ونحن في صخرة نزلزلها
ثيابنا الصوف ما نبذلها !
نحمل أقيادنا وننقلها
فارق فيك الجمال أجملها
تعرفها تارةً وتجهلها
صاحبها المستغاث يقلها
وأنت قمقامها وأجملها^(١)
قلبها المرتجى وحولها^(٢)
منك أفاد النوال أنولها^(٣)
فبعد قطع الرجاء نسألها^(٤)
إلاً وفضل الأمير يشملها
فأين عنا وكيف معدلها
إلاً المعالي التي يؤثّلها^(٥)
فداؤنا ما علمت أفضلها
نافلةً عنده تنقلها^(٦)

وكتب إلى أبي المعالي وأبي المكارم ابني سيف الدولة [من الكامل] :
يا سيدي أراكما لا تذكران أخاكما

(١) القمقام : السيّد الكثير العطاء .

(٢) قلبها : يقال فلان قلبٌ حولٌ : إذا كان بصيراً بمسالك الأمور ، خبيراً بحلّ مشكلها ، قادراً على التحلّل لها .

(٣) تردّي : أي لبس الرداء ، واستعاره هنا للاستمسك بالفضل ، وأنولها : أشدها نوالاً .

(٤) العارفة : النوال والعطاء .

(٥) يؤثّلها : يقال مجدّ أثيل : أي أصيل وعظيم .

(٦) النافلة : ما زاد عن الواجب ، وتنقلها : أراد تنقلها ، فحذف إحدى التاءين .

أوجدتما بدلاً به بيني سماءً علاكما
 أوجدتما بدلاً به يفري نحور عداكما^(١)
 من ذا يعاب بما لقيت من السورى إلأكما
 لا تقعدا بي بعدها وسلا الأمير أباكما
 وخذا فداي جعلت من ريب المنون فداكما !

وقال لما طال أسره يسب الشامتين ويتشوق محله بمنبج [من الكامل] :

قف في رسوم المستجا ب وناد أكناف المصلّى
 تلك المنازل والملا عب لا أراها الله محلاً^(٢)
 أوطنتها زمن الصبا وجعلت منبج لي محلاً
 حيث التفت رأيت ما ء سائحاً وسكنت ظلاً
 والماء يفصل بين زهر الروض في الشطين فصلاً
 كبساط وشي جرّدت أيدي القيون عليه نصلاً^(٣)
 من كان سرّ بما عرا ني فليمت ضرّاً وهزلاً^(٤)
 ما غصّ مني حادثُ والقرم قرمٌ حيث حلاً^(٥)
 أنى حللت فائماً يدعوني السيف المحلى
 ولئن خلصت فائني شرق العدا طفلاً وكهلاً^(٦)
 ما كنت إلّا السيف زا د على صروف الدهر صقلاً^(٧)

(١) يفري : يقطع .

(٢) المحل : الجذب ، وهنا دعاء للمنازل بأن تبقى مخصصة ناعمة .

(٣) القيون : جمع قين ، وهو الحداد ، الذي يصنع السيوف .

(٤) عراني : أصابني .

(٥) غصّ : نقص وقلل من منزلي ، والقرم : السيد .

(٦) شرق العدا : غصتهم .

(٧) الصقل : المضاء ، وصقل السيف : جلاه .

ولئن قتلت فإنّما موت الكرام الصيد قتلى^(١)
يغترّ بالدنيا الجهو ل وليس بالدنيا مملّى^(٢)

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهى عليك ولا أمر
بلنى أنا مشتاق وعندي لوعة إذا الليل أضوى بي بسطت يد الرجا
تكاد تضيء النار بين جوانحي
ومنها :

وإني لجرار لكل كتيبة معودة أن لا يخل بها النصر
وأصدأ حتى ترتوي البيض والقنا وأسغب حتى يشبع الذئب والنسر^(٣)
ومنها :

أسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرسي مهر ولا ربّه غمر^(٤)
ولكن إذا حمّ القضاء على امرى وقال أصيحابي : الفرار أو الردى
ولكنني أمضي لما لا يعينني وحسبك من أمرين خيرهما الأسر
ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسواته ~~سواته~~^(٥)

(١) الصيد : بكسر الصاد : وهو الذي يميل رأسه كبيراً .

(٢) مملّى : يقال تملّى فلان من عمره : أي أطال الله عمره ومدّ بحياته .

(٣) أذكتها : أذكى النار ، أوقدها وزادها وقوداً .

(٤) أصدأ : أظلم ، وأسغب : أجوع .

(٥) بعزل : بجبناء ، والغمر : القليل التجربة ، الجاهل .

(٦) يقال : إن عمرو بن العاص ، كان يقاتل عليّ بن أبي طالب فقال منه أبو الحسين وصرعه ، وأراد أن يجهز عليه فرفع ثوبه وأظهر سواته ، وكان الإمام عليّ لا ينظر إلى سواة أحد قط ، فتركه وأشاح بنظره =

وكتب إلى سيف الدولة قصيدة منها [من الكامل] :

مالي جزعت من الخطوب ، وإنّما
إن لم تكن طالت سنيّ فإنّ لي
قمن بما سرّ الأعادي موقفي
يا دهر خنت مع الأصادق خلّتي
لكنّ سيف الدولة المولى الذي
أيضيعني من لم يزل لي حافظاً
إني أغار على مكاني أن أرى

أخذ الآله لبعض ما أعطاني
رأي الكهول ونجدة الشبان
والدهر برزّ لي مع الأقران^(١)
وغدرت بي في جملة الإخوان
لم أنسه وأراه لا ينساني
كرماً ويخفضني الذي أعلنني
فيه رجالاً لا تسدّ مكاني

وقال من قصيدة [من الوافر] :

يعزّ على الأحبة بالشام
وإني للصبور على الرزايا
جروح ما يزلن يردن مني
تأملني الدمستق إذ رآني
أتكرني كأنك لست تدري
فلا هتّتها نعمى بأخذي
أما من أعجب الأشياء علج
وتكفّه بطارقة تيوس

حبيب بات ممنوع المنام
ولكنّ الكلام على الكلام^(٢)
على جرح قريب العهد دام
فأبصر صيغة الليث الهمام
بأنّي ذلك البطل المحامي
ولا وصلت سعودك بالتمام
يعرفني الحلال من الحرام^(٣)
تباري بالعثانين الضخام^(٤)

= عنه ، ففرّ عمرو ونجا بهذه الحيلة ، وذكر ذلك إلى معاوية فقال له : لو كنت مكانه لاخترمتك بالرمح ...

(١) القمن : الجدير والخليق .

(٢) الكلام : الجراح ، يريد أن الجراح بعضها فوق بعض أو إثر بعض .

(٣) العليج : الكافر .

(٤) تكفّه : تحيط به ، والعثانين : اللحي ، أو ما فضل منها بعد العارضين « في الذقن » .

لهم خلق الحمير فلسست تلقى فتى منهم يسير بلا حزام
يريفون العيوب ، وأعجزتهم ، وأي العيب يوجد في الحسام^(١)
ثناء طيب لا خلف فيه وآثار كآثار الغمام
ألاز على التعرض للمنايا ولي سمع أصم عن الملام
بنو الدنيا إذا ماتوا سواء ولو عمر المعمّر ألف عام
ألا يا صاحبي تذكراني إذا ما شمتما البرق الشامي^(٢)
إذا ما لاح لي لمعان برق بعثت إلى الأحبة بالسلام

وكتب إليه ابن الأسمر يوصيه بالصبر ، فأجابه [من الطويل] :

ندبت لحسن الصبر قلب نجيب وناديت بالتسليم خير مجيب
ولم يبق مني غير قلب مشيع وعود على ناب الزمان صليب^(٣)
وقد علمت أمني بأن منيتي بحدّ حسام أو بحدّ قضيب
كما علمت من قبل أن يغرق ابنها بمهلكه في الماء أم شبيب

كانت أم شبيب رأت في منامها - وهي حبلى - كأن نار أخرجت من بطنها
فاشتعلت الآفاق ثم وقعت في الماء فانطفأت ، فلما كان من أمره ما كان ونعى إليها
لم تصدق ، حتى قيل : إنه قد غرق في الماء ، فأقامت المناحة .

تجشمت خوف العار أعظم خطية وأملت نصراً كان غير قريب
وللعار خلّى ربّ غسان ملكه وفارق دين الله غير مصيب^(٤)

(١) يريغون العيوب : يطلبونها ، والحسام : هو الذي يحسم مادة الشر والخلاف .

(٢) شمتما : شام البرق : نظر إليه ليعرف أين مطره .

(٣) قلب مشيع : أي جريء قوي ، والصليب : أي صلب .

(٤) أراد ربّ غسان : جيلة بن الأيهم ، وكان قد أسلم ثم ذهب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
ولطم أعرابياً مسلماً لأنه داس رداءه فأراد عمر أن يقتصر منه ، إلا أن يرضى الأعرابي ، فاستمهله إلى
الغد ، ثم فرّ في جنح الليل ولحق بالروم متنصراً . . . ؟

ولم يرتغب في العيش عيسى بن مصعب ولا خفّ خوفٌ بالحزون خيب^(١)

وأحفظ أبو فراس الدمستق في مناظرة جرت بينهما فقال له الدمستق : إنما أنتم كتاب ولا تعرفون الحرب ، فقال له أبو فراس : نحن نطأ أرضك منذ ستين سنة بالسيوف أم بالأقلام ؟ ثم قال [من الطويل] :

أتزعّم يا ضخم اللغاديد أنّنا	ونحن أسود الحرب، لا نعرف الحرب ^(٢)
فويلك ! من للحرب إن لم تكن لها ؟	ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تربا ؟
ومن ذا يكفّ الجيش من جنبااته	ومن ذا يقود العين أو يصدّم القلبا
وويلك ، من أردى أخاك بمرعشٍ	وجلّ ضرباً وجه والدك العضبا ^(٣)
[وويلك من خلى ابن أختك موثقاً	وخلاك باللقان تبندر الشعبا
أتوعدنا بالحرب حتّى كأننا	واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا] ^(٤)
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه	فكنّا بها أسداً وكنّت بها كلبا
وسلّ برد ، سلّ عتاً أباك وصهره	وسلّ أهل برداليس أعظمهم خطبا ^(٥)
وسلّ قرقاشا والشمقمق صهره	وسلّ سبطه البطريق أثبتهم قلبا
وسلّ صيدكم آل الملايين ، إنّنا	نهبنا ببيض الهند عرضهم نهبا ^(٦)
وسلّ أهل بيرام وأهل بلنطس	وسلّ آل شنوان الخناجرة الغلبا
وسلّ بالبطرصيس العساكر كلّها	وسلّ بالمسيطر ناطس الروم والعربا

(١) عجز هذا البيت في ديوانه « ولا خفّ خوف الحرب قلبُ خيب » والحزون : الأرض الصعبة المسالك ، والخيب : من الخب وهو ضربٌ من العدو .

(٢) اللغاديد : جمع لغدود ، وهو لحمه في الحلق ، أو كالزوائد من اللحم في باطن الأذن .

(٣) العضب : السيف القاطع .

(٤) لم يعصب : لم يجمع ويشرك ، والعصابة : الجماعة .

(٥) برد : اسم أبي الدمستق ، وبرداليس : اسم مكان .

(٦) الصيد : جمع أصيد وهو المائل الرأس كبيراً ومخيلة والملايين جمع ملبون : وهو من به مثل السكر .

ألم تكفهم قتلا ونهباً سيوفنا
 بأقلامنا أجحرت أم بسيوفنا ؟
 تفاخرنا بالضرب والطعن والقنا
 رعى الله أوفاننا - إذا قال - ذمّة
 وأسد الشرى الملقى وإن جمدت رعباً
 وأسد الشرى قدنا إليك أم الكتبا ؟^(١)
 لقد أوسعتك النفس يا ابن استها كذباً^(٢)
 وأنفذنا طعنا وأثبتنا ضرباً
 وقال من قصيدة [من الطويل] :

خليليّ ما أعددتما لمتيم
 فريد عن الأحباب لكن دموعه
 جمعت سيوف الهند من كلّ وجهة
 إذا كان غير الله للمرء عدّة
 فقد جرّت الحنفاء حتف حذيفة
 [وجرت منايا مالك بن نويرة
 وأردى ذؤاباً في بيوت عثيبة
 أسير لدى الأعداء جافى المراقد
 مثان على الخدين غير فرائد^(٣)
 وأعددت للأعداء كلّ مجالد
 أته الرزايا من وجوه الفوائد
 وكان يراها عدّة للشدائد^(٤)
 عقيلته الحساء أيام خالد^(٥)
 بنوه وأهلوه بشدو القصائد^(٦)

ولما خفف عن أبي فراس ورفه ، ونوظر في أمر الهدنة والأسارى ، وأجيب إلى
 ملتمسه بعد أن أكرم وبجل قال [من الطويل] :

ولله عندي في الإيسار وغيره
 حللت عقوداً أعجز الناس حلّها
 مواهب لم يخصص بها أحد قبلي
 وما زلت لا عقدي يذم ولا حلّي

(١) أجحرت : أي دخل الحجر فراراً .

(٢) الإيست : المؤخرة .

(٣) مثان : جمع مثني ، وأراد متالية بعضها إثر بعض .

(٤) الحنفاء : القوس ، والحتف : الهلاك .

(٥) العقيلة : الزوجة : وخالد : هو خالد بن الوليد .

(٦) أردى : قتل ، وذؤاباً : جمع ذئب .

إذا عايتني الروم قد ذلّ صيدها
وأوسعُ أياماً حللت كرامةً
فأبلغ بني عمي وأبلغ بني أبي
وما شاء ربي غير نشر محاسني
كأنهم أسرى يديّ بلا كبل^(١)
كلّني من أهلي نُقلتُ إلى أهلي
بأنّي في نعماء يشكرها مثلي
وأن يعرفوا ما قد عرفتم من الفضل



ما أخرج من مزدوجته الطردية

<p>ما العمر ما طالبت به الدهور أيام عزّي ونفاذ أمري [ما أجور الدهر على بنيه لو شئت مما قد قللن جدا أنعت يوماً مرّ لي بالشام دعوت بالصقّار ذات يوم قلت له اختر سبعةً كباراً يكون للأرنب منها اثنان واجعل كلاب الصيد نوبتين ثم تقدّمت إلى الفهّاد وقلت إنّ خمسةً لتقع وأنت يا طبّاح لا تباطا ويا شرابيّ البلقيسات</p>	<p>العمر ما تمّ به السرور هي التي أحسبها من عمري وأغدر الدهر بمن يُصفيه^(٢) عددت أيام السرور عدّاً ألذّ ما مرّ من الأيام عند انتباهي سحراً من نومي^(٣) كلّ نجيب يردّ الغبارا وخمسةً تفرد للغزلان يرسل منها اثنان بعد اثنين والبازيارين بالاستعداد^(٤) والزُرْقَان الفرخُ والملمع عجّل لنا اللّفات والأوساطا تكون للراح ميسّرات</p>
--	--

(١) الكبل : القيد .

(٢) يُصفيه : يتخذة خليلاً .

(٣) الصقّار : الذي مهنته رعاية الصقور .

(٤) البازيارين : حملة الباز ، الحيوان الذي يستعمل في الصيد وهو استعمال فارسي .

بِالله لا تستصحبوا ثقيلاً
ردّوا فلاناً وخذوا فلاناً
فاخترت لَمّا وقفوا طويلاً
عصابةً أكرم بها عصابةً
ثم قصدنا صيد عين باصر
جئنّاه والشمس قبيل المغرب
وأخذ الدّراج في الصباح
في غفلةٍ عَنّا وفي ضلال
يطرب للصبح وليس يدري
نحن نصلي والبزاة تخرج
وقلت للفهاد : إمض وانفرد
فلم يزل غير بعيد عَنّا
وسرت في صفٍّ من الرجال
فما استوينّا كلّنا حتى وقف
ثم أتاني عَجلاً قال سبق
سرت إليه فأراني جائمه
[ثم أخذت نبلة كانت معي
حتى تمكنت فلم أخط الطلبُ

ومنها :

ثم دعوت القوم: هذا بازي فأيكّم ينشط للبراز

(١) مظنة الصيد : أي حيث يظن أن فيها ما يصطاد والخابر : أي الخبير العارف .

(٢) الدّراج : طائر كالحجل .

(٣) الشّرف : أي المكان العالي للمراقبة .

فقال منهم رشاً: أنا ، أنا ولو درى ما بيدي لأذعنا^(١)

ومنها :

جئت بيازٍ حسنٍ وهبرج	دون العقاب وفويق الزمَج ^(٢)
زَيْنٍ لرائيه وفوق الزَيْن	ينظر من نارين في غارين
كانَ فوق صدره والهادي	آثار مشي الذرِّ في الرماد
[ذي منسرٍ فخمٍ وعينٍ غائره	وأفخذٍ مثل الجبال وافرهِ ^(٣)
ضخمٍ قريب الدُّسْتَبانِ جدًّا	يلقى الذي يحمل منه كدًّا ^(٤)
وراحةٍ تحمل كَفِّي سبطة	زادت على قدر البزاة بسطه ^(٥)
سرَّ وقال هات قلت مهلا	احلف على الردِّ فقال كلاً
أما يميني فهي عندي غالية	وكلمتي مثل يميني وافيهِ
فقلت خذه هبةً بقبله	فصدَّ عني وعلته خجله
ثم ندمت غاية الندامة	ولمت نفسي أكثر الملامه
على مزاحي والرجال حضَّر	وهو يزيد خجلاً ويحصر
فلم أزل أمسحه حتى انبسط	وهشَّ للصَّيد قليلاً ونشط

ومنها في وصف البازي واستيلائه على الكركي .

حتى إذا جندله كالعندل	أيقنت أن العظم غير الفضل ^(٦)
صحت إلى الطباخ ماذا تنتظر	انزل عن المهر وهات ما حضر

(١) أذعن : أقرَّ وهدا .

(٢) الهبرج : السمين ، والزمج : طائرٌ دون العقاب في صوته يشبه نباح الجرو ، يُصاد به .

(٣) المنسر : الظفر .

(٤) الدُستَبان : فارسية والدست المكان والبيت .

(٥) البسطه : القوَّة .

(٦) العندل : الناقة العظيمة ، وجندله : صرعه .

جاء بأوساطٍ وجُرْدُباجٍ من حجل الطير ومن درّاجٍ
فما تنازلنا عن الخيولِ يَمْنَعُنا الحِرْصُ من التزولِ
وجيء بالكأس وبالشراب فقلت : وفّرهما على أصحابي
أشبعني اليوم وروّاني الفرح فقد كفّاني بعض وسطٍ وقَدَحِ
ومنها :

ثم انصرفنا والبغال موقرةً في ليلةٍ مثل الصباح مسفرة
حتى أتينا رحلنا بليلٍ وقد سُبِقْنا بجياد الخيلِ
ثم نزلنا فطرحنا الصيّداً لما عددنا مائةً وزيداً^(١)
فلم نزل نشوي ونقلني ونصّبُ حتى طلبنا صاحياً فلم نُصِبْ
شرباً كما عنّ من الزقاق بغير ترتيبٍ وبغير ساقٍ
ولم نزل سبع ليالٍ عدداً أسعد من راحٍ وأحظى من غداً

وحكى بديع الزمان أبو الفضل الهمداني قال : قال صاحب أبو القاسم يوماً
لجلسائه وأنا فيهم - وقد جرى ذكر أبي فراس - : لا يقدر أحد أن يزور على أبي
فراس شعراً ، فقلت : ومن يقدر على ذلك وهو الذي يقول [من الوافر] :

رويدك لا تصل يدها بباعك ولا تغز السباع إلى رباعك
ولا تعن العدو عليّ ، إني يمينٌ إن قطعت فمن ذراعك

فقال صاحب : صدقت ، قلت : أيد الله مولانا قد فعلت . ولعمري إنه
قد حسن ، ولكن لم يشق غبار أبي فراس .

وكتب على ظهر الجزء المشتمل على مزدوجته التي أولها [من الرجز] :
ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تمّ به السّرور

(١) زيداً : مصدر زاد يزيد ، وأراد مائةً وزائداً عليها .

هذه الأبيات [من الرجز] :

أروح القلب ببعض الهزل تجاهلاً مني بغير جهل
أمزح فيه مزح أهل الفضل والمزح أحياناً جلاء العقل

* * *

فصل

قد أطلت عنان الاختيار من محاسن شعر أبي فراس ، وما محاسن شيء كله حسن ؟ وذلك لتناسبها وعذوبة مشارعها . ولا سيما الروميات التي رمى بها هدف الإحسان . وأصاب شاكلة الصواب ، ولعمري إنها - كما قرأته لبعض البلغاء - لو سمعته الوحش أنست ، أو خوطبت به الخرس نطقت ، أو استدعي به الطير نزلت .

ولما خرج قمر الفضل من سراره ، وأطلق أسد الحرب ، عن إساره ، لم تطل أيام فرحته ، ولم تسمح النوائب بالتجافي عن مهجته . ودلت قصيدة قرأتها لأبي إسحاق الصابي في مراثيه على أنه قتل في وقعه كانت بينه وبين بعض موالي أسرته ، وما أحسن وأصدق قول المتنبي [من البسيط] :

فلا تنلك الليالي ، إنَّ أيدِيَهَا إذا ضربن كسرن النبع بالغرب^(١)
ولا يعنَّ عدوًّا أنت قاهره فإنهنَّ يصدن الصقر بالخرب^(٢)

(١) النبع : شجر صلب ينبت في رؤوس الجبال والغرب : بيت ضعيف بيت على الانهار يريد يكسرن بالضعيف .

(٢) الخرب : بفتحتين : ذكر الحباري ، والصقر : من الطيور الجارحة ، يعني أنَّ الليالي إذا أعانت الضعيف صاد القوي .

وذكر ابن خالويه أن آخر شعر لأبي فراس قوله عند موته ، رحمه الله تعالى ! [من
الكامل] :

أبنيّتي لا تجزعي كلُّ الأنام إلى ذهابٍ
نوحى عليّ بحسرة من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلّمتني فعييت عن ردّ الجواب
زين الشباب أبو فرا س لم يمتّع بالشباب
اللهم ارحم تلك الروح الشريفة !!

* * *

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان وغيرهم من أمراء الشام وقضاتها وكتابها

(أخبرني جماعة من أهل الأدب أن المتنبي لما عوتب في آخر أيامه على تراجع شعره قال : قد تجوزت في قولي ، وأعفيت طبعي ، واغتنمت الراحة منذ فارقت آل حمدان) وفيهم من يقول [من الوافر] :

وقد علمت بما لاقتنه منّا قبائل يعربٍ وبنو نزارٍ
لقيناهم بأرماحٍ طوالٍ تبشّرهم بأعمارٍ قصارٍ

يعني أبا زهير مهلهل بن نصر بن حمدان ، ومنهم من يقول - يعني أبا العشائر -
[من الكامل] :

أخا الفوارس لو رأيت موافقي والخيّل من تحت الفوارس تنحط^(١)
لقرأت منها ما تخطّ يد الوغى والبيض تشكّل والأسنة تنقط

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لبعضهم [من الكامل] :

أغمامٌ ما يدريك ما أفعالنا والخيّل تحت النّقع كالأشباح^(٢)

(١) تنحط : تزفر من الجهد .

(٢) النّقع : الغبار الذي تثيره الحرب .

تطفو وترسب في الدماء كأنها صور الفوارس في كؤوس الراح
وأنشدت لأبي العشائر [من البسيط] :

سطا علينا ، ومن حاز الجمال سطا ، ظبي من الجنة الفردوس قد هبطا
له عذران قد خطا بوجته فاستوقفا فوق خديه وما انبسطا
وظل يخطو فكل قال من شغفه : يا ليت في سواد الناظرين خطا

وقال بعض الرواة : دخلت على أبي العشائر أعوده من علة هجمت عليه
فقلت له : ما يجد الأمير؟ فأشار إلى غلام قائم بين يديه اسمه نسطوس كأن
رضوان غفل عنه فأبق^(١) من الجنة ، وأنشد [من مخلع البسيط] :

أسقم هذا الغلام جسمي بما بعينه من سقام
فتور عينيه من دلال أهدى فتوراً إلى عظامي^(٢)
وامتزجت روحه بروحي تمازج الماء بالمدام

وكان أبو الحسن الماسرجي ينشد في تدريسه مسألة « الحر لا يقتل بالعبد »
هذين البيتين ، وهما لبعض آل حمدان [من الطويل] :

خذوا بدمي هذا الغزال ، فإنه رمانى بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه إنني أنا عبده ولم أر حراً قط يقتل بالعبد

وأنشدت لبعضهم ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الكامل] :
للعبد مسألة لديك جوابها إن كنت تذكره فهذا وقته
ما بال ريقك ليس ملحاً طعمه ويزيدني عطشاً إذا ما ذقته !

(١) أبق : هرب .

(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

ووجدت بخط أبي بكر الخوارزمي هذه الأبيات منسوبة إلى أبي وائل تغلب
ابن داود بن حمدان ، ورويت لغيره [من الكامل] :

لا والذي جعل الموا لي في الهوى خدام العبيد
وأصار في أيدي الظبا ء قياد أعناق الأسود
وأقام ألوية المنيد ة بين أفنية الصدود^(١)
ما الورد أحسن منظراً من حسن توريد الخدود

ووجدت بخطه لحمدان الموصلي [من الخفيف] :

يا رسول الحبيب ويحك قد ألد قى عليك الحبيب حسناً وطيباً
وتعلّمت حسن ألفاظه تد لك فظرفت بادئاً ومجيباً
ولقد كدت أن أضمّك لولا أن يسيء الظنون أو يستريباً
خيفة أن يكون ذاك كما قيد ل قديماً : صار الرسول حبيباً

ولأبي وائل الحمداني لما أسره المبرقع [من الخفيف] :

يا خليلي ، أسعداني فقد عي ل ، اضطباري على احتمال البلية
غربة قارظية ، وغرام عامري ومحنة علوية^(٢)

ولأبي زهير ، وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

وزعمت أني ظالمٌ فهجرتني ورميت في قلبي بسهم نافذ
فنعم ظلمتك فاغفر لي زلّتي هذا مقام المستجير العائد

وأنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي هذه الأبيات ولم يسم

(١) أفنية : جمع فناء ، وهو الساحة والمتسع من المكان .

(٢) قارظية : أراد دائمة أبد الدهر ، وعامري : نسبة إلى بني عامر عشاق العرب منهم ليلى العامرية

وعلوية : نسبة إلى آل علي بن أبي طالب عليهم الرحمة .

قائلاً ، ثم وجدتها في بعض التعليقات منسوبة إلى بعض آل حمدان [من الوافر] :

أَجِلْ عَيْنِكَ فِي عَيْنِي تَجِدُهَا مَشْرَبَةً نَدَى وَرْدِ الْخُدُودِ^(١)
وَصَافِحْنِي تَجِدْ عِبْقاً بِكَفِّي يَضُوعُ إِلَيْكَ مِنْ رَدَعِ الْنُهُودِ^(٢)
وَحَدْ سَمْعِي إِلَيْكَ فَإِنَّ فِيهِ بَقَايَا مِنْ حَدِيثِ كَالْعُقُودِ

وأنشدني أبو الحسن محمد بن أبي موسى الكرخي ، قال : أنشدني القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن القاضي أبي القاسم التنوخي ، قال : أنشدني أبو المطاع ذو القرنين بن ناصر الدولة أبي محمد لنفسه ، تغمدهم الله تعالى برحمته وأسكنهم بحبوحة جنته ! [من البسيط] :

إِنِّي لِأَحْسَدُ « لَا » فِي أَسْطَرِ الصَّحْفِ إِذَا رَأَيْتَ اعْتِنَاقَ الْإِلَامِ لِلْأَلْفِ
وَمَا أَظْنَهُمَا طَالَ اجْتِمَاعُهُمَا إِلَّا لَمَّا لَقِيا مِنْ شِدَّةِ الشَّغْفِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

أَفْدَى الَّذِي زَرْتَهُ بِالسَّيْفِ مُشْتَمِلاً وَلَحِظَ عَيْنِيهِ أَمْضَى مِنْ مُضَارِبِهِ
فَمَا خَلَعْتَ نَجَادِي فِي الْعِنَاقِ لَهُ حَتَّى لَبَسْتَ نَجَاداً مِنْ ذَوَائِبِهِ
فَكَانَ أَنْعَمْنَا عَيْشاً بِصَاحِبِهِ مِنْ كَانَ فِي الْحُبِّ أَشْقَانَا بِصَاحِبِهِ

قال : وأنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

قَالَتْ لَطِيفُ خِيَالٍ زَارَهَا وَمَضَى : بِاللَّهِ صَفْهِ وَلَا تَنْقُصْ وَلَا تَزِدْ
فَقَالَ : خَلْفَتَهُ لَوْ مَاتَ مِنْ ظَمًا وَقَلَّتْ قَفٌّ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ لَمْ يَرِدْ
قَالَتْ : صَدَقْتَ الْوَفَا فِي الْحُبِّ عَادَتَهُ يَا بَرْدَ ذَاكَ الَّذِي قَالَتْ عَلَى كَبْدِي !

(١) أجل : أدير ، وتطلع ، وحقق .

(٢) العبق : الريح الطيب ، ويضوع : يفوح ، والردع : أثر الطيب .

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني لنفسه في جارية كانت معاجرها^(١) تبلى بسرعة [من البسيط] :

أرى الثياب من الكتّان يلمحها ضوء من البدر أحياناً فيليها
وكيف تنكر ان تبلى معاجرها والبدر في كلّ حين طالع فيها^(٢)
وقد أحسن غاية الإحسان ، والعرب تزعم أن البدر يبلى الثياب الحلوة ، وقوله [من المتقارب] :

أيا من صبرت على فقدهِ وإنّ كان لي مؤلماً موجعا
لقد نال كلّ الذي يشتهي حسودٌ علينا بين دعا^(٣)
وأنشدني أيضاً للحسين بن ناصر الدولة [من البسيط] :

لو كنت أملك طرفي ما نظرت به من بعد فرقتكم يوماً إلى أحدٍ
ولست أعتدّه من بعدكم نظراً لأنّه نظرٌ من مقلتي رمِد^(٤)

* * *

٣ - منصور وأحمد ابنا كيغلغ

أديبان شاعران ، من أولاد أمراء الشام ، فمن مشهور ملح منصور قوله [من السريع] :

خنت الذي أهوى من الناس ونمت عن جودي وعن باسي
يومَ أرى الدجن فلا أرتوي من ريق إلفي ومن الكاس^(٥)

(١) المعجر : بزنة المنبر ، ثوب تشدّه المرأة على وسطها .

(٢) تبلى : تخلق وترث .

(٣) البين : الفراق ، ودعا : توسّل الله .

(٤) الرمد : وجع يصيب العين .

(٥) الدجن : المطر الكثير ، وإلفي : خلّي وحيبي .

وقوله [من السريع] :

كأنها والقرط في أذنها بدر الدجى قرط بالمشتري
قد كتب الحسن على وجهها « يا أعين الناس قفي وانظري »

وقوله من أبيات [من مخلع البسيط] :

يدير في كفّه مداما ألدُّ من غفلة الرقيب
كأنها إذ صفت ورقّت شكوى محبٍّ إلى حبيب

وقوله [من الكامل] :

عاد الزمان بمن هويت فأعتبا يا صاحبي فسقياني واشربا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها من فوق دجلة قبل أن يتغيّا
قام الغلام يديرها في كفّه فحسبت بدر التّم يحمل كوكبا
والبدر يجنح للغروب كأنه قد سلّ فوق الماء سيفاً مذهبا

وقد أكثروا في وصف القمر على الماء ، وبيت منصور هذا من غرر ذلك ، وأحسن ما سمعت فيه - على كثرتّه - قول القاضي التنوخي [من الكامل] :

أحسِنْ بدجلة والدجى متصوّبٌ والبدر في أفق السماء مغرّبٌ^(١)
فكأنّها فيه بساطٌ أزرقٌ وكأنّه فيها طرازٌ مذهب

وقول أبي الفتح كشاجم [من مجزوء الرجز] :

ما زلت أسقاها على وجه غزالٍ مونيّ^(٢)
بقمرٍ متقبٍ بخاتمٍ متطقٍ
والبدر فوق دجلةٍ والصبح لما يشرق

(١) الدّجى : الظلام : متصوّبٌ : منحدر ، ونازل .

(٢) المونيّ : البديع الفاتن .

كحلية من ذهبٍ على رداءٍ أزرق

ومن ملح منصور قوله [من المتقارب] :

كُتِبَتْ إِلَيْكَ بِمَاءِ الْجَفُونِ وَقَلْبِي بِمَاءِ الْهَوَى مَشْرَبُ
فَكَفَّيْ تَخْطُ وَقَلْبِي يَمَلُ وَعَيْنِي تَمَحُو الَّذِي تَكْتُبُ

وقوله [من مخلع البسيط] :

أَلْبَسَنِي ذَلَّةَ الْعَبِيدِ مَنْ قَلْبُهُ صَيَغٌ مِنْ حَدِيدٍ^(١)
وَنَمَّ طَرْفِي بِمَا أَلَاقِي مِنْ كَمَلٍ دَائِمٍ الْمَزِيدِ^(٢)
وَكَيْفَ يَخْفِي الْهَوَى عَمِيدُ وَدَمَهُ صَاحِبُ الْبَرِيدِ

وقوله [من البسيط] :

قَالُوا : عَلَيْكَ سَبِيلَ الصَّبْرِ ، قُلْتَ لَهُمْ : هِيَاتَ ! إِنْ سَبِيلَ الصَّبْرِ قَدْ ضَاقَا
مَا يَرْجِعُ الطَّرْفُ عَنْهُ حِينَ يَبْصُرُهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ الْقَلْبُ مُشْتَاقَا

* * *

ولأحمد [من الرمل] :

لَا يَكُنْ لِلْكَأْسِ فِي كَفِّ كَ يَوْمِ الْغَيْثِ لَبَثُ^(٣)
أَوْ مَا تَعْلَمُ أَنَّ الـ غَيْثَ سَاقٍ مُسْتَحْتُ

وله [من الهزج] :

وَلَوْلَا أَنَّ بَرْدُونَ الـ هَوَى يَعْتَلِفُ الرُّطْبَةَ

(١) صيغ : سبك وصنع .

(٢) نم : أظهر ودلّ ، والكمد : الحزن والغم .

(٣) اللَّبَث : مقام .

ركبناه إلى الصَّيد وأرسلنا له كلبه
فصدنا ثعلب الهجرا ن تلك الخبّة الضبّه^(١)
وصيرنا لزيت الوصـ ل من جلد استهاربه^(٢)

وله ، ويروي لديك الجن [من مخلع البسيط] :

قلت له والجفون قرحى قد أقرح الدمع ما يليها
ما لي في لوعتي شبيه قال : وأبصرت لي شبيها؟!

وله [من الهزج] :

بدت من خلل الحجب كمثل اللؤلؤ الرطب
فأدمى خدّها لحظي وأدمى لحظها قلبي

وله [من الرجز] :

واعطشي إلى فمـ يمجّ خمراً من برد
إنّ قسّم الناس فحسـ جى بك من كلّ أحد

* * *

٤ - أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبد الله ابنا ورقاء الشيباني

من رؤساء عرب الشام وقوادها ، والمختصين بسيف الدولة . وما منهما إلا
أديب شاعر جواد ممدح ، وبينهما وبين أبي فراس مجاوبات ، وإليهما أرسل أبو
فراس يقول من قصيدة [من الوافر] :

أتأني عن بني ورقاء قولُ ألدّ جنى من الماء القراح

(١) ثعلب الهجران : تقلّبه وتحركه ، والخبّة : خرقه طويلة تعصب بها اليد ، والضبّة : جلد الضب
المذبوغ ، أو أنثى الضبّ .

(٢) الإيست : المؤخرة .

وأطيب من نسيم الروض حَفَتْ به اللَّذات من روحٍ وراح
ولو أُنِّي اقترحت على زماني لكتتم ، يا بني ورقا ، اقتراحي
ولأبي أحمد في جوابها من قصيدة أولها [من الوافر] :

أصاح قلبه أم غير صاحٍ وقد عَنَّت له عفر البطاح^(١)
ظباء الوحش تحكي ماثلاتٍ ظباء الإنس بالصَّور الملاح
ومنها :

يدرن مراض أجفانٍ صحاحٍ فيا عجبي من المرضى الصحاح
وما زالت عيون العين فينا تؤثر فوق تأثير السَّلاح
ومنها :

أطلعة الهلال على قضيبٍ ومسدلة الظلام على الصَّباح !
عدتني عن زيارتك العوادي ودهرٌ للأكارم ذو اطراح^(٢) !
ومنها :

أمدره تغلب لسنأ وعلما ومصقع نطقها عند التلاحي^(٣)
لقد أوتيت علماً واضطلاعا بآدابٍ وألفاظٍ فصاح
لمقولك المضاء إذا انتضاه الـ قصيد على المهنة الصَّفاح

وله من قصيدة [من الطويل] :

ألا ليت شعري ، والحوادث جمَّة وما كنت في دهري إلى الناس شاكيا

(١) عَنَّت : أذعنت ، وعفر البطاح : شجعانها ودهاتها .

(٢) عدتني : منعنتني ، والعوادي : الأحداث المانعة .

(٣) المدرة : العالم الجليل . والمصقع : البليغ الفصيح ، والتلاحي : اللوم .

أمخترمي ريب المنون بحسرة تبلى نفسي من شجاءها التراقيا ؟^(١)
إلى الله أشكو أن في الصدر حاجة تمر بها الأيام وهي كما هي
ومنها في ذكر بني كعب وإيحاشهم سيف الدولة حتى أضربهم :

وإنهم لما استهاجوا صياله وما كان عن مستوجب البطش وانيا^(٢)
كمن شب ناراً في شعار ثيابه وهيج ليشاً للفريسة ضاريا^(٣)
وله من قصيدة أجاب بها عن قصيدة أبي فراس التي أولها [من الطويل] :

* لعل خيال العامرية زائر *

عمرن بعمار من الإنس برهة فها هن صفر ليس فيهن صافر
أخلت بمغناها دمي وخرائد وحلت بأقصاها مهأ وجآذر^(٤)
أهن عيون باللحاظ دوائر على عاشقيها أم سيوف بواتر؟^(٥)
ضعائف يقهرن الأشداء قدرة عليهم وسلطان الصبابة قاهر
ومنها :

ألا يا ابن عم يستزيد ابن عمه رويدك إنني لانبساطك شاكراً
تصفحت ما أنفذته فوجدته كما استودعت نظم العقود الجواهر
وذكرني روضاً بكته سماؤه فضاحكه مستأسد وهو زاهر
عرائس تجلوها عليك خدورها ولكنما تلك الخدور دفاتر

(١) أمخترمي : اخترم الشيء : ثقبه من ناحية إلى ناحية . والتراقيا : جمع ترقوة ، وهي العظمة بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

(٢) الصيال : أي صولته في الحرب ، والواني : المتأخر والتعب ، والضعيف .

(٣) شب ناراً : أسعرها وأصلاها .

(٤) الدمى والخرائد : الفتيات الأبيكار النواهد .

(٥) البواتر : القاطعة .

فعدلاً ، فَإِنَّ العدل في الحكم سيرةٌ بها سار في الناس الملوك الأساور^(١)
ولما قال أبو فراس [من الكامل] :

إنا إذا اشتدَّ الزما ن وناب خطبٌ وادلهم

من أبيات قد مرت أجابه أبو محمد جعفر بن محمد بن ورقاء بقوله من
أبيات [من الكامل] :

أنتم كما قد قلت بل أعلى وأشرف يا ابن عمٍ
ولكم سوابق كلِّ فخرٍ واللواحق من أمم^(٢)
أحسنّت والله العظيم نظام بيتك حين تمّ
فيما ذكرت من السيوف وما ذكرت من النعم
حتى كأنّ بنظمه للحسن درأً منتظم

وكتب أبو محمد عند حصوله ببغداد بعد وفاة سيف الدولة إلى أبي إسحاق
الصّابي ، وكانت بينهما مودة وتزاور فانقطع عنه أبو إسحاق لبعض العوائق [من
الكامل] :

يا ذا الذي جعل القطيعة دأبه إنَّ القطيعة موضعٌ للريبِ
إن كان ودك في الطويةً كامناً فاطلب صديقاً عالماً بالغيبِ^(٣) !

فأجابه أبو إسحاق بهذه الأبيات [من الكامل] :

قد يهجر الخلّ السليم الغيب للشغل وهو مبرأً من ريب
ويواصل الرجل المنافق مبدياً لك ظاهراً سستبطننا للعب

(١) الأساور : الشجعان الأسود .

(٢) أمم : قرب .

(٣) الطوية : يقصد الصدر والضمير والنية .

لا تفرحَنَّ من الصديق بشاهد
وتأمل المسودَّ من شعر الفتى
وإذا ظفرت بذي ودادٍ خالص
حتى يكون موافقاً للغيب
أهو الشبية أم خضاب الشيب (١)؟
فاغفر له ما دون غشِّ الجيب

وكتب إليه أبو إسحاق قصيدة طويلة فأجابه بقصيدة منها [من الطويل] :

ومشمولةٍ صرفٍ صرفت بشرها
إذا جال فيها المزج خلّت حبابها
وعاذلةٍ في بذل ما ملكت يدي
فإنّ زئير الأسد من كلّ جانبٍ
أفي الحقّ أن قايست غير محقّقٍ
ولا سيّما أنت الذي نشرت له
وما زلت بين الناس صدر محافلٍ
وجوه لحاتي قاطباتُ الحواجبِ
عيون الأفاعي أو قرون الجنادبِ
رددت لها المسعى بصفقة خائبٍ
ليشغل سمعي عن صياح الثعالبِ
فظاظة جنديٍّ إلى ظرف كاتبٍ (٢)
محاسن كالأعلام فوق المراقبِ (٣)
وعين مقاماتٍ وقلب مواكبِ

وكتب إليه أبو أحمد قصيدة منها [من الخفيف] :

يا هلالاً يدعى أبوه هلالاً
أنت بدرٌ حسناً، وشمسٌ علواً،
جلّ باريك في السرى وتعالى
وحسامٌ عزماءُ، وبحرٌ نوالاً

* * *

٥ - أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب

هو الذي يقول فيه السري الموصلي من قصيدة [من الوافر] :

لقد أضحت خلال أبي حصينِ
حُصوناً في الملمّاتِ الصعابِ

(١) الخضاب : الصباغ .

(٢) قايست : وازنت وساويت .

(٣) نشرت له : دفعت واشتهرت ، والمراقب : الأماكن العالية حيث تكون المراقبة .

كساني ظلّ وابله ، وآوى غرائب منطقي بعد اغتراب
وكنت كروضة سقيت سحاباً فأننت بالنسيم على السحاب
وكتب إليه أبو فراس - وقد عزم على المسير إلى الرقة - قصيدة افتتاحها [من
البيسط] :

يا طول شوقي إن كان الرحيل غدا لا فرق الله فيما بيننا أبدا
فأجابه القاضي بقصيدة أولها [من البيسط] :
الحمد لله حمداً دائماً أبداً أعطاني الدهر ما لم يعطه أحدا
ومنها :

إن كان ما قيل من سير الركاب غداً حقاً فإني أرى وشك الحمام غداً^(١)
ومنها في ذكر سيف الدولة :

لولا الأمير وأنّ الفضل مبدؤه منه لقلت بأنّ الفضل منك بدا
دام البقاء له ما شاء مقتدراً تمضي أوامره ، إن حلّ أو عقدا
يذلّ أعداءه عزّاً ، ويرفع منّ والاه فضلاً ، ويبقى للعلا أبدا
وكتب أبو حصين إلى أبي فراس من قصيدة جواباً [من البيسط] :

من وائب الدهر كان الدهر قاهره ومن شكّا ظلمه قلّت نواصيره^(٢)
إن كان سار فإنّ الروح تذكره والعين تبصره ، والقلب حاضره
يا من أخالسه ودّي ، وأمحضه نصحي ، وتأتيه من وصفي جواهره^(٣)
أتى كتابك والأنفاس خافتة والجسم مستسلم ، والسقم قاهره

(١) وشك الحمام : قرب الموت .

(٢) وائب الدهر : قارعه وسابقه .

(٣) أمحضه : أصفه .

والوجد باطنه ، والصبر ظاهره
 وشدة صدعاً وكسراً أنت جابره^(١)
 وأحسن الروض ما دامت زواهره
 هو الفخور وما خلق يفآخره^(٢)
 أم من يساجله ؟ أم من يكاسره ؟^(٣)
 أم من يجادله ؟ أم من يناظره ؟
 أم من يناضله ؟ أم من يساوره ؟^(٤)
 في كل معترك ؟ أم من يصابره ؟
 والسيف عزمته ، والله ناصره
 والعفو والعرف والتقوى ذخائره

والطرف منكسرٌ ، والشوق طارقه ،
 فانتاشني وأعاد الروح في بدني
 ما زلت في نزهة منه وفي زهر
 حسبي بسيّدنا فخراً أصول به
 من ذا يطاوله ؟ أم من يماجده ؟
 أم من يفآقهه ؟ أم من يشاعره ؟
 أم من يقاربه في كل مكرمة ؟
 أم من ييارزه ؟ أم من يواقفه
 الحرب نزّهته ، والبأس همته^(٥)
 والجود لذّته ، والشكر بغيته
 ومنها :

قد خانه فهمه ، بل مات خاطره
 وطول شوقٍ ونيراناً تخامره^(٦)
 فأنت بالعدل والإحسان عاذره

هذا جواب عليلٍ لا حراك به
 يشكو إليك بعباداً عنك أتلفه
 إن كان قصّر فيما قال مجتهداً
 وقال أيضاً فيه [من الكامل] :

آليت إنّي ما بقيت رهين شكر الحارث^(٧)
 فإذا المنيّة شارفت ورئت ذلك وارثي^(٨)

-
- (١) انتاشني : نال منّي ، أو أعاد إليّ الروح ، والصدع : الكسر ، وجبر العظم : أصلحه وقوّاه .
 (٢) يطاوله : أي يقاربه رفعةً وعلاءً ، المساجلة : المباراة والمفاخرة في الماجد والمآثر .
 (٣) يساوره : يواثبه ، والمراد المحاربة .
 (٤) تخامره : تدخله وتخالطه .
 (٥) آليت : حلفت وأقسمت .
 (٦) المنيّة : الموت ، وشارفت : دنت وقربت .

رَقِي له من بعد سَيِّدنا وليس لثالث
قسماً على صدق الضمير ولست فيه بحاث^(١)

* * *

٦ - أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة

يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقة وخفة ، ويجري مع الماء لطافة
وسلاسة ، كقوله [من السريع] :

من سرُّ العيد فما سرِّي بل زاد همِّي وأشجاني^(٢)
لأنه ذكرني ما مضى من عهد أحبابي وإخواني

ونظيرهما لغيره [من الكامل] :

من سرُّ العيد الجديد د فما لقيت به سرورا
كان السرور يتمُّ لي لو كان أحبابي حضورا

ولأبي الفرج ، ويروى للقاضي أبي النعمان البصري [من المنسرح] :

نوح حمام يشربُ غرد هيج شوقي وزاد في كمدي
واكبدي من عذابكم ! وكذا من ذاق ما ذقت صاح واكبدي !
فارقت إلفي فصار في بلد بالرغم منِّي ، وصرت في بلد

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني القاضي أبو الفرج

بيروت لنفسه [من الكامل] :

مولاي ما لي منك بختٌ قد ذبت من كمدي ومت^(٣)

(١) الحاث : الذي لا يفي بقسمه .

(٢) أشجاني : أحزنني .

(٣) البخت : الحظ ، والكمد : الحزن والغم .

تصفو بك الدنيا ولا يصفو لعبدك منك وقتُ
 مولاي ما ذنبي إليك ؟ فلو عرفت الذنب تبت
 لا أنني أنسيتم أو أنني للعهد خنت
 إن كان ذاك فلا بقيت ، وإن بقيت فلا سلمت

* * *

٧ - أبو محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض

كاتب سيف الدولة ونديمه ، معروف ببعد المدى في مضمار الأدب وحلبة
 الكتابة ، أخذ بطرفي النظم والنثر ، وكان سيف الدولة لا يؤثر عليه في السفارة إلى
 الحضرة أحداً لحسن عبارته وقوة بيانه ، ونفاذه في استغراق الأغراض ، وتحصيل
 المراد ، وقد ذكره أبو إسحاق الصابي في الكتاب « التاجي » ومدحه السري
 بقصائد منها قوله من قصيدة [من الوافر] :

محنت رسم الكرى عن مقلتيه	رواسمٌ لا تملُّ من الرسم ^(١)
تروم وقد فرعن بنا فروعاً	من الفيّاض طيئة الأروم ^(٢)
إذا طافت بعبد الله لاقت	سمات المجد في الوجه الوسيم
لك القلم الذي يضحي ويمسي	به الإقليم محمّي الحريم ^(٣)
هو الصلُّ الذي لو عضَّ صلاً	لأسلمه إلى ليل السليم
أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادت	حكمن بعجز لقمان الحكيم
ملكك خطامها فعلوت قساً	برونقها وقيس بن الخطيم ^(٤)

(١) الرواسم : الإبل ، والرسم : ضرب من السير .

(٢) الأروم : الأصول والمحتد .

(٣) الصلُّ : الأفعى ، والسليم : اللديغ أطلق عليه ذلك تمثيلاً له السلامة .

(٤) الخطام : العنان والزمام ، وقساً : هو قسّ بن ساعدة الأيادي .

نجومٌ لا تعوز فمّن درارٍ يسار بضوئهن ومن رجوم^(١)
كحلي الخود مؤتلفُ النّواحي ووشي الرّوض مختلف الرقوم^(٢)

وكان يعجن مداده بالمسك ، ولا تلاق دواته إلا بماء الورد ، تفادياً من قول
القائل [من الوافر] :

دعيّ في الكتابة لا رويّ له فيها يُعدّ ولا بديّه
كأنّ دواته من ريق فيه تلاقُ فريحها أبداً كريحه^(٣)

وإثارة لما قال الآخر [من الرجز] :

في كفّه مثل سنان الصعده أرقش بزّ الأفعوان جلده^(٤)
كأنما النقش إذا استمده غالية مدوفة بندّه^(٥)

ومن ملح شعره قوله ، ولم أسمع في معناه أحسن منه [من البسيط] :

قمّ فاسقني بين خفق الناي والعود ولا تبع طيّب موجود بمفقود
كأساً إذا أبصرت في القوم محتشماً قال السرور له قم غير مطرود
نحن الشهود وخفق العود خاطبنا نزوج ابن سحاب بنت عنقود^(٦)
وأنشدني أبو علي محمد عمر الزاهر ، قال : أنشدني ابن الفياض لنفسه بحلب في

(١) رجوم : شهب تتطاير .

(٢) الخود : المرأة الناعمة ، والرقم : جمع رقم ، أراد به سطور الأزهار .

(٣) تلاق : تملأ .

(٤) الصعده : القناة المستوية ، وأراد قلمه والأرقش : من الحيات : المنقط ، والأفعوان : ذكر الحيات
وبزّ : غلب وقهر ، يريد أنه اعتصب جلداً لأفعوان ولبسه ، والمقصد تشبيه قلمه بالأفعى .

(٥) الغالية : ضرب من الطيب ، وكذا الندّ ، ومدوفة : مخلوطة وممزوجة .

(٦) أي نخلط الماء بالخمر .

غلام له أثير لديه استوحش منه لميله إلى غلام آخر يقال له إقبال [من الكامل] :

أنكرت إقبالي على إقبال وخشيت أن تتساويا في الحال
هيهات ! لا تجزع فكلُّ طريفة ربحٌ يهون وأنت رأس المال

قال : وأنشدني لنفسه في ذلك الغلام [من الكامل] :

الآن تهجرني وأنت المذنبُ وظننت أنك عاتبٌ لا تعتبُ
وأمنت من قلبي التقلب واثقاً بوفائه لك ، والقلوب تقلبُ^(١)

وقال [من الوافر] :

وما بقيت من اللذات إلا محادثة الكرام على الشراب
ولثمك وجنتي قمرٍ منيرٍ يجول بخده ماء الشباب

٨ - أبو القاسم الشيطمي

قال يصف نمرقة^(٢) رآها بجانب سيف الدولة [من مجزوء الرجز] :

نمرقةٌ منها استعا ر الرّوض أصناف المُلح
فيها لمن يبصر من ريش الطواويس ملح
كأنما دارت على سائها قوس قزح

* * *

٩ - أبو ذر أستاذ سيف الدولة

قال [من الكامل] :

نفسى الفداء لمن عصيت عواذلي في حبه لم أخش من رقبائه

(١) التقلب : التحوّل والتغيّر .

(٢) النمرقة : الصغيرة من الوسائد .

الشمس تطلع في أسرة وجهه والبدر يطلع من خلال قبائه^(١)
وله أيضاً [من مخلع البسيط] :

مروّع منك كلّ يوم محتملّ فيك كلّ لوم
إن كنت أنكرت ملك رقي غصباً صراحاً بغير سوم^(٢)
فقلّ لجنبيّ : أين قلبي ؟ وقلّ لعينيّ : أين نومي ؟

* * *

١٠ - أبو الفتح البكتري

يعرف بابن الكاتب الشامي ، له شعر يتغنى بأكثره ملاحه ولطافة ، أنشدني
أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني ابن الكاتب لنفسه بالشام [من الرجز] :
وروضة راضية عن الدائم وطأتها بناظري دون القدم
وصنتها صوني بالشكر النعم
قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

قالوا : بكيت دماً؟ فقللت : مسحت من خدي خلوقاً^(٣)
أبصرت لؤلؤ ثغره فثرت من جفني عقيقاً
لولا التمسك بالهوى لحملت في دمعي غريقاً
وأنشدني غيره له [من الكامل] :

قمر كأنّ قوامه من قد غصن مسترق

(١) القباء : الثوب الذي يعتمره فوق ثيابه .

(٢) السوم : المبايعه والمفاصلة عند الشراء

(٣) الخلق : الطيب .

وكأثما اصطبح الربيع بوجنتيه واغتبِقُ^(١)
وكأثما قلم الزمرّ د فوق عارضه مشقاً^(٢)

وله من أبيات [من المتقارب] :

سقاني بعينه كأس الهوى وثنى وثلث بالحاجب
كانّ العذار على خدّه فذلك من مشقة الكاتب

ووجدت على ظهر دفتر عراقي الخط هذين البيتين منسوبين إليه [من الكامل] :

ردّوا الهدوء كما عهدت إلى الحشا والمقلتين إلى الكرى ثم اهجروا
من بعد ملكي رمتم أن تغدروا ما بعد فرقة بيعين تخير^(٣)

وله زعم في الميضأة [من السريع] :

أحقّ بيت من بيوت الورى بصونه قدماً وإشاره
بيت إذا [ما] زاره زائر فقد قضى أعظم أوطاره^(٤)
يدخله المولى بخزّ كما يدخله العبد بأطماره^(٥)
وهو إذا ما كان مستظفاً مروءة الإنسان في داره

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني بعضهم لنفسه في أبي الفتح

ابن الكاتب ، ولم ينصف فضله [من السريع] :

إن أبا الفتح فتى كاتبٌ والشعر من آتته فضلُ

(١) اصطبح واغتبِق : أي شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

(٢) العارض : صفحة الخدّ ، ومشق : مدّ وأطال حرومه .

(٣) أخذ معناه من الحديث « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا » .

(٤) أوطاره : حاجاته وغاياته .

(٥) الخزّ : ضربٌ فاخر من الحرير ، والأطمار : الثياب البالية .

أنشدنا شعراً فقلنا له : ذا غزلٌ ويحك أم غزلٌ ؟
وملت عنه نحو أصحابنا أسألهم : هل عندكم نعل ؟!

* * *

١١ - أبو الفرج العجلي الكاتب

أنشدني أبو بكر الخوارزمي له أبياتاً تعجب من سلاستها وسهولة مأخذها |
وعذوبة ألفاظها ، وذكر أنه من أفراد مطبوعي تلك البلاد ، فمنها قوله [من
المتقارب] :

أقول له يا مُذِيقِي الهوى ولم أكُ فيما مضى ذقتهُ
سألتك بالله لا تدني إلى أجلٍ ما دنا وقته
ملكْت فؤادي فعذبته ولو أنه في يدي صنته

ومنها قوله [من الكامل] :

أرسلت نظرة وامقٍ لك خائفٍ من عينٍ وافرٍ لحظه ما يفترُ^(١)
وجعلت أوهم أن قلبي مضمّرٌ شيئاً سوى نظري ، وأنت المضمّر

ومنها قوله [من الخفيف] :

وأريه أنني سلوت ، وإني لمشوقٌ والله صبٌّ إليه
وهواه يدبُّ في كلِّ قلبٍ كدبيب السواد في عارضيه^(٢)

ومنها قوله وأنشدني غيره [من الوافر] :

عذارٌ كالطراز على الطراز وبدراً في الحقيقة لا المجاز

(١) الواق : المحب العاشق ، يفتر : يضعف وينكسر .

(٢) يدبُّ : يتمشَّى .

ولو جاز السجود له سجدنا ولكن ليس ذاك بمستجاز

* * *

١٢ - أبو عبد الله الحسين بن خالويه*^(١)

أصله من همذان ، ولكن استوطن حلب ، وصار بها أحد أفراد الدهر في كل قسم من أقسام الأدب والعلم ، وكانت إليه الرحلة من الآفاق ، وآل حمدان يكرمونه ، ويدرسون عليه ، ويقتبسون منه ، وله شعر لم يحضرني منه الآن إلا قوله في وصف بردَ همذان [من الطويل] :

إذا همذان اعتارها القرُ وانقضى	برغمك أيلولُ وأنت مقيمٌ ^(٢)
فعينك عمشاءً وأنفك سائلٌ	ووجهك مسودَّ البياض بهيم
وأنت أسيرُ البرد تمشي بعلّةٍ	على السيِّف تحبو مرةً وتقوم
بلادٌ إذا ما الصيف أقبل جنةً	ولكنّها عند الشتاء جحيم

ولبعضهم في برد همذان [من الكامل] :

همذان متلفة النفوس ببردها	والزمهرير ، وحرّها مأمونٌ
غلب الشتاء مصيفها وخريفها	فكأنّما تموزها كانون

ولأبي علي كاتب بكر [من السريع] :

يا بلدةً أسلمني بردها	وبرد من يسكنها للقلق
لا يسلم الشاتي به من أذى	من لثقٍ أو دمعٍ أو زلقٍ ^(٣)

(١) إقرأ ترجمة ابن خالويه في ابن خلكان (١ / ٢٨١ النيل) .

(٢) اعتارها : حلّها ، والقرُ : البرد القارص .

(٣) اللثق : الوحل ، والدّمق : الريح التي يرافقها بردٌ ، والزلق : السقوط وزلّة القدم .

ولأبي الربيع البلخي في الشاش^(١) [من المجتث] :

الشاش في الصيف جَنَّةٌ ومن أذى الحر جَنَّةٌ^(٢)
لكنني تعتريني بها لدى البرد جَنَّةٌ^(٣)

وفي مثل هذه الصنعة ، وإن كان في غير المعنى ، لغيره [من المجتث] :

يا شادناً متُّ قَبْلَهُ قد صار في الحسن قَبْلَهُ
امننَّ عليَّ بقبلة تشفي فؤاداً موله^(٤)

ولابن خالويه أيضاً [من الطويل] :

إذا لم يكن صدر المجالس سيِّداً فلا خير فيمن صدرته المجالسُ
وكم قائلٍ : مالي رأيتك راجلاً ؟ فقلت له : من أجل أنك فارس !

* * *

١٣ - أبو الفتح عثمان بن جني النحوي اللغوي*^(٥)

هو القطب في لسان العرب ، وإليه انتهت الرياسة في الأدب ، وصحب أبا الطيب دهرًا طويلاً ، وشرح شعره ، ونبه على معانيه وإعراجه ، وكان الشعر أقلَّ خلاله لعظم قدره ، وارتفاع حاله . فمن ذلك قوله في الغزل [من مجزوء الوافر] :

غزالٌ غير وحشيٍّ حكى الوحشيُّ مقتلَهُ
رآه الورد يجني الور د فاستكساه حلَّتُهُ

(١) الشاش : بلدة مما وراء النهر ينسب إليها كثير من العلماء .

(٢) جملة الأولى بفتح الجيم : البستان ، والثانية بضم الجيم : بمعنى الوقاية .

(٣) جَنَّةٌ : بكسر الجيم : تعني الجنون .

(٤) امنن : تكرم وتمنن ، والواله : العاشق المكدذب .

(٥) إقرأ ترجمة أبي الفتح في وفيات الأعيان لابن خلكان (١ / ٥٦١ النيل) .

وشمّ بأنفه الريحا ن فاستهداه زهرته
وذاقت ريقه الصهبا ء فاختلسته نكهته^(١)

وله [من الطويل] :

أيا دارهم ما أنت أنت مذ انتوا ولا أنا مذ سار الركاب أنا أنا^(٢)
وجود المنى أن لا يكائر بالمنى ونيل الغنى أن لا يكائر بالغنى
ومن كان في الدنيا أشدّ تصوّراً تجده عن الدنيا أشدّ تصوّناً

* * *

١٤ - الشمشاطي

هو أبو الفتح الحسن بن علي بن محمد ، لم يقع إلى من شعره إلا قوله في البنفسج
[من الكامل] :

إشربْ على زهر البنفس ج قبل تأنيب الحسود
فكأنما أوراقه آثار قرصٍ في الخدودِ

وقوله في الجلنار [من الخفيف] :

وبدا الجلنار مثل خدودِ قد كساها الحياءُ ثوبَ عقارِ
صبغة الله كالعقيق تراه أحمرّاً ناصعاً لدى الاخضرارِ

* * *

وممن يليق ذكره بهذا المكان من اعيان الشام ، وليس يحضرني شعر أبو
القاسم الأدمي ، وإذا حصلت عليه الحقته به ، وهذا آخر الباب الرابع .

* * *

(١) اختلسته : أي سرت منه ، والنكهة : المذاق .

(٢) انتوا : أي ابتعدوا وفارقوا .

الباب الخامس

١٥ - في ذكر أبي الطيب المتنبي ، وما له وما عليه *

هو - وإن كان كوفي المولد - شامي المنشأ ، وبها تخرج ، ومنها خرج .
نادرة الفلك ، وواسطة عقد الدهر في صناعة الشعر ، ثم هو شاعر سيف
الدولة المنسوب إليه ، المشهور به ، إذ هو الذي جذب بضبعه^(١) ، ورفع من
قدره ، ونفق شعر شعره ، وألقى عليه شعاع سعادته ، حتى سار ذكره مسير الشمس
والقمر ، وسافر كلامه في البدو والحضر ، وكادت الليالي تنشده ، والأيام
تحفظه ، كما قال وأحسن ما شاء [من الطويل] :

وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمراً وغنى به من لا يغنى مغرداً^(٢)
وكما قال [من المتقارب] :

ولي فيك ما لم يقل قائل وما لم يسر قمر حيث سارا
وعندي لك الشرد السائرا ت لا يختصن من الأرض دارا
إذا سرن من مقول مرة وثبن الجبال وخضن البحارا

(١) اقرأ ترجمة أبي الطيب في وفيات الأعيان (١ / ٦٢ / النيل) .

(٢) جذب ضبعه : كناية عن أنه رفعه وأعلى قدره .

(٣) مشمراً : جاداً .

هذا من أحسن ما قيل في وصف الشعر السائر ، وأبلغ منه قول علي بن الجهم حيث قال [من الطويل] :

ولكنّ إحسان الخليفة جعفرٍ دعاني إلى ما قلت فيه من الشعر
فسار مسير الشمس في كلّ بلدٍ وهبّ هبوب الريح في البرّ والبحر
فليس اليوم مجالس الدرس ، أعمر بشعر أبي الطيب من مجالس الأنس ولا
أقلام كتاب الرسائل ، أجرى به من ألسن الخطباء في المحافل ، ولا لحون
المغنين والقوالين ، أشغل به من كتب المؤلفين والمصنفين . وقد ألقت الكتب في
تفسيره ، وحل مشكله وعويصه ، وكثرت الدفاتر على ذكر جيده ورديته ، وتكلم
الأفاضل في الوساطة بينه وبين خصومه ، والإفصاح عن أبحار كلامه وعونه^(١) .
وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والنضح^(٢) عنه ، والتعصب له وعليه . وذلك أول
دليل دل على وفور فضله ، وتقديم قدمه ، وتفردة عن أهل زمانه ، بملك رقاب
القوافي ، ورق المعاني ، فالكامل من عدت سقطاته ، والسعيد من حسبت
هفواته « وما زالت الأملاك تهجي وتمدح » .

وأنا مورد في هذا الباب ذكر محاسنه ومقابحه ، وما يرتضى وما يستهجن من
مذاهبه في الشعر وطرائقه ، وتفصيل الكلام في نقد شعره ، والتنبيه على عيونه
وعيوبه ، والإشارة إلى غرره وعرره^(٣) ، وترتيب المختار من قلائده وبدائعه ، بعد
الأخذ بطرف من طرق أخباره ومتصرفات أحواله ، وما تكثر فوائده وتحلو ثمرته ،
ويتميز هذا الباب به عن سائر أبواب الكتاب كتمييزه عن أصحابها بعلو الشأن في
شعر الزمان ، والقبول التام عند أكثر الخاص والعام .

(١) العون : بضمّ العين ، جمع عوان وهي النصف من النساء .

(٢) النضح عنه : أراد الدقّاع عنه .

(٣) الغرر : البدائع ، والعرر : الساقط من شعره .

ذكر ابتداء أمره

ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلى بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلى حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه في المكاتب ، ويردده في القبائل ، ومخايله نواطق الحسنى عنه . وضوامن النجاح فيه ، حتى توفي أبوه وقد ترعرع أبو الطيب وشعر وبرع ، وبلغ من كبر نفسه وبعد همته أن دعا إلى بيعته قوماً من رائشي نبله^(١) ، على الحدائث من سنه والغضاضة من عوده . وحين كاد يتم له أمر دعوته تأدى خبره إلى والي البلدة ، ورفع إليه ما هم به من الخروج ، فأمر بحبسه وتقييده ، وهو القائل في الحبس قصيدته التي أولها [من المتقارب] :

أيا خدّد الله ورد الخدود وقدّ قدود الحسان القدود

ومنها استعطافه ذلك الأمير والتنصل مما قذف به :

أمالك رقيّ ، ومن شأنه هبات اللجين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا ء والموت منّي كجبل الوريد
دعوتك لما يراني البلى وأوهن رجلي ثقل الحديد

ومنها :

وقد كان مشيهماً في النعال فقد صار مشيهماً في القيود^(٢)
وكنت من الناس في محفل فها أنا في محفل من قروود
تعجّل فيّ وجوب الحدود وحديّ قبل وجوب السجود !^(٣)

(١) رائشي نبله : كناية عمّن يقوى بهم ساعده تقول راش التبل يرشه : إذا لرق فيه الريش لبقوى .

(٢) المشيهم : من الشيهم ، وهو ما عظم شوكة من ذكور القناقد .

(٣) الحدود : تنفيذ أوامر الشريعة في المخالفين لها .

أي : إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب عليّ الصلاة بعد ،
ويجوز أن يكون قد صغّر سنه وأمر نفسه عند الوالي ، لأن من كان صبيّاً لم يظن به
اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف .

ومن شعره في الحبس ما كتب به إلى صديق له قد كان أنفذ إليه مبرّة [من
المنسرح] :

أهون بطول الثواء والتلفِ والسجن والقيد ، يا أبا دلفِ
غير اختيارٍ قبلت برّك بي والجوع يرضي الأسود بالجيف
يشبه قول أبي عيينة [من مخلع البسيط] :

ما أنت إلا كلحم ميتٍ دعا لي إلى أكله اضطرارُ
(رجع) :

كن أيّها السجن كيف شئت فقدُ وطّنت للموت نفسَ معترِفِ
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدرُّ ساكن الصدفِ
ويحكى أنه تنبأ في صباه ، وفتن شزيمة بقوة أدبه ، وحسن كلامه ، وحكى أبو
الفتح عثمان بن جني قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقبت بالمتنبي لقولي
[من الخفيف] :

أنا ترب الندى وربّ القوافي وسمام العدا وغيظُ الحسودِ
أنا في أمةٍ تداركها الدُّ ه غريبٌ كصالحٍ في ثمودِ
وفي هذه القصيدة يقول :

ما مقامي بأرض نخلة إلّا كمقام المسيح بين اليهود
وما زال في برد صباه إلى أن أخلق برد شبابه ، وتضاعفت عقود عمره ، يدور
حب الولاية والرياسة في رأسه ، ويظهر ما يضمّر من كامن وسواسه ، في الخروج

على السلطان ، والاستظهار بالشجعان ، والاستيلاء على بعض الأطراف ،
ويستكثر من التصريح بذلك في مثل قوله [من البسيط] :

لقد تصبّرت حتى لات مصطبر
لأتركن وجوه الخيل ساهمة
[والطعن يحرقها والزجر يقلقها
قد كلّمها العوالي فهي كالحة
بكل منصلت ما زال منتظري
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة
وقوله [من الطويل] :

سأطلب حقّي بالقنا ومشايخ
ثقال إذا لاقوا ، خفاف إذا دعوا
وطعن كأن الطعن لا طعن بعده
إذا شئت حفت بي على كل سابح
وقوله [من الطويل] :

ولا تحسبنّ المجد زقاً وقينة
وتضريب أعناق الملوك وأن ترى
فما المجد إلا السيّف والفتكة البكر
لك الهبوات السود والعسكر المجر

(١) لات : بمعنى النهاية أي تصبر حتى آخر الاصطبار .

(٢) ساهمة : ضامرة ضعيفه .

(٣) اللمم : ضرب من الجنون .

(٤) الصّاب : شجر مرّ ، وعصارتة شديدة المرارة مذكور : نابت وطالع .

(٥) أدلت له : غلبته وأظفرتة .

(٦) السابح : الحصان .

(٧) الهبو : الغبار يرتفع في الجو .

وتركك في الدنيا دويًّا كأنما تداول سمع المرء أنمله العشر^(١)
وقوله [من البسيط] :

وإن عمرت جعلت الحرب والدَّةً والسمهريُّ أخاً ، والمشرفيُّ أبا
بكلِّ أشعث يلقى الموت مبتسماً حتَّى كأنَّ له في قتله أربا
قحُّ يكاد صهيل الخيل يقذفه من سرجه مزحاً للعزِّ أو طرباً^(٢)
الموت أعذر لي ، والصبر أجمل بي ، والبرُّ أوسع ، والدنيا لمن غلبا

وكان كثيراً ما يتجشم أسفاراً بعيدة أبعد من آماله ، ويمشي في مناكب
الأرض ، ويطوي المناهل والمراحل ، ولا زاد إلا من ضرب الحراب ، على
صفحة المحراب^(٣) . ولا مطية إلا الخف أو النعل ، كما قال [من المنسرح] :

لا ناقتي تقبل الرديف ولا بالسَّوط يوم الرهان أجهدُها
شراكها كورها ، ومشفرها زمامها ، والشسوع مقودها^(٤)

وإنما ألم في هذا المعنى بأبي نواس في قوله [من الطويل] :

إليك أبا العباس من بين من مشى عليها امتطينا الحضرميَّ الملسنا^(٥)
قلائص لم تعرف حنيئاً على طلا ولم تدرِ ما قرع الفنيق ولا الهنا^(٦)

(١) تداول سمع المرء : أي جعل الإنسان أصابعه في أذنيه .

(٢) قحُّ : خالص النسب ، جمعه أقحاح يقال : عربٌ أقحاح .

(٣) أراد بالمحراب هنا العنق ، يريد أنه ينهب الناس بعد ما يقتلهم .

(٤) الشسوع : جبل من جلد .

(٥) الحضرميَّ الملسنا : أراد النعل الذي يلبسه في رجله .

(٦) القلائص : النوق ، والطلا : الصغير من ولد الإبل والفنيق : الفحل من فحولة الأبل ؛ الهنا : طلي

الإبل ، الجريى بالقطران .

وكما قال في شكوى الدهر ووصف الخف [من الكامل] :

أظمتني الدنيا فلما جئتها مستسقياً مطرت عليّ مصائباً^(١)
وحُبَّت من خوص الركاب بأسود من دارشٍ فغدوت أمشي راكباً^(٢)

وكما قال في الاعتداد بالرحلة ، والقدرة على الرحلة [من المنسرح] :

ومهمه جبهه على قدمي تعجز عنه العرامس الذللُ^(٣)
[بصارمي مرتدٍ ، بمخبرتي مجتزىءٌ ، بالظلام معتمِلٌ]
إذا صديقٌ نكرت جانبه لم تعيني في فراقه الحيلُ
في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلاد من أختها بدلُ

وشتان ما بين حاله هذه والحال التي قال فيها [من البسيط] :

وعرفاهمُ بأنّي من مكارمه أقلب الطرف بين الخيل والخول^(٤)

وكان قبل اتصاله بسيف الدولة يمدح القريب والغريب ، ويصطاد ما بين
الكركي والعندليب .

ويحكى أن علي بن منصور الحاجب لم يعطه على قصيدته فيه التي أولها

[من الكامل] :

بأبي الشموس الجانحات غواربا [اللباسات من الحرير جلابيا]

(١) أظمتني : أصلها أظمتني بالهمز - فسهل الهمة فصارت الفاء ، ثم حذفها كما تحذف الألف الأصلية .

(٢) حُبَّت : أعطيت ، والخوص : ورق النخل .

(٣) العرامس : التوق الشديدة ، والذللُ : جمع ذلول وهو سهولة القيادة .

(٤) الخول : العبيد .

ومنها :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلي منها تائباً
إلا ديناراً واحداً ، فسميت الدينارية .

ولما انخرط في سلك سيف الدولة ، ودرت له أخلاف الدنيا على يده ، كان
من قوله فيه [من الطويل] :

تركت السرى خلفي لمن قلّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجداً^(١)
وقيدت نفسي في هواك محبةً ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً
وهذا البيت من قلائده ، وإنما ألم فيه بقول أبي تمام [من الكامل] :

هممي معلقةً عليك رقابها مغلولّةً ، إنّ الوفاء إسارُ
ولكنه أخذ عباءة وردّها ديباجاً ، وأرسلها مثلاً سائراً ، وكرر هذا المعنى
فزاد فيه حتى كاد يفسده في قوله [من الكامل] :

يا من يقتل من أراد بسيفه أصبحت من قتلاك بالإحسان

* * *

نبذ من أخباره

لما أنشد سيف الدولة قصيدته التي أولها [من البسيط] :
أجاب دمعي وما الداعي سوى طللٍ دعا فلبّاه ، قبل الركب والإبل
وناوله نسختها وخرج فنظر فيها سيف الدولة ، فلما انتهى إلى قوله :
يا أيّها المحسن المشكور من جهتي والشكر من جهة الإحسان ، لا قبلي

(١) السرى : المسير ليلاً ، والمسجد الذهب .

[ما كان نوميَ إلاّ فوق معرفتي بأنّ رأيك لا يؤتسى من الزّكل]
أقلّ أنلّ أقطعَ حملَ علّ سلّ أعد زدّ هشّ بشّ تفضّل أدنّ سرّ صلّ

وقع تحت أقلّ : قد أقلنّاك ، وتحت أنلّ : يحمل إليه من الدراهم كذا ،
وتحت أقطع : قد أقطعناك الضيعة الفلانية ضيعة ببلاد حلب ، وتحت حمل :
يقاد إليه الفرس الفلاني ، وتحت علّ : قد فعلنا ، وتحت سلّ : قد فعلنا فاسلّ ،
وتحت أعدّ : أعدناك إلى حالك من حسن رأينا ، وتحت زدّ : يزداد كذا ، وتحت
تفضلّ : قد فعلنا ، وتحت أدنّ : قد أدنينّاك ، وتحت سرّ : قد سررنّاك . وتحت
صلّ : قد فعلنا .

قال ابن جني : فبلغني عن المتنبي أنه قال : إنما أردت سر من السرية ،
فأمر له بجارية .

قال : وحكى لي بعض إخواننا أن المعقلي - وهو شيخ كان بحضرته
ظريف - قال له - وحسد المتنبي على ما أمر به - : يا مولاي قد فعلت به كل شيء
سألكه ، فهلا قلت له لما قال لك هشّ بشّ : هه هه هه ، يحكي الضحك ،
فضحك سيف الدولة ، فقال له : ولك أيضاً ما تحب ، وأمر له بصلة .

وذكر القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » أن أبا
الطيب نسج على منوال ديك الجن فقال [من الخفيف] :

احل وامررّ وضر وانفعّ ولنّ واخـ شنّ ورشّ وابرّ وانتدبّ للمعالي

وحكى ابن جني قال : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الصنوبري ،
قال : خرجت من حلب أريد سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس
مثلم قد أهوى نحوي برمح طويل ، وسدده الى صدري ، فكدت أطرح نفسي عن

الدابة فرقاً ، فلما قرب مني ثنى السنان وحسر لثامه^(١) فإذا المتنبي ، وأنشدني [من الطويل] :

نثرنا رءوساً بالأحيدب منهم كما نثرت فوق العروس الدراهم
ثم قال : كيف ترى هذا القول ؟ أحسن هو ؟ فقلت له : ويحك ! قد
قتلني يا رجل ، قال ابن جني : فحكيت أنا هذه الحكاية بمدينة السلام لأبي
الطيب ، فعرفها وضحك لها ، وذكر أبا علي من التقريظ والثناء بما يقال في مثله .
قال : وأنشدت أبا علي ليلاً قصيدة أبي الطيب التي أولها [من البسيط] :

* واحرّ قلباه ممّن قلبه شبم^(٢) *

فلما وصلت إلى قوله فيها :

وشرّ ما قنصته راحتني قنصٌ شهب البزاة سواء فيه والرّخم^(٣)
أعجب جداً به ، ولم يزل يستعيده ، حتى حفظه ، ومعناه : إذا تساويت
ومن لا قدر له في أخذ عطاياك فأبي فضل لي عليه ؟ وما كان من الفائدة كذا لم أفرح
به ، وإنما أفرح بأخذ ما تختص به الأفاضل .

قال : وحدثني المتنبي قال : حدثني فلان الهاشمي من أهل حران بمصر ،
قال : أحدثك بطريفة ، كتبت إلى امرأتي وهي بحران كتاباً تمثلت فيه ببيتك [من
البسيط] :

بم التعلّل لا أهلٌ ولا وطنٌ ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنٌ؟

(١) حسر لثامه : أزاله عن وجهه فأنكشف وطهر .

(٢) الشبم : البارد ، لأنّ قلبه لم يداخله الحب حتى يحترق بناره .

(٣) الرّخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

فأجابتنى عن الكتاب ، وقالت : ما أنت والله كما ذكرته في هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر في هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلي وحشةً لكمُ ثم استمرّ مريري وارعوى الوسن^(١)
قال : ولما سمع سيف الدولة البيت الذي يتلوه وهو قوله :

وإنّ بليت بوذّ مثل ودكمُ فإنّني بفراقٍ مثله قمن^(٢)

قال : سار وحق أبي .

قال : ولما سمع قوله لفنا خسرو [من المنسرح] :

وقد رأيت الملوك قاطبةً وسرت حتى رأيت مولاها

قال : ترى هل نحن في الجملة ؟

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : كان أبو الطيب المتنبي قاعداً تحت قول الشاعر [من الطويل] :

وإنّ أحقّ الناس باللوم شاعرٌ يلوم على البخل الرجال ويبخلُ
وإنما أعرب عن عادته وطريقته في قوله [من الطويل] :

بليت بلى الأطلال إن لم أقفُ بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

فحضرت عنده يوماً بخلب وقد أحضر مالا من صلات سيف الدولة ، فصب بين يديه على حصير قد افترشه ، ووزن وأعيد في كيس ، وإذا بقطعة كأصغر ما يكون من ذلك المال قد تخللت خلل الحصير ، فأكب عليها بمجامعه ينقرها ويعالج استنقاذاً منه ، ويشغل بذلك عن جلسائه حتى توصل إلى إظهار

(١) استمرّ مريري : قوي بعد ضعف والمرير : العزيمة وارعوى : تراجع ، والوسن : النعاس .

(٢) القمن : الجدير .

بعضها ، فتمثل بيت قيس بن الخطيم [من الطويل] :

تبدّت لنا كالشمس بين غمامةٍ بدا حاجبٌ منها وضئت بحاجبٍ^(١)
ثم استخرجها ، وأمر بإعادتها إلى مكانها من الكيس ، وقال : إنها تحضر
المائدة .

وسمعه يقول : لما أنشد المتنبي عضد الدولة قصيدته فيه التي أولها [من
الوافر] :

* مغاني الشعب طيباً في المغاني *

وانتهى إلى قوله فيها .

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائراً تفرُّ من البنان

قال له عضد الدولة : لأقرنها في يدك ، ثم فعل .

قال : ولما قدم أبو الطيب من مصر بغداد ، وترفع عن مدح المهلبى
الوزير ، ذهاباً بنفسه عن مدح غير الملوك ، شق ذلك على المهلبى ، فأغرى به
شعراء بغداد ، حتى نالوا من عرضه ، وتباروا في هجائه ، وفيهم ابن الحجاج وابن
سكرة [محمد بن عبد الله الزاهد] الهاشمي ، والحاتمي ، وأسمعوه ما يكره ،
وتماجنوا به ، وتنادروا عليه ، فلم يجبه ولم يفكر فيهم ، وقيل له في ذلك ،
فقال : إني فرغت من إجابتهم بقولي لمن هم أرفع طبقة منهم في الشعراء [من
الوافر] :

أرى المتشاعرين غروا بذيّ ومن ذا يحمل الداء العضالاً^(٢)
ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ يجد مرّاً به الماء الزلالاً

(١) تبدّت : ظهرت .

(٢) غروا : أولعوا .

وقولي [من الطويل] :

أفي كل يومٍ تحت ضنبي شويعرُ
لساني بنطقي صامتٌ عنه عادلُ
وأتعِب من ناداك من لا تجيبه
وما التيه طيّي فيهمُ غير أني
ضعيفٌ يقاويني قصيرٌ يطاولُ^(١)
وقلبي بصمتي ضاحكٌ منه هازلُ
وأغيظ من عاداك من لا تشاكلُ
بغيضٌ إليّ الجاهل المتعاقِلُ^(٢)

وقولي [من الكامل] :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأنّي فاضل
قال : وبلغ أبا الحسين بن لنكك بالبصرة ما جرى على المتنبي من وقعة
شعراء بغداد فيه ، واستحقارهم له ، وكان حاسداً له ، طاعناً عليه ، هاجياً إياه ،
زاعماً أن أباه كان سقاء بالكوفة فشمت به وقال [من البسيط] :

قولاً لأهل زمانٍ لا خلاق لهم
أعطيتم المتنبي فوق منيته
لكنّ بغداد جاد الغيث ساكنها
قال : ومن قوله فيه [من الخفيف] :

متنبّيكمُ ابن سقاء كوفاً
كان من فيه يسلح الشعر حتى
ومن قوله أيضاً فيه [من المجثث] :

ما أوقع المتنبي فيما حكى وادّعاءً

(١) الضمين : بكسر الضاد وسكون الباء ، ما بين الكشح واللايط.

(٢) التيه : التكبر والعجب ، وطّي : عادتني وخلقي .

(٣) الكنيف : المرحاض .

أبيح ملاً عظيماً حتى أباح قفاه
يا سائلي عن غناه من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً فالجائليق إله

ثم إن أبا الطيب المتنبي اتخذ الليل جملاً ، وفارق بغداد متوجّهاً إلى حضرة أبي الفضل بن العميد مراغماً للمهلي الوزير ، فورد أرجان ، وأحمد مورده ، فيحكى أن صاحب أبا القاسم طمع في زيارة المتنبي إياه بأصبهان ، وإجرائه مجرى مقصوديه من رؤساء الزمان ، وهو إذ ذاك شاب وحاله حويلة ، ولم يكن استوزر بعد ، وكتب إليه يلاطفه في استدعائه ، وتضمن له مشاطرته جميع ماله ، فلم يقم له المتنبي وزناً ، ولم يجبه عن كتابه ولا إلى مراده ، وقصد حضرة عضد الدولة بشيراز ، فأسفرت سفرته عن بلوغ الأمانة ، وورود مشرع المنية ، واتخذها صاحب غرضاً يرشقه بسهام الوقية ، ويتبع عليه سقطاته في شعره وهفواته ، وينعي عليه سيئاته ، وهو أعرف الناس بحسناته ، وأحفظهم لها ، وأكثرهم استعمالاً إياها وتمثلاً بها في محاضراته ومكاتباته ، وكان مثله معه كما قال الشاعر [من الرجز] :

شمت من يشتمني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته
فقال: لمّا وقع البزّاز في الثوب علمنا أنّه من حاجته^(١)

وكما قال الآخر [من الطويل] :

وذمّوا لنا الدنيا وهم يرضعونها ولم أر كالدُّنيا تذبّ وتقلب^(٢)

وكما قال الآخر [من البسيط] :

(١) البزّاز : بائع البز.

(٢) يرضعونها : أي يشربون لبنها ، وتحلب : يستخرج لبنها .

تُبِّست أني إذا ما غبت تشمتني قل ما بدا لك فالمحسوب مسبب

* * *

قطعة من حل صاحب وغيره نظم المتنبي واستعانتهم بالفاظه ومعانيه في الترسل

فصل له من رسالة في وصف قلعة افتتحها عضد الدولة :

وأما قلعة (كذا) فقد كانت بقية الدهر المديد ، والأمد البعيد ، تعطس
بأنف شامخ من المنعة ، وتنبو بعطف جامع على الخطبة ، وترى أن الأيام قد
صالحتها على الإغفاء من القوارع ، وعاهدتها على التسليم من الحوادث ، فلما
أتاح الله للدنيا ابن بجدها ، وأبا بأسها ونجدتها ، جهلوا بون ما بين البحور
والأنهار ، وظنوا الأقدار تأتيهم على مقدار ، فما لبثوا أن رأوا معقلهم الحصين
ومثواهم القديم ، نهزة الحوادث ، وفرصة البوائق ، ومجر العوالي ، ومجرى
السوابق .

وإنما ألم بالآفاظ بيتين لأبي الطيب أحدهما [من الكامل] :
حتى أتى الدنيا ابن بجدها فشكا إليه السهل والجبل^(١)

والآخر [من الطويل] :

تذكرت ما بين العذيب وبارق مجرّ عوالينا ومجرى السوابق^(٢)

وفصل له - لئن كان الفتح جليل الخطر ، عظيم الأثر ، فإن سعادة مولانا
لتبشر بشوافع له ، يعلم معها أن الله أسراراً في علاه لا يزال يبيدها ، ويصل أوائلها
بتواليها .

(١) ابن بجدها : أي العالم بالشيء المتقن له .

(٢) العوالي : الرماح ، والسوابق : الخيل .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما كلام العدى ضربٌ من الهديانِ
فصل - ولو كان ما أحسنه شظية في قلم كاتب لما غيرت خطه ، أوقذى في
عين نائم لما انتبه جفنه .

وهو من قول أبي الطيب [من الطويل] :

ولو قلمٌ ألقيت في شقِّ رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب
وقول نصر [من السريع] :

ضنيت حتى صرت لو زجّ بي في ناظر النائم لم ينتبه^(١)
ومنه أخذ ابن العميد قوله [من الكامل] :

فلو أنّ ما أبقيت في جسدي قذى في العين لم يمنع من الإغفاء
فصل للمصاحب في التعزية - إذا كان الشيخ القدوة في العلم وما يقتضيه ،
والأسوة في الدين وما يجب فيه ، لزم أن يتأدب في حالات الصبر والشكر بأدبه ،
ويؤخذ في ثارات الأسى والأسى بمذهبه ، فكيف لنا بتعزيته عند حادث رزيته ،
إلا إذا رويناه بعض ما أخذناه عنه ، وأعدنا إليه طائفة مما استفدناه منه .

وإنما هو حل من قول أبي الطيب [من الخفيف] :

أنت يا فوق أن يعزى عن الأحـ باب فوق الذي يعزّيك عقلا
وبالفاظك اهتدى فإذا عزّا ك قال الذي له قلت قبلا
وفصل له - وقد أثنى عليه ثناء لسان الزهر ، على راحة المطر .

(١) ضنيت : هزلت وضعفت .

وهو من قول أبي الطيب [من الكامل] :

وذكيُّ رائحة الرياض كلامها تبغي الشاء على الحيا فيفوح^(١)

والأصل فيه قول ابن الرومي [من الخفيف] :

شكرت نعمة الوليِّ على الوسميِّ ثم العهد بعد العهد^(٢)
فهي تنني على السماء ثناءً طيب النّشر شائعاً في البلاد
من نسيم كأنّ مسراه في الأر واح مسرى الأرواح في الاجساد
ومما أورده من أبيات أبي الطيب كما هي قوله في كتاب أجاب به ابن العميد
عن كتابه الصادر إليه عن شاطيء البحر في وصف مراكبه وعجائبه :

وقد علمت أن سيدنا كتب وما أخطر بفكره ، سعة صدره ، ولو فعل ذلك
لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرّض^(٣) ، وثمداً لا يكثر عن الترشّف^(٤) [من
الطويل] :

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنّي الـ جبال وبحرٍ شاهداً أنّي البحر^(٥)
وله من رسالة في التهئة بينت أولها - أهلاً بعقيلة النساء ، وكريمة الآباء ،
وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد الأطهار ، ثم يقول فيها [من الوافر] :
ولو كان النساء كمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال

(١) الحيا : المطر ، شبه رائحة أزهار الرياض بالكلام ، ثم بين أن الرياض أرادت أن تتحدّث عن
صنائع المطر فأرسلت عيبر أزهارها تتحدّث عنه .

(٢) الولي : المطر بعد المطر ، والوسمي : مطر الربيع والعهد : أوّل المطر .

(٣) الوشل : القليل من الماء ، والتبرّض : الاكتفاء والتبّلغ بالقليل ، ولا يفضل عنه : لا يزيد على
قدره .

(٤) الثمد : الماء القليل ، والترشّف : أخذ الماء جرعة بعد جرعة .

(٥) جبت : قطعت .

وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

وهما لأبي الطيب من قصيدة في مريثة والدة سيف الدولة إلا أنه يقول :

*ولو كان النساء كمن فقدنا *

وللصاحب من كتاب تعزية - وقلنا : قد أخذ الزمان من أخذ ، وترك من ترك ، فهو لا شك يعفون القمر ، وقد أسلم الشمس للطفل^(١) ولا يصل الصروف بالصروف ، ولا يجمع الكسوف إلى الخسوف ، فأبي حكم الملوك ، وقد غبنك إذ قاسمك الأخوين ، إلا أن يعود فيلحق الباقي بالفاني ، والغابر بالماضي [من البسيط] :

وعاد في طلب المتروك تاركه إنا لنفعل والأيام في الطلب
ما كان أقصر وقتاً كان بينهما كأنه الوقت بين الورد والقرب
أقول : هذا كعادة المصدور في النفث ، وشكوى الحزن والبث ، وإلا فما يعجب السفر من تقدم بعض ، وكل بين الراحلة والرحل ، لا يترك الموت ساعياً على وجه الأرض ، حتى ينقله إلى بطن التراب [من السريع] :

نحن بنو الموتى فما بالنا نعاف ما لا بدّ من شربه
تبخل أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنّ من كسبه
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الأجسام من تربه

وهذا غيظ من فيض ما اغترفه الصاحب من بحر المتنبّي ، وتمثل به من شعره . ولو ذكرت نظائره لامتد نفس هذا الباب .

وليس هو بأوحد في الاقتباس من كلامه ، هذا أبو إسحاق الصابي رسيّله في

(١) الطفل : بفتح الطاء والفاء ، الوقت عند الغروب .

ذلك وزميله ، وقد قرأت له غير فصل فيما أشرت إليه ، ونهت عليه : فمне ما كتب في تقریظ- شاب مقتبل الشیبة ، مكتهل الفضيلة ، ولقد آتاه الله في اقتبال العمر جوامع الفضل ، وسوغه في عنفوان الشباب محامد الاستكمال ، فلا تجد الكهولة خلة تلافها بتطاول المدة ، وثلمة تسدها بمزايا الحنكة .

وإنما هو حل نظم أبي الطیب ، وإن كان في معنى آخر [من المنسرح] :

لا تجد الخمر في مكرمه إذا انتشى خلة تلافها^(١)

وأخذ من قول البحري [من الطويل] :

تكرمت من قبل الكؤوس عليهم فما استطعن أن يحدثن فيك تكراً

ومنه ما كتب إلى ابن معروف تهنة بقضاء القضاة - منزلة قاضي القضاة تجل عن التهنة ، لأن ما تكتسبه الولاية بها من الصيت والذكر ، ويدرعونه فيها من الجمال والفخر ، سابق لها عنده ، وحاصل قبلها له ، وإذا مد أحدهم إليها يداً تجذبها إلى سفال ، جذبتها يده إلى المحل العالي ، فكأن أبا الطيب المتنبي عناه أو حكاه بقوله [من الكامل] :

فوق السماء وفوق ما طلبوا فإذا أرادوا غايةً نزلوا

ومنه ما كتب - وعاد مولانا إلى مستقر عزه عود الحلي إلى العاقل ، والغيث إلى الروض الماحل .

وإنما من قول أبي الطيب [من المتقارب] :

وعدت إلى حلب ظافراً كعود الحلي إلى العاقل^(٢)

(١) الخلة : الصداقة وتلافها : توقاها وتجنبها .

(٢) العاقل : يقال جيد عطل أي خال من الحلي .

وإذا كان هذان الصدران المقدمان على بلغاء الزمان يقتبسان من أبي الطيب
 في رسائلهما ، فما الظن بغيرهما ؟ وما أحسن قول الشاعر [من الطويل] :
 ألا إن حلّ الشعر زينة كاتبٍ ولكنّ منهم من يحلّ فيعقدُ
 وممن يحذو حذوهما الأستاذ أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي ، وما
 أظرف ما قرأت له في كتابه إلى أبي سعيد الشيبني :

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن^(١) بل جنة
 عدن . وفي شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف
 في أجفان يعقوب .

وهو من بيت أبي الطيب [من البسيط] :
 كأنّ كلّ سؤالٍ في مسامعه قميص يوسف في أجفان يعقوبِ
 وفصل لأبي بكر الخوارزمي - وكيف أمدح الأمير بخلق صن به الهواء ،
 وامتلأت من ذكره الأرض والسماء ، وأبصره الأعمى بلا عين وسمعه الأصم بلا
 أذن .

وهو حل نظم أبي الطيب [من المنسرح] :
 تشد أثوابنا مدائحهُ بالسنِ ما لهنّ أفواهُ
 إذا مررنا على الأصمّ بها أغنته عن مسميه عيناهُ
 ولأبي بكر من رسالة - ولقد تساوت الألسن حتى حسد الأبكم ، وأفسد
 الشعر حتى أحمد الصمم .

(١) موضعٌ في ديار بني يربوع يشتمل على قيعان ورياض .

وهو قول أبي الطيب [من البسيط] :

ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتّى أحمد الصمّمُ
وهذا ميدان عريض ، وشوط بطين ، وفيما ذكرته كفاية .

* * *

ولاستراقات الشعراء من أبي الطيب باب هذا مكانه .

* * *

أنموذج لسرقات الشعراء منه

١ - قال المتنبي [من الوافر] :

وقد أخذ التّمّام البدر فيهمْ وأعطاني من السّقم المحاقا^(١)

أخذه أبو الفرج البيغاء فلفظه وقال [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنّي فارقتّه وحييت بعد فراقه
يا من يحاكي البدر عند تمامه ارحم فتى يحكيه عند محاقه

٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألف ذا القلب أحزاناً^(٢)

أخذه المهلبى الوزير وقال [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتني فما تلتقي إلا على عبرة تجري

(١) المحاق : وقت سرار القمر وخفائه .

(٢) البين : الفراق ، وألف : أوجد .

٣ - وقال أبو الطيب وهو من قلائده [من الطويل] :

وكنْتُ إذا يَمَمْتُ أرضاً بعيدةً سريت فكنْتُ السرَّ والليلَ كاتمةً
أخذه الصاحب وقال [من الطويل] :

تجشَّمَتها والليلَ وحفَّ جناحه كأني سرُّ والظلامَ ضميرٌ^(١)
٤ - وقال أبو الطيب ، وهو أيضاً من قلائده [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجمَّلاتُ ولكن كي يصنُّ به الجمالا
أغار عليه الصاحب لفظاً ومعنى فقال [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمِّلِ ولكن لصون الحسن بين برود
وإنما فعل ببيتيه ما فعل أبو الطيب بيت العباس بن الأحنف [من الكامل] :
والنجم في كبد السماء كأنَّه أعمى تحيَّر ما لديه قائدُ
فقال [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرةٌ كأنَّها العمى ما لها قائد
وهذه مصالته لا سرقة^(٢) ، وهي مذمومة جداً عند النقدة .
٥ - وقال أبو الطيب ، وهو من فرائده [من الطويل] :

سقاكَ وحيانا بك الله ، إنَّما على العيس نورٌ والخدور كمائمه
أخذه السري بن أحمد ، قال ابن جني : أنشدني لنفسه من قصيدة يمدح بها أبا

(١) تجشَّم : كابد ، والوحف : الشعر الأسود .

(٢) المصالته : أن يأخذ الشاعر معنى بيت من أبيات شاعر آخر ، ولا يكتفي بهذا حتى يضمَّ إليه ألفاظ البيت المأخوذ أو بعضها .

الفوارس سلامة بن فهد ، وهي قوله [من المنسرح] :

حيًا به الله عاشقيه فقد أصبح ريحانةً لمن عشقا
ولم أجد أنا هذه القصيدة في ديوان شعره ، والبيت نهاية في العذوبة ، وخفة
الروح .

٦ - والسري كثير الأخذ من أبي الطيب في مثل قوله [من الوافر] :

وخرق طال فيه السير حتى حسبناه يسير مع الركاب
وهو مأخوذ من قول أبي الطيب [من الطويل] :

يخدن بنا في جوزه وكأننا على كرق أو أرضه معنا سفر^(١)
٧ - وقال السري [من الكامل] :

وأحلها من قلب عاشقها الهوى بيتاً بلا عمد ولا أطناب
وهو من قول أبي الطيب [من البسيط] :

هام الفؤاد بأعرابية سكنت بيتاً من القلب لم تضرب به طنباً^(٢)
٨ - وقال السري [من الكامل] :

وأنا الفداء لمن مخيلة برقه عندي وعند سواي من أنوائه^(٣)
وإنما ألم فيه بقول أبي الطيب [من البسيط] :

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الدائم

(١) يخدن : يهتم ويحذب ، والخدن : الصديق .

(٢) الطنب : الجبال .

(٣) الأنواء : المطر .

٩ - وقال أبو الطيب ، وهو من قلائده [من الوافر] :

فإن تفتق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال
وقال أيضاً [من الوافر] :

وما أنا منهمُ بالعيش فيهم ولكن معدن الذهب الرغام^(١)
أخذ أبو بكر الخوارزمي معنى البيتين ، وهما قريب من قريب ، فقال [من
الوافر] :

فديتك ما بدا لي قصد حرٍّ سواك من الورى إلا بدالي
وأنتك منهمُ وكذاك أيضاً من الماء الفرائد واللالِي
وتسكن دارهم وكذاك سكنى الـ حجارة والزّمرد في الجبال
وهذا معنى قد اخترعه المتنبي ، وكرره في تفضيل البعض على الكل ، فأحسن
غاية الإحسان حيث قال [من الطويل] :

فإن يك سيّار بن مكرم إنقضى فإنك ماء الورد إن ذهب الورد
١٠ - وقال [من البسيط] :

وإن تكن تغلبُ الغلباءُ عنصرها فإنّ في الخمر معنى ليس في العنب
ألم به أبو الفتح علي بن محمد البستي الكاتب فقال [من الطويل] :

أبوك حوى العليا وأنت مبرزٌ عليه إذا نازعته قصب المجدرِ
وللخمر معنى ليس في الكرم مثله وفي النار نورٌ ليس يوجد في الزّند
وخيرٌ من القول المقدّم فاعترفُ نتيجه والنحل يكرم للشهد

(١) الرغام : التراب.

(٢) الزند : الذي تورى به النار.

وقال أيضاً [من الطويل] :

أبوك كريمٌ غير أنك سابقٌ مداه بلا ضيمٍ عليه ولا ذيم^(١)
فلا يعجبين الناس مما أقوله وأقضي به فالغيث أندى من الغيم

١١ - وقال أبو الطيب [من الوافر] :

وصرت أشكُ فيمن أصطفيه لعلمي أنه بعض الأنام

أخذه أبو بكر الخوارزمي فقال [من الرمل] :

قد ظلمناك بحسن الـ ظنَّ يا بعض الأنام

١٢ - وقال أبو الطيب [من البسيط] :

أتى الزمان بنوه في شبيبته فسرهم وأتيناها على الهرم

أخذه أبو الفتح وحسنه فقال [من البسيط] :

لا غرو إن لم تجد في الدهر مخترفاً فقد أتيناها بعد الشيب والخرف

١٣ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

هما الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلاق

امثله أبو الحسن السلامي فقال [من الطويل] :

وبشّرت آمالي بملكٍ هو الورى ودارٍ هي الدنيا ، ويومٍ هو الدهر

١٤ - وقال أبو الطيب [من الخفيف] :

لم تزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق

(١) الذيم والذام : العيب .

أخذه أبو القاسم الزعفراني ولطفه جداً فقال [من الخفيف] :

وتغنيك في النداء طيورٌ أنا وحدي ما بينهن الهزار

* * *

وإذ قد ذكرت أنموذجاً من سرقات الشعراء منه ، فلا بأس أن أذكر سرقاته من الشعراء ، سوى ما أورده القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز في كتاب « الوساطة » فشفي وكفى وبالغ فأوفى ، وسوى ما مر ويمر منها في أماكنها من فصول هذا الكتاب .

صدر من سرقاته

١ - قال مخلص الموصلي [من مخلص البسيط] :

يا منزلاً ضنّ بالسلام سقيت ريثاً من الغمام
ما ترك الدهر منك إلا ما ترك الشوق من عظامي

أخذه أبو الطيب فجوده حيث قال [من البسيط] :

ما زال كلُّ هزيم الودق ينحلها والشوق ينحلني حتى حكّت جسدي^(١)

٢ - وقال عمرو بن كلثوم [من الوافر] :

فآبوا بالنهاب وبالسبايا وإنا بالملوك مصفدين

أخذه أبو تمام فأحسن إذ قال [من البسيط] :

إنّ الأسود أسود الغاب همّتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب^(٢)

(١) هزيم الودق : أي المطر المتدفق ، وينحلها : يخصصها وحكت : شابته ومائلت .

(٢) الكريهة : الحرب .

وأخذه أبو الطيب فلم يحسن في تكرير لفظ النهب وذكر القماش إذ هو من ألفاظ العامة [من الوافر] :

ونهب نفوس أهل النهب أولى بأهل المجد من نهب القماش
٣ - وقال بشار بن برد [من الطويل] :

كأنّ مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبهُ
أخذه أبو الطيب وذكر الرماح مكان الأسياف فقال [من الكامل] :

وكأنّما كسيّ النهار بها دجى ليلٍ ، وأطلعت الرّماح كواكبها
٤ - وقال مسلم بن الوليد [من الطويل] :

أرادوا ليخفوا قبره من عدوّه فطيّبُ تراب القبر دلّ على القبرِ
ألم به أبو الطيب فقال [من الوافر] :

وما ريح الرياض لها ولكنّ كساها دفنهم في التّرب طيبا
٥ - وقال الفرزدق [من البسيط] :

وكنّت فيهم كمطوّرٍ ببلدته يسرّ أن جمع الأوطان والمطرا
أخذه أبو الطيب فقال [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل
٦ - وفي قوله في هذه القصيدة [من الطويل] :

وخيلٍ إذا مرّت بوحشٍ وروضةٍ أبت رعيها إلّا ومرجلنا يغلي

رائحة من قول امرئ القيس [من الطويل] :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا : تعالوا إلى أن يأتي الصيد نحطب^(١)

٧ - وقال أبو نواس ، ويقال : إنه أمدح بيت للمحدثين [من البسيط] :

وكلت بالدهر عيناً غير غافلةٍ بجود كفّيك تأسو كلَّ ما جرحا^(٢)

أخذه أبو الطيب وزاد فيه حسن التشبيه فقال [من الطويل] :

تبع آثار الرزايا بجوده تبّع آثار الأسنة بالقتل^(٣)

٨ - وقال أبو نواس ، وهو من قلائده في وصف الخمر [من الطويل] :

إذا ما أتت دون اللهة من الفتى دعا همّه من صدره برحيل

أخذه أبو الطيب ونقله إلى معنى آخر فقال [من الطويل] :

وما هي إلا لحظةٌ بعد لحظةٍ إذا نزلت في قلبه رحل العقل

٩ - وقال ابن أبي عيينة ، ويروي للخليل [من البسيط] :

زرّ واديّ القصر ، نعم القصر والوادي في منزل حاضرٍ ، إن شئتَ ، أو بادي
ترقى به السفن والظلمان حاضرةً والضبُّ والنون والملاح والحادي^(٤)

وهذا أحسن ما قيل في وصف مكان يجمع بين أوصاف البر والبحر
والحاضرة والبادية ، ألم به أبو الطيب في وصف متصيد عضد الدولة بناحية سهلية

(١) نحطب : نجعم الحطب .

(٢) تأسو : تطيّب وتخفّف الجراح .

(٣) الرزايا : المصائب ، والأسنة الرماح وغيرها من عدّة الحرب .

(٤) الظلمان : جمع ظليم ، وهو ذكر النعام ، والنون : الحوت والحادي من يسوق الإبل ويزجرها .

جبلية تجمع الأضداد [من الرجز] :

سقياً لدشت الأرزن الطوال بين المروج الفيح والأغيال^(١)
مجاور الخنزير والرئبال داني الخنايص من الأشبال^(٢)
مستشرف الدبّ على الغزال مجتمع الأضداد والأشكال

١٠ - وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة [من الطويل] :

إذا بلّ من داءٍ به ظنّ أنّه نجا ، وبه الداء الذي هو قاتله^(٣)

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن [من الوافر] :

وإنّ أسلمّ فما أبقى ولكنّ سلمت من الحمام إلى الحمام^(٤)

١١ - وقال بعض الرجاز [من الرجز] :

هل يغلبني واحدٌ أقاتله ريمٌ على لبّاته سلاسله^(٥)

* سلاحه يوم الوغى مكاحله *

أخذه أبو الطيب فأكمل الوصف وأظهر الغرض حيث قال [من الكامل] :

من طاعني ثغر الرجال جاذرٌ ومن الرماح دمالجٌ وخلاخلٌ
ولذا اسم أغطية العيون جفونها من أنّها عمل السيوف عوامل

(١) الدشت : الصحراء لفظة فارسية ، والأرزن : الشجر والفيح : الواسعة ، والغيل : أجمة الأسد .

(٢) الخنايص : أولاد الخنازير ، والرئبال : الأسد .

(٣) بلّ من دائه : شقي ونجا من المرض .

(٤) الحمام : الموت .

(٥) الريم : الظبي الخالص البياض ، واللّبة : موضع القلادة .

١٢ - وقال أبو تمام [من الكامل] :

غربتْ خلائقه وأغرب شاعرٌ فيه فأبدع مغربٌ في مغربٍ
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

شاعر المجد خدنه شاعر اللفظ كلانا ربّ المعاني الدّفاق^(١)

١٣ - وقال أبو تمام [من الطويل] :

يمدّون بالبيض القواطع أيدياً فهن سواءٌ والسّيف قواطعُ

أخذه أبو الطيب فأوقع التشبيه على الجملة حيث قال [من الطويل] :

همامٌ إذ ما فارق الغمد سيفه وعايته لم تدر أيّهما النصل

١٤ - وقال ابن الرومي [من السريع] :

لا قدّست نُعمى تسربلتها كم حجةٍ فيها لزندق

أخذه أبو الطيب فقال [من البسيط] :

فأنّه حجةٌ يؤذي القلوب بها من دينه الدّهر والتعطيل والقدم

١٥ - ولابن الرومي وأجاد [من الطويل] :

وأحسن من عقد العقيلة جيدها وأحسن من سربالها المتجرّد

أخذه أبو الطيب فقال [من الرجز] :

وربّ قبحٍ وحليٍّ ثقالٍ أحسن منها الحسن في المعطال

(١) الخدن : الصاحب والصديق .

١٦ - وقال عبيد الله بن طاهر [من الطويل] :

وجرّيت حتى لا أرى الدهر مغرباً عليّ بشيء لم يكن في تجاربي
أخذه أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

قد بلوت الخطوب حلواً ومرّاً وسلكت الأيام حزناً وسهلاً^(١)
وقتلّت الزمان علماً فما يغرب قولاً ولا يجدد فعلاً
وكرر هذا المعنى فقال [من الطويل] :

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلمّا دهتنا لم تزدني بها علماً
١٧ - وكتب ابن المعتز إلى عبيد الله بن سليمان يعزيه عن ابنه أبي محمد ويسليه
ببقاء أبي الحسين القاسم أبياتاً منها [من الكامل] :

ولقد غبنت الدهر إذ شاطرته بأبي الحسين وقد ربحت عليه^(٢)
وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمتني المرء خير يديه
فأخذ أبو الطيب هذا المعنى ، وقال لسيف الدولة من قصيدة يعزيه بها عن
أخته الصغرى ، ويسليه ببقاء الكبرى حيث قال [من الخفيف] :

قاسمتك المنون شخصين جوراً جعل القسم نفسه فيك عدلاً
فاذا قست ما أخذن بما غا درن سرى من الفؤاد وسلّى
وتيقنت أنّ حظك أوفى وتبينت أن جدك أعلى^(٣)
١٨ - وكان أبو الطيب كثير الأخذ من ابن المعتز ، على تركه الإقرار بالنظر في شعر

(١) بلوت : خبرت وجرّيت ، والحزن : الأرض الصعبة المسالك .

(٢) غبنت : انتقصت ، يقال غبته حقه ، أي انتقصه إياه .

(٣) الجدّ : الخطّ .

المحدثين : فمما أخذه منه قوله [من البسيط] :

وتكسب الشمس منك النور طالعةً كما تكسب منها نورها القمرُ

وهو معنى قول ابن المعتز [من السريع] :

البدر من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستملي

١٩ - وأخذ قوله ، وهو من قلائده ، ولعله أمير شعره [من البسيط] :

أزورهمُ وسواد الليل يشفعُ لي وأنثني وبياضُ الصبح يغري بي

من مصراع لابن المعتز ، ذكر ابن جني قال : حدثني المتنبى - وقت القراءة عليه - [قال] : قال لي ابن حنابلة وزير كافور : أحضرت كتبي كلها وجماعة من الأدباء يطلبون لي من أين أخذت هذا المعنى ، فلم يظفروا بذلك ! وكان أكثر من رأيت كتباً .

قال ابن جني : ثم إنني عثرت بالموضع الذي أخذه منه ، إذ وجدت لابن المعتز مصراعاً بلفظ لين صغير جداً فيه معنى بيت المتنبى كله على جلالة لفظه وحسن تقسيمه ، وهو قوله [من البسيط] :

* فالشمس نَمَامة والليل قَوَاد *^(١)

ولن يخلو المتنبى من إحدى ثلاث : إما أن يكون ألم بهذا المصراع فحسنه وزينه ، وصار أولى به ، وإما أن يكون قد عثر بالموضع الذي عثر به ابن المعتز فأربى عليه في جودة الأخذ ، وإما أن يكون قد اخترع المعنى وابتدعه وتفرد به ، فله دره ! وناهيك بشرف لفظه ، وبراعة نسجه !

وما أحسن ما جمع فيه أربع مطابقات في بيت واحد ، وما أراه سبق إلى

(١) صدر هذا البيت : لا تلق إلا بليل من تواصله .

مثلها ، وما زال الناس يعجبون من جمع البحري ثلاث مطابقات في قوله [من البسيط] :

وأمةً كان قبح الجور يسخطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها
حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عذوبة اللفظ ورشاقة الصنعة .

ولبعض أهل العصر بيت يجمع خمس مطابقات ، ولكنه لا يستقل إلا بإنشاد بيتين قبله . وهي [من الطويل] :

عذيري من الأيام مدّت صروفها إلى وجه من أهوى يد النسخ والمحو
وأبدت بوجهي طالعاً أرى بها سهام أبي يحيى مسددةً نحوي
فذاك سواد الحظّ ينهى عن الهوى وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو^(١)

٢٠ - وقال ابن الرومي [من الطويل] :

أرى فضل مال المرء داءً لعرضه كما أنّ فضل الزاد داءٌ لجسمه
فليس لداء العرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمه
ألم به أبو الطيب فقال [من الخفيف] :

يتداوى من كثرة المال بالآفة لال جوداً كأنّ مالا سقام

* * *

بعض ما تكرر في شعره من معانيه

١ - قال [في سيف الدولة] [من الوافر] :

وأنت المرء تمرضه الحشايا لهمةً ، وتشفيه الحروبُ

(١) الرخط : اختلاط الشعر الأبيض بالأسود .

وقال [يذكر الحمى التي كانت تغشاه بمصر] [من الوافر] :

وما في طَبِّه أني جوادٌ أضراً بجسمه طول الجمام^(١)

٢ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من الكامل] :

ليت الحبيب الهاجري هجر الكرى من غير جرمٍ واصلي صلة الضنا

وقال [يمدح طاهر بن الحسين] [من الطويل] :

فيا ليت ما بيني وبين أحبتي من البعد ما بيني وبين المصائب

٣ - وقال [يمدح المغيث بن بشر العجلي] [من البسيط] :

إذا بدا حجب عيناك هيته وليس يحجبه سترٌ إذا احتجبا

وقال [وقد حجبه بدر عمار] [من الكامل] :

أصبحت تأمر بالحجاب لخلوة هيهات لست على الحجاب بقادر

من كان ضوء جبينه ونواله لم يحجبا لم يحتجب عن ناظر

فإذا احتجبت فأنت غير محجب وإذا بطننت فأنت عين الظاهر

٤ - وقال [من قصيدة يمدحه بها] [من المتقارب] :

أميرٌ أميرٌ عليه الندى جوادٌ بخيلٌ بأن لا يجودا

وقال [من الوافر] :

إلا أن الندى أضحى أميراً على مال الأمير أبي الحسين

٥ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

ومالٍ وهبت بلا موعدٍ وقرنٍ سبقت إليه الوعيدا^(٢)

(١) طَبِّه : علمه والجمام : الراحة .

(٢) القرن : التضيق في العلم والشجاعة ، والوعيد : التهديد .

- وقال [من القصيدة التي كتبها إلى السلطان من حبسه] [من المتقارب] :
- لقد حال بالسيف دون الوعيد وحالت عطاياه دون الوعود
- ٦ - وقال [من قصيدة يمدح بها كافوراً] [من الطويل] :
- وما رغبتني في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجده^(١)
- وقال [من قصيدة يمدح بها أبا العشائر] [من الوافر] :
- فسرت إليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش
- ٧ - وقال [يمدح سعيد بن عبد الله] [من البسيط] :
- قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمي وألف في ذا القلب أحزانا
- وقال [في خلاص أبي وائل] [من المتقارب] :
- كانّ الجفون على مقتلتي ثيابٌ شققن على ثاكلٍ
- ٨ - وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :
- كأنّك بالفقر تبغي الغنى وبالموت في الحرب تبغي الخلودا
- وقال [في الحسين بن إسحاق التتويحي] [من الطويل] :
- كأنّك في الإعطاء للمال مبغضٌ وفي كلّ حربٍ للمنية عاشقٌ
- ٩ - وقال [من الخفيف] :
- الذي زلت عنه شرقاً وغرباً ونداه مقابلي ما يزولُ
- وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :
- ومن فرّ من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيث ما سار نائلُ

(١) العسجد : الذهب والجوهر.

١٠ - وقال [يمدح أبا أيوب أحمد بن عمران] [من الكامل] :

فكأنّما نتجت قياماً تحتهم وكأنّما ولدوا على صهواتها^(١)

وقال [في الحسن بن عبيد الله بن طغج] [من الطويل] :

وطعن غطاريف كأنّ أكفهم عرفن الردينيات قبل المعاصم^(٢)

١١ - وقال [يشكو الحمى بمصر] [من الوافر] :

جرحت مجرحاً لم يبق منه مكان للسيوف وللسهام

وقال [في مريّة والدّة سيف الدولة] [من الوافر] :

رمانى الدهر بالآرزاء حتّى فؤادي في غشاء من نبال
فصرت إذا أصابتنى سهام تكسّرت النصال على النصال

١٢ - وقال [يمدح أبا عليّ هارون بن عبد الله الكاتب] [من الكامل] :

وشكيتي فقد السّهام لأنّه قد كان لمّا كان لي أعضاء

وقال [قبيل مسيره من مصر يهجو كافوراً] [من البسيط] :

لم يترك الدهر من قلبي ومن كبدي شيئاً تتيّمه عين ولا جيد^(٣)

١٣ - وقال [يصف مدينة مرعش] [من الطويل] :

تصد الرياح الهوج عنها مخافةً وتفزع فيها الطير أن تلقط الحباً

(١) نتجت : ولدت .

(٢) الغطاريف : جمع غطريف ، وهو الفتى الجميل والرديّات : الرماح .

(٣) تتيّمه : تجعله يمشق والجيد : العنق .

وقال [من قصيدة في مدح كافور] [من البسيط] :

إذا أتها الرياح النكب في بلدٍ فما تهبُّ بها إلاً بترتيب

١٤ - وقال [يمدح الحسن بن عبيد الله بن طنج] [من الطويل] :

إذا ضوؤها لاقى من الطَّير فرجةً تدور فوق البيض مثل الدراهم^(١)

وقال [من كلمة يمدح فيها عضد الدولة] [من الوافر] :

وألقى الشرق منها في ثيابي دنائيراً تفرُّ من البنانِ

وقال^(٢) [يمدح أبا شجاع محمد بن أوس] [من الكامل] :

ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودةً ، ولماء وجهي رونقُ

حذراً عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق^(٣)

١٥ - وقال [وقد أهداه عبد الله بن خراسان هدية] [من المنسرح] :

هديةً ما رأيت مهديها إلاً رأيت العباد في رجلٍ

وقال [يمدح بدر بن عمار] [من المتقارب] :

[أحلماً نرى أم زماناً جديداً] أم الخلق في شخص حيٍّ أعيدا

ومثله [في الحسين بن إسحاق التنوخي] [من الطويل] :

[هي الغرض الأقصى ، ورؤيتك المنى] ومنزلك الدنيا ، وأنت الخلائقُ

(١) الفرجة : الكوة .

(٢) لا يظهر لي وجه اتفاق هذين البيتين مع ما قبلها ولا ما بعدهما ، ولا بدَّ أنه سقط من الأصول ما يوافقها

وكذلك سقط من الصبح المنبي ١٧٦ .

(٣) أشرق : أغص .

ثم كرره وزاد فيه فقال [من كلمة يمدح فيها ابن العميد] [من الكامل] :

ولقيت كلّ الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوالنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخراً

والأصل فيه قول أبي نواس [من السريع] :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

وقال [من البسيط] :

متى تخطي إليه الرجل سالمة تستجمع الخلق في تمثال إنسان

١٦ - وقال [في سيف الدولة] [من البسيط] :

هو الشجاع يعدّ البخل من جبن وهو الجواد يعدّ الجبن من بخل

وقال [وقد ضرب أبو العساكر خيمة على الطريق فكثر سؤاله وغاشيته] [من

المنسرح] :

فقلت إنّ الفتى شجاعته تربه في الشحّ صورة الفرق^(١)

والأصل فيه قول أبي تمام [من الكامل] :

أيقنت أنّ من السماح شجاعة تدمى ، وأنّ من الشجاعة جوداً

١٧ - وقال [يمدح أبا شجاع عضد الدولة] [من الوافر] :

ومن أعتاض منك إذا افترقنا ؟ وكلّ الناس زور ما خلاكا

وقال في مثله فتبرد وبالغ [من الخفيف] :

إنّما الناس أنت ، وما لنا س بناس في موضع منك خال

(١) الشحّ : البخل ، والفرق : الخوف وشدّته .

١٨ - وقال [في سيف الدولة] [من الطويل] :

إذا اعتلَّ سيف الدولة اعتلَّت الأرضُ ومن فوقها والبأس والكرمُ المحضُ^(١)

وقال [فيه أيضاً] [من البسيط] :

وما أخصك في برِّ بتهنئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

١٩ - وقال [يمدح كافوراً ولم يلقه بعد] [من الطويل] :

تجاوز قدر المدح حتَّى كأنه بأحسن ما يُثنى عليه يعابُ

وقال [في عبد الله بن يحيى البحتري] [من البسيط] :

وعظُمُ قدرك في الآفاق أوهمني أني بقلَّةٍ ما أثبت أهجوكا

وقال [يعزي عضد الدولة وقد ماتت عمته] [من السريع] :

وكان من عددٍ إحسانه كأنه أسرف في سبه

والأصل في هذا قول البحتري [من الخفيف] :

جلُّ عن مذهب المديح فقد كا د يكون المديح فيه هجاءُ

٢٠ - وقال [وهو مما سبق إليه] [من مخلع البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمورُ

وقال [من الطويل] :

أفيكم فتىً حيُّ فيخبر ناعباً بما شربت مشروبة الراح من ذهني

(١) المحض : الخالص الصافي .

٢١ - وقال [يمدح سيف الدولة] [من الطويل] :

عليمٌ بأسرار الديانات واللّغى له خطراتٌ تفضح الناس والكتبا^(١)

وقال [في أبي العشائر علي بن الحسين] [من الوافر] :

كأنّك ناظرٌ في كلّ قلبٍ فما يخفى عليك محلّ غاش^(٢)

وقال [من البسيط] :

ووكّل الظنّ بالأسرار فانكشفت له سرائر أهل السهل والجبل

٢٢ - وقال [لبدر بن عمار يمدحه] [من الكامل] :

فاغفر فدىّ لك واجنبي من بعدها لتخصّني بعطيةٍ منها أنا^(٣)

وقال [من المنسرح] :

له أيادٍ إليّ سالفَةٌ أعدُّ منها ولا أعدّها

٢٣ - وقال وهو من قلائده [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرؤسُ ولكنّ فضّلتها بقصدك الأقدام^(٤)

وقال [من المتقارب] :

وإنّ القيام الألى حوله لتحسد أرجلها الأروس

٣٤ - وقال [من قصيدة في مدح سيف الدولة] [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرفٌ له إذا لم يكن في فعله والخلائق

(١) اللغى : جمع لغة .

(٢) غاشٍ : مغطى ومحجوب .

(٣) الجباء : العطاء .

(٤) فضلتها : من الفضل ، أي سبقتها إلى الفضل .

وقال في وصف الخيل [من الطويل] :

إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(١)
وقريب منه قوله [من الوافر] :

يحب العاقلون على التصافي وحب الجاهلين على الوسام

٢٥ - وقال في معنى قد تصرفت فيه الشعراء [من الخفيف] :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام
وقال [في صباه] [من الخفيف] :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود^(٢)
٢٦ - وقال [لعلي بن إبراهيم التنوخي يمدحه] [من الوافر] :

إذا ما لم تسر جيشاً إليهم أسرت إلى قلوبهم الهلوعا^(٣)

وقال [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعداء فكأن القتال قبل التلاقي
وقال [من البسيط] :

قد ناب عنك شديد الخوف واصطنعت لك المهابة ما لا يصنع البهم
وقال [من الخفيف] :

أبصروا الطعن في القلوب دراكاً قبل أن يبصروا الرماح خيالاً^(٤)

(١) الشية : العلامة .

(٢) البنود : الأعلام والرايات .

(٣) الهلوع : الخوف والرعب .

(٤) دراكاً : متلاحقه .

وقال [من الطويل] :

صِيَامٌ بِأَبْوَابِ الْقِيَابِ جِيَادُهُمْ وَأَشْخَاصُهُمْ فِي قَلْبِ خَائِفِهِمْ تَعْدُو

وقال [من البسيط] :

تَغْيِيرُهُ عَنْهُ عَلَى الْغَارَاتِ هَيْبَتُهُ وَمَالُهُ بِأَقَاصِي الْبَرِّ أَهْمَالُ^(١)

والأصل فيه قول النبي ﷺ « نصرت بالرعب » ثم أكثر الناس منه ، ومن أوجز ما قالوا قول علي بن جبلة العكوك [من الهزج] :

غداً مجتمع العزم له جندٌ من الرعبِ

٢٧ - وقال أبو الطيب [من الطويل] :

وَأَتَعِبَ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِ هَمٍّ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدَهُ

وقال [من الطويل] :

لَحَى اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَنَاخاً لِرَاكِبٍ فَكُلَّ بَعِيدِ الْهَمِّ فِيهَا مَعَذِبُ^(٢)

٢٨ - وقال [من الخفيف] :

وَمَعَالٍ إِذَا ادَّعَاهَا سَوَاهِمُ لَزِمَتْهُ خِيَانَةُ السُّرَاقِ

وقال [من الكامل] :

مَسْكِيَّةُ النَّفَحَاتِ إِلَّا أَنَّهَا وَحْشِيَّةٌ بِسَوَاهِمٍ لَا تَعْبَقُ

* * *

(١) تغير : تغزو : من الغارة .

(٢) لحي الله : لعن وقبح .

والآن حين أذكر ما ينعى على أبي الطيب من معائب شعره ومقايبه :
ومن ذا الذي تُرضي سجاياه كلها كفى المرء فضلاً أن تعدّ معائبه^(١)
ثم أقفى على آثارها بمحاسنه وسياق بدائعه وفرائده :
فحسن دراري الكواكب أن ترى طوالع في داجٍ من الليل غيب^(٢)

* * *

١ - فمنها قبح المطالع

وحقه الحسن والعذوبة لفظاً ، والبارعة والجودة معنى ، لأنه أول ما يقرع
الأذن ويصافح الذهن ، فإذا كانت حاله على الضد موجه السمع ، وزجه القلب ،
ونبت عنه النفس ، وجرى أوله على ما تقوله العامة « أول الدن دردي » .

ولأبي الطيب ابتداءات ليست لعمرى من احرار الكلام وغرره ، بل هي -
كما نعاها عليه العائبون - مستشعنة لا يرفع السمع لها حجابها ، ولا يفتح القلب لها
بابها ، كقوله [من الكامل] :

هذي برزت لنا فهجت رسيسا ثم انصرفت وما شفيت نسيسا^(٣)
فإنه لم يرض بحذف علامة النداء من « هذي » ، وهو غير جائز عند النحويين ،
حتى ذكر الرسيس والنسيس ، فأخذ بطرفي الثقل والبرد .

(١) السجاياء : الصفات والطبائع .

(٢) داجٍ : مظلم - غيب : شديد الظلمة .

(٣) الرسيس : الرقة في الشوق . والنسيس : بقية الروح .

وكقوله [من المنسرح] :

* أوهِ بديلٌ من قولتي واها *^(١)

وهو برقيّة العقرب أشبه منه بافتتاح كلام في مخاطبة ملك .

وكقوله - وهو مما تكلف له اللفظ المتعقد ، والترتيب المتعسف ، لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجهِ ، ولا تقوم فائدة الانتفاع به بإزاء التأذي باستماعهِ [من الطويل] :

وفاؤكما كالربع أشجاء طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه^(٢)
وكقوله في استفتاح قصيدة في مدح ملك يريد أن يلقاه بها أول لقية [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكنّ أمانيا
وفي الابتداء بذكر الداء والموت والمنايا ما فيه من الطيرة ، التي تنفر منها السوق ، فضلاً عن الملوك .

حكى صاحب قال : ذكر الأستاذ الرئيس يوماً الشعر ، فقال : وإن أول ما يحتاج فيه إليه حسن المطلع ، فإن ابن أبي الشباب أنشدني في يوم نيروز قصيدة ابتداؤها [من الطويل] :

* أقبرٌ وما طلّت ثراك يد الطلّ ؟ *

فتطيرت من افتتاحه بالقبر ، وتنغصت باليوم والشعر ، فقلت : كذاك كانت حال

(١) وعجز البيت : لمن نأت والبديل ذكرها . وأوهِ : كلمة توجع ، وواها : كلمة تعجب وطيبة .

(٢) طاسمه : دارسه ، وأشجاء : أحزنه والساجم : المنروف من الدمع .

ابن مقاتل لما مدح الداعي بقوله [من الرمل] :

لا تقل بشرى ولكنْ بشريانِ غرةِ الدّاعي ويوم المهرجان
فإنه نفر من قوله « لا تقل بشرى » أشد نفار ، وقال : أعمى وتبتدىء بهذا في يوم
مهرجان ؟!

قال صاحب : ومن عنوان قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ،
وتجمع من الحساب ما لا يدرك بالأرثيماتقي ، وبالأعداد الموضوعة للموسيقى
[من الوافر] :

أحادُ أم سداسُ في أحاد ليلتنا المنوطة بالتنادي
وهذا كلام الحكل ورطانة الزط^(١) وما ظنك بممدوح قد تشمر للسمع من
مادحه فصك سمعه بهذه الألفاظ الملفوطة والمعاني المنبوذة ؟ فأي هزة تبقى
هناك ؟ وأي أريحية تثبت هنا ؟

وقد خطأه في الانظ والمعنى كثير من أهل اللغة وأصحاب المعاني ، حتى
احتج في الاعتذار له ، والنضح عنه ، إلى كلام لا يستأهله هذا البيت ، ولا يتسع
له هذا الباب .

ومن ابتداءاته البشعة التي تنكرها بديهة السماع قوله [من الوافر] :
ملثُ القطرِ أعطشَها ربوعاً وإلاً فاسِقَها السّم النجيعا^(٢)
وقوله [من الكامل] :

أثلث فائاً أيّها الطلل [نبكي وترزم تحتنا الايل]^(٣)

(١) الحكل : ما لا يسمع صوته كالذرّ، والحكلة : العجمة في الكلام ، والزط : جيل من الهنود .

(٢) ملثُ القطر : أي المطر الذي لا ينقطع لأيام والنجيع : النافع ، أي القاتل لها .

(٣) أثلث : كن ثالثاً . ترزم : تحنّ .

وقوله [من الوافر] :

بقائي شاء ليس هم ارتحالا [وحسن الصبر زمّوا لا الرّحالا]^(١)
قال صاحب : ومن افتتاحاته العجبية قوله لسيف الدولة في التسلية عند
المصيبة [من الطويل] :

لا يحزن الله الأمير فإني لأخذُ من حالاته بنصيب
قال صاحب : لا أدري لم لا يحزن سيف الدولة إذا أخذ المتنبّي بنصيب من
القلق !

* * *

٢ - ومنها إتباع الفقرة الغراء ، بالكلمة العوراء

والإفصاح بذلك في شعره عن كثرة التفاوت ، وقلة التناسب ، وتنافر
الأطراف ، وتخالف الأبيات ، وما أكثر ما يحوم حول هذه الطريقة ، ويعود لهذه
العادة السيئة ، ويجمع بين البديع النادر والضعيف الساقط . فبينما هو يصوغ أفخر
حلي ، وينظم أحسن عقد ، وينسج أنفاس وشي ، ويختال في حديقة ورد ، إذا به
وقد رمى بالبيت والبيتين في إبعاد الاستعارة ، أو تعويض اللفظ ، أو تعقيد
المعنى ، إلى المبالغة في التكلف ، والزيادة في التعمق ، والخروج إلى الإفراط
والإحالة والسفسفة ، والركاكة والتبرّد والتوحش ، باستعمال الكلمات الشاذة ،
فمحا تلك المحاسن ، وكدر صفاءها ، وأعقب حلاوتها مرارة لا مساغ لها ،
واستهدف لسهام العائبين ، وتحكك باللسنة الطاعنين : فمن متمثل بقول الشاعر
[من الكامل] :

أنت العروس لها جمالٌ رائعٌ لكنّها في كلّ يومٍ تصرعُ

(١) زمّوا : أجمعوا .

ومن مشبه إياه بمن يقدم مائدة تشتمل على غرائب المأكولات وبدائع الطيبات ، ثم يتبعها بطعام وضر ، وشراب عكر ، أو من يتبخر بالنند المعشب المثلث ، المركب من العود الهندي والمسك الأصهب والعنبر الأشهب ، ثم يرفقه بإرسال الريح الخبيثة ، ويفسده بالرائحة الردية ، أو بالواحد من عقلاء المجانين ينطق بنوادر الكلم ، وطرائف الحكم ، ثم يعتريه سكرة الجنون فيكون أصلح أحواله وأمثل أقواله أن يقول : اعذروني فإن العذرة متعذرة .

فمما نشر أبو الطيب من هذا النمط قوله [من الخفيف] :

أتراها لكثرة العشاقِ تحسب الدمع خلقةً في المآقي ؟

وهو ابتداء ما سمع بمثله ، ومعنى تفرد بابتداعه ، ثم شفعه بما لا يبالي العاقل أن يسقطه من شعره فقال :

كيف ترثي التي ترى كلّ جفنٍ راءها غير جفنها غير راقٍ^(١)

وقوله [من الطويل] :

لياليٌ بعد الظاعنين شكولٌ طوالٌ ، وليل العاشقين طويلٌ^(٢)
يُن ليَ البدر الذي لا أريده ويخفين بدراناً ما إليه وصولٌ
وما عشت من بعد الأحبة سلوةً ولكنني للنائبات حمولٌ
وما شرقي بالماء إلاّ تذكراً لماء به أهل الخليط نزولٌ^(٣)
يحرّمه لمع الأسنة فوقه فليس لظمانٍ إليه سبيل

من قصيدة اخترع أكثر معانيها ، وتسهل في ألفاظها ، فجاءت مصنوعة ، ثم

(١) راءها : أي رآها قدّم الألف واخر الهمزة ضرورة راقٍ : رقا الدمع ، انكفاً وانقطع .

الظاعنين : الراحلين .

(٢) الظاعنين : الراحلين وشكول : متشابهة .

(٣) شرقي : غصي ، والخليط : المكان الذي يختلط به القوم .

اعترضته تلك العادة المذمومة ، فقال :

أغرَّكُمُ طول الجيوش وعرضها عليَّ شروبٌ للجيوش أكل
إذا لم تكن لليث إلا فريسةً غذاه ولم ينفعك أنك فيل
ثم أتى بما هو أطم^(١) منه فقال ، وذكر صاحب أنه من أوابده التي لا يسمع طول
الأبد بمثلها :

إذا كان بعض الناس سيفاً لدولةٍ ففي الناس بوقاتٌ لها وطبول.
فإن تكن الدولات قسماً فإنها لمن ورد الموت الزؤام تدول
قال صاحب : قوله « الدولات » و « تدول » من الألفاظ التي لو رزق فضل
السكوت عنها لكان سعيداً .

وقال من قصيدة جمع فيها الشذرة والبصرة ، والدرّة والآجرة [من الكامل] :
لك يا منازل في الفؤاد منازل أقفرت أنت ، وهنّ منك أوائلُ
وهذا ابتداء حسن ومعنى لطيف ، ثم قال :

وأنا الذي اجتلب المنيةَ طرفه فمّن المطالب والقتيل القاتلُ
وهو وإن كان مأخوذاً من قول دعبل [من الكامل] :

لا تطلباً بظلامتي أحداً طرفي وقلبي في دمي اشتركا
فإنه أخذ بأطراف الرشاقة والملاحه ، ثم استمر في قصيدته ، فجاء بالمتوسط
المقارب والبديع النادر والردىء النافر ، حيث قال :

ولذا اسم اغطية العيون جفونها من أنها عمل السيوف عوامل

(١) أطم: أدهى .

وهذا معنى في نهاية الحسن واللفظ لو ساعده اللفظ ، ثم قال :

كم وقفة سجرتك شوقاً بعدما غري الرقيب بنا ولج العاذل^(١)
فلم يحسن موقع قوله « سجرتك » أي ملأتك (هكذا الرواية بالجيم ، ولو كانت
بالحاء من السحر لم يكن بأس) ثم قال وملح :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصب أدفهما وضم الشاكل^(٢)

أي : قريب بعضنا من بعض ، ولم نتعانق خوف الرقيب . ثم قال فأحسن غاية
الإحسان :

للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حيب راحل
جمع الزمان فما للذيد خالص ممّا يشوب ، ولا سرور كامل
حتى أبو الفضل بن عبد الله رؤيته المنى وهو المقام الهائل

قال ابن جني : وهذا خروج غريب ظريف حسن ، ما أعرفه لغيره ، يقول : إن
المنى رؤيته إلا أن هيئته تهول . ثم قال فجمع أوصافاً في بيت واحد :

للشمس فيه وللرياح وللسحاب وللبحار وللأسود شمائل

ثم قال وتحقق وتبرّد :

ولديه ملعقيان والأدب المفا د وملحياة وملمات مناهل^(٣)

وإنما ألم في صدر هذا البيت بقول أبي تمام [من المنسرح] :

* نأخذ من ماله ومن أدبه *

(١) سجرتك : أشعلتك ، وسجر التنوّ : زاده ناراً ووقوداً .

(٢) أدفهما : حرّكهما ،

(٣) يريد : من العقيان ، ومن الحيات ، ومن الممات فحذف النون من (من) الجارة والـف الوصل من
المجروور بها .

ثم قال :

علامة العلماء واللج الذي لا ينتهي ، ولكل لج ساحل^(١)

ثم قال فأحال :

لو طاب مولد كل حي مثله ولد النساء وما لهن قوابل^(٢)

قال القاضي أبو الحسن : إن طيب المولد لا يستغني به عن القابلة ، وإن استغني عنها كان ماذا ؟ وأي فخر فيه ؟ وأي شرف ينال به ؟

ثم توسط وقارب فقال :

ليزد بنو الحسن الشراف تواضعاً هيهات تكتم في الظلام مشاعل
ستروا الندى ستر الغراب سفاده فبدا، وهل يخفي الرباب الهاطل ؟^(٣)

ثم قال وتوحش وتبغض ما شاء الحاسد :

جفخت وهم لا يجفخون بها بهم شيم على الحسب الأغر دلائل^(٤)

يريد بالجفخ الفخر والبذخ ، ثم قال :

يا افخر فإن الناس فيك ثلاثة : مستعظم ، أو حاسد ، أو جاهل

أي : يا هذا افخر ، فحذف المنادى ، وتباغض وتبادى ، ثم قال :

لا تجسر الفصحاء تنشد ههنا شعراً ، ولكنني الهزبر الباسل

(١) اللج: البحر الزاخر.

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهي التي تشرف على الولادة.

(٣) السقاد : الجماع ، والرباب.

(٤) جفخت : فخرت وبذخت ، والأغر : الشريف والكريم.

ثم قال وأرسله مثلاً سائراً ، وأحسن جداً :

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي كامل
ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري ، ولا سمعت بسحري بابل

ثم قال وتعسف في اللفظ :

أما وحقّك وهو غاية مقسمٍ للحقّ أنت ، وما سواك الباطل
الطيب أنت إذا أصابك طيبه والماء أنت إذا اغتسلت الغاسلُ

وتقدير الكلام : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت غاسله إذا
اغتسلت به ، وإنما ألم فيه بقول القائل [من الخفيف] :

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيّه ، أين مثلك أيّنا ؟!

وقال من قصيدة كهذه التي تقدمت [من البسيط] :

قد علّم البين منّا البين أجفانا تدمى ، وألف في ذا القلب أحزانا
أملت ساعة ساروا كشف معصمها ليلبث الحيّ دون السير حيرانا
بالواخداث وحاديها وبى قمرٌ يظلّ من وخدها في الخدر حشيانا^(١)

وحشيان - بالخاء المهملة - من الغريب الوحشي ، الذي لا يأنس به السمع ، ولا
يقبله القلب ، يقال : حشى الرجل حشياً فهو حشيان ، إذا أخذه البهر . يقول :
إذا وخذت الإبل تحت هذا القمر أخذه البهر لترفه . ومن المؤدبين من يروي حشيانا
بالخاء معجمة من الخشية .

(١) الواخداث : النوق ، والوخد ضرب من السير والحادي : السائق .
والخدر : الخباء .

ثم قال ، وأحسن ولطف وظرف :

قد كنت أشفق من دمعي على بصري فالיום كلّ عزيزٍ بعدكم هانا
ثم أراد أن يزيد على الشعراء في وصف المطايا ، فأتى - كما قال صاحب -
بأخزى الخزايا ، فقال :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا^(١)
قال صاحب : ومن الناس أمه ، فهل ينشط لركوبها ؟ والممدوح لعل له
عصبة لا يريد أن يركبوا إليه ، فهل في الأرض أفحش من هذا السخف وأوضع من
هذا التبسط ؟

ثم أراد أن يستدرك هذه الطامة بقوله :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عمّا يراه من الإحسان عميانا
وقال ، ثم قال وأجاد في مدح الممدوح :

إن كوتبوا، اولقوا، او حوربوا، وجدوا في الخط واللفظ والهيّجاء فرسانا^(٢)
كأنّ السّنههم في النطق قد جعلتْ على رماحهم في الطّعن خرسانا^(٣)
كأنّهم يردون الموت من ظمأ أو ينشقون من الخطّيّ ريحانا
ثم قال :

خلائق لو حواها الزنج لانقلبوا ظمي الشفاه جعاد الشعر غرانا
والزنجي لا يوجد إلا جعد الشعر ، فكيف ينقلبون عن الجعودة إلى الجعودة ؟ وقد

(١) بعران : جمع بعير ، وهو الجمّل .

(٢) الهيّجاء : الحرب .

(٣) خرصان : جمع خرص ، وهي أسنة الرماح ، او الحراب .

احتج عنه أصحاب المعاني بما يطول ذكره .

والعجب كل العجب من خاطر يقدح بمثل قوله في قصيدة [من

المتقارب] :

وملمومة زرد ثوبها ولكنّه بالقنا مخمل^(١)

يفاجيء جيشاً بها حينه وينذر جيشاً بها القسطل^(٢)

ثم يتصور في هذا الكلام الغث الرث فيتبعه به حيث يقول :

جعلتك في القلب لي عدةً لأنك باليد لا تجعل

ولو قاله بعض صبيان المكاتب لاستحيا له منه .

* * *

٣ - ومنها استكراه اللفظ ، وتعقيد المعنى

وهو أحد مراكبه الخشنة التي يتسنىها ، ويأخذ عليها في الطرق الوعرة

فيضل ويضل ويتعب ويثعب ولا ينجح ، إذ يقول في وصف الناقة [من

الكامل] :

فتبيت تسئد مسئداً في نيتها إسأدها في المهمه الأنضاء^(٣)

وتقديره : فتبيت تسئد مسئد الأنضاء في نيتها إسأدها في المهمه : أي كلما قطعت

الأرض قطعت الأرض شحمها على احتذاء ومثال هذا بهذا .

(١) الملمومة : الدرع .

(٢) القسطل : الغبار .

(٣) سئد : تسرع السير في الليل خاصة والني : الشحم

والمهمه : الأرض الواسعة البعيد

والأنضاء : مصدر أنضاء : أي أهزله .

ويقول في المدح [من الكامل] :

أنسى يكون أبا البرايا آدمَ وأبوك ، والثقلان أنت ، محمد^(١)
وتقديره : أنسى يكون آدمَ أبا البرايا وأبوك محمد وأنت الثقلان .
وقال من نسيب قصيدة [من الطويل] :

إذا عدلوا فيها أجبت بأنّي حبيبتا قلبي فؤادي هيا جمل
أراد « يا حبيبتى » ثم أبدل الياء من حبيبتى ألفاً تخفيفاً ، و « قلبي » منصوب لأنه
بدل من حبيبتا ، و « فؤادي » بدل من قلبي ، وهذا كقولك : أخي سيدي مولاي ،
نداء بعد نداء ، ويقال في النداء : يا زيد ، وأيا زيد ، وهيا زيد .

وأشبه هذه الأبيات كثيرة في شعره كقوله [من الطويل] :

لساني وعيني والفؤاد وهمتي أودّ اللواتي إذا اسمها منك والشرطُ
وقوله [من الطويل] :

فتى ألف جزء رأيه في زمانه أقلّ جزيّ بعضه الرأي أجمعُ
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواء
وهو مما اعتل لفظه ، ولم يصح معناه ، فإذا قرع السمع لم يصل إلى القلب
إلا بعد إتعاب الفكر ، وكد خاطر ، والحمل على القريحة ، [ثم] إن ظفر بعد
العناء والمشقة فقلما يحصل على طائل .

* * *

(١) الثقلان : الجنّ والانس .

٤ - ومنها عسف اللغة والأعراب

وهو مما سبق إلى القلوب إنكاره ، وإن كان عند المحتجين عنه الاعتذار له ، والمناضلة دونه ، كقوله [من الطويل] :

فدى من على الغبراء أولهم أنا لهذا الأبى الماجد الجائد القرم^(١)
ولم يحك عن العرب « الجائد » وإنما المحكى رجل جواد ، وفرس جواد ، ومطر جواد .

وكقوله [من الطويل] :

فأرحام شعري تتصلن لدنّه وأرحام مالٍ لا تني تتقطّع
وتشديد النون من « لدن » غير معروف في لغة العرب .

وكقوله [من الوافر] :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند أو طلع النخيل
والمعروف عند العرب الأترج ، والترنج مما يغلط فيه العامة . قال
الصاحب : لا أدري الاستهلال أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله ترنج أفصح ؟
وكقوله [من الكامل] :

بيضاء يمنعها تكلم دلّها تيهّا ، ويمنعها الحياء تميّسا
فنصب « تميّس » مع حذف أن ، وهو ضعيف عن أكثر النحويين .
وكقوله [من الكامل] :

وتكرّمت ركباتها عن مبرك^(٢) تقعان فيه ليس مسكاً أذفرا^(٣)

(١) القرم : السيد .

(٢) المبرك : مكان البروك ، والأذفر : ما ظهرت رائحته واشتدت سواء كانت طيبة أم خبيثة .

فجمع الركبات ثم انتقل إلى الثنية فقال « تقعان » ، وهو ضعيف وغير سديد في صناعة الإعراب .

وكقوله [من الخفيف] :

ليس إلّاك يا عليّ همامٌ سيفه دون عرضه مسلّولٌ

وكقوله [من السريع] :

لم تر من نادمت إلّا كا لا لسوى ودك لي ذا كا

فوصل الضمير بالآ ، وحقه أن ينفصل عنه كما قال الله تعالى^(١) : ﴿ ضل من تدعون إلا إياه ﴾ .

وكقوله [من البسيط] :

* لأنت أسود في عيني من الظلم *

وآلف التعجب^(٢) لا تدخل على أفعال ، وإنما يقال : أشد سواداً وحمرة وخضرة .
وكقوله [من الكامل] :

* جللاً كما بي فليكُ التبريحُ *

وحذف النون من « يكن » إذا استقبلها الألف واللام خطأ عند النحويين^(٣) ، لأنها تتحرك إلى الكسر ، وإنما تحذف استخفافاً إذا سكنت .

(١) من الآية ٦٧ من سورة الاسراء .

(٢) يريد أن صيغة «أفعل» في التفضيل والتعجب لا تبنى من الأفعال الدالة على الألوان ، وهذا رأي كثير من النحاة ، ومنهم من أجاز البناء من البياض والسواد بخصوصهما .

(٣) أجازة يونس بن حبيب واستدل له بوروده في بعض القراءات وفي الشعر العربي من مثل قول الشاعر : فإن لم تك المرأة أبدت وسامةً . فقد أبدت المرأة جهة ضيغم .

وكقوله [من الطويل] :

* أمط عنك تشبيهي بما وكأنه *^(١)

والتشبيه بما محال .

وكقوله [من الكامل] :

لعظمتَ حتى لو تكون أمانةً ما كان مؤتمناً بها جبرين

قال صاحب : وقلب هذه اللام إلى النون ، أبغض من وجه المنون ، ولا أحسب جبرائيل عليه السلام يرضى منه بهذا المجاز ، هذا على ما في البيت من الفساد والقبح .

وكقوله [من الطويل] :

حملت إليه من ثنائي حديقةً سقاها الحجا سقي الرياض السحائب
أي : سقي السحائب الرياض^(٢) .

* * *

٥ - ومنها الخروج عن الوزن

كقوله [من الطويل] :

تفكره علمٌ ، ومنطقه حكمٌ وباطنه دينٌ ، وظاهره ظرفٌ

وقد خرج فيه عن الوزن لأنه لم يجيء عن العرب « مفاعيلن » في عروض الطويل غير مصرع ، وإنما جاء « مفاعلن » ، قال صاحب : ونحن نحاكمه إلى كل شعر للقدماء والمحدثين على بحر الطويل ، فما نجد له على خطئه مساعداً .

(١) أمط : نحَّ وأبعد .

(٢) فيه الفصل بين المضاف والمضاف اليه بمفعول المضاف وهو جائز عند الكوفيين ، وله شواهد .

قال القاضي أبو الحسن : وقد عيب أيضاً بقوله [من الرمل] :

إِثْمًا بدر بن عَمَّار سحابٌ هَطِلٌ فيه ثوابٌ وعقابٌ

لأنه أخرج الرمل على « فاعلاتن » وأجرى جميع القصيدة على ذلك في الأبيات غير المصرفة ، وإنما جاء الشعر على « فاعلن » وإن كان أصله في الدائرة فاعلاتن .

* * *

٦ - ومنها استعمال الغريب الوحشي

وإذا كان المتنبي من المحدثين ، بل من العصريين ، وجرى على رسومهم في اختيار الألفاظ المعتادة المألوفة بينهم ، بل ربما انحط عنهم بالركاكة والسفسفة ، ثم تعاظم الغريب الوحشي ، والشاذ البدوي ، بل ربما زاد في ذلك على أقحاح المتقدمين - حصل كلامه بين طرفي نقيض ، وتعرض لاعتراض الطاعنين .

فمن ذلك الفن الذي ينادي على نفسه ، ويقلق موقعه في شعره وشعر غيره من أبناء عصره - قوله [من الوافر] :

وما أَرْضَى لمقلته بحلمٍ إذا انتبهت توهمه ابتشاكاً

والابتشاك : الكذب ، ولم أسمع فيه شعراً قديماً ولا محدثاً سوى هذا البيت وقوله في وصف الغيث [من الوافر] :

لساحيه على الأجداث حفشٌ كأيدي الخيل أبصرت المخالي

الساحي : القاشر ، ومنه سميت المسحاة لأنها تقشر وجه الأرض ، والحفش : مصدر حفش السيل حفشاً ، إذا جمع الماء من كل جانب إلى مستنقع .

وقوله في وصف السيف [من الخفيف] :

ودقيقٌ قديّ الهباء أنيقٌ متوالٍ في مستوٍ هزهازٍ

قدي : بمعنى مقدار ، يقال : بينهما قيد رمح ، وقدي رمح .

وقوله [من الكامل] :

* تطسُّ الخدود كما تطسن اليرمعا *

تطسن : أي تدق ، واليرمع : الحجارة الرخوة .

وقوله [من الكامل] :

وإلى حصى أرضٍ أقام بها بالناس منٌ تقيلها يَلُّ

الليل : إقبال الأسنان وانعطافها على باطن الفم ، ولم أسمع في غير شعره .

وقوله [من الكامل] :

* الشمس تشرق والسحاب كنهوراً *

الكنهور : القطع من السحاب العظيمة .

وقوله [من البسيط] :

وكيف أستر ما أوليت من حسنٍ وقد غمرت نوالاً أيها النَّالُ

والنال : المعطي .

وقوله [من الوافر] :

* أسائلها عن المتديريها *

قال صاحب : لفظة « المتديريها » لو وقعت في بحر صاف لكدرته ، ولو

ألقي ثقلها على جبل سام لهده ، وليس للمقت فيها نهاية ، ولا للبرد معها غاية ،

المتديروها : المتخذوها داراً .

قال صاحب : ومن أطم ما يتعاطاه التفاصح بالألفاظ النافرة ، والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، وغذي لبن ، لم يطق الحضر ، ولم يعرف المدر ، فمن ذلك قوله [من الطويل] :

أيفطمه التوراب قبل فطامه ويأكله قبل البلوغ إلى الأكل^(١)
وليس ذلك سائغاً لمثله ، وهو وليد قرية ، ومعلم صبية .

ومن الجموع الغربية التي يوردها قوله في جمع الأرض [من الوافر] :
أروضُ الناس من تربٍ وخوفٍ وأرضُ أبي شجاعٍ من أمانٍ^(٢)
وقوله في جمع اللغة [من الطويل] :

* عليمٌ بأسرار الديانات واللغى *

وقوله في جمع الدنيا [من الطويل] :

* أعزُّ مكان في الدنى سرج سابع *

وقوله في جمع الأخ [من الخفيف] :

* كلّ آخائه كرام بني الدنيا *

قال صاحب : لو وقع « الآخاء » في رائية الشماخ لاستثقل ، فكيف مع أبيات منها :

قد سمعنا ما قلت في الأحلام وأنلناك بدرةً في المنام^(٣)

(١) التوراب : لغة في التراب ، والترباء : الأرض .

(٢) أروض : جمع أرض .

(٣) البدرة : العطية ، وهي كيس من الدراهم ، أو صرة .

والكلام إذا لم يتناسب زيفته جهابذته ، وبهرجته نقاده .

* * *

٧ - ومنها الركافة والسفسفة بألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم

كقوله [من الطويل] :

رمانى خساس الناس من صائب استه وآخر قُطنٌ من يديه الجنادل^(١)

وقوله [من الوافر] :

وإن ما ريتني فاركب حصاناً ومثلهُ تخرُّ له صريعاً^(٢)

وقوله [من الكامل] :

إن كان لا يدعى الفتى إلاّ كذا رجلاً فسمّ الناس طراً إصبعا

وقوله [من الوافر] :

قسا فالأسد تفزع من يديه ورق فنحن نفزع أن يذوبا

وقوله [من الوافر] :

تألم درزه والدرز لينٌ كما يتألم العضب الصنيعاً^(٣)

وعلى ذكر الدرز فقد حكى صاحب في كتاب الروزنامجة من حديث لحظة
الطولونية المغنية ما يشبه معنى هذا البيت ، وهو أنه قال : سمعتها تقول : يا

(١) خساس الناس : أقلهم قدراً . والإيست : المؤخرة .

والقطن : الذي تصنع منه الثياب ، والجنادل : الصخور .

(٢) ماريتني : جادلني .

(٣) الدرز : الخياطة ، والعضب : السيف .

جارية ، علي بالقميص المعمول في النسج ، فقد آذاني نقل الدروز .

وقوله [من الخفيف] :

لسرى لباسه خشن القط من ومروي مرو لبس القروء

وقوله [من المجتث] :

ما أنصف القوم ضبه وأمه الطرطبه^(١)

رموا برأس أبيه وباكوا الأم غلبه^(٢)

وقوله [من البسيط] :

بياض وجه يريك الشمس طالعةً ودرّ لفظ يريك الدرّ مخشلا^(٣)

وقوله [من الكامل] :

إن كان مثلك كان أو هو كائنٌ فبرئت حينئذ من الإسلام
قال صاحب : « حينئذ » ، ههنا من غير منفلت .

قال : ومن ركيك صنعه ، في وصف شعره ، والزراية على غيره ، قوله [من

الخفيف] :

إنّ بعضاً من القريض هراءٌ ليس شيئاً ، وبعضه أحكام

منه ما يجلب البراعة والذهب ، ومنه ما يجلب البرسام

وقال : وههنا بيت نرضى باتباعه فيه ، وما ظنك بمحكم مناويه ثقة بظهور

حقه وإبراء زنده ؟ ، ولولم يكن التحكيم بعد أبي موسى من موجب العزم ،

(١) القرطبه : القصيرة الضخمة .

(٢) باكوا : نزوا .

(٣) المخشلب : نبطية الأصل ليست عربية وتعني خرز من حجارة البحر وليس بدر .

ومقتضى الحزم ، وهو [من الطويل] :

أطعناك طوع الدهر يا بن ابن يوسف
بشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
وقوله [من الخفيف] :

تقضمُ الجمر والحديد الأعادي دونه قضم سكر الأهواز
وقوله [من الكامل] :

فكأنما حسيب الأسنة حلوة أو ظنّها البرني والآذا^(١)
قال صاحب : إذا جمع السكر إلى البرني والآذا تم الأمر .

قال : وكانت الشعراء تصف المآزر ، تنزيهاً لألفاظها عما يستشنع ذكره ،
حتى تخطى هذا الشاعر المطبوع إلى التصريح الذي لم يهتد له غيره فقال [من
الكامل] :

إنّي على شغفي بما في خمرها لأعفّ عما في سراويلاتها
وكثير من العهر أحسن من هذا العفاف .

قال القاضي : ومن أمثاله العامية قوله [من المتقارب] :

وكلّ مكانٍ أتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخطى

* * *

ومنها إبعاد الاستعارة ، والخروج بها عن حدها

كقوله [من البسيط] :

مسرةً في قلوب الطيب مفرقتها وحسرةً في قلوب البيض واليلب^(٢)

(١) البرني : نوع من التمر، وكذلك الآذا .

(٢) اليلب : الجلد .

وقوله [من المنسرح] :

تجمعت في فؤادهم همم ملء فؤاد الزمان إحداها

وقوله [من الكامل] :

لم يحك نائلك السحاب ، وإنما حمّت به فصبيها الرحضاء^(١)

وقوله [من البسيط] :

إلا يشبّ فلقد شابّت له كبْدُ شيئاً إذا خضبتَه سلوةً نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وقد ذقت حلواء البنين على الصبا فلا تحسبني قلت ما قلت عن جهل

فجعل للطيب والبيض واليلب قلوباً ، وللسحاب حمى ، وللزمان فؤاداً ،
وللكبد شيئاً ، وهذه استعارات لم تجر على شبه قريب ولا بعيد ، وإنما تصح
الاستعارة وتحسن على وجه من الوجوه المناسبة ، وطرق من الشبه والمقاربة .

قال صاحب : وما زلنا نتعجب من قول أبي تمام [من الكامل] :

لا تسقني ماء الملام [فأنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي]
فخف علينا بحلواء البنين .

* * *

ومنها الاستكثار من قول « ذا »

قال القاضي : وهي ضعيفة في صنعة الشعر ، دالة على التكلف ، وربما

(١) الرحضاء : العرق إثر الحمى .

وافقت موضعاً تليق به فاكستت قبلاً ، فأما في مثل قوله [من الخفيف] :

قد بلغت الذي أردت من البرِّ ومن حق ذا الشريف عليك
وإذا لم تسر إلى الدار في وقتك ذا خفت أن تسير إليك
وقوله [من الكامل] :

لو لم تكن من ذا الوري اللذمنك هو عقت بمولد نسلها حواء
وقوله [من الكامل] :

عن ذا الذي حرم الليوث كماله تنسى الفريسة خوفه لجمالهِ
وقوله [من المنسرح] :

وإن بكينا له فلا عجبُ ذا الجزر في البحر غير معهود^(١)
وقوله [من الطويل] :

أفي كلِّ يومٍ ذا الدمستق مقدمُ قفاه على الإقدام للوجه لائمُ
وقوله [من الطويل] :

أبا المسك ذا الوجه الذي كنت تائقاً إليه ، وذا الوقت الذي كنت راجياً
وقوله [من الطويل] :

*وأعجب من ذا الهجر ، والوصل أعجب *

وقوله [من البسيط] :

أريد من زمني ذا أن يبلغني ما ليس يبلغه في نفسه الزمنُ

(١) الجزرُ : رجوع ماء البحر إلى الورا .

وقوله [من الطويل] :

* يضاحك في ذا اليوم كلَّ حبيبة *

فهو - كما تراه - سخافة وضعف ، ولو تصفحت شعره لوجدت فيه أضعاف ما ذكرناه من هذه الإشارة ، وأنت لا تجد منها في عدة دواوين جاهلية حرفاً ، والمحدثون أكثر استعانة بها ، لكن في الفرط والندرة ، أو على سبيل الغلط والقلّة .

* * *

ومنها الإفراط في المبالغة ، والخروج فيه إلى الإحالة

كقوله [من الوافر] :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هوناً وصاد الوحش نملهم ديباً^(١)

وقوله [من البسيط] :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنّه رجلاً
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضتُ بالخيّل في لهوات الطفل ما سعلا

وقوله [من الوافر] :

وأعجب منك كيف قدرت تنشأ وقد أعطيت في المهد الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا

وقوله [من الطويل] :

بمن أضرب الأمثال ؟ أم من أقيسه إليك وأهل الدهر دونك والدهر ؟

(١) الهون : الرفق والتأني والديب : مشي النمل .

وقوله [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه من السقم ما غيرت من خط كاتب

وقوله [من البسيط] :

من بعد ما كان ليلي لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره

فهو مما يستهجن في صنعة الشعر ، على أن كثيراً من النقدة لا يرتضون هذا الإفراط كله .

* * *

ومنها تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين

كقوله [من الطويل] :

ومن جاهل بي وهو يجهل جهله ويجهل علمي أنه بي جاهل

وقوله في هذه القصيدة :

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا قلاقل عيس كلهن قلاقل^(١)

قال صاحب : وما زال الناس يستبشعون قول مسلم [من الكامل] :

سلت وسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

حتى جاء هذا المبدع فقال [من الوافر] :

وأفجع من فقدنا من وجدنا قيل الفقد مفقود المثال

وأظن المصيبة في الراثي أعظم منها في المرثي .

(١) قلقل : حرك ، وقلاقل عيس : وهي النوق الخفيفة والعيس : الإبل .

وقوله [من الطويل] :

عظمتَ فلماً لم تكلمْ مهابةً تواضعت وهو العظم عظماً عن العظم

قال صاحب : وما أحسن ما قال الأصمعي لمن أنشده [من الطويل] :

فما للنوى جدّ النوى قطع النوى كذاك النوى قطاعةً لوصالٍ

لوسلط الله تعالى على هذا البيت شاة فأكلت هذا النوى كله !

وقوله [من الطويل] :

ولا الضعف حتى يتبع الضعف ضعفه ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألفُ

وقوله [من الوافر] :

ولم أر مثل جيرانني ومثلي لمثلي عند مثلهم مقامُ

وقوله [من البسيط] :

العارض الهتنُ ابن العارض الهتنِ ابْن العارض الهتنِ ابن العارض الهتنِ^(١)

وقوله [من الطويل] :

وإني وإنْ كان الدفين حبيبه حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ حبيبي

وقوله [من الطويل] :

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحقُ

وقوله [من المنسرح] :

ملولةٌ ما تدوم ليس لها من مللٍ دائمٍ بها مللُ

(١) العارض الهتن : الغيم الممطر.

وقوله [من الوافر] :

قبيلُ أنت أنت وأنت منهم وجدك بشر الملك الهمام^(١)

وقوله [من الوافر] :

وكلكم أتي ماتي أبيه فكلُّ فعالٍ كلكم عجابُ

وقوله [من الطويل] :

وما أنا وحدي قلت ذا الشعر كله ولكن شعري فيك من نفسه شعراً

وقوله [من الخفيف] :

إنما الناس حيث أنت ، وما لنا س بناسٍ في موضعٍ منك خالي

وقوله [من الطويل] :

ولولا تولّى نفسه حمل حملة عن الأرض لانهدت وناء بها الحملُ

وقوله [من الوافر] :

ونهبُ نفوسٍ أهل النَّهبِ أولى بأهل النَّهب من نهب القماشِ

وقوله [من الطويل] :

* وطعنٍ كأنَّ الطَّعنَ لا طعنَ عنده *

وقوله [من الطويل] :

أراه صغيراً قدرها عظم قدره فما لعظيمٍ قدره عنده قدرُ

(١) قبيل : جماعة .

وقوله [من الوافر] :

جواب مسألتي ألهُ نظيرُ ولا لك في سؤالك لا ألا
قال صاحب : ما قدرت أن مثل هذا البيت يلج سمعاً ، وقد سمعت
الفأفأ ، ولم أسمع بالألاء ، حتى رأيت هذا المتكلف المتعسف ، الذي لا يقف
حيث يعرف .

* * *

ومنها إساءة الأدب بالأدب

كقوله [من الكامل] :

فغدا أسيراً قد بللت ثيابه بدمٍ ، وبسلّ ببولّه الأفخاذا

وقوله [من المتقارب] :

وما بين كاذتي المستغير كما بين كاذتي البائل^(١)

وقوله [من الطويل] :

خفى الله واسترّ ذا الجمال ببرقعٍ فإن لحت حاضت في الخدور العوائق^(٢)
ويقال : لما أنكرت عليه « حاضت » غيره فجعله « ذابت » ، وذكر البول
والحيض مما لا يحسن وقوعه في مخاطبة الملوك والرؤساء .

وأقبح موقعاً من ذلك قوله في قصيدة يرثي بها أخت سيف الدولة ، ويعزيه
عنها حيث يقول [من البسيط] :

وهل سمعت سلاماً لي أسمع بها فقد أطلت وما سلّمت عن كذبٍ

(١) الكاذة : ما حول السوءة من ظاهر الفخذين ، أولحم مؤخرهما .

(٢) حاضت : من الحيض وهو معروف عند المرأة والعوائق : الكريمات من النساء .

وما باله يسلم على حرم الملوك ، ويذكر منهم ما يذكره المتغزل في قوله [من البسيط] :

يعلمن حين تحيَّ حسن مبسمها وليس يعلم إلاَّ الله بالشنب^(١)

وكان أبو بكر الخوارزمي يقول : لو عزاني إنسان عن حرمة لي بمثل هذا لألحقته بها ، وضربت عنقه على قبرها ، قال صاحب : ولقد مررت على مرثية له في أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس ، على سوء أدب النفس ، وما ظنك بمن يخاطب ملكاً في أمه بقوله [من الوافر] :

بعيشك هل سلوت فإنَّ قلبي وإنَّ جانبك أرضك غير سالي ؟
فيتشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه ، وإنما يقول مثل ذلك من يرثي بعض أهله ، فأما استعماله إياه في هذا الموضع فдал على ضعف البصر بمواقع الكلام ، وفي هذه القصيدة :

رواق العزِّ فوقك مسبطر وملك عليَّ ابنك في كمال^(٢)

ولعل لفظة الاسبطرار في مراثي النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المتبر قال : ولما أبدع في هذه القصيدة واخترع قال :

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه المكفَّن بالجمال
فلا أدري هذه الاستعارة أحسن أم وصفه وجه والدته ملك يرثيها بالجمال أم قوله في وصف قرابتها وجواربها .

أتتهنَّ المصائب غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلالِ !؟

* * *

(١) الشنب : البارد من رضاها .

(٢) رواق العزِّ : أي أروقتها . ومسبطر : الممتدَّ .

ومنها الايضاح عن ضعف العقيدة ورقة الدين

على أن الديانة ليست عياراً على الشعراء ، ولا سوء الاعتقاد سبباً لتأخير الشاعر ، ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذي لا يسوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً ، ومن استهان بأمره ، ولم يضع ذكره وذكر ما يتعلق به في موضع استحقاقه ، فقد باء بغضب من الله تعالى ، وتعرض لمقته في وقته ، وكثيراً ما قرع المتنبّي هذا الباب بمثل قوله [من الخفيف] :

يترشّفن من فمي رشفاتٍ هنّ فيه أحلى من التوحيد
وقوله [من الطويل] :

ونصفي الذي يكنى أبا الحسن الهوى ونرضى الذي يسمى الإله ولا يكنى
وقوله من قصيدة مدح بها العلوي [من الطويل] :

وأبهر آيات التهامي أنّه أبوكم ، وإحدى مالكم من مناقب
وقوله [من الكامل] :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذي الأفلاك فيه والدُّنا
وقد أفرط جداً ؛ لأن الذي الأفلاك فيه والدنا هو علم الله عز وجل .
وقوله [من المنسرح] :

الناس كالعابدين آلهة وعبده كالموحد اللاها

وقوله [من الكامل] :

لو كان علمك بالإله مقسماً في الناس ما بعث الإله رسولا

أو كان لفظك فيهم ما أنزل الـ سورة والفرقان والإنجيلا
وقوله [من الكامل] :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شمساً
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
عازر : اسم الرجل الذي أحياه المسيح عليه الصلاة والسلام ، بإذن الله عز
وجل .

أو كان لجُّ البحر مثل يمينه ما انشقَّ حتى جاز فيه موسى
وكان المعاني أعيته حتى التجأ إلى استصغار أمور الأنبياء ، وفي هذه القصيدة :
يا من نلوذ من الزمان بظلهُ أبداً ، ونطرد باسمه إليسا
وقوله وقد جاز حد الإساءة [من مجزوء الرجز] :

أيُّ محلٍّ أرتقي؟! أيُّ عظيمٍ أتقي؟!
وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقراً في همّتي كشعرة في مفرقي^(١)
وقبيح بمن أوله نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما حامل بول
وعذرة ، أن يقول مثل هذا الكلام الذي لا تسعه معذرة .

* * *

ومنها الغلط بوضع الكلام في غير موضعه

كقوله [من الوافر] :

أغار من الزجاجة وهي تجري على شفة الأمير أبي الحسين

(١) مفرقي : أي مفرق الشعر في الرأس .

وهذه الغيرة إنما تكون بين المحب ومحبوه ، كما قال أبو الفتح كشاجم
وأحسن [من الوافر] :

أغار إذا دنت من فيه كأسٌ على درٍّ يقبله الزُّجاجُ
فأما الأمراء والملوك فلا معنى للغيرة على شفاهها !
وكقوله [من المتقارب] :

وغرَّ الدمستق قول الوشاة إنَّ علياً ثقیلاً وصیب^(١)

فجعل الأمراء يوشى بهم ، وإنما الوشاية السعاية ونحوها [من الرعية] ،
ومن شأن الممدوح أن يفضل على عدوه ، ويجري العدو مجرى بعض أصحابه
وليس في اللغة أن يقال : وشى فلان بالسلطان إلى بعض رعيته .

وكقوله في وصف الحمى المعركة [من الوافر] :

إذا ما فارقتني غسلتني كأننا عاكفان على حرام
وليس الحرام أخص بالاغتسال منه من الحلال .
وكقوله في وصف مهره [من الرجز] :

* وزاد في الأذن على الخرائق *^(٢)

وأذن الفرس يستحب فيها الدقة والانتصاب ، وتشبه بطرف القلم ، وأذن
الأرنب ، على الضد من هذا الوصف .

* * *

(١) وصب : مريض .

(٢) الخرائق : الأرناب .

ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة

واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة ، في مثل قوله في وصف
فرس [من الطويل] :

[وتسعدني في غمرة بعد غمرة] سبوح لها منها عليها شواهد^(١)
وقوله [من الوافر] :

إذا ما الكأس أرعشتِ اليدين صحوت فلم تحل بيني وبين
وقوله [من الطويل] :

أفيكم فتى حي يخبّرني عني بما شربت مشروبة الراح من ذهني
وقوله [من مخلص البسيط] :

نال الذي نلت منه مني لله ما تصنع الخمور!
وقوله [من الكامل] :

كبر العيان عليّ حتّى إنّه صار اليقين من العيان توهمًا
وقوله [من الكامل] :

وبه يضمن على البرية ، لا بها وعليه منها ، لا عليها ، يوسي
وقوله [من الوافر] :

ولولا أنّني في غير نوم لكنت أظنّني مني خيالا
قال صاحب : ولو وقع قوله [من الخفيف] :

نحن من ضايق الزمان له فيك ، وخاتته قربك الأيام

(١) غمرة : موقعة وحرب ، وسبوح : فرس .

في عبارات الجنيد والشبلى لتنازعه المتصوفة دهرأ بعيدا .

ومن أشد ما قاله في هذا المعنى قوله [من الطويل] :

ولكنك الدنيا إليّ حبيبةً فما عنك لي إلاّ إليك ذهابُ

* * *

ومنها الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة

كقوله [من الكامل] :

ولجدت حتى كدت تبخل حائلاً للمتهدى ، ومن السرور بكاءُ

وقوله [من الخفيف] :

والأسى قبل فرقة الروح عجزُ والأسى لا يكون قبل الفراقِ

وقوله [من الخفيف] :

إلف هذا الهواء أوقع في الأندفس أنّ الحمام مرُّ المذاقِ

وقوله [من البسيط] :

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهمْ إلاّ على شجبٍ والخلف في الشجب^(١)

فقليل : تخلص نفس المرء سالمةً ، وقيل : تشرك جسم المرء في العطبِ

وقوله [من الكامل] :

خلفت صفاتك في العيون كلامه كالخط يملأ مسمعي من أبصرا

(١) الشجب : الهلاك .

وقوله [من الوافر] :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأمل كرى تحت الرجام^(١)
فإنّ لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام
قال ابن جني : أرجو أن لا يكون أراد بذلك أن نومة القبر لا انتباه لها .

* * *

ومنها استكراه التخلص

قال القاضي : لعلك لا تجد في شعره تخلصاً مستكراً إلا قوله [من الوافر] :
أحبك أو يقولوا : جرّ نملٌ ثبيراً وابن إبراهيم ريعاً^(٢)
فأما قوله [من الطويل] :
فأفنى وما أفنته نفسي ، كأنما أبو الفرج القاضي له دونها كهفٌ
وقوله [من البسيط] :
لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بعرانا
وقوله [من الطويل] :
أعزّ مكانٍ في الدّنا سرج سابحٍ وخير جليسٍ في الزّمان كتاب^(٣)
وبحر أبو المسك الخضّم الذي له على كلّ بحرٍ زخرةٌ وعباب^(٤)
فهي وإن لم تكن مستحسنة مختارة فليست بالمستهجن الساقط .

* * *

(١) الرجام : الحجارة توضع على القبر .

(٢) ثبير : اسم جبل ، وابن إبراهيم التنوخي مددوحيه ، وريعا : أي أخيف .

(٣) السابح : الحصان .

(٤) زخرة وعباب : كناية عن تفوّقه على غيره .

ومنها قبح المقاطع

كقوله بعد أبيات أحسن فيها غاية الإحسان ، وترقى الدرجة العالية ، وهي [من الطويل] :

ولله سرٌّ في علاك ، وإنّما أتلتمس الأعداء بعد الذي رأته
رأت كلّ من ينوي لك الغدر يتلي
قضى الله يا كافور أنّك واحدٌ
فما لك تختار القسيّ ، وإنّما
وما لك تعني بالأسنة والقنا
ولم تحمل السيف الطويل نجاده
أرد لي جميلًا جدت أو لم تجد به
هذا البيت الذي هو عوذتها .

لو الفلك الدوّار أبغضت سعيه
وقوله في قصيدة منها [من الكامل] :
في خطّه من كلّ قلبٍ شهوةٌ
ولكلّ عينٍ قرّةٌ في قريبه
هذا البيت الذي جعله المقطع .

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقت بمولد نسلها حواء

(١) القسيّ : جمع قوس ، والثقلان : الجن والإنس .

(٢) نجاد السيف : حمائله ، والحدثان : الليل والنهار .

(٣) قرّة : من القرار ، وهو السكينة والهدوء ، والقذى : ما يقع في العين من أذى .

وكقوله في آخر القصيدة [من الكامل] :

خلت البلاد من الغزاة ليلها فأعاضهاك الله كي لا تحزننا^(١)

* * *

هذا آخر المقابيح والمعائب ، وأول المحاسن والروائع والبدائع والقلائد والفرائد التي زاد فيها على من تقدم ، وسبق جميع من تأخر .

* * *

فمنها حسن المطالع

كقوله [من الطويل] :

فدينك من ربع وإن زدتنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلّم به ركبا

وقوله [من الكامل] :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول ، وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرق بلغت من العلياء كل مكان^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان مدح فالنسيب المقدم أكل فصيح قال شعراً متيم ؟
لحب ابن عبد الله أولى : فإنه به يبدأ الذكر الجميل ويختم

وقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما بينى على الأسل والطعن عند محييهن كالقبل^(٣)

(٣) الأسل : الرماح .

(١) الغزاة : أي الشمس .

(٢) المرّة : القوية الثابتة .

وقوله [من الوافر] :

فؤادٌ ما تسليه المدام وعمرٌ مثل ما يهب اللثام

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمنِ يخلو من الهمٌ أخلاهم من الفطن^(١)

وقوله [من الكامل] :

اليوم عهدكمُ فأين الموعدُ هيهات ليس ليوم عهدكمُ غدٌ؟
الموت أقرب مخلباً من بينكمُ والعيش أبعد منكمُ لا تبعدوا

وقوله [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألم

* * *

ومنها حسن الخروج والتخلص

كقوله [من البسيط] :

مرّت بنا بين تريبها فقلت لها : من أين جانس هذا الشادن العربيا^(٢)
فاستضحكت ثم قالت : كالمغيث يرى ليث الشرى وهو من عجلٍ إذا انتسبا

وقوله [من الطويل] :

وغيثٍ ظننا تحته أنٌ عامراً علا لم يمت أوفى السحاب له قبرٌ

وقوله [من الطويل] :

والأ فخانتنى القوافي ، وعاقني عن ابن عبيد الله ضعف العزائم

(١) أغراض : أهداف ، والفطن : الذكاء .

(٢) الشادن : الظبي إذا طلع قرنه .

إذا صلت لم أترك مصالاً لصائلٍ وإن قلت لم أترك مقالاً لعالمٍ

وقوله [من الطويل] :

نودّعهم والبين فينا كأثّه قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق^(١)

وقوله [من الكامل] :

ومقانبٍ بمقانبٍ غادرتها أقوات وحشٍ كنّ من أقواتها^(٢)
أقبلتها غرر البلاد كأنما أيدي بني عمران في جبهاتها

وقوله [من الكامل] :

حدقٌ يذمّ من القوائل غيرها بدر بن عمار بن إسماعيلاً

وقوله [من المتقارب] :

ولو كنت في أسر غير الهوى ضمنت ضمان أبي وائلٍ
فدى نفسه بضمن النضار وأعطى صدور القنا الذابل

* * *

ومنها النسيب بالأعرابيات

كقوله [من البسيط] :

من الجآذر في زيّ الأعراب حمر الحلّى والمطايا والجلابيب؟^(٣)
إن كنت تسأل شكّا في معارفها فمن بلاك بتسهيّد وتعذيب؟

(١) الفيلق : القطعة العظيمة من الجيش ، أو الرجل العظيم .

(٢) المقانب : جمع مقنب وهي الجماعة من الناس وأراد أنه لقي الأعداء بجيشٍ عظيم مغادرهم طعمةً للوحوش .

(٣) الجآذر : جمع جؤذر ، وهو ولد البقرة الوحشية .

سوائِرُ ربّما سارت هَواجِها مَنيعَةً بينَ مَطْعونٍ ومَضروبٍ
أي : لكثرة الرغبة فيهن ، وشدة الذب عنهن ، والمحاربة دونهن .

وربما وخذت أيدي المطيِّ بها على نجيعٍ من الفرسان مصبوبٍ^(١)
كم زروقٍ لي في الأعراب خافيةٍ أدهى وقد رَقَدُوا من زورة الذيب
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي
قد وقع التنبيه على حسن هذا البيت في شرف لفظه ومعناه ، وجودة تقسيمه ، وكونه
أمير شعره .

قد وافقوا الوحش في سكنى مراتعها وخالفوها بتقويضٍ وتطنيبٍ
فؤاد كلِّ محبٍّ في بيوتهم ومال كلِّ أخيرٍ المال محروبٍ^(٢)
ما أوجه الحضر المستحسّات به كأوجه البدويّات الرعايب^(٣)
حسن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسنٌ غير مجلوبٍ
أفدي ظباء فلاةٍ ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلةً أوراكنٌ صقيلاتُ العراقيب^(٤)
ومن هوى كلِّ من ليست مموهةً تركت لون مشيبي غير مخضوبٍ
ومن هوى الصدق في قولي وعادته رغبت عن شعرٍ في الوجه مكذوبٍ

وناهيك بهذه الأبيات جزالة وحلاوة وحسن معادن .

وله طريقة ظريفة في وصف البدويات قد تفرد بحسنها وأجاد ما شاء فيها ،

(١) وخذت : سارت ، والنجيع : الدم السائل .

(٢) محروب : الذي أخذ جميع ماله .

(٣) الرعايب : جمع رعبوبة وهي الطويلة الممتلئة .

(٤) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو العصب الغليظ فوق عقب الرجل .

فمنها قوله [من البسيط] :

هَامِ الْفؤَادِ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنْتُ بَيْتاً مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَضْرِبْ بِهِ طَنْبَا
مَظْلُومَةَ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غَصْنًا مَظْلُومَةَ الرِّيقِ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا^(١)

وقوله [من الكامل] :

إِنَّ الَّذِينَ أَقَمْتُ وَاحْتَمَلُوا أَيَّامَهُمْ لِدِيَارِهِمْ دُولُ
الْحَسَنِ يَرْحَلُ كُلَّمَا رَحَلُوا مَعَهُمْ ، وَيَنْزِلُ حَيْثُمَا نَزَلُوا
فِي مَقَلَّتِي رِشْلُ تَدِيرِهِمَا بِدَوِيَّةٍ فَتَنْتَ بِهَا الْحُلُلُ
تَشْكُو الْمَطَاعِمَ طَوْلَ هَجْرَتِهَا وَصُدُودَهَا وَمَنْ الَّذِي تَصِلُ

وصفها بقلة الطعام ، وهي محمودة في نساء العرب .

مَا أَسَارَتْ فِي الْقَعْبِ مِنْ لَبَنٍ تَرَكْتَهُ وَهُوَ الْمَسْكُ وَالْعَسَلُ^(٢)
قَالَتْ أَلَا تَصْحُو فَقُلْتُ لَهَا أَعَلِمْتَنِي أَنَّ الْهَوَى ثَمْلُ

وقوله [من الطويل] :

دِيَارِ اللَّوَاتِي دَارَهْنَ عَزِيزَةً بِطَوْلِ الْقَنَّا يَحْفَظْنَ لَا بِالتَّمَائِمِ^(٣)
حَسَانَ التَّنْثِي يَنْقُشُ الْوَشْيَ مِثْلَهُ إِذَا مِسْنٌ فِي أَجْسَادِهِنَّ النَّوَاعِمُ
وَيَسْمُنُ عَنْ دَرٍّ تَقْلَدُنْ مِثْلَهُ كَأَنَّ التَّرَاقِي وَشَحَّتْ بِالْمَبَاسِمِ^(٤)

* * *

(١) الضرب : بفتح الضاد والراء : الشهد ؛

(٢) السُّور : بضم فسكون ، ما فضل من الشرب في الإناء ، والقعب : الإناء .

(٣) التَّمَائِم : جمع تَمِيمَة وهي عوفة تعلق على الصبي من العين .

(٤) التَّرَاقِي : جمع تَرْقُوة ، وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر .

ومنها حسن التصرف في سائر الغزل

كقوله [من الكامل] :

قد كان يمنعني الحياء من البكا فالآن يمنعني البكا أن يمنعا
حتى كأن لكل عظم رنة في جلده ولكل عرق مدمعا
سفرت وبرقعها الحياء بصفرة سترت محاسنها ولم تك برقعا
فكأنها والدمع يقطر فوقها ذهب بسمطي لؤلؤ قد رصعا^(١)
كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فارت ليالي أربعا^(٢)
واستقبلت قمر السماء بوجهها فارتني القمرين في وقت معا

وهي مما يتغنى به لرشاقتها وبلوغها كل مبلغ من حسن اللفظ وجودة المعنى ، واستحكام الصنعة .

وكقوله [من الوافر] :

أيدري الربع أي دم أراقا ؟ وأي قلوب هذا الركب شاقا ؟
لنا ولأهله أبدا قلوب تلاقي في جسوم ما تلاقي

معناه ينظر إلى قول ابن المعتز [من الرجز] :

إنّا على البعاد والتفرق نلتقي بالذكر إن لم نلتقي

ومنها :

فليت هوى الأحبة كان عدلاً فحمل كل قلب ما أطاق^(٣)

(١) السمت : العقد .

(٢) الذوائب : خصلات الشعر في مقدمة الرأس .

(٣) عدلاً : منصفاً ، وأطاق : تحمل .

ومنها :

وقد أخذ التمام البدر فيهم وبين الفرع والقدمين نوراً
وطرفه إن سقى العشاق كأساً وخصرٍ تثبت الأحداق فيه

وأعطاني من السقم المحاقا يقود بلا أزمّتها النّياقا^(١)
بها نقصُ سقّانها دهاقا^(٢) كأنّ عليه من حدقٍ نطاقا^(٣)

وقوله [من المنسرح] :

كأنّما قدّما إذا انفتلت يجذبها تحت خصرها عجزاً
سكران من خمر طرفها ثملٌ كأنه من فراقها وجلٌ^(٤)

وقوله [من الكامل] :

مثّلت عينك في حشاي جراحةً نفذت عليّ السابريّ ، وربّما
فتشابها كلتاهما نجلاء^(٥) تندقّ فيه الصّعدة السّمراء^(٦)

وكقثوله [من الوافر] :

كأنّ العيس كانت فوق جفني لبسن الوشي لا متجماتٍ
مناخاتٍ فلمّا ثرن سالا^(٧) ولكنّ كي يصنّ به الجمالا
وضفّرن الغدائر لا لحسنٍ ولكن خفن في الشعر الضّلالا

* * *

(١) الفرع : الشعر الأسود كناية عن الرأس .

(٢) دهاقاً : مملوءة .

(٣) النطاق : الإزار ، وما تضعه المرأة في خصرها .

(٤) الوجل : الخوف .

(٥) النجلاء : الواسعة .

(٦) السابريّ : الدرع ، والصعدة : حديدة الرمح .

(٧) العيس : النوق والإبل ، ثرن : أي مشين ، وسال : أي دمه .

ومنها حسن التشبيه بغير أداة التشبيه

كقوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالاً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ترنو إليّ بعينِ الطّبيّ مجهشةً وتمسح الطلّ فوق الورد بالعنم^(٢)

وقوله [من الكامل] :

قمرأ ترى وسحابتين بموضعٍ من وجهه ويمينه وشماله

وقوله [من البسيط] :

أعارني سقم عينيه وحملني من الهوى ثقل ما تحوي مآزره

وقوله [من الوافر] :

عرفت نوائب الحدثان حتّى لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وقوله [من الكامل] :

فأتيت معتزماً ولا أسدً ومضيت منهزماً ولا وعلً

وقوله في وصف الخيل [من المتقارب] :

خرجنا من النقع في عارضٍ ومن عرق الركض في وابلٍ^(٣)

(١) رنت : نظرت .

(٢) العنم : شجر حجازي له نبت أحمر ، والعرب تشبّه به أصابع الحسان .

(٣) النقع : الغبار ، والعارض : الغيم . والواابل : الممطر .

وقوله [من الخفيف] :

وجيادٍ يدخلن في الحرب أعرا ءٌ ويخرجن من دمٍ في جلال^(١)
واستعار الحديد لوناً وألقى لونه في ذوائب الأطفال

* * *

ومنها الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات

كقوله [من الطويل] :

وإنَّ نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ على مقلّةٍ من فقدكم في غياهبِ
بعيدةٍ ما بين الجفون كأنما عقدتم أعالي كلِّ هذبٍ بحاجبِ

ذكر ابن جني أنه مثل قول بشار [من الوافر] :

جفت عيني عن التغميض حتّى كأنَّ جفونها عنها قصارُ

وذكر القاضي أنه مأخوذ من قول الطرمي في رطاناته [من الطويل] :

ورأسي مرفوعٌ إلى النجم كأنما قفائي إلى صلبي بخيطٍ غيظ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

كأنَّ رقيباً منك سدّ مسامعي عن العذل حتّى ليس يدخلها العذلُ
كأنَّ سهاد العين يعشق مقلتي فبينهما في كلِّ هجرٍ لنا وصلُ

وقوله [من الطويل] :

رأيت الحمياً في الزّجاج بكفه فشبهتها بالشمس في البدر في البحر^(٣)

(١) الجلال : جمع جل ، وهو للفرس كالبرذعة للحمار .

(٢) الصلب : عظم في الظهر من الكاهل إلى أسفل الظهر .

(٣) الحمياً : الخمر .

وقوله في الحمى [من الوافر] :

وزائرتي كأنَّ بها حياءَ فليس تزور إلا بالظلام
بذلت لها المطارف والحشايا فعافتها وباتت في عظامي

وقوله في وصف الظبي [من الرجز] :

أَغْنَاهُ حَسَنُ الْجِيدِ عَنِ لِبَسِ الْحُلَى وَعَادَةُ الْعَرِيِّ عَنِ التَّفْضُلِ^(١)

* كَأَنَّهُ مَضْمُخٌ بِصَنْدَلٍ *^(٢)

وقوله في سرعة الأوبة وتقليل اللبث [من الوافر] :

وما أنا غير سهمٍ في هواءٍ يعود ولم يجد فيه امتسكا
قال ابن جنى : قد اختلف أهل النظر في هذا الموضع ، فقال قوم : إن السهم
والحجر ونحوهما إذا رمي به صعدا فتناهى صعوده كانت له في آخر ذلك لبثة ما ، ثم
يتصوب منحدرأ . وقال آخرون : لا لبثة له هناك ، وإنما أول وقت انحداره وقت
صعوده .

وقوله - وهو أحسن ما قيل في وصف محنة نهكت صاحبها ، واشتدت به ، ثم
عاد إلى حال السلامة وقد هذبت تلك الحال وزادته صفاء وسهولة [من الوافر] :

وربَّما شفيت غليل صدري بسيرٍ أو مقامٍ أو حسامٍ
وضاقتُ خطَّةً فخرجت منها خروج الخمر من نسج القدم^(٣)

وقوله وهو مما لم يسبق إليه [من الطويل] :

كريمٌ نفضت الناس لما لقيته كأنهم ما جفَّ من زاد قادمٍ

(١) الجيد : العنق ، والتفضُّل : بقيَّة الشيء .

(٢) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر ، خشبه طيب الرائحة .

(٣) القدم : المصفاة .

وكاد سروري لا يفني بندامتي على تركه في عمري المتقدم
وقوله وهو من بدائع [من الوافر] :

رضوا بك كالرضا بالشيب قسراً وقد وخط النواصي والفروعاً^(١)
وقوله في وصف الشعر [من البسيط] :

إذا خلعت على عرض له حلاًلاً وجدها منه في أبهى من الحلل
بذي الغباوة من إنشادها ضرراً كما تضر ريار الورد بالجعل^(٢)
وذلك أن الجعل إذا طرح عليه الورد غشى عليه .

* * *

ومنها التمثيل بما هو من جنس صناعته

كقوله [من البسيط] :

وإنما نحن في جبل سواسية شر على الحر من سقم على البدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي إذا جئت في استفهامها بمن

« من » إنما يستفهم بها عمن يعقل ، يقول : هؤلاء كالبهائم ، فقولك لهم
« من أنتم » خطأ ، إنما ينبغي أن يقال لهم « ما أنتم » لأن موضع « ما » لما لا
يعقل ، ويحكى أن جريراً لما قال [من البسيط] :

يا حبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا
قال الفرزدق : ولو كان ساكنه قروداً ؟ فقال له جرير : لو أردت هذا لقلت ما كانا
ولم أقل من كانا .

(١) وخط : خالط ، والنواصي : جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس والفروع : الشعر الأسود .

(٢) الجعل : نوع من الخنافس .

وكقوله [من البسيط] :

نجاج رأيك في وقتٍ على عجلٍ كلفظ حرفٍ وعاء سامعٍ فهمٍ

وقوله [من البسيط] :

من اقتضى بسوى الهندي حاجتهُ أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلمٍ

وقوله [من الكامل] :

أمضى إرادته فسوف له قد واستقرب الأقصى فثمَّ له هنا

« سوف » للاستقبال ، و « قد » موضوعة للمضي ومقاربة الحال ، يقول :

إذا نوى أمراً فكأنما يسابق نيته ، وقوله [من الكامل] :

دون التعانق ناحلين كشكلتي نصبٍ أدقَّهما وضمَّ الشاكلُ

وقوله [من الوافر] :

ولولا كونكم في الناس كانوا هراءً كالكلام بلا معان^(١)

وقوله [من الطويل] :

قشيراً وبلعجان فيها خفيةُ كراءين في ألفاظ ألثغ ناطق^(٢)

وقوله [من الطويل] :

إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازُ

المضارع ما كان في أوله إحدى الزوائد الأربع ، مثل : أقوم ، ونقوم ونقوم ، ويقوم ، يقول : إذا نويت فعلاً أوقعت قبل فوته . وقبل أن يقال لم يفعل ، وأن

(١) الهراء : الذي لا معنى وراءه .

(٢) أراد بقوله ، بلعجان ، بنو العجلان .

يفعل ، وقوله [من الوافر] :

وكان ابنا عدو كاثرا له يآي حروف أنيسان

« أنيسان » تصغير إنسان وتحقيقه ، وإنسان عدد حروفه خمسة ، وهو اسم مكبر ، فإذا صغرت زدت عليه ياءين فزادت حروفه ونقص معناه ، فكذلك إذا كان لعدوه ابنان فكاثره بهما ، فيكونان زائدين في عدده ولكن ناقصين ، لسقوطهما وتخلفهما .

* * *

ومنها المدح الموجه

كالثوب له وجهان ما منهما إلا حسن ، كقوله [من الطويل] :

نهب من الأعمار ما لو حوته لهنت الدنيا بأتك خالد

قال ابن جني : لو لم يمدح أبو الطيب سيف الدولة إلا بهذا البيت وحده لكان قد بقي فيه ما لا يخلقه الزمان ، وهذا هو المدح الموجه ، لأنه بنى البيت على ذكر كثرة ما استباحه من أعمار أعدائه ، ثم تلقاه من آخر البيت بذكر سرور الدنيا ببقائه ، واتصال أيامه ، وكقوله [من البسيط] :

عمر العدو إذا لاقاه في رهج^(١) أقل من عمر ما يحوي إذا وهبا^(٢)
مال كان غراب البين يرقبه فكلما قيل هذا مجتذر نعبا^(٣)

وقوله [من المنسرح] :

تشرق تيجانه بغرته إشراق ألفاظه بمعناها

(١) الrehج : غبار الحرب .

(٢) المجتدي : السائل ، ونعب : صوت .

وقوله [من المنسرح] :

تشرق أعراضهم وأوجهمُ كأنما في نفوسهم شيمُ

وقوله [من الطويل] :

إلى كم تردّ الرسل فيما أتوا له كأنهم فيما وهبت ملامُ

وقوله [من الطويل] :

يخيّل لي أنّ البلاد مسامعي وأنيّ فيها ما تقول العواذلُ

وقوله [من البسيط] :

كانّ ألسنهم في النطق قد جعلتُ على رماحهم في الطعنِ خرصانا^(١)



ومنها حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية

كقوله [من المتقارب] :

لقد رفع الله من دولةٍ لها منك يا سيفها منصل^(٢)

وقوله [من الكامل] :

لولا سميّ سيوفه ومضاؤه لمّا سلّين لكنّ كالأجفان

وقوله [من الطويل] :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنّك نصلّ والشدائد للنصلِ

(١) خرصان : جمع خرّص ، وهو سنان الرمح .

(٢) المنصل : السيف .

وقوله [من البسيط] :

يَسْمَى الحسام وليست من مشابهة
كلّ السيوف إذا طال الضراب بها
وكيف يشبهه المخدم والخدم
يمسّها - غير سيف الدولة - السأم^(١)

وقوله [من الطويل] :

تهاب سيوف الهند وهي حدائدُ
فكيف إذا كانت نزاريةً عرباً

وقوله [من الطويل] :

تحير في سيفٍ : ربيعة أصله
وطابعه الرحمن ، والمجد صاقلُ

وقوله [من الخفيف] :

قلّد الله دولةً سيفها أند
فإذا اهتزّ للندى كان بحرأ
ت حساماً بالمكرمات محلّى
وإذا اهتزّ للعدا كان نصلاً

وقوله [من الطويل] :

وأنت حسام الملك والله ضاربُ
وأنت لواء الدّين والله عاقدُ

وقوله [من الطويل] :

لقد سلّ سيف الدولة المجد معلماً
على عاتق الملك الأغرّ نجاده
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه^(٢)
وفي يد جبار السّموات قائمه^(٣)
وإنّ الذي سمى علياً لمنصفُ
وما كلّ سيفٍ يقطع الهام حده^(٤)
وإنّ الذي سمّاه سيفاً لظالمه
وتقطع لزبات الزمان مكارمه^(٥)

(١) الضراب : من الضرب ، والسأم : الملل .

(٢) معلماً : واضحاً عالياً وثلمه : قطعه .

(٣) قائمه : قبضته .

(٤) الزبات : شدّته وقطعه .

وقوله [من الكامل] :

إنَّ الخليفة لم يسمَّكَ سيفهُ حتى بلاك فكنـت عين الصارم^(١)
وإذا تتوج كنت درّة تاجه وإذا تختّم كنت فصّ الخاتم

وقوله [من الكامل] :

من للسيوف بأن تكون سميّها في أصله وفرنـدِه ووفائِه^(٢)
طبع الحديد فكان من أجناسه وعليّ المطبوع من آبائه

* * *

ومنها الإيداع في سائر مدائحه

كقوله [من الكامل] :

ملكٌ سنانٌ قناته وبنانه يتباريان دماً وعرفاً ساكبا
يستصغر الخطر الكبير لوفده ويظنّ دجلة ليس تكفي شاربا
كالبدر من حيث التفت رأيتـه يهدي إلى عينك نوراً ثاقبا
كالشمس في كبد السماء وضوؤها يغشى البلاد مشارقاً ومغاربـا
كالبحر يقذف للقريب جواهرأ جوداً ، ويبعث للبعيد سحائبـا

وقوله [من الكامل] :

ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها
عجباً له حفظ العنان بأنمل ما حفظها الأشياء من عاداتها
لو مرّ يركض في سطور كتابه أحصى بحافر مهـره ميماتها
كرمٌ تبين في كلامك مائلاً ويبن عتق الخيل في أصواتها^(٣)

(١) بلاك : اختبرك ، والصارم : السيف القاطع .

(٢) الفرند : السيف بالفارسية .

(٣) عتق الخيل : نجابتها .

أعيا زوالك عن محلّ نلته لا تخرج الأقمار من هالاتها

فيه مدح ، ومثل مضروب ، وتشبيه نادر .

ذكر الأنام لنا فكان قصيدة أنت البديع الفرد من أبياتها

وهذا البديع الفرد من أبيات هذه القصيدة ، وكقوله [من الطويل] :

وما زلت حتى قادني الشوق نحوه يسايرني في كل ركب له ذكر
وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلمّا التقينا صغر الخبر الخبر

هذا ضد قولهم « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

أزالت بك الأيام عتبي كأنما بنوها لها ذنب وأنت لها عذر
وكقوله [من الطويل] :

ألا أيّها المال الذي قد أباده تعزّ فهذا فعله بالكتائب^(١)
لعلّك في وقتٍ شغلت فؤاده عن الجود أو أكثر جيش محارب

وقوله [من الخفيف] :

بعثوا الرعب في قلوب الأعادي فكأنّ القتال قبل التلاقي
وتكاد الظبا لما عودوها تنتضي نفسها إلى الأعناق
كلّ ذمير يزيد في الموت حسناً كبذورٍ تمامها في المحاق^(٢)
كرمٌ خشنَ الجوانب منهم فهو كالماء في الشّفار الرقاق^(٣)
ومعالٍ إذا ادّعاها سواهم لزمته جناية السُّراق

(١) أباده : أنفقه ، والكتائب : جمع كتيبة وهي الفرقة من الجيش .

(٢) الذمير : الشجاع الظريف . والمحاق : سرار القمر وخفاؤه .

(٣) الشّفار : السيوف .

وكقوله [من الخفيف] :

خير أعضائنا الرءوس ولكن فضلتها بقصدك الأقدام

وكقوله [من المنسرح] :

قومٌ بلوغ الغلام عندهم
كأنما يولد الندى معهم
إذا تولّوا عداوةً كشفوا
تظنُّ من فقدك اعتادهم
إن برقوا فالحثوف حاضرة
أو شهدوا الحرب لاقحاً أخذوا
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا
أو ركبوا الخيل غير مسرجة
تشرق أعراضهم وأوجههم
أعيذك من صروف دهركم

وكقوله [من المنسرح] :

الناس ما لم يروك أشباه
والجود عينٌ وأنت ناظرة
يا راحلاً كلٌّ من يودّعه
إن كان فيما تراه من كرم
والدهر لفظٌ وأنت معناه
والبأس باعٌ وأنت يميناه
مودّع دينه ودينياه
فيك مزيدٌ فزادك الله

وكقوله [من البسيط] :

تمشي الكرام على آثار غيرهم وأنت تخلق ما تأتي وتبتدع

(١) لاقحاً : هائجة .

(٢) خاب سائلي : هذه جملة يقولها أحدهم عندما يحلف ، مثل قول أحدهنا « برئت من كذا » .

من كان فوق محلّ الشمس موضعه
وكقوله [من الطويل] :

فلما رأوه وحده دون جيشه
وكقوله [من الطويل] :

وأوردتهم صدر الحصان وسيفه
جواداً على العلات بالمال كلّ
وكقوله [من الطويل] :

أرى كلّ ذي ملكٍ إليك مصيره
إذا أمطرت منهم ومنك سحابة
وقوله [من الطويل] :

ودانت له الدنيا فأصبح جالساً
وكلّ أناسٍ يتبعون إمامهم
وربّ جوابٍ عن كتابٍ بعثته
وكقوله [من الطويل] :

هم المحسنون الكرّ في حومة الوغى
ولولا احتقار الأسد شبهتها بهم
وأحسن منهم كرّهم في المكارم^(١)
ولكنّها معدودة في البهائم

(١) العلات : كلّ الأحوال .

(٢) الطلّ : الندى ، والوابل : المطر .

(٣) القتّام : الغبار .

(٤) الكرّ : الهجوم والحرب .

وكقوله [من المنسرح] :

أغرّ أعداؤه إذا سلموا بالهرب استكثروا الذي فعلوا
إنك من معشرٍ إذا وهبوا ما دون أعمارهم فقد بخلوا
كتيبةٌ لست ربّها نفلٌ وبلدةٌ لست حليها عطلٌ^(١)

وكقوله [من المنسرح] :

لو كفر العالمون نعمته لما عدّت نفسه سجاياها^(٢)
كالشمس لا تبتغي بما صنعت منفعةً عندهم ولا جاها

وكقوله [من الطويل] :

فجاءت بنا إنسان عين زمانه وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا^(٣)
وهذا أحسن ما يمدح به ملك اسود ، ولا نهاية لحسنه ، وشرف معناه ، وجودة
تشبيهه وتمثيله :

ترفع عن عون المكارم فعله فما يفعل الفعلات إلّا عذاريا^(٤)
أبا كلّ طيّبٍ ، لا أبا المسك وحده وكلّ سحاب لا أخصّ الغواديا
يدلّ بمعنى واحدٍ كلّ فاخرٍ وقد جمع الرحمن فيك المعانيا

ألم فيه بقول أبي نواس [من المجث] :

كأنّما أنت شيءٌ حوى جميع المعاني

* * *

(١) النفل : الغنيمة ، والعطل : الخالية من الحليّ .

(٢) عدت : فارقت ، والسجايا : المزايا والصفايا .

(٣) إنسان العين : يؤبّوها .

(٤) العون : النصف من النساء ، وأراد هنا المكreme التي لها مثال ونظير ، والعذارى : البكر من النساء ،

وأراد المكreme التي ليس لها نظير .

ومنها مخاطبة الممدوح من الملوك

بمثل مخاطبة المحبوب والصديق ، مع الإحسان والإيداع

وهو مذهب له : تفرد به ، واستكثر من سلوكه ، اقتداراً منه ، وتبحراً في
الألفاظ والمعاني ، ورفعاً لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدرجاً لها إلى مماثلة
الملوك ، في مثل قوله لكافور [من الطويل] :

وما أنا بالباغي على الحبّ رشوةً ضعيف هوىً يبغي عليه ثوابُ
وما شئت إلا أن أدلّ عواذلي على أن رأيي في هواك صوابُ
وأعلم قوماً خالفوني فشرقوا وغربتُ ، أتّي قد ظفرت وخابوا
إذا نلت منك الودّ فالمال هينُ وكلّ الذي فوق الترابِ ترابُ

وقوله له [وقد أهداه مهراً أسود] [من الطويل] :

فلو لم تكن في مصر ما سرت نحوها بقلب المشوق المستهام المتيمّ

وقوله لابن العميد [يودعه] [من الطويل] :

تفضّلتِ الأيام بالجمع بيننا فلمّا حمدنا لم تدمنا على الحمدِ
فجدّ لي بقلبٍ إن رحلت فإنني مخلفٌ قلبي عند من فضله عندي

وقوله لعضد الدولة [من الوافر] :

أروح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحلّ به سواكا
فلو أني استطعت حفظت طرفي فلم أبصر به حتّى أراكا

من قصيدة تشتمل على أبيات من هذا الطراز ، سأكتبها في آخر الباب .

وكقوله لسيف الدولة [من البسيط] :

ما لي أكتّم حبّاً قد برى جسدي وتدّعي حبّ سيف الدولة الأمّ ؟

إن كان يجمعنا حبٌ لغرته
يا أعدل الناس إلّا في معاملتي
إذا رأيت نيوب الليث بارزةً
أعيدها نظراتٍ منك صادقةً
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ
إن كان سرُّكم ما قال حاسدنا
وبيننا، لو رعيتم ذاك، معرفةً
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
ليت الغمام الذي عندي صواعقه
أرى النوى تقتضيني كلَّ مرحلةٍ
لئن تركنا ضميراً عن ميامننا
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
شر البلاد بلادٌ لا صديق بها
وشرُّ ما قنصته راحتي قنصٌ

فليت أنا بقدر الحبِّ نقسِمُ^(١)
فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم
فلا تظنَّنْ أنَّ الليث يتسم
أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورمٌ
إذا استوت عنده الأنوار والظلمُ
واجدانا كلُّ شيءٍ بعدكم عدم
لو أنَّ أمركم من أمرنا أممٌ^(٢)
فما لجرحٍ - إذا أرضاكم - ألمٌ
إنَّ المعارف في أهل النُّهى ذمٌ
ويكره الله ما تأتون والكرم
أنا الثريا وذان الشيب والهزم
يزيلهنَّ إلى من عنده الدِّيمُ^(٣)
لا تستقلَّ بها الوخادة الرِّسمُ^(٤)
ليحدثنَّ لمن ودَّعتهم ندم
ألّا تفارقهم فالراحلون هم
وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصمُ^(٥)
شهب البزاة سواءٌ فيه والرخمُ^(٦)

(١) لغرته: لطلعته المضئية .

(٢) أخلقنا : أجددنا ، وأمم : قريب .

(٣) الدِّيم : السحاب الممطر .

(٤) النوى : الفراق والبعد ، والوخادة : النوق السريعة السير ، والرسم : جمع رسوم ، وهي الناقة التي

تؤثّر في الأرض بأخفافها .

(٥) يصم : يلحق به العار .

(٦) الرخم : طائرٌ من الجوارح يشبه النسر .

وهي - على براعتها ، واستقلال أكثر أبياتها بأنفسها - تكاد تدخل في باب
إساءة الأدب بالأدب ، وقد تقدم ذكره .

* * *

ومنها استعمال ألفاظ الغزل والنسيب في أوصاف الحرب والجد

وهو أيضاً مما لم يسبق إليه ، وتفرد به ، وأظهر فيه الحذق بحسن النقل ،
وأعرب عن جودة التصرف والتلاعب بالكلام ، كقوله [من البسيط] :

أعلى الممالك ما يبني على الأسلِ والطعن عند محيِّهن كالقبلِ
وقوله ، وهو من فرائده [من الطويل] :

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقَةٌ له إذا زارها فدَّتْهُ بالخيل والرجل
وكقوله [من البسيط] :

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهم تركتَ جمعهم أرضاً بلا رجلٍ
ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثملِ
وكقوله [من المنسرح] :

والطَّعنُ شزراً والأرضُ واجفةٌ كأنما في فؤادها وهل^(١)
قد صبغت خدَّها الدماءُ كما يصبغ خدَّ الخريدة الخجل^(٢)
والخيل تبكي جلودها عرقاً بأدمعٍ ما تسحَّها مقلُّ^(٣)

(١) الشزr : أي أن الطعن عن اليمين والشمال ، وواجه : مضطربة ، والوهل : الخوف والرعب والذهل .

(٢) الخريدة : الفتاة البكر .

(٣) تسحَّ : تذرف .

وكقوله [من الطويل] :

تعوّد أن لا تقضم الحبّ خيله إذا الهام لم ترفع جنوب العلائق^(١)
ولا ترد الغدران إلّا وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق

وكقوله [من الكامل] :

فأتتك دامية الأطلّ كأنما حذيت قوائمها العقيق الأحمر
وإذا الحمائل ما يخذن بنفنفٍ إلّا شققن عليه برداً أخضر^(٢)

وكقوله [من الكامل] :

قد سوّدت شجر الجبال شعورهم فكأنّ فيه مسفة الغربان^(٣)
وجرى على الورق النجيع القاني فكأنّه النارج في الأغصان

وكقوله [من الوافر] :

حمى أطراف فارس شمريّ يحضّ على التباقي في التفاني^(٤)
بضربٍ هاج أطراب المنايا سوى ضربِ المثلث والمثاني
كأنّ دم الجماجم في العناصي كسا البلدان ريش الحيقطان^(٥)
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان^(٦)

(١) العلائق : العلف الذي تعلق به .

(٢) يخذن : من الوخذ وهو ضرب من السير السريع ، والننف : المفازة والمهوى .

(٣) المسفة : الدانية من الأرض ، وأسف الطائر : إذا دنا من الأرض في طيرانه .

(٤) شمريّ : فارس كثير التشمير ، أي الجدّ والسعي ، ويحضّ : يحثّ .

(٥) العناصي : جمع عنصوة وهو الشعر المتفرّق في جوانب الرأس ، والحيقطان : ذكر الدراج وريشه ملون .

(٦) يريد بقلوب العشق ، قلوب أهله .

وكقوله [من الطويل] :

كَرِعْنَ بِسَبْتٍ فِي إِنْاءٍ مِنَ الْوَرْدِ^(١)

* * *

ومنها حسن التقسيم

حكى أبو القاسم الأمدى في كتاب الموازنة بين شعري الطائيين ، قال :

سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف [من الطويل] :

وصالْكُمُ هَجْرٌ ، وَحُبُّكُمُ قَلْبِي وَعُطْفُكُمُ صَدٌّ ، وَسَلْمُكُمُ حَرْبٌ^(٢)

وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ فِيكُمْ فِظَاظَةٌ وَكُلُّ ذُلُولٍ مِنْ مَرَاكِبِكُمْ صَعْبٌ^(٣)

فقال : والله هذا أحسن من تقسيمات إقليدس ، وقول أبي الطيب المتنبي في هذا

الفن أولى بهذا الوصف [من البسيط] :

ضاق الزمان ووجه الأرض عن ملكٍ ملء الزمان وملء السهل والجبل

فنحن في جدلٍ ، والرُّومُ في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ ، والبحرُ في خجلٍ^(٤)

وكقوله [من البسيط] :

الدَّهْرُ مَعْتَذِرٌ ، وَالسَّيْفُ مَتَنَزِّرٌ وَأَرْضُهُمْ لَكَ مُصْطَافٌ وَمُرْتَبِعٌ

للسبي ما نكحوا ، والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا ، والنار ما زرعوا

وقوله [من الطويل] :

فلم يخلُ من نصرٍ له مَنْ له يدُ ولم يخلُ من شكرٍ له مَنْ له فمُ

(١) كرعن : شربن . ، والسبت : بكسر السين وسكون الباء ، جلود تدبغ بالقرط .

(٢) القلى : البغض .

(٣) الذلول : اللين السهل الانقياد .

(٤) الجدل : السرور والفرح ، والوجل : الخوف .

ولم يخل من أسمائه عود منبر
وقوله [من الوافر] :

قليلٌ عائدي ، سقمٌ فؤادي
عليل الجسم ممتنع القيام
كثيرٌ حاسدي ، صعبٌ مرامي^(١)
شديد السكر من غير المدام

وقوله [من المتقارب] :

بمصر ملوكٌ لهم ما له
فأجود من جودهم بخله
وأشرف من عيشهم موته
ولكنهم ما لهم همّة
وأحمد من حمدهم ذمّة
وأنفع من وجدهم عدمه

وقوله [من البسيط] :

لم نفتقد بك من وزنٍ سوى لثقي
ولا من الليث إلا قبح منظره
ولا من البحر غير الريح والسفن^(٢)
ومن سواه سوى ما ليس بالحسن

وقوله [من الطويل] :

يجلٌ عن التشبيه : لا الكفُّ لجّة
ولا جرحه يؤسى ، ولا غوره يرى
محلك مقصودٌ ، وشانيك مفحمٌ
ولا هو ضرغامٌ ، ولا الرأي مخذمٌ
ولا حدّه ينبو ولا يتلّم^(٣)
ومثلك مفقود ، ونيلك خضرم^(٤)

(١) العائد : الزائر ، والمرام : الغاية والنيل .

(٢) المزن : السحاب الممطر ، واللقى : تبلل الثياب أو : الوحل .

(٣) غوره : عمقه وعبابه ، ينبو : لا يصيب ولا يقطع . ويتلّم : يتقطع .

(٤) الشانيء : المبغض ، والمفحم : المغلوب والمقهور . والخضرم : البحر العظيم ، والكثير من كل شيء .

وقوله [من الطويل] :

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم فدمٌ ، وأحزمهم وغدٌ^(١)
وأكرمهم كلبٌ ، وأبصرهم عمٌ ، وأسهدهم فهدٌ ، وأشجعهم قردٌ

وقوله [من الكامل] :

وغناك مسألةً ، وطيشك نفحةً ورضاك فيشلةً ، وربُّك درهمٌ^(٢)

وقوله [من الخفيف] :

عربيُّ لسانه ، فلسفيُّ رأيه ، فارسيَّةُ أعياده

وقوله [من الطويل] :

سقتني بها القطربليُّ مليحةً على كاذبٍ من وعدّها ضوء صادقٍ^(٣)
سهادٌ لأجفانٍ ، وشمسٌ لناظرٍ ، وسقمٌ لأبدانٍ ، ومسكٌ لناشِقِ
وأغيد يهوى نفسه كلَّ عاقلٍ ويهوى جسمه كلَّ فاسقٍ

* * *

ومنها حسن سياقة الأعداد

كقوله [من الطويل] :

على ذا مضى الناس : اجتماعٌ وفرقةٌ وميتٌ ومولودٌ ، وقالٍ وواقى^(٤)

(١) القدم : الجاهل والأحمق والوغد : الخبيث الماكر .

(٢) النفحة : الفورة والدفعة ، والفيشلة : القضيبة الضخم الرأس .

(٣) القطربليُّ : الخمر المنسوب إلى قطربل .

(٤) القال : الكاره ، والواقى : العاشق .

وقوله [من الطويل] :

ألا أيها السيف الذي ليس مغمداً ولا فيه مرتابٌ ، ولا منه عاصمٌ^(١)
هنيئاً لضرب الهام والمجد والعلأ وراجيك والإسلام أنك سالمٌ

وقوله [من الكامل] :

لا يستحي أحدٌ يقال له فضلك آل بويه أو فضلوا^(٢)
قدروا عفوا ، وعدوا وفوا ، سئلوا أغنوا ، علأوا علأوا ، ولأوا عدلأوا

وقوله [من قصيدة يمدح بها سيف الدولة] [من الطويل] :

وربٌ جوابٍ عن كتاب بعثته وعنوانه للناظرين قتامٌ
حروف هجاء الناس فيه ثلاثة : جوادٌ ، ورمحٌ ذابلٌ ، وحسام^(٣)

لما سمى الجيش جواباً جعل حروفه جواداً ورمحاً وحساماً ، اقتداراً واتساعاً في
الصنعة ، وقوله [من البسيط] :

ومرهفٌ سرتٌ بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم
فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابن جنى : قد سبق الناس إلى ذكر ما جمعه في هذا البيت ، ولكن لم
يجتمع مثله في بيت ما علمت ، وقد قال البحتري [من الخفيف] :

اطلبا ثالثاً سواي فإني رابع العيس والدُجى والبيد

(١) عاصم : مانع .

(٢) فضلك : غلبوك .

(٣) الرمح الذابل : الرمح الدقيق .

وهذا اللفظ عذب ، ولكن ليس فيه جميع ما في بيت المتنبي ، وقوله [من البسيط] :

أنت الجواد بلا منٍّ ولا كدرٍ ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مذلٍّ^(١)
وقوله [من المنسرح] :

بي حرٌّ شوقٍ إلى ترشُّفها يفصل الصبر حين يتصلُّ
فالثغر والفجر والمخلخل والد معصم دائي ، والفاحم الرُّجل^(٢)

وقوله [من الطويل] :
ولكنَّ بالفسطاط بحرأً أزرتَه حياتي ونصحي والهوى والقوافيا^(٣)

وقوله [من الطويل] :
أميناً وإخلاقاً وغدراً وخسَةً وجبناً، أشخصاً لحت لي أم مخازيا ؟^(٤)

ومنها إرسال المثل في أنصاف الأبيات

كقوله [من الطويل] :

* مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ *

وقوله [من الطويل] :

* ومن قصد البحر استقلَّ السَّواقيا *

وقوله [من الطويل] :

* وخير جليسٍ في الزمان كتابُ *

(١) المنّ : تعداد الفضل في كلّ مناسبة والمذلّ : الضجر والقلق .

(٢) الفاحم الرُّجل : الشعر المسترسل المنسرح .

(٣) أزرتَه : منحته .

(٤) المين : الكذب .

وقوله [من البسيط] :

* إِنَّ المعارف في أهل النَّهي ذمُّ *

وقوله [من البسيط] :

* وَرَبَّما صَحَّتِ الأجسام بالعللِ *

وقوله [من الوافر] :

* وفي الماضي لمن بقيَ اعتبارُ *

وقوله [من المتقارب] :

* وتَأبَى الطَّبَّاعُ على الناقلِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ومنفعة الغوث قبل العطبِ *

وقوله [من الكامل] :

* هيهات تكتم في الظلام مشاعلُ *

وقوله [من المنسرح] :

* ومخطىءٌ من رميه القمرُ *

وقوله [من الوافر] :

* وما خير الحياة بلا سرورِ *

وقوله [من البسيط] :

* بجبهة العير يفدى حافر الفرسِ *

وقوله [من المتقارب] :

* ولا رأي في الحب للعاقل *

وقوله [من الطويل] :

* ولكن طبع النفس للنفس قائد *

وقوله [من البسيط] :

* وليس يأكل إلا الميت الضبع *

وقوله [من الخفيف] :

* كل ما يمنح الشريف الشريف *

وقوله [من المنسرح] :

* والجوع يرضي الأسود بالجيف *

وقوله [من المتقارب] :

* ومن فرح النفس ما يقتل *

وقوله [من الطويل] :

* ويستصحب الإنسان من لا يلائمه *

وقوله [من البسيط] :

* إن النفيس غريب حيثما كانا *

وقوله [من الكامل] :

* فمن الرديف وقد ركبت غضنفرًا *

وقوله [من الطويل] :

* إذا عظم المطلوب قلّ المساعد *

وقوله [من البسيط] :

* ومن يسدّ طريق العارض الهطل *

وقوله [من الوافر] :

* وأدنى الشّرك في نسبٍ جوار *

وقوله [من الطويل] :

* وفي عنق الحسناء يستحسن العقد *

وقوله [من الطويل] :

* لا تخرج الأقمار من هالاتها *

وقوله [من الرجز] :

* إنّ النفوس عدد الأجال *

وقوله [من الطويل] :

* ولكنّ صدم الشرّ بالشرّ أحزم *

وقوله [من البسيط] :

* أنا الغريق فما خوفي من البلل *

وقوله [من الطويل] :

* أشدّ من السُّقم الذي أذهب السُّقما *

وقوله [من الوافر] :

* فَإِنَّ الرِّفْقَ بِالْجَانِي عِتَابٌ *

وقوله [من الكامل] :

* إِنَّ الْقَلِيلَ مِنَ الْحَبِيبِ كَثِيرٌ *

وقوله [من الطويل] :

* بَغِيضٌ إِلَيَّ الْجَاهِلُ الْمُتَعَاقِلُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَلَيْسَ كُلُّ ذَوَاتِ الْمَخْلَبِ السَّبْعُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَلِلسَّيُوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالٌ *

وقوله [من البسيط] :

* فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يَغْنِيكَ عَنْ زَحَلٍ *

وقوله [من الوافر] :

* فَأَوَّلُ قَرْحِ الْخَيْلِ الْمَهَارُ *

وقوله [من البسيط] :

* وَالْبَرُّ أَوْسَعُ وَالْدُنْيَا لِمَنْ غَلَبَا *

وقوله [من البسيط] :

* لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحْلِ *

وقوله [من الكامل] :

* ويبين عتق الخيل في أصواتها *

* * *

ومنها إرسال المثالين في مصراعي البيت الواحد

كقوله [من الطويل] :

وكلُّ امرئٍ يولي الجميل محبُّ وكلُّ مكانٍ ينبت العزَّ طيبٌ

وقوله [من المنسرح] :

في سعة الخافقين مضطربٌ وفي بلادٍ من أختها بدل

وقوله [من الكامل] :

الحبُّ ما منع الكلام الألسنا وألذَّ شكوى عاشقٍ ما أعلنّا

وقوله [من الخفيف] :

ذلٌّ من يغبط الذليل بعيشٍ ربُّ عيشٍ أخفُّ منه الحمام^(١)
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلاُم

وقوله [من الطويل] :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكنَّ أمانيا

وقوله [من البسيط] :

أفاضل الناس أغراضٌ لذا الزمن يخلو من الهم أخلاهم من الفطن

(١) يغبط الذليل : أي يتمنى مثل عيشه ويكاد يحسده عليه ، والحمام : الموت .

وقوله [من الطويل] :

وأتعب من ناداك من لا تجيبه وأغبط من عاداك من لا تشاكرُ

وقوله [من البسيط] :

لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبد لأنجاسُ مناكيدُ

وقوله [من الطويل] :

إذ أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمرّدا
ووضع الندى في موضع السيف بالعلا مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى
وما قتل الأحرار كالغزو عنهم ومن لك بالحرّ الذي يحفظ اليدا
وقيّدت نفسي في ذراك محبةً ومن وجد الإحسان قيّداً تقيّداً

* * *

ومنها إرسال المثل والاستملاء والموعظة

وشكوى الدهر والدنيا والناس

وما يجري مجراها .

كقوله [من الطويل] :

وما الجمع بين الماء والنار في يدي بأصعب من أن أجمع الجدّ والفهما

وقوله [من الكامل] :

يخفي العداوة وهي غيرُ خفيةٍ نظرُ العدو بما أسِرُّ يبوحُ

وقوله [من المنسرح] :

والأمر لله ، ربّ مجتهدٍ ما خاب إلاّ لأنّه جاهد^(١)

(١) جاهد : راغب في عمله ومثابر عليه .

وقوله [من الطويل] :

إليك فإني لست ممّن إذا اتقى عضاض الأفاعي نام فوق العقارب

وقوله [من الكامل] :

خير الطيور على القصور ، وشرّها يأوي الخراب ويسكن الناووساً^(١)

وقوله [من البسيط] :

ليس الجمال لوجهٍ صحّ مارنه أنف العزيز بقطع العزّ يُجتدعُ^(٢)

وقوله [من الوافر] :

وليس يصح في الأنهام شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليلٍ
قال ابن جني : هذا كما يقول أهل الجدل « من شك في المشاهدات فليس بكامل العقل » .

وقوله [من الطويل] :

وقد يتزيّا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه

وقوله [من الطويل] :

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا إذا لم يكن فوق الكرام كرامٌ

وقوله [من البسيط] :

ما كلُّ ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

(١) الناووس : القبر .

(٢) مارنه : لين جلده . يجتدع : يقطع ويرغم .

وقوله [من الكامل] :

وأحبُّ أُنِّي لو هويت فراقكمُ فارقته والدَّهرُ أحبُّ صاحبِ

وقوله [من الكامل] :

من خصَّ بالذمِّ الفراقُ فإنِّي من لا يرى في الدَّهرِ شيئاً يحمُدُ

وقوله [من الطويل] :

ومن نكد الدنيا على الحرِّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بدُّ^(١)

وقوله [من الخفيف] :

وإذا كانت النفوس كباراً تعبتُ في مرادها الأجسامُ

وقوله [من الكامل] :

تلفَ الذي اتخذ الشجاعة جنةً وعظ الذي اتخذ الفرار خليلاً^(٢)

وقوله [من الطويل] :

فإن يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوفُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا خفيتُ على الغبيِّ فعاذرُ أنْ لا تراني مقلّةً عمياءُ

وقوله [من البسيط] :

إن كنت ترضى بأن يعطوا الجزى بذلوا منها رضاك ومن للهور بالحولِ !؟

(١) النكد : البلاء والقهر .

(٢) الجنة : الدرع ، والخليل : الصاحب .

وقوله [من الوافر] :

فأجرك الإله على مريضٍ بعثت به إلى عيسى طيباً

وقوله [من الوافر] :

إذا أتت الإساءة من لئيمٍ ولم أَلَمِ المسيءَ فَمَنْ أَلومُ

وقوله [من الكامل] :

وإذا أتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأنّي فاضلُ

وقوله [من المتقارب] :

إذا ما قدرت على نطقةٍ فإنّي على تركها أقدرُ

وقوله [من الخفيف] :

واحتمال الأذى ورؤية جانيه هـ غذاءٌ تضوى به الأجسامُ^(١)

وقوله [من الكامل] :

وتوهموا اللعب الوغى والطعن في الـ هيجاء غير الطعن في الميدانِ

وقوله [من الخفيف] :

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن وحده والنزالا

وقوله [من الخفيف] :

ومن الخير بطفٌ سيبك عني أسرع السحب في المسير الجهام^(٢)

(١) تضوى : تهزل .

(٢) السيب : العطاء ، والجهام : القاتم .

وقوله [من الطويل] :

وليس الذي يتبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وقوله [من المنسرح] :

أبلغ ما يطلب النجاح به السطع ، وعند التعمق الزلل

وقوله [من البسيط] :

كم مخلص وعلاً في خوض مهلكة وقتلة قرنت بالذم في الجبن

وقوله [من المتقارب] :

وما قلت للبدر أنت اللجين ولا قلت للشمس أنت الذهب
ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله [من البسيط] :

فقر الجهول بلا قلب إلى أدب لا يعجبن مضيماً حسن بزته
فقر الحمار بلا رأس إلى رسن وهل يروق دفيناً جودة الكفن

وقوله [من الوافر] :

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فلم أر ودّهم إلا خداعاً
فإنّي قد أكلتهم وذاقا ولم أر دينهم إلا نفاقاً

وقوله [من الطويل] :

ذريني أنل ما لا ينال من العلا فصعب العلاف في الصّعب والسهل في السهل
تريدن لقيان المعالي رخيصة ولا بدّ دون الشهد من إبر النحل

(١) الغيب : اللحم المتدلّي تحت الحنك من الناس والبقر والديكة .

وقوله [من الطويل] :

وإن كان لا يغني فتيلاً ولا يجدي
ولكنه غيظ الأسير على القد^(١)

تمنّ يلدّ المستهام بمثله
وغيظ على الأيام كالنار في الحشا

وقوله [من الكامل] :

وعداوة الشعراء بشّ المقتني
ضيفٌ يجرُّ من الندامة ضيفنا

ومكائد السفهاء واقعةٌ بهم
لعت مقاربة اللثيم فإنها

وقوله [من الطويل] :

وإن كثرت في عين من لا يجربُ
وأعضائها فالحسن عنك مغيب^(٢)

وما الخيل إلا كالصديق قليلة
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها

وقوله [من الكامل] :

عَمّا مضى منها وما يتوقّع
ويسومها طلب المحال فتطمع^(٣)

تصفو الحياة لجاهلٍ أو غافلٍ
ولمن يغالط في الحقائق نفسه

كأنه مأخوذ من قول لبيد [من الرمل] :

إنّ صدق النفس يزري بالأمل

أكذب النفس إذا حدّتها

وكقوله [من الطويل] :

وقصّر عما تشتهي النفس وجده
فينحلّ مجدّ كان بالمال عقده

وأتعب خلق الله من زاد همّه
فلا ينحلل في المجد مالك كلّّه

(١) القدّ : القيد .

(٢) الشية : العلامة .

(٣) يسومها : يكلّفها .

ودبّره تدبير الذي المجد كفّه
فلا مجد في الدنيا لمن قلّ ماله
إذا كنت في شكّ من السيف فابثله
وما الصارم الهندي إلا كغيره

وقوله [من الخفيف] :

إنّما تنجح المقالة في المر
وإذا الحلم لم يكن في طبع
إنّما أنت والدّ، والأب القا

وقوله [من الطويل] :

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له
وما بلد الإنسان غير الموافق
وجائزة دعوى المحبّة والهوى
وما يوجع الحرمان من كفّ حارم

وقوله [من الخفيف] :

إنّما أنفس الأنيس سباع
من أطاق التماس شيء غلاباً
كلّ غادٍ لحاجة يتمنّى

وقوله [من البسيط] :

لولا المشقّة ساد الناس كلّهم

إذا حارب الأعداء والمال زنده
ولا مال في الدنيا لمن قلّ مجده
فأمّا تنفيه وإما تعدّه^(١)
إذا لم يفارقه النجاد وغمدّه^(٢)

إذا وافقت هوى في الفؤاد
لم يحلّم تقادم الميلاد
طع أحنى من واصل الأولاد

إذا لم يكن في فعله والخلاق
ولا أهله الأذنون غير الأصادق
وإن كان لا يخفى كلام المنافق
كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

يتفارسن جهرةً واغتيالاً
واقتساراً لم يلتمسه سؤالاً
أن يكون الغضنفر الرثبلاً^(٣)

الجود يفقر والإقدام قتال

(١) أبله : اختبره من البلاء .

(٢) الصارم : السيف القاطع ، والهندي : نسبة إلى بلاد الهند .

(٣) الغضنفر الرثبلاً : أي الأسد الشجاع .

وقلّما يبلغ الإنسان غايته
 إنّنا لفي زمنٍ تركُ القبيح به
 ذكر الفتى عمره الثاني ، وحاجته
 ما كلّ ماشيةً بالرجل شمالاً^(١)
 من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً
 ما قاته ، وفضول العيش أشغال

وقوله [من الوافر] :

يرى الجبناء أنّ العجز حزمٌ
 وكلُّ شجاعةٍ في المرء تغني
 قيل له : أنى يكون الشجاع حكيماً ؟ فقال : هذا علي بن أبي طالب كرم الله
 وجهه ! .
 وتلك خديعة الطبع اللثيم
 ولا مثل الشجاعة في الحكيم

وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً
 ولكن تأخذ الأذهان منه
 وآفته من الفهم السقيم
 على قدر القرائح والعلوم

وقوله [من الكامل] :

ولقد رأيت الحادثات فلا أرى
 والهمُّ يخترم الجسم نحافةً
 ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
 لا يخدعنك من عدوٍّ دمه
 لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
 يقفأ يميت ولا سواداً يعصم^(٢)
 ويشيب ناصية الصبي ويهرم^(٣)
 وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
 ورحم شبابك من عدوٍّ يرحم
 حتّى يراق على جوانبه الدم

(١) الشمال : السريع .

(٢) اليق : الشديد البياض ، يقول : البياض في الشعر لا يكون سبباً في الموت فقد يعيش الشيخ ،
 وسواد الشعر لا يكون سبباً في الحياة فقد يموت الشاب .

(٣) يخترم : يصيب ، واخترم الشيء : ترك فيه خرمًا من جانب إلى جانب ، والناصية : شعر مقدّم
 الرأس .

قال ابن جنى : أشهد بالله لو لم يقل غير هذا البيت لتقدم به أكثر المحدثين .

وهذه الأبيات كلها غرر وفرائد ، لا يصدر مثلها إلا عن فضل باهر ، وقدرة على الإبداع ظاهرة .

والظُّلم من شيم النفوس ، فإن تجدُ
ومن البليّة عدل من لا يرعوي
ومن العداوة ما ينالك نفعه
وقوله [من الطويل] :

أرى كلُّنا يبغي الحياة لنفسه
فحبّ الجبان النفس أوردته التُّقى
ويختلف الرزقان والفعل واحدٌ
وقوله [من الوافر] :

وفيك إذا جنى الجاني أناة
بنو كعب وما أثرت فيهم
بها من قطعه ألم ونقص
لهم حقٌ بشركك في نزار
لعلّ بنهم لبنيك جندٌ
وما في سطوة الأرباب عيبٌ

تظنّ كرامةً وهي احتقار^(١)
يدٌ لم يدمها إلا السّوار
وفيها من جلالته افتخار
وأدنى الشّرك في نسبٍ جوارٍ
فأول قرّح الخيل المهار^(٢)
ولا في ذلّة العبدان عار^(٣)

(١) الصبّ : العاشق .

(٢) الأناة : التصبر وطول البال .

(٣) القرّح : جمع قارح ، وهو ما بلغ التاسعة من عمره من ذوات الحافر ، والمهار : جمع مهر .

(٤) العبدان : أحد جموع العبد ، والسطوة : القوّة والبسطة .

وقوله [من البسيط] :

أجاب كلَّ سؤالٍ عن هل بلم
بين الرجال وإن كانوا ذوي رحم
فإنَّما يقظات العين كالحلم
شكوى الجريح إلى الغربان والرحم
ولا يغزئك منهم ثغر مبتسم
في غير أمته من سائر الأمم
فسرهم وأتيناها على الهرم

من اقتضى بسوي الهندي حاجته
ولم تزل قلّة الانصاف قاطعة
هوناً على بصيرٍ ما شقّ منظره
لا تشكون إلى خلقٍ فتشمته
وكن على حذرٍ للناس تستره
وقت يضيع وعمر أنت مدته
أتى الزمان بنوه في شببته

وقوله [من الكامل] :

هو أوّلُ، وهي المحلُّ الثاني
بلغت من العلياء كلَّ مكان
بالرأي قبل تطاعن الأقران^(١)
أدنى إلى شرفٍ من الإنسان^(٢)

الرأي قبل شجاعة الشجعان
فاذا هما اجتماعاً لنفسٍ مرّة
ولربّما طعن الفتى أقرانه
لولا العقول لكان أدنى ضيغم

وقوله [يمدح كافوراً] [من الطويل] :

فكلُّ بعيدٍ لهم فيها معذبُ !
ولا أشتكى فيها ولا أتعَبُ !
ولكن قلبي ، يا ابنة القوم ، قلبُ
بغيضاً ثنائي أو حبيباً تقربُ ؟

لحا الله ذي الدنيا مناخاً لراكبٍ
ألا ليت شعري هل أقول قصيدة
وبى ما يذود الشعر عني أقلّه
أما تغلط الأيام في بأن أرى

(١) القرين : المثل والنظير ، والأقران :

(٢) الضيغم : المفترس من الحيوانات .

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

أبي خُلِقَ الدُّنيا حبيباً تديمهُ
وأَسْرَعَ مفعولٍ فعلتَ تَغْيِراً

وقوله [يمدحه أيضاً] [من الطويل] :

إذا ساءَ فعلُ المرءِ ساءت ظنونهُ
وعادي محبيه يقولُ عِداتهُ
ومنها :

وما كُلُّ هَواٍ لِلجميلِ بفاعلٍ
ولا كُلُّ فَعَالٍ لَهُ بِمَتَمٍّ

ومنها :

فأَحْسَنُ وَجْهِهِ فِي الْوَرى وَجْهَ مُحسِنٍ
وأَشْرَفُهُمْ مَنْ كَانَ أَشْرَفَ هَمِّهِ
لَمَنْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تَرُدَّ بِهَا

وقوله [يمدح المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

فَوَادٌّ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ
ودهرٌ ناسه ناسٌ صغارٌ
وما أنا منهم بالعيش فيهم
وشبه الشيء منجذبٌ إليه
ولو لم يعمل إلا ذو محلٍّ
وعمرٌ مثل ما يهب اللثامُ
وإن كانت لهم جثثٌ ضخامُ
ولكن معدنُ الذَّهَبِ الرُّغَامُ^(١)
وأشبهنا بدنيانا الطَّغَامُ^(٢)
تعالى الجيش وانحطَّ القتَامُ^(٣)

(١) الرغام : التراب .

(٢) الطغام : أرذال الناس .

(٣) القتام : الغبار .

ولو حَيِّزَ الحفاظ بغير عقلٍ تجنَّبَ عنق صيقله الحسام^(١)
وقوله [من الخفيف] :

أبدأً تستردّ ما تهب الدد يا فيا ليت جودها كان بخلا
فكفّت كون فرحة تورث الغد سمّ وخلّ يغادر الوجد خلاً
وهي معشوقة على الغدر لا تح فظ عهداً ولا تتمّ وصلا
كلُّ دمعٍ يسيل منها عليها وبفكّ اليدين عنها تخلّى
أي : كل من أبكته الدنيا فإنما يبكي لفوت شيء منها ، ولا يخليها الإنسان إلا قسراً
بفكّ يديه .

وفي هذه القصيدة :

شيم الغانيات فيها فلا أد ري لذا أنّث اسمها الناس أم لا ؟
ولذيذ الحياة أنفس في النّف س وأشهى من أن يملّ وأحلى
وإذا الشيخ قال أفّ فما ملّ حياة وإنّما الضّعف ملّ
آلة العيش صحّة وشباب فإذا ولياً عن المرء وليّ

* * *

ومنها افتضاضه أبكار المعاني ، في المراثي والتعازي

كقوله [من المنسرح] :

سالم أهل الوداد بعدهم يُسلمُ للحنن لا لتخليد

أي : إذا مات الصديق يسلم صديقه للحنن لا للخلود ، لأن كلا ميت .

فما ترجّى الخلود من زمن أحمد حاله غير محمود

(١) حَيِّزَ : امتلك .

أي : أحمد حالك أن تبقى مع صديقك ، وهو مع ذلك غير محمود لتعجيل الحزن وانتظار الأجل .

وقوله [من الكامل] :

المجد أخسر والمكارم صفقة من أن يعيش بها الكريم الأروع
والناس أنزل في زمانك منزلاً من أن تعايشهم وقدرك أرفع
قبحاً لوجهك يا زمان ؛ فإنه وجهه له من كل قبح برقع
أيموت مثل أبي شجاع فاتك ويعيش حاسده الخصي الأوكع^(١)

وقوله [من البسيط] :

عدمته وكأني سرت أطلبه فما تزيدني الدنيا على العدم
من لا يشابهه الأحياء في شيم أمسى يشابهه الأموات في الرّم^(٢)
أحسن والله أبدع ما شاء ! .

وقوله [من الطويل] :

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طيب
سبقنا إلى الدنيا ، فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهوب
تملكها الآتي تملك سالب وفارقها الماضي فراق سلب

هذا كقول بعضهم في الموعظة : « وإن ما في أيديكم أسلاب الهالكين ،
ويستخلفها الباقون كما تركها الماضون » .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشقّ قلوب لا بشقّ جيوب
فربّ كئيب ليس تندى جفونه وربّ كثير الدّمع غير كئيب

(١) الأوكع : اللثيم ، والأحمق .

(٢) الشّيم : السجاياء والخصال الكريمة . والرّم : العظام البالية .

وللواجد المكروب من زفراته سكون عزاءٍ أو سكون لغوب^(١)
وقوله [من الكامل] :

ما كنت أحسب قبل دفنك في الثرى أن الكواكب في التراب تغورُ
ما كنت أمل قبل نعشك أن أرى رضوى على أيدي الرجال تسيرُ^(٢)
خرجوا به ، ولكلُّ بالكِ خلفه صعقات موسى يوم دكَّ الطُور^(٣)
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه في كلِّ قلبٍ موحدٍ محفورُ
كفل الثناء له بردٌ حياته لما انطوى فكأنَّه منشورُ
وقوله في تعزية سيف الدولة عن أخته [من الخفيف] :

ولعمري لقد شغلت المنايا بالأعادي فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسيف من الدهر أسيراً وبالنوال مقلًا^(٤)
خطبةً للحمام ليس لها ردُّ وإن كانت المسماة ثكلا
وإذا لم تجد من الناس كفواً ذات خدرٍ أرادت الموت بعلا
هذا أحسن ما قيل في مريثة حرم الملوك .

وقوله في مريثة طفل لسيف الدولة وتعزيته عنه [من الطويل] :

فإن تك في قبرٍ فإنَّك في الحشا وإن تك طفلاً فالأسى ليس بالطفل
ومثلك لا يبكي على قدر سنِّه ولكن على قدر المخيلة والفضل^(٥)
عزاءك سيف الدولة المقتدى به فإنَّك نصلٌ ، والشدائد للنصل

(١) اللغوب : الإعياء الشديد .

(٢) رضوى : إسم جبل معروف .

(٣) دكَّ : هدم وتحطم ، والطور : جبل .

(٤) انتشت : انتاش : تناول وانتشل ، والمقل : الفقير .

(٥) المخيلة : المظنة .

ولم أر أعصى فيك للحزن عبرة
تخون المنايا عهده في سليله
ويبقى على مرّ الحوادث صبره
وما الموت إلا سارق رقّ شخصه
يردّ أبو الشبل الخميس عن ابنه
إذا ما تأملت الزّمان وصرفه
وما الدهر أهل أن يؤمل عنده

وقوله [من السريع] :

نحن بنو الدنيا فما بالنا
تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جوّه
لو فكر العاشق في منتهى
لم يرقن الشمس في شرقه
يموت راعي الضأن في جهله
وربّما زاد على عمره
وغاية المفرط في سلمه
فلا قضى حاجته طالبٌ

وأثبت عقلاً ، والقلوب بلا عقل
وتنصره بين الفوارس والرجل^(١)
ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل
يصول بلا كفّ ويسعى بلا رجل
ويسلمه عند الولادة للنمل
تيقّنت أن الموت ضرب من القتل
حياة وأن يشتاق فيه إلى النسل

نعاف ما لا بدّ من شره
على زمانٍ هنّ من كسبه
وهذه الأجسام من تربه
حسن الذي يسببه لم يسبه
فشكّت الأنفس في غربه
موتة جالينوس في طبّه
وازداد في الأمن على سره^(٢)
كغاية المفرط في حربه ؟^(٣)
فؤاده يخفق من رعبه !

* * *

(١) الرجل : المشاة من الجيش .

(٢) السرب : الجماعة .

(٣) المفرط : المتزيّد والمكثّر .

ومنها الايجاع في الهجاء

كقوله [من المجتث] :

إن أوحشتك المعالي فإنها دار غربه
أو أنستك المخازي فإنها لك نسبه

وقوله [من البسيط] :

إني نزلت بكذابين ضيفهم عن القرى وعن الترحال محدود
جود الرجال من الأيدي ، وجودهم من اللسان ، فلا كانوا ولا الجود !
ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفي يده من نتنها عود
يعني العود الذي يتناوله المعالج للشيء القذر ليكون واسطة بينه وبين يده .

وقوله [من البسيط] :

العبد ليس لحرٍّ صالحٍ بأخٍ لو أئنه في ثياب الحرِّ مولود
لا تشتري العبد إلا والعصا معه إن العبيد لأنجاسٍ مناكيد
من علم الأسود المخصي مكرمةً أقومه البيض أم آباؤه الصيد ؟^(١)
أم أذنه في يد النخاس داميةً أم قدره وهو بالفلسين مردود ؟
وذاك أن الفحول البيض عاجزةً عن الجميل فكيف الخصية السود

كأنه من قول أبي علي البصير [من الخفيف] :

عجز الراكب البصير ، وأولى منه بالعجز راجل مكفوف^(٢)

وقوله [من السريع] :

فلا ترج الخير عند امرئ مرّت يد النخاس في رأسه

(١) الصيد : السادة ، والصيد إمالة الرأس عجباً وتكبراً .

(٢) المكفوف : الأعمى ، والراجل : السائر على قدميه .

وقوله [من الوافر] :

أخذتُ بمدحه فرأيتُ لهواً مقالِي للأحيمتِ يا حَكيمُ
ولمّا أن هجوت رأيتُ عيًّا مقالِي لابن آوى يا حليمُ^(١)
فهل من غادرٍ في ذا وهذا فمدفوعٌ إلى السُّقمِ السَّقِيمُ

وقوله [من المتقارب] :

لقد كنت أحسب قبل الخصي بأنّ الرءوس مقررُ النهي
فلما نظرت إلى عقله رأيت النهى كلّها في الخصي

وقوله [يهجو إسحاق بن إبراهيم بن كيغلف] [من الكامل] :

يمشي بأربعةٍ على أعقابه تحت العلوج ومن وراء يلجم^(٢)
وجفونه ما تستقرُّ كأنّها مطروفةٌ أو فتٌ فيها حصرم
وتراه أصغر ما تراه ناطقاً ويكون أكذب ما يكون ويقسم
وإذا أشار مكلّماً فكأنّه قردٌ يقهقه أو عجوزٌ تلطم
يقلّي مفارقة الأكفّ فذاله حتى يكاد على يدٍ يتعمّم^(٣)

* * *

ومنها إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الرشيقة الشريفة والرمز بالطرف والملح

كقوله في الجمع بين مدح سيف الدولة وقد فارقه ، وبين مدح كافور وقد

(١) العي : الصعوبة في الكلام .

(٢) العلوج : الحمير .

(٣) يقلّي : يكره ، والقذال : القفا من الرقبة .

قصده في بيت واحد [من الطويل] :

فراقٌ ومن فارقت غير مذممٍ وأمٌ ومن يمتت حير ميمم^(١)

ثم قال معرضاً بسيف الدولة :

وما منزل اللذاتِ عندي بمنزلٍ إذا لم أبجلُ عنده وأكرمُ
رحلت فكم بالكِ بأجفانِ شادنٍ عليّ ، وكم بالكِ بأجفانِ ضيغم^(٢)

المصراع الثاني تصديق لقوله :

* ليحدثن لمن ودعتهم ندمٌ *

وما ربّة القرط المليح مكانهُ بأجزع من ربّ الحسام المصممِ
فلو كان ما بي من حبيبٍ مقنعٍ عذرت ، ولكن من حبيبٍ معمم^(٣)

وهذا أيضاً مما نهت عليه من إجراءات الممدوح من الملوك مجرى المحبوب

في كثير من شعره :

رمى واتقى رمي ، ومن دون ما اتقى هوى كاسرٌ كفى وقوسي وأسهمي

وكقوله في مدح كافور والتعريض بالقدح في سيف الدولة [من البسيط] :

قالوا : هجرت إليه الغيث ؟ قلت لهم إلى غيوثٍ يديه والشآبيب^(٤)
إلى الذي تهب الدّولات راحته ولا يمنُّ على آثارٍ موهوبٍ
ولا يروع بمغرورٍ به أحداً ولا يفزع موفوراً بمنكوبٍ
يا أيّها الملك الغاني بتسمية في الشرق والغرب عن نعتٍ وتلقب

(١) يمم : قصد ناحيته .

(٢) الشادن : الغزال ، والضيغم : المفترس من الوحش .

(٣) معمم : يلبس عمة .

(٤) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو الدفعة من المطر .

يعني أنا مستغن بشهرته عن لقب كلقب سيف الدولة .

أنت الحبيب ولكنني أعوذ به من أن أكون محبباً غير محبوبٍ
وهذا أيضاً من ذاك .

وقوله من قصيدة لسيف الدولة بعد ما فارق حضرته يعرض باستزادة يومه وشكر
أمسه ، وهو من فرائده [من المتقارب] :

وإنَّ فارقتنيَ أمطاره فأكثر غدرانها ما نضبُ
وإنِّي لأتبع تذكاره صلاة الإله وسقي السُّحبُ

ومنها في التعريض بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجوا د أنكر أظلافه والغيب^(١)

وقوله في هز كافور والتعريض باستزادته [من الطويل] :

أبا المسك هل في الكأس فضلُ أناله فإني أغني منذُ حينٍ وتشربُ
يقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد حان أن
تسقينني من فضل كأسك .

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلبُ
وقوله أيضاً في التعريض بالاستزادة [من الطويل] :

أرى لي بقربي منك عيناً قريبةً وإن كان قرباً بالبعد يشاب^(٢)
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجابُ ؟
أقل سلامي حباً ما خفُ عنكم وأسكت كيما لا يكون جواب

(١) الغيب : اللحمة المتدلية تحت الحنك في الإنسان والبقرة والديكة .

(٢) يشاب : يمزج ويخلط .

وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتي بيانٌ عندها وخطاب
وكقوله في وصف الفرس [من الطويل] :

ويومٍ كليل العاشقين كمنته أراقب فيه الشمس أيّان تغربُ
وعيني إلى أذنيّ أغرّ كأنه من الليل باقٍ بين عينيهِ كوكب
أي : كأنه قطعة من الليل ، وكان الغرة في وجهه كوكب ، وعينه إلى أذنه
لأنه كامن لا يرى شيئاً ، فهو ينظر إلى أذني فرسه ، فإنّ رآه قد توجس بهما تأهب
في أمره وأخذ لنفسه ، وذلك أن أذن الفرس تقوم مقام عينيهِ ، وتقول العرب : أذن
الوحشي أصدق من عينيهِ .

له فضلةٌ عن جسمه في إهابه تجيء على صدرٍ رحيبٍ وتذهبُ^(١)
شققت به الظلماء أذني عنانه فيطغى ، وأرخيه مراراً فيلعب
أي : إذا جذبت عنانه طغى برأسه لطماحه وعزة نفسه ، وإذا أرخيت عنانه
لعب برأسه .

وأصرع أيّ الوحش قفّيته به وأنزل عنه مثله حين أركبُ
وكقوله في التوديع [من الوافر] :

وإني عنك بعد غدٍ لغادٍ وقلبي في فنائك غير غاد
محبُّك حيث ما اتجهت ركابي وضيّفك حيث كنت من البلاد
وكقوله [من الكامل] :

سرّ حيث شئت يحلّه النوار وأراد فيك مرادك المقدار
وإذا ارتحلت فشيعتْكَ سلامةٌ حيث اتجهت وديمةٌ مدرارُ

(١) الإهاب : الجلد .

وأراك دهرَكَ ما تحاول في العدا حتى كأنَّ صروفه أنصار
أنت الذي بجح الزمان بذكره وتزيَّنت بحديثه الأسمار^(١)
وكقوله في اللطف بالصدِّيق والعنف بالعدو [من الكامل] :

إنِّي لأجبن عن فراق أحبَّتي وتحسَّ نفسي بالحمام فأشجعُ
ويزيدني غضب العداة جراءةً ويلمَّ بي عتب الصديق فأجزعُ
وكقوله في حسن الكناية [من الخفيف] :

تشتكي ما اشتكيت من ألم الشوق إلينا ، والشوق حيث النحول
وإنما كنَى عن تكذيبها ولم يصرح به : أي أنا أشتكي الشوق ونحولي يدل على
ذلك ، وهي غير ناحلة فليست مشتاقة .

وكقوله [من الرجز] :

أبيضُ ما في تاجه ميمونه عفيف ما في ثوبه مأمونه^(٢)
أي : عفيف الفرج ، فكنى به .

وكقوله في حسن الحشو [من الكامل] :

صلَّى عليك الله غير مودعٍ وسقى ثرى أبويك صوبَ غمامٍ
« غير مودع » حشو ، ولكنه حسن .

وكقوله [من الطويل] :

ويحتقر الدنيا احتقار مجرَّبٍ يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا
سبحان الله ! ما أحسن الحشو بقوله « وحاشاك » !

(١) بجح : افتخر وفرح ، والأسمار : من السَّمر ، وهو الأنس .

(٢) الميمون : من اليمن .

وكقوله [من البسيط] :

إذا خَلَّتْ منك حمصٌ ، لا خلت أبداً فلا سقاها من الوسميِّ باكره^(١)

وكقوله في العيادة [من الكامل] :

لا نعذل المرض الذي بك ، شائقٌ أنت الرجال ، وشائقٌ علائها^(٢)
ومنازل الحمى الجسم ، فقل لنا : ما عذرهما في تركها خيراتها ؟

أي : لا عذر للحمى في تركها جسمك ، إذ هو أفضل الجسم .

وكقوله [من المنسرح] :

قصدت من شرقها ومغربها حتى اشتكتك البلاد والسبلُ
لم تبق إلا قليل عافية قد وفدت تجتديكها العلل

وقوله [من الوافر] :

تجشَّمك الزمان هوىً ووداً وقد يؤذى من المقت الحبيبُ
وكيف تعلُّك الدنيا بشيءٍ وأنت لعلَّة الدنيا طبيبٌ ؟
وكيف تنوبك الشكوى بداءٍ وأنت المستجار لما ينوب ؟^(٣)

وكقوله في التهئة وهي تهئة سيف الدولة [من البسيط] :

المجد عوفي إذ عوفيت والكرمُ وزال عنك إلى أعدائك الألمُ
وما أخصَّك في برءٍ بتهئةٍ إذا سلمت فكلُّ الناس قد سلموا

(١) الوسمي : مطر الربيع .

(٢) شائق : خبر مقدم ، وأنت مبتدأ مؤخر والرجال مفعول به لاسم الفاعل شائق وشائق الثاني معطوف على الأول ، وعلائها مفعول والشائق : باعث الشوق ، يقول : ألم بك المرض لأنك باعث له على الحب لك .

(٣) تنوبك : تصيك .

وكقوله [من الخفيف] :

وَلَمَنْ يَدْنِي مِنَ الْبَعْدَاءِ إِنَّمَا التَّهْنِئَاتُ لِلْأَكْفَاءِ
بِالْمَسَرَاتِ سَائِرُ الْأَعْضَاءِ وَأَنَا مِنْكَ لَا يَهْنِئُ عَضْوُ

وكقوله [من البسيط] :

الصَّوْمُ وَالْفِطْرُ وَالْأَعْيَادُ وَالْعَصْرُ مَنِ الدَّهْرُ عِنْدَكَ إِلَّا رَوْضَةٌ أَنْفُ
مَنْ يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ
فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرُّرِهَا شَرَفٌ فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرُّرِهَا شَرَفٌ

وكقوله [من الطويل] :

تَغَيَّرَ حَالِي وَاللَّيَالِي بِحَالِهَا وَشَبَّتَ وَمَا شَابَ الزَّمَانُ الْغَرَانِقُ^(١)

وكقوله [من البسيط] :

تَسْوَدُّ الشَّمْسُ مَنْ أَوْجَهَنَا وَلَا تَسْوَدُّ بِيضُ الْعَذْرِ وَاللِّمَمِ^(٢)
وَكَانَ حَالُهُمَا فِي الْحُكْمِ وَاحِدَةً لَوْ احْتَكَمْنَا مِنَ الدُّنْيَا إِلَى حُكْمِ

وقوله [من الطويل] :

مُشَبُّ الَّذِي يَبْكِي الشَّبَابَ مَشِيئُهُ فَكَيْفَ تَوَقَّيْهِ وَبَانِيهِ هَادِمُهُ^(٣)
وَمَا خَضِبَ النَّاسَ الْبَيَاضَ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ ، وَلَكِنْ أَحْسَنَ الشَّعْرَ فَاحِمُهُ^(٤)

* * *

(١) روضة أنف : أي لم ترع .

(٢) الغرائق : الشاب الأبيض الناعم الجميل .

(٣) اللمم : جمع لمة وهي شعر الرأس .

(٤) مشب : مبتدأ خبره مشيئه ، ويجوز العكس ، والبيت الذي يبكي الشباب إنما أشابه الذي أشبهه ، فقد حصل له الشيب من عند الذي حصل له منه الشباب .

(٥) والفاحم : الأسود .

ومنها حسن المقطع

كقوله [من البسيط] :

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنسانا
قال ابن جني : لا يعجبني قوله « سواك إنسانا » لأنه لا يليق بشرف ألفاظه ،
ولو قال « أنشاك » أو نحو ذلك لكان أليق بالحال .

قلت أنا : ولو قال غير ما قاله لم يكن فصيحاً شريفاً . لأن في القرآن « ثم
سواك رجلاً »^(١) ولا أفصح ولا أشرف مما ينطق به كتاب الله عز ذكره وكقوله [من
المتقارب] :

سما بك همي فوق الهموم فلست أعد يساراً يسارا
ومن كنت بحراً له يا علي لم يقبل الدر إلا كباراً^(٢)
وكقوله [يمدح سيف الدولة] [من المتقارب] :

أنلت عبادك ما أملوا أنالك ربك ما تأمل

وكقوله [في المغيث بن علي العجلي] [من الوافر] :

وأعطيت الذي لم يعط خلق عليك صلاة ربك والسلام

* * *

ذكر آخر شعره وأمره

لما أنجحت سفرته ، وربحت تجارته بحضرة عضد الدولة . ووصل إليه
من صلاته أكثر من مائتي درهم - استأذنه في المسير عنها ليقضي حوائج في نفسه ،

(١) من الآية ٣٧ من سورة الكهف .

(٢) يا علي : أي سيف الدولة .

ثم يعود إليها ، فأذن له ، وأمر بأن تخلع عليه الخلع الخاصة ، ويقاد إليه الحملان الخاص ، وتعاد صلته بالمال الكثير ، فامتثل ذلك ، وأنشده أبو الطيب الكافية التي هي آخر شعره ، وفي أضعافها كلام جرى على لسانه كأنه ينعي فيه نفسه ، وإن لم يقصد ذلك ، فمنه قوله [من الوافر] :

فلو أني استطعت خفضت طرفي فلم أبصرُ به حتّى أراكا
وهذه لفظة يتطير منها ، ومنه :

إذا التّوديع أعرّض قال قلبي عليك الصّمت لا صاحبتُ فاك
ولولا أنّ أكثر ما تمنى معاودةً لقلت ولا مناك
أي : لو أن أكثر ما تمنى قلبي أن يعاودك لقله له : ولا بلغت أنت أيضاً
ممتك ، وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

قد استشفيت من داءٍ بداءٍ وأقتل ما أهلك ما شفاكا
أي : قد أضمرت يا قلب شوقاً إلى أهلك ، وكان ذلك داء لك ، فاستشفيت منه بأن فارقت عضد الدولة ، ومفارقتة داء لك أيضاً أعظم من داء شوقك إلى أهلك ، وهذا شبه قول النبي ﷺ « كفى بالسلامة داء » وقول حميد بن ثور [من الطويل] :

* وحسبك داءٌ أن تصحّ وتسلم *

و « أقتل ما أهلك ما شفاكا » من ألفاظ الطيرة أيضاً ، ومنه :

وكم دون الثوية من حزينٍ يقول له قدومي ذا بذاكا
الثوية : من الكوفة ، يقول له « قدومي ذا بذاك » أي هذا القدوم بتلك الغيبة ، وهذا السرور بذلك الحزن ، لم يقل « إن شاء الله تعالى » ومنه :
ومن عذب الرضاب إذا انخنا يقبل رحل تروك والوراكا

تروك : اسم ناقة لم ير مثلها لعضد الدولة أمر له بها ، والوراك : شيء يتخذه الراكب كالمخدة تحت وركه .

يحرّم أن يمسّ الطيب بعدي وقد عبق العبير به وصاكا^(١)
وهذا أيضاً من تلك الألفاظ ، ومنه :

وفي الأحباب مختصّ بوجدٍ وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهت دموعٌ في حدودٍ تبين من بكى ممّن تبأى
وهذا أيضاً من ذاك ، ومنه :

فزّل بعد عن أيدي ركابٍ لها وقع الأسنة في حشاك
هذه استعارة حسنة لأنه خاطب البعد وجعل له حشا ، ومنه :

وأيّاً شئت يا طرقي فكوني أذاةً أو نجاةً أو هلاكاً

جعل قافية البيت الهلاك فهلك ، وذلك أنه ارتحل عن شيراز بحسن حال ووفور مال ، فلما فارق أعمال فارس حسب أن السلامة تستمر به كاستمرارها في مملكة عضد الدولة ، ولم يقبل ما أشير به عليه من الاحتياط باستصحاب الخفراء والمبذرقين^(٢) ، فجرى ما هو مشهور من خروج سرية من الأعراب عليه ومحاربتهم إياه ، وتكشف الواقعة عن قتله وابنه محسد ونفر من غلمانته ، وفاز الأعراب بأمواله وذلك في سنة أربع وخمسين وثلثمائة .

أنشدني أبو القاسم المظفر بن علي الطبسي الكاتب لنفسه في مرثية المتنبي
[من الخفيف] :

لا رعى الله سرب هذا الزمان إذ دهانا في مثل ذاك اللسان

(١) صاك : أراد أنّه لصق به .

(٢) المبذرقين : الحرّاس والخفراء .

ما رأى الناس ثانيَ المتنبّي أيّ ثانٍ يرى لبكر الزمان ؟
كان من نفسه الكبيرة في جيدٍ وفي كبرياء ذي سلطان
كان في لفظه نبياً ، ولكنّ ظهرت معجزاته في المعاني

فصل - وقد جمع بي القلم في إشباع هذا الباب وتذييله ، وتصويره كتاباً
برأسه في أخبار أبي الطيب والاختيار من أشعاره والتنبيه على محاسنه ومساويه ،
وقد كان بعض الأصدقاء سألني عمل ذلك ، وله الآن فيه كفاية ، وبه غنية ، فإن
أحب إفراده عن الأبواب كان كتاباً على حدة ، وإن نشط لانتساخ الجميع تضاعفت
الفوائد لديه ، وانتالت القلائد عليه ، بمشيئة الله وإرادته .

والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
تسليماً .

* * *

الباب السادس

١٦ - في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم

أبو العباس أحمد بن محمد النامي - شاعر من فحولة شعراء العصر ،
وخواص شعراء سيف الدولة ، وكان عنده تلو المتنبي في المنزلة والرتبة ، وقد
أخرجت من ديوانه ما هو شرط الكتاب من عقائل شعره وفرائد عقده ، فمن ذلك
قوله من قصيدة [من الطويل] :

له من هواها ما لصبٍّ متيمٍ	وذمة حبٍّ عهده لم يذممٍ
أفارق نفسي شعبةً بعد شعبةٍ	فريقين باتا منجداً بعد متهم ^(١)
فقد كثرت في كلِّ أرضٍ ديارهم	ككثرة عذالي عليٍّ ولؤمي
ولم أر يوماً كان أثلم للحشا	من اليوم بين الجزع والمثلّم ^(٢)

ومنها :

لکم یا بنی العباس سيفٌ علی العدا	حسامٌ متى يعرض له الداء يحسم
أخفٌ إلى يوم الوغى من حمامةٍ	وأثبت من شوقٍ بقلبٍ متيمٍ

(١) الشعبة : الجزء والقسم ومنجلدو متهم : نسبة الى نجد وتهامة .

(٢) أثلم : أي أمر وأقطع .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمير العلا ، إنَّ العوالي كواسبٌ
يمرُّ عليك الحول : سيفك في الطلا ،
ويمضي عليك الدهر : فعلك للعلا ،
ومنها في وصف أشعاره :

رياحن أذهانٍ : سماحك غارسٌ
من المذهبات الدارميات شرذٌ
لها ، فاجنِّها بالعرف من روضة الحمد
تدقُّ معانيها على الملك الكندي^(٣)

وقوله من أخرى [من الوافر] :

أحقاً أنْ قالتي زرود
وقفت وقد فقدت الصبر حتَّى
وشكتُ فيَّ عدالي فقالوا
وأَنْ عهدوها تلك العهودُ^(٤)
تبين موقفي أني الفقيدُ
لرسم الدار : أيكما العميد ؟

ومثل هذا النمط من التشبيه قول السري [من الوافر] :

إذا ما الراح والأترج لاحا لعينك قلت : أيهما الشراب ؟

وقول بعض أهل العصر [من المنسرح] :

لي سيدٌ فاتنٌ يعلمني بحسنه كيف يعبد الصنمُ
لما رآني وفي يدي قلمٌ لم يدر مولاي أينما القلمُ

(١) الطلا : الدم المطلول والشكيمة : حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٢) الرفد : العطاء .

(٣) الملك الكندي : يعني امرؤ القيس .

(٤) زرود : إسم علم .

ومنها :

وفيهنّ السخائم والحقر^(١)
وأسقية السنان لها جلود^(٢)

إليك صدعن أفئدة الليالي
فعيدان الأراك لها عظام

ومنها :

إليه لظلّ لي عبداً عبيد
ونودي من حفيرته لبيد^(٣)

وشعر لو عبيد الشعر أصغى
كأنّ لفكرة نشر ابن حجر

وقوله من أخرى [من البسيط] :

إذ لا أمانة في دارٍ لها أمم
بناعبٍ كاعبٍ والبين يحتكم ؟
بدار سلمى وترب الدار مستلم
يوم الحمى وهواها ليس ينصرم

إلمامةً بمغاني داره لمم
بأيّ حكمٍ لأيّام الفراق نات
عقلت عيساً كأنّي كنت حاسدها
إحدى الحسان أساءت بي وقد صرمت

أخذه من قول ابن الرومي [من البسيط] :

سوءاً وقد يفعل الأسواء حسان

يا ربّ حسانةٍ منهنّ قد فعلت

[رجع] :

من قلب قرن عليّ وهو منهزم
وفي الحمائل قد نيطت به الهمم^(٤)
أو سيفه قدر في الروح يحتكم

كأنّ قلبي معارٍ للنوى جزعاً
ناط الحمائل في ليث وفي قمر
كأنّه أجلّ ، أو طرفه وجلّ ،

(١) السخائم : الضغائن .

(٢) الأراك : شجر طيب الرائحة يستعمل عوده سواماً .

(٣) ابن حجر : امرؤ القيس ، وليد : لبيد بن ربيعة وعبيد : عبيد بن الأبرص .

(٤) ناط : أوكل وكلف وعهد .

يا مظمىء الخيل أو تروى ذوابله
إذا ملائكة النصر اختلطت بها
لم تدع يا علم المجد المقابلنا
لا يكتم النصر يوماً أنت شاهده
النصر أسرجها ، والعز أجمها
قال النهار له والشمس مغمدة
هذا عجاج فأين الأفق وهو قنا ؟
بحد سيفك سيف الدولة انحطمت
يحدث الذئب ذئب وهو مبتهج
قد أرضعتك ندي الأرض درتها
من آل حمدان حيث الملك مقتبل
قوم إذا حكموا يوماً لأنفسهم
أمن علاً أم ندى أدعوك ؟ أم بهما ؟
إن يعجل الرأي تلحقه بغايته
وإن تأتيت عزماً لم يفتك عدأ
إن لم أقم أمماً للمدح من فكري
إذا طلبتك لم ألحقك في أمد
وما علي إذا ما كنت ناظمها

والخيل تشرب من أشداقها اللجم^(١)
تشابه العالم النوري والنسم
إلاً وسبح إجلالاً لك العلم
واليوم من نفعه قد كاد ينكتم^(٢)
والحزم أمسك بالأسراج لا الحزم
وللمنايا شمس غمدها القمم :
وتلك خيل فأين الأرض وهي دم ؟
قواعد الشرك والأرواح تنحطم
ويخبر النسر نسر وهو مبتسم
ورمحك ابن رضاع ليس ينظم
والمال مقتسم والحمد مقتنم
جار السماح عليهم في الذي حكموا
فأنت ذا والحيا والصارم الخدم^(٣)
كذا الجواد من الإعجاب يحتدم
إن الأسود تمطى ثم تعترم^(٤)
فشك فيك يقيني أنك الأمم
ما حيلتي ؟ قد تناهى دونك الكلم^(٥)
فعطلت كل ما قالوا وما نظموا

(١) الزوايل : الرماح .

(٢) النقع : الغبار .

(٣) الخدم : القاطع .

(٤) نمطى : تنهيا .

(٥) أمد : مجال .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

أمرن هوانا أن يصحّ لنسقما فأدمى قلوباً صادياتٍ إلى الدّمى^(١)
ومنها :

أرتنا جنى العناب للورد ظالمأ ومن أقحوانٍ مرمضٍ متظلمأ^(٢)
ما أحسن هذا البيت وأظرفه ، وفيه كناية عن حك الوجه بالبنان المخضب وعض
اليد بالشعر الأشنب :

طوى البين ديباج الخدود ، ونشّرت	يد البين وشياً للخدود منمنما
تقسّمت الأهواء قلبي كما غدا	نوال عليّ في العلا متقسّما
ويومٍ كأجياذ العذارى حليّه	فريد ندى في جيده قد تنظّما ^(٣)
جلونا به وجهي عروسٍ وكاعبٍ	على طفل زهر قد بكى وتبسّما ^(٤)
وأخرس يصبيننا بخمسة السنّ	إلى أيّها مدّ السنّان تكلمّا
لدن غدوة حتى إذا الشمس ودعت	مغاربها واستأذنتها التصرّما
ثوينا كأنّا بعض أبناء قيصرٍ	غدا فيهم سيف الأمير محكّما
أطعت العلا حتى كأنّك عبدا	وإن كنت مولاها وكنت لها ابنما
مكارم لا تنفكّ تتعب حاسداً	يؤخّره سعيّ لها قد تقدّما
زكت فكري فيها وأينع هاجسي	فظلّت على أهل القريض مقدّما
وولّد شعري فيك شعراً لمعشرٍ	فكنت عليهم مثل نعماك منعما

(١) الصادي : الظامى ، والدمي : الفتيت .

(٢) مرمضٍ : اشتدت عليه الحرارة .

(٣) الجيد : العنق .

(٤) جلونا : زينا .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

سلاها لم اسودّ الهوى في ابيضاضه ؟
كأنّ برأسي عسكرين تحاربا
وليلٍ له نجمٌ كليلٌ عن السّري
كأنّي وابن الغمد والطّرف أنجمٌ
إلى أن رأيت الفجر والنسر خاضبٌ
وحلّت يد الجوزاء عقد وشاحها
فقلت : أخيلُ التغلبي مغيرةٌ
فتى قسَم الأيام بين سيوفه
فسودّ يوماً بالعجاج وبالردى
ألم تر فرعوناً وموسى تجاريا
جهدت فلم أبلغ مذاك بمدحةٍ
يزيد على شأوي زيادٌ وجرولٌ

وقوله من أخرى [من الطويل] :

له سورةٌ في البشر تقرأ في العلا
إذا ما عليّ أمطرتك سماؤه
يرجى ويخشى ضرّه وهو نافعٌ

(١) كليلٌ: متوانٍ والسرى : المسير ليلاً.

(٢) الورس : نبات أحمر للصباح وعلٌ: مزج .

(٣) الطريف والتلد : المال الحديث والموروث .

(٤) زياد : هو النابغة الذبياني، وجرول : هو الحطيئة وابن العبد : هو طرفة بن العبد البكري .

(٥) السورة : السطوة ، والعلاء والمجد .

(٦) تتحلّب : تتصبّب، والنوء: المطر .

(٧) أزاته : تموجه .

يروع ويبدو الأنس منه كأنه الـ
وأزهر يبيضُ الندى منه في الرضى
أمير الندى ، ما للندى عنك مذهبٌ
إذا فاخرت بالمكرمات قبيلةُ
قناةُ من العلياء أنت سنانها
وخيلٍ كأمثال القنا في لبودها
وضربٍ يريك الخيل مجّ نجيعه
وقوله من أخرى [من الخفيف] :

سألت بالفراق صبّاً ، وما يد
هو بين الحشا صدوعٌ ، وفي الأعد
نحن أبناء ذا الهوى تسكن الآنـ
نال منا يوم الفراق كما نا
في خميسٍ للتّصر فيه لواءُ
رجله كالدبا ، وفرسانه كالأ
وسجايك يا أبا الحسن الغـ
لوغدا الدهر صافحاً لي عن الحـ
لتعطّرت من غبار مذاكيـ
ثم صيرت من دماء أعاديـ

هوى لذعهُ بين الجوانح يعذب
وتحمرُّ أطراف القنا حين يغضب
ولا عنك يوماً للרגائب مرغـ
فتغلب أبناء العلا بك تغلب
وتلك أنابيبٌ عليها . وأكعب
فإن سهلت فهي اليراع المثقّب^(١)
وأشبهها من لون أشقر يخضب^(٢)

بئها بالفراق مثل خبير
ين ماءً ، وجمرةً في الصدور^(٣)
فس منّا إلى الضنا والزفير
ل من الناكثين سيف الأمير
عقده من لوائه المنصور
سد بأساً ، وخيله كالصقور^(٤)
رّ وإتاعبهنّ شكر الشكور
ظّ وأعلى من جدّ حالٍ عثور^(٥)
ك رواحي ، وكان عطري بكوري^(٦)
ك خلوقي ، وكان منه طهوري^(٧)

(١) اليراع : القصة التي يزمربها .

(٢) الأشهب : الذي يميل لونه إلى الحمرة والسّواد .

(٣) صدوع : شروخ .

(٤) الدبا : القرع .

(٥) الجد : الحظ ، والعائر : السوء .

(٦) المذاكي : جياذ الخيل .

(٧) الخلوق : الطيب .

ولقيت المنون تحت عواليك معداً ذخراً ليوم نشوري
سر على السعد تستظل من الأيام ظلّي سلامة وجبور
بين فرضين من جهاد وشهر أنت في الناس مثله في الشهور
سمع النصر فيه أمرك لما خاطبته الأقدار بالتأثير
أنتم دارة العلا يا بني حم دان ، سكان بيتها المعمور
وتسيرون في القنا فترى الآ جال مرتابةً بذاك المسير
في شمس من الحديد عليها أنجم يفترون فوق بدور
وعجاج كآته من دخان الدد يلقى الهواء بالتعطير^(١)
عبق من علاكم فكأن ال أرض مسك ، والجو من كافور
فتحوا بمدحتي فهي ريحا نة حمير تبقى بقاء الدهور
وقوله من أخرى [من الكامل] :

ومنازلين إذا بدوا في شارق شبا ضياء وقوده بوقود^(٢)
ردوا على داود صنعة سرده لغناهم بالصبر عن داود
لا يصبحون إذا انتضوا بيض الظبا وشبا القنا غير المنايا السود^(٣)
وقوله من أخرى [من الطويل] :

ألم تر أعداء الأمير كوفرو يظل لتوفير العلا غير وافر
وحساده مما تذوب كخيله بلغن مدى أنفاسهن الزوافر
وقوله من أخرى [من البسيط] :

وصارم مثل لحظ البرق أسلك في مثال جدول ماء فيه منسكب

(١) المعجاج : الغبار ، والند : نوع من الطيب .

(٢) شبا : أوقدوا ، وأسعروا .

(٣) انتضوا : شهوروا ، وبيض الظبا : ، وبيض الظبا : يقصد بها السيوف ، وشبا القنا : رؤوس الرماح .

تنأى الخواتيم عن مقروءة الكتب

تنأى به الهام عن أجسامهنّ كما

وقوله من أخرى [من البسيط] :

ومسمع الرعد إن أصغى له صمم^(١)
والموت في خرز الأعناق ينتظم
لك المعاني وأمضى حكمها الكرم
دامت سلامته ما أورك السلم !
خلق يساميك مذ حيزت لك القسم^(٢)
ونلت فيها خلوداً أنت والتعم

في ناظر الشمس إن عنت له رمد^(٣)
يردها ونظام الملك متسق^(٤)
أسعد بعيد إذا كارمته حكمت
عيداً وفتح وملك والأمير له
الله أعطاك أقسام الفخار ، فما
لو كان يرضى لك الدنيا لما فنيته^(٥)
وقوله في صفة منارة [من الرجز] :

قاعدة فيه وإن لم تقعد
يغرف من حوض الغمام باليد

سامية في الجو مثل الفرقد
يكاد عاليها - وإن لم يبعد -

وقوله [من الطويل] :

أم النار في أحشائها وهي لا تدري
وكاللولؤ المبتول أدمعها تجري^(١)
مطارفها طرزاً من البرق كالتبر^(٢)
فعاجت له نحو الرياض على قبر^(٣)
ودمع بلا عين ، وضحك بلا ثغر

خليلي ، هل للمزن مقلّة عاشق ؟
أشارت إلى أرض العراق فأصبحت
تسربل وشياً من خروز تطرّزت^(٤)
سحاب حكت ثكلى أصيبت بواحد
فوشي بلا رقم ، ونقش بلا يدر

(١) عنت : بدت وخطرت ، والرمد : وجع يصيب العين ، والصميم : فقد السمع .

(٢) حيزت لك القسم : جعلت ملكك .

(٣) المبتول : المقطع المفصول عن غيره .

(٤) المطارف : أوشحة من الحرير ، والتبر : الذهب .

(٥) الثكلى : الفاقدة ، ولدها وعاجت ، المّت ونزلت .

ودخل على ناصر الدولة ويده وجعة قد لطخت بلطوخ ، فقال له : هل قلت شيئاً ؟ قال : ما علمت ، قال : فقل ، فقال ارتجالاً [من الوافر] :

يدٌ في برئها برءُ الأيادي ووعكٌ للطريف وللتلاد^(١)
يد الحسن التي خلقت سماءً موكلّةً بأرزاق العباد

* * *

١٧ - أبو الحسين الناشيء الأصغر

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو الحسين الناشيء بحلب لنفسه [من الطويل] :

إذا أنا عاتبت الملوك فإنّما أخطُ بأقلامي على الماء أحرفاً
وهبةً ارعوى بعد العتاب ، ألم يكن تودّده طبعاً فصار تكلّفاً؟^(٢)

قال : وأنشدني لنفسه [من الكامل] :

ليس الحجاب من آلة الأشراف إنّ الحجاب مجانبٌ الإنصاف
ولقلّ من يأتي فيحجب مرةً فيعود ثانيةً بقلبٍ صافي

وله في سيف الدولة يودعه [من الطويل] :

أودّع ، لا أنّي أودّع طائعاً وأعطيت بكرهي الدهر ما كنت مانعاً
وأرجع لا ألقى سوى الوجد صاحباً لنفسي إن القيت بالنفس راجعاً
تحملت عنّا بالصنائع والعلا فنستودع الله العلا والصنائع
رعاك الذي يرعى بسيفك دينه ولقّاك روض العيش أخضر يانعا

(١) البرء : الشفاء ، والوعك : المرض .

(٢) ارعوى : تراجع وأتاب .

وله [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب^(١)

[وله أيضاً] [من مجزوء الخفيف] :

يا خليلي وصاحبي من لؤي بن غالب
حاكم الحب جائر موجب غير واجب
لك صدغ كأنما نونه نون كاتب
يلذع الناس - إذ تعق رب - لذع العقارب

* * *

١٨ - أبو القاسم الزاهي

وصاف محسن ، كثير الملح والظرف ، ولم يقع إلي شعره مجموعاً ، وإنما
تطرفته من أفواه الرواة ، واستفدته من التعليقات .

أنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان فيما أنشدنيه من التثف التي استفادها
ببغداد ، وأتحفني به من اللطائف التي استصحبها : منها للزاهي [من الطويل] :

سفرن بدوراً ، وانتقبن أهلةً ومسن غصوناً ، والتفتن جاذراً^(٢)
وأطلعن في الأجياد بالدر أنجماً جعلن لحبات القلوب ضرائراً^(٣)

(١) الدعة : الراحة .

(٢) سفرن : أظهرن محاسن وجوههن انتقبن أي لبسن النقاب ومسن : تمايلن وتثنين والجاذر : البقر الوحشي .

(٣) الضرائر : جمع ضرة وهي الزوجة الثانية مع الأولى في البيت الواحد .

وإنما احتذى في البيت الأول مثال المتنبي في قوله [من الوافر] :

بدت قمراً ، ومالت غصن بانٍ وفاحت عنبراً ، ورنّت غزالا
وممن نسج على هذا المنوال أبو عامر إسماعيل بن أحمد الشاشي ، فإنه قال :^(١)
قصيدة [من الطويل] :

رأيت على أكوارنا كلٌ ماجدٍ يرى كل ما يبقى من المال مغرماً
ندوّم أسيفاً ، ونعلو قواضياً ، وننقضّ عقباناً ، ونطلع أنجماً^(٢)
وقال أبو الحسن الجوهري في الخمر إلا أنه قلب التشبيه [من الطويل] :

يقولون : بغداد التي اشتقت برهةً دساكرها والعكبريّ المقيراً^(٣)
إذا فضّ عنه الختم فاح بنفسجاً ، وأشرق مصباحاً ، ونور عصفراً^(٤)
ولبعض أهل العصر في غلام مغن [من الوافر] :

فديتك يا أتمّ الناس ظرفاً وأصلحهم لمتّخذ حبيبا
فوجهك نزهة الأبصار حسناً وصوتك متعة الأسماع طيبا
وسائليّ تسائل عنك ، قلنا لها في وصفك العجب العجيبا :
رنا ظيباً ، وغنى عندلياً ، ولاح شقائقاً ، ومشى قضيباً^(٤)
وللزاهي [من الطويل] :

أرى الليل يمضي والنجوم كأنها عيون الندامى حين مالت إلى الغمضِ
وقد لاح فجرٌ يغمر الجوَّ نوره كما انفجرت بالماء عينٌ على الأرضِ

(١) القواضب : السيوف ، والعقبان : جمع عقاب ، وهو نوع من الطيور الجارحة .

(٢) العكبري : الشراب من الخمر ، والمقيراً : المطلي بالقار .

(٣) فضّ : أزيل ، والعصفر : نبات يصبغ به .

(٤) رنا : نظر وتطلع .

وأنشدني أبو سعد نصر بن يعقوب في كتابه « كتاب روائع التوجيهات ، من بدائع التشبيهات » للزاهي [من البسيط] :

الريح تعصف والأغصان تعتقُ والمزن باكيةً والزهر معتبق^(١)
كأنما الليل جفنٌ والبروق له عينٌ من الشمس تبدو ثم تنطبق

ومن مشهور شعر الزاهي قوله [من الكامل] :

لولا عذارك ما خلعت عذارى ولكنك في وزرٍ من الأوزار^(٢)
ما كنت أحسب أن أعاين أو أرى تخطيط ليلٍ في بياض نهار
حتى نظرت إلى عذارك فاغتدى سقم القلوب ونزهة الأبصار
فتركت قلبي في الوعيد لأجله وعزمت فيك على دخول النار

ووجدت في كتاب أبي الحسن علي بن أحمد بن عبدان ، في مجموعة المترجم بحاطب الليل ، قصيدة للزاهي أولها [من الكامل] :

الليل من فكري يصير ضياءً والسيف من نظري يذوب حياءً
والخيال لو حملتها علمي بها لتركتها تحت العجاج هباءً

ومنها :

أحصي على دهري الذنوب بمقلةٍ لدموعها لا أملك الإحصاء

سرقه من قول ديك الجن [من الخفيف] :

أنا أحصي فيك النجوم ولكن لذنوب الزمان لست بمحص

(١) المزن : السحب ، ومعتبق : أي مليء بالعبق الذكي .

(٢) الوزر : الإثم .

رجع :

عجباً لصرف الدهر كيف يخون من غمر البرية نجدةً ووفاءً
عدم الصباح فتاب عنه بفكره وعلت يده فطاول الجوزاء

وأُنشِدت له بيت معمى ، وما أراه قاله [من الكامل] :

من كان آدمَ جملاً في سنّه هجرته حواء السنين من الدمى^(١)

آدم في حساب الجمل خمس وأربعون ، وحواء خمسة عشر .

وله في وصف الأترج [من البسيط] :

وذا تِ جسم من الكافور في ذهبٍ دارت عليه حواشيه بمقدارٍ
كأنّها - وهي قدامي ممثلةً في رأس دوحتهّا - تاجٌ من النار

* * *

(١) جملاً : حساب الجمل ، وهو حساب الأحرف الهجائية المقرونة بأرقام من الواحد الى الألف .
والمعنى : أنّ الذي في عمر آدم لا بدّ أن تهجره النساء .

الباب السابع

١٩ - في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البغواء

وغرر نثره ونظمه

هو : أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخزومي ، من أهل نصيبين .
نجم الآفاق ، وشمامة الشام والعراق ، وظرف الظرف ، وينبوع اللطف ،
واحد أفراد الدهر ، في النظم والنثر ، له كلام بل مدام ، بل نظام من الياقوت ، بل
حب الغمام ، فنثره مستوف أقسام العذوبة ، وشروط الحلاوة والسهولة ، ونظمه
كأنه روضة منورة تجمع طيباً ومنظراً حسناً . وقد أخرجت من شعره . ما يشهد
بالذي أجريت من ذكره ، وإنما لقب بالبغواء للثغة فيه سيجري وصفها في ذكر ما دار
بينه وبين أبي إسحاق الصابي من طرف المكاتبات وملح المجاوبات ، وكان في
عنقوان أمره وريعان شبابه متصلاً بسيف الدولة ، مقيماً في جملته ، ثم تنقلت به
بعد وفاة صاحبه الأحوال في وروده الموصل وبغداد ومناذمته بهما الملوك
والرؤساء ، وإخفاقه مرة وإنجاحه أخرى ، وآخر ما بلغني من خبره ما سمعت الأمير
أبا الفضل عبد الله بن أحمد الميكالي يورده من ذكر التقائه معه عند صدره من
الحج وحصوله ببغداد في سنة تسعين وثلاثمائة ، ورؤيته بها شيخاً عالي السن ،
متناول الأمد ، نظيف اللبسة ، بهي الركبة ، مليح اللثغة ، ظريف الجملة ، قد
أخذت الأيام من جسمه وقوته ، ولم تأخذ من طرفه وأدبه ، وأنه مدح أباه الأمير أبا
نصر بقصيدة فريدة أجزل عليها صلته ، ثم السلامي وغيره من شعراء العراق ، ثم
عرض على القاضي أبو بشر الفضل بن محمد بجرجان سنة إحدى وتسعين كتاب

أبي الفرج الوارد عليه من بغداد مشتملاً من النظم والنثر على ما أثرت فيه حال من بلغ ساحل الحياة ، ووقف إلى ثنية الوداع ، ولست أدري ما فعل الدهر به ، وأغلب ظني أنه إلى الآن قد لحق باللطيف الخبير ، وأنا أبدأ بسياق قصة له من عبارته وحكايته ، لم أسمع أظرف منها في فنها ، ولا ألطف ولا أعذب ، ولا أخف ؛ وإن كان فيها بعض الطول ، والبديع غير مملول .

قال أبو الفرج : تأخرت بدمشق عن سيف الدولة رحمه الله مكرهاً ، وقد سار عنها في بعض وقائعه ، وكان الخطر شديداً على من أراد اللحاق به من أصحابه ، حتى إن ذلك كان مؤدياً إلى النهب وطول الاعتقال ، واضطرت إلى إعمال الحيلة في التخلص والسلامة ، بخدمة من بها من رؤساء الدولة الإخشيدية ، وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة ، وكان انقطاعي منهم إلى أبي بكر علي بن صالح الروزباري لتقدمه في الرياسة ، ومكانه من الفصل والصناعة ، فأحسن تقبلي ، وبالع في الإحسان بي ، وحصلت تحت الضرورة في المقام ، فتوفرت على قصد البقاع الحسنة ، والمتنزهات المطرفة ، تسلياً وتعللاً ، فلما كان في بعض الأيام عملت على قصد دير مران ، وهذا الدير مشهور الموقع في الجلالة وحسن المنظر ، فاستصحبت بعض من كنت آنس به . وتقدمت لحمل ما يصلحنا ، وتوجهنا نحوه ، فلما نزلنا أخذنا في شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسجاجة الخلق ، حسبما جرى به الرسم في غشيان الأعمار وطروق الديرة ، ومن التطرف بعشرة أهلها والأنسة بسكانها ، ولم تزل الأقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة إلى أن فض اللهو ختامه ، ولوح السكر لصحبي أعلامه ، وحانت مني نظرة إلى بعض الرهبان فوجدته الى خطابي متوثباً ، ولنظري إليه مترقباً ، فلما أخذته عيني أكب يزعجني بخفي الغمز ووحى الايماء ، فاستوحشت لذلك ، وأنكرته ونهضت عجلان ، واستحضرتة ، فأخرج إلي رقة مختومة ، وقال لي : قد لزمت فرض الأمانة فيما تضمنته هذه الرقة ، ووني وسقط

ذمام كاتبها في سترها بك عني ، ففضضتها ، فإذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقرئه وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم

لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يا مولاي : بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التسامح بنفيس الحظ منك ، إلى أن استزلتني الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبرة ، ورفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك - جعلني الله فداك ! - زورة أرتجع بها ما اغتصبتنيه الأيام من المسرة مهنة بالانفراد إلا من غلامك الذي هو مادة مسرتك .

وما ذاك عن خلق يضيق بطارق ، ولكن لأخذي بالاحتياط على حالي ، فإن صادف ما خطبته منك - أيدك الله ! - قبولاً ، ولديك نفاقاً ، فمنية غفل الدهر عنها ، أو فارق مذهبه فيما أهدها إليّ منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوتره وأهواه ، وأترقه من قربك وأتمناه ، فذمام المروءة يلزمك رد هذه الوقعة وسترها ، وتناسيها واطراح ذكرها . وإذا بأبيات تتلو الخطاب ، وهي [من المنسرح] :

يا عامر العمر بالفتوة والـ	قصف وحث الكؤوس والطرب
هل لك في صاحب تناسب في الـ	غربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه الدهر فاستراح إلى	قربك مستنصراً على النوب ^(١)
فإن تقبلت ما أتاك به	لم تشن الظن فيه بالكذب ^(٢)
وإن أتى الزهد دون رغبتنا	فكن كمن لم يقل ولم يجب

(١) النوب : المصائب والأحداث .

(٢) تشن : تُعيب .

قال أبو الفرج : فورد عليّ ما حيرني ، واسترد ما كان الشراب حازه من تميزي ، وحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة خطأ وترسلاً ونظماً ، فشاهدته بالفراصة من ألفاظه ، وحمدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته ، وقلت للراهب : ويحك ! من هذا ؟ وكيف السبيل إلى لقائه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فمتسهل إن شئت قلت : دلني ، قال : تظهر فتوراً ، وتنصب عذراً تفارق به أصحابك منصرفاً ، وإذا حصلت بباب الدير عدلت بك إلى باب خفي تدخل منه ، فرددت الرقعة عليه ، وقلت : ارفعها [إليه] ليتأكد أنسه بي وسكونه إلي ، وعرفه أن التوفر على إعمال الحيلة في المبادرة إلى حضرته على ما أثره من التفرد أولى من التشاغل بإصدار جواب وقطع وقت بمكاتبته ، ومضى الراهب ، وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي نهضت به ، فأنكروا ذلك ، فاعتذرت إليهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ما أركبه ، وتقدمت إلى من كان معي ممن يخدم بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا عملنا على المبيت ، فأجمعوا على تعجل السكر والانصراف ، وخرجت من باب الدير ومعني صبي كنت آنس به وبخدمته ، وتقدمت إلى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي ، وتلقاني الراهب ، وعدل بي إلى طريق في مضيق ، وأدخلني إلى الدير من باب غامض ، وصار بي إلى باب قلابة متميز عما يجاوره من الأبواب نظافة وحسناً ، فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفّف الكشح مخطفه^(١) ، معتدل القوام أهيفه^(٢) ، تخال الشمس برقعت غرته ، والليل ناسب أصداعه وطرته ، في غلالة تنم على ما تستره^(٣) ، وتجفومع رقتها عما تظهره ، وعلى رأسه مجلسية مصمت فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المدعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القلاية ، فإذا أنا ببيت فضي

(١) المخطف : دقيقة وناعمة .

(٢) الهيف : اعتدال القوام .

(٣) الغلالة : الثياب الشفافة .

الحيطان ، رخامي الأركان ، يضم طارقة خيش ، مفروشة بحصير مستعمل ،
فوثب إلينا منه مقتبل الشبية ، حسن الصورة ، ظاهر النبل والهيئة ، متزي من
اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر بسرويله ، واعتقني ، ثم قال : إنما
استخدمت هذا الغلام في تلقيك يا سيدي لأجعل ما لعلك استحسنته من وجهه
مصانعاً عما ترد عليه من مشاهدتي ، فاستحسنتم اختصاره الطريق إلى بسطي ،
وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة
إلى أمره . وأنا أوصل في خلال سكناته المبالغة في الاعتداد به ، ثم قال : يا
سيدي أنت مكدود بمن كان معك ، والاستمتاع بمحادثتك لا يتم إلا بالتوصل إلى
راحتك ، وقد كان الأمر على ما ذكر ، فاستلقيت يسيراً ثم نهضت ، فخدمت في
حالي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء .
وأحضرنا خادم له لم أر أحسن منه وجهاً ولا سواداً طبقاً يضم ما يتخذ للعشاء مما
خف ولطف ، فقال : الأكل مني يا سيدي للحاجة ، ومنك للممالحة
والمساعدة ، فلنا شيئاً ، وأقبل الليل فطلع القمر ففتحت مناظر ذلك البيت إلى
فضاء أدى إلينا محاسن الغوطة ، وحبانا بذخائر رياضها : من المنظر الجناني ،
والنسيم العطري ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما وقع اتفاقنا على المختار منه ،
ثم اقتعدنا غارب اللذة ، وجرينا في ميدان المفاوضة ، فلم يزل يناهبني نواذر
الأخبار ، وملح الأشعار ، ونخلط ذلك من المزح بأظرفه ، ومن التودد بالطفه ،
إلى أن توسطنا الشراب فالتفت إلى غلامه ، وقال له : يا مترف ، إن مولاك ما ادخر
عنا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكنا في مسرته ، فامتقع وجه الغلام
حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لا أعلم ما يريد ، ومضى فعاد يحمل
طنبوراً ، وجلس فقال لي : يا سيدي تأذن لي في خدمتك ؟ فهممت بتقبيل يده لما
تداخلني من عظم المسرة بذلك ، فأصلح الغلام الطنبور وضرب وغنى [من
المجث] :

يا مالكي وهو ملكي وسالبي ثوب نسكي

نزه يقين الهوى فيك عن تعرض شك
لولاك ما كنت أبكي إلى الصباح وأبكي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعرله ، فكادت والله أطيّر طرباً وفرحاً
بملاحة خلقه وجودة ضربه وعدوبة ألفاظه وتكامل حسنه ، فاستدعيت كيزاناً
فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم ، فشربت سروراً
بوجهه ، وشرب بمثل ما شربت ، ثم قال لي : أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك وأن
لا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، ولكن إذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب
فلا بد أن تشي ليلتنا بشيء يكون لها طرازاً ولذكرها معلماً ، فجذبت الدواة وكتبت
ارتجالاً وقد أخذ الشراب مني [من المجتث] :

وليلة أوسعتني حسناً ولهواً وأنسا
ما زلت ألثم بدرأ بها وأشرب شمساً
إذ أطلع الدّير سعداً لم يبق مذ بان نحسا
فصار للروح مني روحاً وللنفس نفساً

فطرب على قولي « ألثم بدرأ وأشرب شمساً » ، وجذب غلامه فقبله ،
وقال : ما جهلت ما يجب لك يا سيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما
ذكرته ، فبحياتي إلا فعلت مثل ذلك بغلامك ، فاتبعت آثاره خوفاً من احتشامه ،
وأخذ الأبيات وجعل يرددها ، ثم أخذ الدواة وكتب إجازة لها [من المجتث] :

ولم أكن لغريمي والله أبذل فلساً
لو ارتضى لي خصمي بدير مران حبساً

فقلت : إذا والله ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً ، وداعبته في هذا المعنى
بما حضر ، وعرفت في الجملة أنه مستتر من دين قد ركبه ، وقال لي : قد خرج لك
أكثر الحديث ، فإن عذرت ، وإلا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت
ما يؤثره من كتمان أمره ، فقلت له : يا سيدي ، كل ما لا يتعرف بك نكرة . وقد

أغنت المشاهدة عن الاعتذار ، ونابت الخبرة عن الاستخبار ، وجعل يشرب وينخب عليّ من غير إكراه ولا حثّ ولا استبطاء ، إلى أن رأيت الشراب قد دب فيه ، وأكب على مجاذبة غلامه والفتنة تشنيه في الوقت بعد الوقت ، فأظهرت السكر وحاولت النوم ، وجاء الغلام ببرذعة ففرشها لي بإزاء برذعته ، فنهضت إليها وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت له : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذه الحال في غلامه ، فتبسم وقال لي بسكره ، جمع الله لك شمل المسرة كما جمعه لي بك ، وأظهرت النوم ، وعاد يجاذب غلامه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساطيد ، وغلامه تارة يقبل يده وتارة فمه ، وغلبتني عيناى إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس ، فأردت توديعه وحاذرت إنباهه وإزعاجه ، فخرجت ، ولقيني الخادم يريد إيقاظه وتعريفه انصرافي ، فأقسمت عليه أن لا يفعل ، ووجدت غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته ، فركبت منصرفاً وعاملاً على العود إليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ من معاشرته ، ومتوهماً أن ما كنت فيه منام لطيبه وقرب أوله من آخره ، واعترضتني أسباب أدت إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك [من الطويل] :

ويوم كأنّ الدهر سامحني به فصار اسمه ما بيننا هبة الدهر
جرت فيه أفراس الصّبَا بارتياحنا إلى دير مرّان المعظّم والعمر
بحيث هواء الغوطتين معطر الـ نسيم بأنفاس الرياحين والزهر
فمن روضة بالحسن ترفد روضةً ومن نهرٍ بالفيض يجري إلى نهرٍ
وفي الهيكل المعمور منه افترعها وصحبي حلالاً بعد توفية المهر^(١)
ونزّهت عن غير الدنانير قدرها فما زلت منها أشرب التبر بالتبر

(١) افترع : افتضّ.

وحلّ لنا ما كان منها محرماً
 فأهدت لي الأيام فيه مودةً
 أتى من شريف الطبع أصدق رغبةٍ
 وكان جوابي طاعةً لا مقالةً
 فلاقيت ملء العين نبلاً وهمّةً
 وأحشمني بالبرّ حتى ظننته
 ونزهه عن غير الصفاء اجتماعنا
 وشاء السرور أن يلينا بثالثٍ
 بمعطي عيونٍ ما اشتهدت من جماله
 جنيًا جنيّ الورد في غير وقته
 وقابلنا من وجهه وشرابه
 وغنّى فصار السمع كالطرف آخذاً
 وأمتعنا من وجنته بمثل ما
 سرورُ شكرنا منّة الصحو إذ دعا
 كأنّ الليالي نمن عنه فعندما
 مضى وكأني كنت فيه مهووماً
 وهل يحصل الإنسان من كل ما به

وهل يحظر المحظور في بلد الكفر^(١)
 دعنتني في سترٍ فلبّيت في ستر
 تخاطبني عن معدن النظم والنثر
 ومن ذا الذي لا يستجيب إلى اليسر
 محلّى السّجايا بالطلاقة والبشر
 يريد اختداعي عن جناني ولا أدري^(٢)
 فكنت وإياه كقلبين في صدر
 فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
 ومضني قلوبٍ بالتجنّب والهجر
 وزهر الرّبا من روض خديّه والثغر
 بشمسين في جنحيّ دجى الليل والشعر
 بأوفر حظّ من محاسنه الزهر
 تمزج كفّاه من الماء والخمر
 إليه ولم نشكر به منّة السكر^(٣)
 تنبّهن نكّبن الوفاء إلى الغدر
 يحدث عن طيف الخيال الذي يسري^(٤)
 تسامحه الأيام إلّا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة ، وأشدّ تأسف على ما سلبته من فراق
 الفتى ، لا سيما ولم أحصل منه على حقيقة علم ولا يقين خبر يؤديانني إلى الطمع

(١) المحظور : الممنوع .

(٢) الخبان : العقل .

(٣) المنّة : الفضل .

(٤) نكّبن : حوكن وغيرن .

(٥) التهورم : النوم القليل ، وهوّم : هزّ رأسه لشدة النعاس .

في لقائه ، إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، وأنا في جملته ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الراهب ، وقد كنت حفظت اسمه ، فخرج إليّ مرعوباً ، وهو لا يعرف السبب ، فلما رأيته استطار فرحاً ، وأقسم ألا يخاطبني إلا بعد النزول والمقام عنده يومي ذلك ، ففعلت ، فلما جلسنا للمحادثة قال : ما لي لا أراك تسأل عن صديقك ؟ قلت : والله ما لي فكر ينصرف عنه ، ولا أسف يتجاوز ما حرّمته منه ، ولا سررت بعودي إلى هذه البلدة إلا من أجله ، ولذلك بدأت بقصّك ، فاذا كرّيت خبره ، فقال لي : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرائين جليل القدر ، عظيم النعمة ، كان ضمن من سلطانه بمصر ضياعاً بمال كثير ، فخاص به ضمّانه^(١) ، لقعود السعر ، وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفياً إلى أن ورد دمشق بزيّ تاجر ، فكان استتاره عند بعض إخوانه ممن أخدمه ، فإني عنده يوماً إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليّ مأموناً فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت السرور بما رغب فيه من الأنس بي وأنا لا أعرفه ، غير أن صديقي قد أمرني بخدمته ، وحصل في قلايتي ، فواصل الصوم ، فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا ، ومعه الغلام والخادم ، وقد لحقا به ومعهما سفّاتج^(٢) وعليهما ثياب رثة . فلما نظر إليّ الغلام قال : يا راهب ، قد حلّ الفطر وجاء العيد ،^(٣) ووثب إليه فاعتنقه ، وجعل يقبل عينيه ويبكي ، ووقف على السفّاتج فأنفذهما مع درج رقعة منه إلى صديقه فلما كان بعد يومين حمل إليه ألفي دينار ، وقال له : ابتع لنا ما نستخدمه في هذه الضيعة ، فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً على ما رأيت إلى أن ورد عليه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم إلى صاحب مصر وتعريفهم إياه الحال في بعده عن وطنه لضيق ذات يده عما يطالب به والتوقيع

(١) خاص : خسر.

(٢) السفّاتج : هي أن تدفع أموالاً في بلد معين لرجل معين ويعطيك لقاء ذلك صكاً أو رسالة تستردّها مالك من عميل له في بلد آخر.

بحظيطة المال عنه مقترناً بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سلم جميع ما بقي معك من نفقتنا إلى الراهب ليصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا ، وسار وما له حسرة غيرك ، ولا أسف إلا عليك ، يقطع الأوقات بذرك ، ولا يشرب إلا على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو الآن بمصر على أفضل الأحوال وأجلها ، ما يبخل بتفقدتي ، ولا يغيب بري^(١) ، فتعجلت بعض السلوة بما عرفت من حقيقة خبره ، وأتممت يومي عند الراهب ، وكان آخر العهد به (انتهى كلامه) .

* * *

في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره

كتب إلى سيف الدولة يذكر منصرفه من بعض الغزوات ظافراً إلى الثغر ومقامه على ابن الزيات صاحبه ، وقد عصي ، وأخذة إياه ، وانكفائه بعد ذلك إلى حلب :

الرياسة - أيد الله سيدنا ! - حلة موموقة ، ومرتبة مرموقة ، يتفاضل الناس فيها بقدر الهمم ، وينالونها بحسب مراتبها من الكرم ، فما تدرك إلا بالسماح ، ولا تملك إلا بأطراف الرماح . ولا تتقمص إلا بالحمد . ولا تخطب إلا بلسان المجد ، فكل من أدركها طلباً ، واستحقها بأفعاله لقباً ، من غير الدخول لسيدنا تحت شرف التعبد ، ورق الإخلاص لا التودد ، فقد حرم نيل الكمال ، وعدل عن الحقيقة إلى المحال [من البسيط] :

لأنه الغاية القصوى التي عجزت عن أن تؤمل إدراكاً لها الهمم ما تستحق ملوك الدهر مرتبة في الفضل إلا له من فوقها قدم

(١) لا يغيب بري : أي لا تنقطع صلاته عن الوصول إلي .

ذكاؤه إن دجا ليل الشكوك ضحىً وظلّه إن خطا صرف الردى حرم^(١)
فلو عدا الكرم الموصوف راحته عن أن يجاوزها لم يكرم الكرمُ
الشجاعة أقل أدواته ، والبلاغة أصغر صفاته ، يطرُق الدهر إذا نطق ،
وينطق المجد إذا افتخر . فالآمال موقوفة عليه ، والثناء أجمع مصروف إليه ،
نهض بما قعدت همم الملوك عن ثقله ، وضعف الدهر عن معانة مثله . بهمم
سيفية ، وعزائم علوية ، فرد شمل الدين جديداً ، وذميم الأيام حميداً ، بحق
أوضحه ، وخلل أصلحه . وهدى أعاده ، وضلال أباده [من الطويل] :

فلا انتزع الله الهدى عزّ بأسه ولا انتزع الله الوغى عزّ نصره
وأحسن عن حفظ النبي وآله ورعي سوام الدين توفير شكره
فما تدرك المدّاح أدنى حقوقه بإغراق منظوم الكلام ونثره
لأن أدنى نعمة تستغرق جماع الشكر ، وأيسر منة تفوت المبالغة في جميل
الذكر ، فأما هذا الفتح الشريف خطره ، الحميد أثره ، المشهور بلاؤه ، الواجب
ثناؤه ، الباسق فرعه ، العام نفعه ، فأشرف من أن يحد بالصفات ، أو يعد بأفصح
العبارات ، لإجراء الله تعالى سيدنا فيه من نيل الإرادة ، على مشكور العرف
والعادة ، فيما ابتسم به من ثغر الدين ، وشمل صلاحه كافة المسلمين [من
البسيط] :

كأنما ادّخر الرحمن معظمةً دون الملوك لسيف الدولة البطل^(٢)
رآه أكرمهم في الخير إن ذكروا وصفاً ، وأفضلهم في القول والعمل
فهزه وظبأ الأسياف مغمدةً واستلّه غير منسوب إلى الفلّل^(٣)

(١) دجا : أظلم ، والردى : الموت .
(٢) ادّخر : أبقى ، وجمع ، ومعظمة : أي أمراً عظيماً .
(٣) الفلّل : التقطع والتلثم في حدّ السيف .

حتى غدا الدين من بعد العبوس به جذلان يرفل من نعماء في حلل
فلو تكلم في حالٍ وقيل له : من خير هذا الوري؟ لم يسم غير علي

وله من رسالة أخرى :

شهاب ذكاء ، وطود وفاء ، وكعبة فضل ، وغمامة بذل ، وحسام حق ،
ولسان صدق . فالليالي بأفعاله مشرقة ، والأقدار لخوفه مطرقة ، تحمده أولياؤه ،
وتشهد له بالفضل أعداؤه [من المتقارب] :

يقابلنا البدر من برده ويشملنا السعد من سعده
ولو فخر المجد لم تلقه فخوراً شيء سوى مجده

وله من رسالة أخرى :

ثم إن شكري نعمة الله تعالى بما جددت من ملاحظة سيدنا حالي ، وتداركه
بطول التطول مرض آمالي ، ما لا أؤمل - مع المبالغة والإغراق فيه - فك نفسي
بحال من رق أياديه ، غير أنني أحسن لها النظر ، وأجمل عندها الأحداث والخبر ،
بالدخول في جملة الشاكرين ، والاتسام بفضيلة المخلصين ، إذ كان - أدام الله
عزه ! - قد نصر نباهتي على الخمول ، واستنقذني من التعهد للتأميل [من
البسيط] :

فصرت أمسك عن أوصاف نعمته عجزاً ، وينطق عن آثارها حالي
لما تحصنت من دهري بمعقله سمتُ بحملانه الحافظ إقبالي^(١)
وواصلتني صلات منه رحت بها أختال ما بين عز الجاه والمال
فلينظر الدهر عقبي ما صبرت له إذ كان من بعض حسادي وعذالي^(٢)
ألم أكده بحسن الانتظار الى أن صنت حظي عن حل وترحال

(١) المعقل : الحصن .

(٢) العقبي : العاقبة والنتيجة .

بلغت ما لا يجوز السؤل نائله ولا يدافع عن فضل وإفضال
يا عارضاً لم أشم مذ كنت بارقه إلا رويت بغيث منه هطال^(١)
رويد جودك قد ضاقت به هممي ورد عني برغم الدهر إقلالي
لم يبق لي أمل أرجو نذاك به دهري لأنك قد أفنيت آمالي
والله ينهضني من شكر طوله ، والنهوض بحقوق فضله . لما يبلغني رتبة
الزيادة ، ونيل السؤل والإرادة ، بمنه وكرمه .

وله من رسالة إليه يلتمس رسمه من الكسوة :
والعادة جارية بإعانتني على ما أوثره من التجمل في الخدمة بمتابعة النظر
ومواصلة التفقد [من البسيط] :
فإن رأى - لا رأى سوءاً ولا برح ال إقبال مشتملاً أيام دولته -
أن يقتضي لي من إنعامه خلعاً تنوب عن منطقي في شكر نعمته^(٢)
إذا تأملها الحساد لائحة تيقنوا أنها عنوان نيته
فعل إن شاء الله .

وله من رسالة إلى المهلي الوزير :
ولما كانت مناقب سيدنا من المعجز الذي لا يتعاطى استطاعة الوصف
مطالوته ، ولا إمكان البلاغة مساجلته ، عدلت إلى شكر الله تعالى على ما ألهمنيه
من تأميل سيدنا ، والتجمل بحمل منته ، واكتساب الشرف بسمة ذكره . متحققاً
أنني على البعد منه حاضر بالإخلاص ، لا حق بذوي الحظوة والاختصاص . إذ
كانت خدمة مثلى إنما هي بلبه لا بقربه وبفهمه لا بجسمه [من البسيط] :
وفي الحقيقة لولا أن معتقلي عن السرى جود سيف الدولة الملك

(١) أشم : انظر واتطلع ، والعارض : السحاب .

(٢) الخلع : العطايا والهبات .

لما اقتصرت على غير المسير إلى من حظّه في المعالي غير مشترك
لكنّه فلك الفضل المحيط، وما من عادة الشمس أن تنأى عن الفلك
وفي هذه الرسالة [من البسيط] :

وإن رأى المتناهي من سيادته إلى المحلّ الذي لم يرقه أحد^(١)
أن يقتضي لي حظاً من مكارمه يغري على العدى من أجله الحسد
فالشّمس تدنو ضياءً وهي نازحة^(٢) والسحب تروي ومن أوطانها البعد^(٣)
وله من رسالة إلى أبي محمد جعفر بن محمد بن ورقاء :

وقد كنت أوثّر أن لا يصدر كتابي هذا إلا بقصيدة في الأمير ، غير أن الوقت
لم يتسع لما أوثّره فأنفذت هذه الأبيات ، وأرجو أن يكون موقعها باسطاً لي إلى ما
أوثّره من المواصلة بأمثالها ، ولا والله ما حسبت فيها ، ولا فيما تقدمها من
المنثور ، عنان القلم ، وهي [من الخفيف] :

جاد ربعاً حللته يا همأم من ندى كفك العزيز رهام^(٣)
فقيحٌ إن استزدت له صو ب غمامٍ وأنت فيه غمام
ما بأرضٍ لم تبد فيها صباح ما بدارٍ حللت فيها ظلام
وإذا ما حللت في بلدٍ فهـ وجميع الدنيا وأنت الأنام
سوددٌ عنده التفاخر ذلٌ وندى عنده الكرام لثام
وسجايَا كأنّها الروض ، إلّا أنّها للعدو موتٌ زوام^(٤)
أنتم أنفس العلاء يا بني ور قاء والناس كلّهم أجسام

(١) لم يرقه : لم يصعده ، أولم يصل إليه .

(٢) النازحة : البعيدة .

(٣) الرهام : بكسر الراء : هو المطر الضعيف الدائم .

(٤) الزوام : المحتم القاتل .

سَخَطَ المالَ من أَكْفَكُمُ ما حمَدته السيوف والأقلام
وله من رسالة كتبها بعد وفاة سيف الدولة ، إلى عدة الدولة أبي تغلب بن
ناصر الدولة ، يذكر رغبته في قصده وإثارة الانقطاع إليه ، وذلك في سنة ثمان
وخمسين وثلثمائة :

ومن أبرز لسيدنا صفحة رجائه ، ووفق للانقطاع إلى سعة نعمائه - فقد
استظهر لما بقي من عمره ، وحكم لنفسه بالفوز على دهره [من المتقارب] :

فما يقدح الفقر في حاله ولا يطمع الدهر في قصده
وكيف وقد صار ضيف الغما م وهو قريبٌ على بعده ؟
ومن علقت بأبي تغلب يداه احتذى البدر من سعده
همامٌ قضى الله من عرشه له بالإمارة في مهده
فطود السيادة في دسسته وشمس الرياسة في برده^(١)

ولما ورد الجواب عن مكتوبه مقروناً بإزاحة العلة في جميع ما يحتاج إليه في
سفره ، والتوقيع بالمبادرة في المسير إلى الموصل ، وردها ، ولقي أبا تغلب
برسالة طويلة منها :

أفصح دلائل الإقبال ، وأصدق براهين السعادة - أطال الله بقاء سيدنا ! - ما
شهدت العقول بصحته ، ونطقت البصائر بحقيقته ، ونعمة الله تعالى على الدين
والدنيا بما أولاهما من اختيار سيدنا لحراستهما بناظر فضله ، وسترهما بظل
عدله ، مفصحة بتكامل الإقبال ، مبشرة بتصديق الآمال [من البسيط] :

محروسةً ضمن الشكر الوفي لها عن الزيادة نيل السؤل في الدرك^(٢)
تحقق الدهر أن الملك منذ نشأ له أبو تغلب اسمٌ غير مشترك

(١) الدست : المجلس • وصدر البيت .

(٢) الدرك : اللحاق وإدراك الحاجة .

واستخلف الفلك الدوّار همته فلو ونى أغنت الدنيا عن الفلك^(١)

موفر الحسنات ، مأمون الهفوات ، متناصر الصفات ، رباعي النفاس ،
حمداني السياسة ، ناصري الرياسة ، عطاردي الذكاء ، موفق الآراء ، شمسي
التأثير ، فلكي التدبير ، قمري التصوير ، للصدق كلامه ، والعدل
أحكامه ، وللوفاء ذمامه . وللحسام عناؤه ، وللقدر مضاهؤه ، وللسحاب عطاؤه
[من البسيط] :

دعوتهُ فأجابتنِي مكارمهُ ولودعوت سوى نعماه لم تُجِبِ
وجدته الغيث مشغوفاً بعبادته والروض يجني بما في عادة السَّحْبِ
لوفاته النسب الوضّاح كان له من فضله نسبٌ يغني عن النَّسَبِ
إذا دعتهُ ملوك الأرض سيّدها طراً دعتهُ المعالي سيد العرب^(٢)

فأجمل بره ، وتقبله مدة مقامه بحضرته ، إلى أن سار عنها إلى مدينة السلام سنة
تسعة وخمسين وثلاثمائة ، وجعل يعاود الموصل مرة ، ومدينة السلام أخرى .
وله من رسالة شكر :

وكانني أرى عواقب اشتباك علي ، وتفقدك المتواصل إلي ، من مرآة العقل ،
وبصيرة الذكاء والفضل ، إذ كانت امارات الإقبال على حالي بك لائحة ، وشواهد
السعادة لدي بعنايتك واضحة [من الوافر] :

فمن نظري يسارع في صلاحِي ومن وصفٍ يحثُ على نفاقي
فإنعامٌ أسرُّ من التداني على عدمٍ أفضُّ من الفراق^(٣)

(١) ونى : ضعف .

(٢) طراً : قاطبة ، جميعاً .

(٣) العدم : الفقر : وأفضُّ : أغلظ وأقسى .

وله في مثلها :

من كان جميل رأي سيدنا عدته ، أمن من الدهر شدته ، ومن فزع إلى
إحسانه ، استظهر على زمانه ، ومن توجه برغبته إليه ، لم تقدم الأيام عليه [من
الكامل] :

وأنا الذي علمت من طلب الغنى كيف الطريق إلى الغنى برجائه
فظللت مخصوصاً بحمد عفاته وغدوت ممدوحاً بشكر عطائه^(١)
وأفدت قدماً معجزات فضائلي من نور فطته ونار ذكائه
فاذا نطقت نطقتُ من ألفاظه وإذا وهبت وهبتُ من نعمائه

* * *

ذكر ما دار بينه وبين أبي إسحاق الصابي

كان كل منهما يتمنى لقاء صاحبه ، ويكاتبه ويراسله ، فاتفق أن أبا الفرج
قدم مرة بغداد وأبو إسحاق معتقل منذ مدة بعيدة ، فلم يصبر عنه ، فزاره في
محبسه ، ثم انصرف عنه ولم يعاوده ، فكتب إليه أبو إسحاق [من الطويل] :

أبا الفرج اسلم وابق وانعم ولا تزل يزيدك صرف الدهر حظاً إذا نقص
مضى زمنٌ تستام وصلي غالباً فأرخصته ، والبيع غالٍ ومرتخص^(٢)
وأنستني في محبسي بزيارة شفت كمداً من صاحب لك قد خلص
ولكنها كانت كحسوة طائرٍ فواقاً كما يستفرص السارق الفرص^(٣)
وأحسبك استوحشت من ضيق محبسي وأوجست خوفاً من تذكرك القفص
كذا الكرز اللّماح ينجو بنفسه إذا عاين الأشرار تنصب للقفص^(٤)

(٣) الحسوة : الجرعة .

(٤) الكرز : البازي .

(١) العفاة : عطائه .

(٢) استام البضاعة : سأل عن ثمنها .

فحوشيت يا قسّ الطيور فصاحةً
من المنسر الأشغى ومن حزة المدى
ومن صعدو فيها من الدبق لهذمٌ
فهذي دواهي الطير وقّيت شرّها
فأجابه أبو الفرج في الحال مع رسوله :

أيا ماجداً مذ يمّم المجد ما نكص
ستخلص من هذا السرّار ، وأيما
برأفة تاج الملة الملك الذي
تقتنص بالأطاف شكري ، ولم أكن
وصادفت أدنى فرصة فانتهازتها
أتني القوافي الباهرات تحمل الد
فقابلت زهر الروض منها ولم أرع
فإن كنت بالبيغاء قدماً ملقباً
وبعد ، فما أخشى تقتنص جارح

إذا أنشد المنظوم أو درس القصص^(١)
ومن بندق الرامي ومن قصة المقص^(٢)
لفرسانكم عند الطعان بها قعص^(٣)
إذا الدهر من أحداثه جرّع الغصص^(٤)

وبدر تمام مذ تكامل ما نقص^(٥)
هلال توارى بالسرّار فما خلص^(٦)
لسؤدده في خطة المشتري خصص
علمت بأن الحرّ بالبرّ يقتنص
بليكيك إذ بالحزم تنتهز الفرص
بدائع من مستحسن الجدّ والرخص
وأحرزت درّ البحر منها ولم أغص
فكم لقب بالجور لا العدل مخترص^(٧)
وقلبك لي وكرّ رأيك لي ققص !

فانتهى الابتداء والجواب إلى عضد الدولة ، فأعجب بهما واستظرفهما ، وكان
ذلك أحد أسباب إطلاق أبي إسحاق من اعتقاله ، ثم اتصلت بينهما المكاتبة
والمودة .

(١) قسّ الطيور : يعني أفصحها ، وقسّ : هو قسّ بن ساعدة الايادي .

(٢) المنسر : المنقار والأشغى : الطويل .

(٣) الدبق : غراء تصاد به الطيور ، واللهزم : الحاد القاطع من السيوف والقعص : القتل والإجهاز .

(٤) جرّع : شرب .

(٥) يمّم : قصد ، ونكص : ولّى وهرب .

(٦) السرّار : المحاق ، ماخر أيام الشهر .

(٧) مخترص : مخلق ، والتخريص : الكذب .

وكتب أبو إسحاق إلى أبي الفرج أبياتاً في صفة القبح^(١) والخطاطيف ، ثم

كتب إليه هذه الأرجوزة في صفة البيغاء :

أنعتها صبيحةً مليحة	ناطقَةً باللغة الفصيحة
غدت من الأطيار ، واللسانُ	يوهمني بأنها إنسانُ
تنهي إلى صاحبها الأخبارا	وتكشف الأسرار والأستارا
سكّاء إلا أنّها سميعه	تعيد ما تسمعه طبيعه ^(٢)
وربّما لُقنت العضيّه	فتغدي بذيةً سفيّه ^(٣)
زارتك من بلادها البعيده	واستوطنت عندك كالعقيده
ضيفُ قراه الجوز والأرزُ	والضيف في أبياتنا يعزُ
تراه في منقارها الخلوقي	كلؤلؤ يلقط بالعقيق
تنظر من عينين كالقصين	في النور والظلمة بصّاصين ^(٤)
تميس في حلتها الخضراء	مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدةٌ خدورها الأقفاصُ	ليس لها من حبسها خلاص ^(٥)
تحبسها وما لها من ذنب	وإنّما تحبسها للحب
تلك التي قلبي بها مشغوفُ	كُنيت عنها واسمها معروفُ
نشرك فيها شاعر الزمان	والكاتب المعروف بالبيان
وذاك عبد الواحد بن نصر	تقيه نفسي عاديّات الدهر!

فأجابه أبو الفرج بهذه الأرجوزة :

من منصفني من حكم الكتاب شمسُ العلوم قمر الآداب ؟

(١) القبح : هو الحجل .

(٢) السكّاء : أي أذنّها صغيرة ، او مقطوعة من أصلها

(٣) العضيّه : الكذب والزور البهتان .

(٤) بصّاصين : مضيين ، ناظرين .

(٥) الخريدة • البكر .

أضحى لأوصاف الكلام محرزا
وهل يجاري السابق المقصر؟
ما زال بي عن غرضٍ معرضا
فتارةً يعتمد الخطافا
وتارةً يعني بنعت القبح
يحوم حول غرضٍ معلوم
حتى تجلّت رغبة الصريح
وصحّ أن البيغاء مقصده
فلم يدع لقائل مقالا
أهدى لها من كل نعت أحسنه
أحال بالريش الأشيب الأخضر
على اختلاط الروض بالشقيق
تزهى بدوّاج من الزمرد
وحسن منقارٍ أشمّ قاني
صيرها انفراها في الحبس
تميّزت في الطير بالبيان
تحكي الذي تسمعه بلا كذب
غذاؤها أزكى طعام رгда
ذات شغى تحسبه ياقوتا

وسام أن يلحق لما برزا
أم هل يساوي المدرك المعذر؟
ولي بما يصدره مستنهضا
بيدع تستغرق الأوصافا
من منطقٍ لفضله محتج^(١)
ومقصده في شعره مفهوم
وسلم التلويح للتصريح
بكل ما كان قديماً يورده
فيها ولا لخاطر مجالا
وصاغ من حلي المعاني أزينه
وباحمرار طوقها والمنسر^(٢)
وأخضر الميناء بالعقيق
ومقلّة كسبح في عسجد^(٣)
كأنما صيغ من المرجان
بنطقها من فصحاء الإنس
عن كل مخلوق سوى الإنسان
من غير تغيير لجد أو لعب
لا تشرب الماء ولا تخشى الصدا^(٤)
لا ترتضي غير الأرض قوتا^(٥)

(١) القبح : الحجل .

(٢) الأشيب : المختلط، والمنسر : المنقار .

(٣) الدوّاج : لحاف يلبس، والسبح : خرز أسود ناعم .

(٤) الصدا : الظمأ .

(٥) الشغى : المنقار، أو السن الزائدة طولاً عن رفيقاتها .

كأثما الحبّة في منقارها حباة تطفو على عقارها^(١)
إقدامها بياسها الشديد أسكنها في قفص الحديد
فهى كخود في لباس أخضر تأوي إلى خركاهة لم تستر^(٢)
ووصفها المعجز ما لا يدرك ومثله في غيرها لا يملك
لو لم تكن لي لقباً لم أختصر لكن خشيت أن يقال منتصر
وإنما تنعتُ باستحقاق لوصفها حذق أبي إسحاق
شرفها وزاد في تشريفها بحكم أبداع في تفويها^(٣)
فكيف أجزى بالثناء المنتخب من صرف المدح إلى اسمي واللقب

وكتب إليه أبو إسحاق بأحسن ما قيل في مدح الأثغ [من الطويل] :

أبا الفرج استحققت نعتاً لأجله تسميت من بين الخلائق ببغا
بياناً منيراً كاللّجين مضمناً نضاراً من المعنى أدياً وأفرغا
فلولا مرىء القيس انتدبت مجارياً كبا أو لقس في فصاحته صغا^(٤)
متى ما يرمّ ذا الاسم غيرك رائم ليلغ من غايات فضلك مبلغا^(٥)
فإنّي أسميه به ثم أنثني فأسلبه باءً من الاسم إذ بغى
إذا أنا سلّمت البلاغة طائعاً إليك فأيّ الناس خالفني طغى
كفتك على رغم الحسود شهادتي بأن كنت منه ثم منّي أبلغا
وما هجّنت منك المحاسن لثغة وليس سوى الانسان تلقاه ألثغا^(٦)

(١) العقار : الخمرة، والحباب : فقاع يعلو الخمرة حين تصب في الكأس .

(٢) الخود : الفتاة القاعمة .

والخركاة : اسم مكان فارسي .

(٣) التفويف : التزيين والتوشية .

(٤) صغا : مال .

(٥) يروم : يبتغي .

(٦) اللثغة : تكون في نطق الحرف كالسين ينطق شينا .

أُتَعَرَفَهَا فِيمَا تَقْدَمُ خَالِيًا لَعِيرٍ إِذَا مَا صَاحَ أَوْ جَمَلَ رَغَا^(١)
فِيَا لَكَ حَرْفًا زِدْتَ فَضْلًا بِنَقْصِهِ فَأَصْبَحْتَ مِنْهُ بِالْكَمَالِ مَسْوَعًا
بَقِيَتْ وَلَا تَعْدَمُ بَقَاءً مَرْفَهَا وَعَشْتَ وَلَا تَعْدَمُ مَعَاشًا مَرْفَعًا^(٢)

ولما نقل عز الدولة بختيار ابنته المزوجة بعدة الدولة أبي تغلب إليه
بالموصل - كتب عنه أبو إسحاق في معناها فصلاً من كتاب استحسنه الناس
وتحفظوه وأقرله بالبراعة والبلاغة كل بليغ ، وهو :

قد توجه أبو النجم بدر الحرمي ، وهو الأمين على ما يلحظه ، الوفي بما
يحفظه ، نحوك يا سيدي ومولاي - أدام الله عزك ! - بالوديعة ، وإنما نقلت من
وطن إلى سكن ، ومن مغرس إلى معرس . ومن مأوى بر وانعطاف ، إلى مثوى
كرامة والإطاف . ومن منبت درت لها نعمائوه ، إلى منشأ تجود عليها سمائوه . وهي
بضعة مني انفصلت إليك ، وثمره من جنى قلبي حصلت لديك . وما بان عني من
وصلت حبله بحبلك ، وتخيرت له بارع فضلك . وبوأت المنزل الرحب من جميل
خلائقك ، وأسكنته الكنف الفسيح من كرم شيمك وطرائقك . ولا ضياع على ما
تضمه أمانتك ، ويشتمل عليه حفظك ورعايتك . وأرجو أن يقرن الله موردها
بالبطائر السعيد . والأمر الرشيد . والعز الزائد ، والمجد الصاعد . والنماء في
الائتلاف ، والعصمة من الفرقة بالخلاف . حتى تكون عوائد البركة بأحوالها
منوطة ، ومن عوادي الأيام وغيرها محوطة .

وإنما ألم أبو إسحاق في تسميته لها بالوديعة بالفصل الذي كتبه جعفر ابن
محمد بن ثوبة عن المعتضد إلى ابن طولون في ذكر ابنته قطر الندى المنقولة إليه ،
وهو :

وأما الوديعة - أعزك الله ! - فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك ،

(١) رغا : أزيد وهاج .

(٢) الرفاغية : السعة في العيش .

عناية بها ، وحياطة لها ، ورعاية لمولاتك فيها .

فلما عرضه على الوزير عبد الله بن سليمان ارتضاه جداً واستحسنه ، وقال له : تسميتك إياها بالوديعة نصف البلاغة ، ووقع له بالزيادة في إقطاعه ومشاهرته .

ولما قرىء الفصل من إنشاء الصابي بحضرة أبي تغلب اعتمد في الجواب عنه على أبي الفرج البيهقي ، وكتب كتاباً يشتمل على هذا الفصل الذي هو الجواب عن الفصل المذكور ، وهو :

وأما أبو النجم بدر الحرمي - أيده الله ! - المستوجب للارتضاء والاحماد ، الموفى بمناصحته على كل مراد ، فقد أدى الأمانة إلى متحملها ، وسلم الذخيرة الجليلة إلى متقبلها ، فحلت من محل العز في وطنها ، وأوت من حمى السؤدد إلى مستقرها وسكنها : متنقلة من عطن الفضل والكمال ، إلى كنف السعادة والاقبال . وصادرة عن أنبل ولادة ونسب ، إلى أشرف اتصال وأنبه سبب ، وفي اليسير من لوازم فروضها وواجبات حقوقها ، ما صان رعايتي عن الوصاة بها ، ونزه وفائي عن الاستزادة لها ، وكيف يوصي الناظر بنوره ؟ أم كيف يحض القلب على حفظ سروره ، وإن سببا قرن بإحسان أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ! - ذكرى ، ووصل بحبل السيد العم ركن الدولة - أدام الله تأييده ! - حبلي . ومنح عز الدولة - أيده الله ! - مكنون ودي ، واختص الأخوة من ولد أبيه السعيد رضي الله عنه وأيدهم بوثيق عهدي ، إلى أن صرت بفضل الجماعة قائلاً ، ودونها بالنية والفعل مناضلاً ، وبمحاسنها المجموعة إلى ناطقاً ، وبمالي عندها من المساهمة والمشاركة واثقاً - لحقيق بالتناهي في الإعظام ، وخليق بالمبالغة في الإيجاب والإكرام ، والله يعين على ما اعتقده من ذلك وأخفيه . ويوفيني لما يوفيني على المحبة والبغية فيه . بمنه وقدرته ، وحوله وقوته .

* * *

هذا ما أخرج من شعر أبي الفرج الذي يتغنى به

[فمته قوله] [من الوافر] :

لقد عزَّ العزاء عليَّ لما تصدَّى لي لتقتلني الصدودُ
إذا بُعدَ الحبيب فكلُّ شيءٍ من الدنيا ولذتها بعيدُ

وقوله [من البسيط] :

يا سادتي ، هذه نفسي تودِّعُكمُ إذ كان لا الصبر يسليها ولا الجزعُ^(١)
قد كنت أطمع في روح الحياة لها فالآن إذ بثُّمُ لم يبقَ لي طمعُ
لا عذبَ الله روحي بالبقاء فما أظنني بعدكم بالعيش أنتفعُ

وقوله [من الوافر] :

حصلت من الهوى بك في محلٍّ يساوي بين قربك والفرقِ
فلو واصلت ما نقص اشتياقي كما لو بنت ما زاد اشتياقي

وقوله [من البسيط] :

يا مسقمي بجفونٍ سقمها سببُ إلى مواصلة الأقسام في جسدي
وحقَّ جفنيك لا استعفيت من كمدي دهري ، ولو متُّ من همٍّ ومن كمدٍ^(٢)
عذرت من ظلٍّ في حبِّك يحسدني لأنَّه فيك معذورٌ على حسدي

وقوله [من البسيط] :

يا من تشابه منه الخلقُ والخلقُ فما تسافر إلَّا نحوه الحدقُ
توريدُ دمعي من خديك مختلسُ وسقم جسمي من جفنيك مسترقُ^(٣)

(١) الجزع : الخوف واليأس .

(٢) استعفيت : طلبت الخلاص والكمد : الحزن الشديد .

(٣) مختلس : مأخوذ ومسروق .

لم يبق لي رمتُ أشكو هواك به
وقوله [من الكامل] :

ومنهفئ لَمَّا اكتست وجنَّته
لَمَّا انتصرتُ على عظيم جفائه
كملت محاسن وجهه فكأنَّما اقد
وإذا ألحَّ القلب في هجرانه
وقوله [من الكامل] :

ما ضرَّ من بعد السرور ببعده
يبدو فأترق هيبةً ومخافةً
قد صرت أعجب أنَّ علَّةَ طرفه
وقوله [من الكامل] :

يا طيف من أنا عبده من أين لي
ينأى فتدنيه إليَّ على النوى
ما كان أحسن حالتي لو أن ما
وقوله [من البسيط] :

علَّمتُ طيفك اسعافي فما هجعتُ
فكيف أشكر من إن نمت واصلني

(١) الرمتُ : بقيَّة الروح .

(٢) فداره : من المدارة ، أي التمهّل والتأني .

(٣) يجمل : يحسن .

(٤) يطرمني : يسكن طرفي ولا يفارقه فيمنعه النوم .

وقوله [من الوافر] :

خيالك منك أعرفُ بالغرامِ
فلو يستطيع حين حظرت نومي
وأرأفُ بالمحبِّ المستهامِ
عليّ لزار في غير المنام^(١)

وقوله [من البسيط] :

قد كان أحسن شيءٍ بعد بعدهمِ
هم بالوصال أعادوها إليك ، فلمْ
ذخرتها بعدهم للصبر والجلدِ ؟
أظهرت ما ليس موجوداً لدى أحدٍ
وعدت بالدمع تعليلاً كأنك قد

وقوله [من البسيط] :

يا من إذا خفت فيه العذل آمني
ما يستحقُّ زماني - وهو سامحي
جميل إنصافه من عذلٍ عذَّالي
بمثل ودك - أن أشكوه في حالٍ
تسعى لياليه حتى نلت آمالي
رآك غاية آمالي ، فما برحتْ

وقوله [من الكامل] :

أوليس من إحدى العجائب أنني
يا من يحاكي البدر عند تمامه
فارقته فحييت بعد فراقه
أرحم فتى يحكيه عند محاقه^(٢)

وقوله [من البسيط] :

جاورت بالحب قلباً لم تذّر فكري
مفرقاً بين همٍّ غير مفترقٍ
للحب مستمتعاً فيه ولم تدع^(٣)
عنه ، وبين سلوٍّ غير مجتمعٍ



(١) خطرت : منعت .

(٢) يحاكي : يماثل ، والمحاك : القمر في السرار آخر الشهر .

(٣) جاورت : من الجوار ، وهو القرب والجيرة ولم تذّر : لم تترك .

وهذه غرر من شعره في الغزل والخمر

أنشدت له في رمد المحبوب ، وهو أحسن ما سمعت في معناه [من الطويل] :

بنفسي ما يشكوه من راح طرفه ونرجسه ممّا دهى حسنه ورد
أراقت دمي ظلماً محاسن وجهه فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
غدت عينه كالخدّ حتّى كأنما سقى عينه من ماء توريده الخدّ
لئن أصبحت رمداً مقلّة مالكي لقد طالما استشفت بها مقلّ رمد^(١)

وله في الفصد [من الخفيف] :

بأبي الغائب الذي لم يغبْ ع نني فأشكو إليه همّ المغيب
باشرته كفّ الطيب ، فلو ند ت الأمانى قبلت كفّ الطيب
فعلت في ذراعه طبّة المب ضع أفعال لحظه بالقلوب^(٢)
فأسالت دماً كأنّ جفوني عصفرته بدمعها المسكوب^(٣)
طاب جداً فلو به سمح الدهر ر لأمسي عطري وأصبح طيبي

وله في غلام خرج غازياً [من البسيط] :

يا غازياً أتت الأحزان غازيةً إلى فؤادي والأحشاء حين غزا
إن بارزتكم كماء الروم فارمهم بسهم عينيك تقتل كل من برزا

وله في وصف معصرة [من مجزوء الوافر] :

ومعصرق أنخت بها وقرن الشمس لم يغب
فخلت قزازها بالراً ح بعض معادن الذهب

(١) المقلّة : العين ، والرمد : أذى يصيبها .

(٢) طبّة المبضع : أي حده القاطع .

(٣) العصفر : نبات أصفر يصغ به .

وقد ذرفت لفقد الكر م فيها أعين العنب
وجاش عباب واديها بمنهل ومنسكب
وياقوت العصير بها يلاعب لؤلؤ الحب^(١)
فيا عجباً لعاصرها وما يغني به عجي!
وكيف يعيش وهو يخوض في بحر من اللهب؟

قوله في الخمر والقذح [من المنسرح] :

بالقفص للقفص منزل كتب ما للتصابي في غيره أرب
جادت به ديمة السرور، وحلّ اللهو فيه ، وعرس الطرب^(٢)
دارت نجوم السرور في فلك منه له من فتوتي قطب^(٣)
من كل جسم كأنه عرض يكاد لطفاً باللحظ يتهب
نور وإن يغب ، ووهم وإن صح ، وماء لو كان ينسكب
لاعب فيه سوى إذاعته الـ سر الذي في حشاه يحتجب
كأنما صاغه التفاق فما يخلص صدق منه ولا كذب
فهو إلى لون ما يجاوره على اختلاف الطباع ينتسب
إذا ادعاه اللجين أكذبه بالراح في صبغ جسمه الذهب
جلت عروس المدام حالية فيه علينا الأوتار والنخب^(٤)
فالأراح بدر ، والجام هالته والأفق كفي ، والأنجم الحب^(٥)
حال به الماء عن طبيعته بالمزج حتى خلناه يلهب

(١) الحب : فقاع يعلو الماء والخمر وغيرهما .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة ، وعرس : أقام .

(٣) القطب : نجم يهتدي به .

(٤) النخب : أي نخب الشراب .

(٥) الجام : إناء الخمر .

خمر علينا الأقداح لا العلب
أوطان من بالسرور ويقترب
من بعد بغداد سلوتي حلب

ونحن في مجلسٍ تدير به الـ
ينسى بأوطانه الحنين إلى الـ
لولا حفاظي المشهور ما أمنت

وله [من الخفيف] :

صباحٌ مقارنٌ لمساءٍ
لم تمتّع فيه بطول البقاء
لم ناراً تذكي بقرع الماء^(١)
بُ فلاحت كالشمس في الظلماء^(٢)
ه لأنّا عن نوره في غناء
كشعاعٍ ممازجٍ لهواء
يتلاشى باللحظ والإيماء
ر حتّى ترفضُ مثل الهباء^(٣)
تتهادى كواكبُ الجوازاء
وكأنّ المدير في الحلة البيضاء
بين جدّ الغنا وهزل الغناء
حيث سكر الشباب أقضى على قلببي وأمضى من نشوة الصهباء

ومدام كأنّها في حشا الدنّ
فهي نفسٌ لها من الطين جسمٌ
ما توهمت قبلها أن في العا
بزلت والضحي عن الليل محجو
وتلاه الفجر المنير فعنا
مازجت جوهر الزجاج فجاءت
وتحلّت من الحباب بدّر
بينما تسكتسي به زرد البلوّ
فكأنّا بين الكؤوس بدور
وكأنّ المدير في الحلة البيضاء
حبذا العيش حيث تسري الأماني
حيث سكر الشباب أقضى على قلببي وأمضى من نشوة الصهباء

وله [وهو] من أبلغ ما قيل في عتق الخمر [من الكامل] :

وعريقة الأنساب والشيم
موجودةً والخلق في العدم
قدّمت فلا تعزى إلى حدثٍ
إلاّ إذا عُرِيت إلى الهرم^(٤)

وعريقة الأنساب والشيم
موجودةً والخلق في العدم
قدّمت فلا تعزى إلى حدثٍ
إلاّ إذا عُرِيت إلى الهرم

(١) تذكي : تسعر.

(٢) بزلت : شُفّت.

(٣) ترفض : تزول.

(٤) تعزى : تنسب ، والحدث : الجديد .

هي آدمُ الكرم المولدُ في الدنيا وحوّاً الخمر في القدم
 كملت فضائلها وقصرَ عن أوصافها الإغراق في الكلم
 ظهرت ونور الشمس في فلكه من قبل خلق الصبح والظلم
 فانهلّ جواهرها بمنسكبٍ لم يعتصرُ بيدٍ ولا قدم
 واشتق معنى اسم السُّلاف لها من كونها في سالف الأمم^(١)
 فكانها في صفوها خلقي وكأنها في عتقها كرمي

وله [من الخفيف] :

غادني بالصبوح قبل الصبح واجرّ في حلبة الصبَا والمراح
 واغتتم زائر الغرام فقد بشّ ر بالغيث من نسيم الرياح
 عاطنيها كالجلنار إذا ما كلّلت من حبابها بالأفاح^(٢)
 في اختصاص التفاح بالطيب والخمر رة لا في كثافة التفاح
 غير نكرٍ أن تستمدّ شعاع الـ شمس منها كواكب الأقداح
 فهي أصل الأنوار لطفاً كما كا ساتها عنصر الزلال القراح^(٣)
 خدمتها الأجسام بالطبع لما شاهدت قربها من الأرواح
 فتداركُ بها حشاشة أفرا حي وحركُ بها سكون ارتياحي
 بين وردين من بنانٍ وخلد وشرابين من رضابٍ وراح^(٤)
 ونشيدٍ مستنبطٍ من حديثٍ وغناءٍ يُغني عن الاقتراح
 فالذُّ الحياة ما خلط العا قل فيه فساده بصلاح

(١) السلاف : من اسماء الخمرة ، وسالف الأمم : قديمها .

(٢) كلّلت : أي علاوَّجها حباب الخمر والأفاح والجلنار : من الورود .

(٣) الزلال القراح : العذب الصافي .

(٤) الرضاب : اللعاب .

وله في وصف شراب في قدح أزرق فيه صور [من المنسرح] :

بجمع شملٍ وضُمّ معتق	كم مُنّةٍ للظلام في عنقي
من قلقٍ ساطعٍ إلى فلق	وكم صباحٍ للراح أسلمي
كأنّها في صفائها خُلقي	فعاطنيها بكرّاً مشعشةً
لحظ وإن كان غير منخرق	في أزرقٍ كالهواء يخرقه الـ
حسناً ولطفاً من زرقة الحدق	كأنّ أجزاءه مركّبةٌ
مذ أسكرتها السُّقاة لم تفق	ما زلت منه منادماً لعباً
فجر وبعد المزاج في الشَّق	تختال قبل المزاج في أزرق الـ
تنقذها شربنا من الغرق	تغرق في أبحر المدام فيسـ
من صبغها في معصفرٍ شرقٍ	فلو ترى راحتي وزرقته
بالشمس في قطعةٍ من الأفق	لخلت أنّ الهواء لاطفني

وله من قصيدة [من الكامل] :

ما بين كلوا ذا إلى قطربل	كم للصباية والصبأ من منزل
أغنته عن صوت الحيا المتهلّل ^(١)	جادته من ديم المدام سحائبُ
فرعوده حثّ الثقليل الأول	غيثٌ إذاما الرّاح أو مض برقه
تهمي على كرب النفوس فتنجلي	لطفّت مواقع صوبه فسجاله
نحوي بجيدٍ رشاً وعيني مغزل	راضعت فيه الكأس أهيف يشني
بممزجٍ من نسجها ومثقل	فأتى وقد نقش الشعاع ثيابه
لو أنّه من وقته لم ينصل ^(٢)	وكسا البنان بها خضاباً ياله
فتهافتت مثل الشراب المرسل ^(٣)	قدح البزال زانداها من دونها

(١) صوب الحيا المتهلّل : أي المطر المنهمر.

(٢) ينصل : يتغير لونه.

(٣) البزال : أداة يُثقب بها الشيء.

وطغت لعجز الماء عن إطفائها
فوردت أروي مورده وشربت أحد
ونزعت لافي السكر خنت تصونني
وقال في الورد [من الخفيف]:

زمنُ الورد أظرف الأزمانِ
أدرك النرجس الجنيّ وفزنا
أشرف الزهر زار في أشرف الدهر
وأجلّ شمس العقار في يد بدر الـ
وأدرها عذراء وانتهز الـ
في كؤوسٍ كأنها زهر الخشـ
واختدعها عند البزال بألفا
فهي أولى من العرائس إن زفـ
وقال في النرجس [من السريع]:

ونرجسٍ لم يعدْ مبيضُ الكأس
تخال أقحاف لجينٍ حوتْ
كأنما تهدي التحايا به
يلهي عن الورد إذا مارنا
أحبُّ به من زائرٍ راحلٍ
فانتهز الفرصة في قربه

حتى ظننت الكأس جذوة مصطلي^(١)
لى مشربٍ ونهلت أعذب منهلٍ
بخناً ولا في الصحو شنت تجملني^(٢)

وأوان الربيع خير أوانٍ
منهما بالخدود والأجفان
ر فصلٌ فيه أشرف الإخوان
حسن يخدمك منهما النيران
كان من قبل عائق الإمكان
خاش ضمّت شقائق النعمان
ظِ المثاني ومطربات الأغاني
ت بعزف النايات والعيان

ولا أصفره الرّاحا
من أصفر العسجد اقداحاً^(٣)
لطفاً إلى الأرواح أرواحاً
ويخلف المسك إذا فاحا
عوضَ بالأحزان أفراحا
وكنْ إلى اللذات مرتاحا

(١) الجذوة : النار أوقس منها .

(٢) الخنا : الفحش ، والشين : العيب .

(٣) الأقحاف : جمع قحف ، وهو إناء من الخشب مثل قحف الرأس كأنه نصف قحف واللجين : الفضة
والمسجد : الذهب .

وهاتها عذراء لم تفتزع في الليل إلا عاد إصباحاً
كأنما كل بنانٍ حوت كاساتها تحمل مصباحاً
واجنٍ بالحاظك من وجتي مديرها ورداً وتفاحا

* * *

غرر شعره في سائر الفنون

وله من قصيدة [من الوافر]:

صحبت الدهر في سهلٍ وحزنٍ فلم أر مذ عرفت محلّ نفسي
ولم تتضمّن الدنيا لحظي حملت على السوابق ثقل همّي
وشمت بوارق الآمال دهرأ ولم أر كالجياذ أصح ودأ
نكلّفها عزائماً فتكفي وهبت لمثل قطع الليل منها
وكنت بحيث ظنّ من اعتزامٍ وثالثنا ابن جدّ لا يرى أن
حجبت لجفنه الأبصار عنه سقيت نداي ما أسنى محلي
رسا في تربة العلياء أصلي

وجرّبت الأمور وجربتي^(١) بلوغ غنى يساوي حمل من^(٢)
منال مسرّة إلا بحزن وشاهدت العواقب صفو ذهني
فلم أظفر على ظمأ بمزن^(٣) إذا عدل الودود إلى التضني
ونستدني الحظوظ بها فتدني أغرّ كمثّل ضوء الصبح مني
وكان من المضاء بحيث ظني يصاحب في تصرفه ابن وهن^(٤)
ومن لي أن يكون الجفن جفني وأرفع همّي وأعزّ ركني
وأينع في بروج العزّ غصني

(١) الحزن : المصاعب.

(٢) المنّ : ذكر التفضل في كل مناسبة.

(٣) شمت : نظرت.

(٤) ابن وهن : ابن ضعف.

وليس عليّ غير الجحد فيما سعت له لأستغنى وأغني
فإن أحرم فلم أحرم لعجز وإن أبلغ فنفسى بلغتني
وله من أخرى [من المنسرح] :

ما الذلّ إلاّ تحمل المنز فكن عزيزاً إن شئت أوفهن
إذا اقتصرنا على اليسير فما ال علة في عتبنا على الزمن
وله من أخرى [من البسيط] :

جزيت أفضل ما يجزاه ذو كرم أخلافه في دياجي دهره شعل
حماء وهو غلامٌ غير مكتهل عن المطامع فضلٌ فيه مكتهل
وله من أخرى [من الوافر] :

أكلٌ وميضٌ بارقة كذبٌ أما في الدهر شيءٌ لا يريبُ؟
أبى لي أن أقول الهجر قدرُ بعيد أن تجاور العيوب
وله من أخرى في سعد الدولة بن سيف الدولة [من المنسرح] :

لا غيث نعماء في الورى خلب ال برق ولا ورد جوده وشل^(١)
جاد إلى أن لم يبق نائله مالا، ولم يبق للورى أمل
وله [من الكامل] :

واليوم من غسق العجاجة ليلة والكرُّ يخرق سجفها الممدودا^(٢)
وعلى الصفاح من الكفاح وصدقه روعٌ أحال بياضها توريدا^(٣)

(١) الوشل : الماء القليل .

(٢) السجف : الستائر، وشدة الظلام .

(٣) الصفاح : السيوف .

والطعن يغتصب الجياد شياتها
وعلى النفوس من الحمام طلائعُ
وقد استحال البر بحرًا، والضحي
وأجلُّ ما عند الفوارس حثها
حتى إذا ما فارق الرأي الهوى
لم يغن غير أبى شجاعٍ والعلا

وله من أخرى [من البسيط]:

للخطب إن ضاقت الأخلاق والحيلُ
في صورة الموت إلاَّ أنَّه رجل
ظهرُ وهادى جوادٍ ما له كفل^(١)

من كلِّ متسع الأخلاق مبتسمٍ
يسعى به البرق إلاَّ أنَّه فرسُ
يلقى الرماح بصدرٍ منه ليس لهُ

وله من أخرى [من الكامل]:

بعجاجةٍ ملء الفضاء لهام^(٢)
من عثيرٍ ونجومه من لام^(٣)
يلقى الضحى من نعه بظلام

في سالبٍ للشمس ثوب ضيائها
كالليل إلاَّ أنَّ ثوب ظلامه
يلقى الدجى من بيضه بضحي كما

وله من أخرى [من الكامل]:

شعثاً ولولا بأسه لم تنقذ
كالقطر صافح موج بحرٍ مزبد
فيه اعتناق تواصلٍ وتودُّد

قاد الجياد إلى الجياد عوابساً
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو
متوقِّدُ الجنبات يعتنق القنا

(١) حثها : العمل على إسراعها .

(٢) الكفل : الردف أو المؤخرة .

(٣) اللهام : العظيم من الجيش وغيره .

(٤) العثير : الغبار والتراب واللام : الأشخاص والناس .

مُتَعَجِّرٌ بظبا الصوارم مبرقٌ تحت الغبار وبالصواهل مرعد^(١)
 ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـ إظلام من ليل العجاج الأربد^(٢)
 وكأَنَّمَا نَقَشْتَ حَوَافِرَ خَيْلِهِ للناظرين أَهْلَةً في الجلمد
 وكأَنَ طرف الشمس مطروفٌ وقد جعل الغبار له مكان الإيَّمد^(٣)

ما أحسن هذا التشبيه وأوقعه ! وكل هذه الأوصاف مالا مزيد عليه حسنا وبراعة . وله من أخرى [من المنسرح] :

من كلُّ مَخْتَالَةٍ تنقب بالـ عثير وجه الضحى من الخجل^(٤)
 تضم أحشاءها على أسدٍ تزأر في غابةٍ من الأسل^(٥)
 وله من أخرى [من الخفيف] :

في خميس كَأَنَّمَا السمر والأبد طال غيلٌ حمته أسود^(٦)
 سلب الشمس ضوءها بشموسٍ طالعات أفلاكهن حديدٌ
 عارضٌ كلِّها جلته بروق الـ بيض حشَّته بالصهيل الرعودُ
 وله من أخرى [من الطويل] :

وموشيةٌ بالبيص والزغف والقنا مجبرة الأعصاب بالضُّمر القب^(٧)
 بعيدة ما بين الجناحين في السرى قريبة ما بين الكمين بالضربِ

(١) مُتَعَجِّرٌ : متسلِّح ومتمنطق .

(٢) الأربد : الكالِح المتجهم .

(٣) مطروفٌ : لحقه بعض الأذى ، والإيَّمد الكحل .

(٤) العثير : الغبار والتراب .

(٥) الأسل : والرماح .

(٦) الخميس : الجيش من خمس فرق ، والغيل : الشجر الملف .

(٧) الزغف : الدرع الفضفاضة الواسعة والمحكمة الصنع . والغمر : القَبّ الخيل الهزيلة الخصر والبطن .

بشوبٍ تولَّى نسجه عثير الترب
إذا التقيا فيها على قلّة الشرب
وردت إلينا الصبح في الليل بالشهب
وتفتّر عن طودي علا تغلب الغلب
بصيرٌ بأدواء الكريهة والحرب^(١)
وأنفذ حكماً من غرامٍ على صبّ

من السالبات الشمس ثوب ضيائها
يعاتب نشوان القنا صادح الظبا
أعادت علينا الليل بالنقع في الضحى
تبّلع عن شمسي نزار ويعرب
موقرةً يقتاد ثني زمامها
أصح اعتزاماً من خؤونٍ على فلا

وله من أخرى [من المتقارب] :

ء جيشٌ لمن أمّه مهولٌ
إذا ما تراءى له أوّل
من الخيل ما تبعث الأرجل
م زرقك والظلمة القسطل^(٢)

ويومٍ أغصّ اتساع الفضأ
يخيل أنّ ماله آخرٌ
ويغصب شمس الضحى نورها
دجى أنت بدرٌ به والنجو

وله من أخرى [من البسيط] :

عن سراه إذ سال فيها سيله العرمُ
يخفى عليه ولا فجّ ولا علّمُ
كأنّها فيه سرٌّ ليس ينكتمُ
والموت يسفر أحياناً ويلتئم
وكتاب النصر عنه السيف لا القلم
إذا سرى صاحبتّه في السرى الأجم^(٣)

في عارضٍ ضاقت الأرض الفسيحة
كأنّه الليل لا قربٌ ولا بعدُ
يهدي الغبار إليه الشمس كاسفةً
شقّ الغضنفر آجام الرماح به
فراسل الدهر في الأعداء عزمته
وما سمعنا بليثٍ قبل رؤيته

(١) بصيرٌ : خبير ، والكريهة : الحرب .

(٢) الزرق : كناية عن السيوف ، والقسطل : الغبار .

(٣) السرى : المسير ليلاً ، والأجم : جمع أجمة ، وهي غابة الأسد .

الباذل العرف والأنواء باخلةً
حيث الدجى النقع ، والفجر الصوارم ،
والمانع الجار والأعمار تخترم^(١)
والأسد الفوارس ، والخطية الأجم^(٢)

وله من أخرى [من الطويل] :

وكلّ بعيدٍ قربَ الحين نحوه
تباشر أقطار البلاد كأنها
لخفتها فوق السروج قلوب
تماشي بفتيانٍ كأن جُسومهم

وله من أخرى [من الطويل] :

أناهم بالحفاظ الجياد ولم تكن
من اللاء يهجرن المياه لدى السرى
مرنٌ على لدغ القنا فكأنما
نسجن ملاء النقع ثم حرقته
لينأى عليها المنزل المتباعدُ
ويعتضن شمّ الجوّ والجو راكدُ
عليهنّ من صبغ الدماء مجاسد^(٣)
بكرٌ لها منه إلى النصر قائد
عليهنّ من نسج الغبار غلائلُ
رقاقٌ ومن نضح الدماء قلائد^(٤)

وله من قصيدة في وصف فرس [من الكامل] :

إن لاح قلت أدميةً أم هيكلُ
تتخاذل الألفاظ في إدراكه
فكأنه في اللطف فهمٌ ثاقبُ
أو عنّ قلت أسابحُ أم أجدلُ^(٥)
ويحار فيه الناظر المتأملُ
وكأنه في الحسن حظٌ مقبلُ

(١) تخترم : تقتطع .

(٢) الخطية : الرماح .

(٣) السلاهب : الطويل من الخيل ، والجرد : القصيرة الشعر .

(٤) لدغ القنا : آثارٌ جراحها والمجاسد : جمع مجسد ، وهو الثوب الذي يلامس الجسد .

(٥) نضح الدماء : فيضها .

(٦) السابح : الفرس ، والأجذل : الصقر .

وله من قصيدة يشكر بها بعض إخوانه وقد أهدى إليه بغلة [من البسيط] :

قد جاءت البغلة السفواء يجنب من	عها البرد غيث ندى ينهل ماطر ^(١)
عريقة ناسبت أخوالها فلها	بالعتق من كرم الجنسین فاخره
ملء الحزام وملء اللبد مجفرة	يريك غائبها في الحسن حاضره ^(٢)
أهدى لها الروض من أوصافه شية	خضراء ناضرة إذ حال ناضره
ليست بأول حملانٍ شريت به	حمدي ، ولا هي ياذا المجد آخره
كم قد تقدمها من سابح بيدي	عنانه ، وعلى الجوزاء حافره
وله في وصف بركة [من المتقارب] :	

وقوراء كالفلک المستدير	تروق العيون بلائها ^(٣)
حبّتها البحار بأمواجها	وسحب السماء بأنوائها
كأنّ تدفّق تيارها	يداك تفيض بنعمائها
وجودك أغزر من جريها	وخلقك أعذب من مائها

* * *

(١) السفواء : السريعة التي تسفّ الغبار خلفها كما تسفّ الريح الرمال والغبار .

(٢) الجفرة : جوف الصدر ، ومن الشيء معظمه .

(٣) القوراء : المحوقة .

الباب الثامن

٢٠ - في ذكر الخليع الشامي ، والوأواء الدمشقي وأبي طالب الرقي

أما الخليع فكنته أبو عبد الله ، وقد ذهب عني اسمه وكان شاعراً مفلقاً قد أدرك زمان البحترى وبقي إلى أيام سيف الدولة فانخرط في سلك شعرائه .

فحدثني أبو بكر الخوارزمي قال : رأيت الخليع بحلب شيخاً قد أخذت منه السن العالية ، وثقلت عليه الحركة ، فمما أنشدنيه لنفسه قوله [من الكامل] :

جيراننا جار الزمان عليهم	إذا جار حكمهم على الجيران
ما الشأن ويحك في فراق فريقهم	الشأن ويحك في جنون جناني
خذ يا غلام عنان طرفك فائنه	عني ، فقد ملك الشمول عناني ^(١)
سكران سكر هوى وسكر مدامة	أنى يفيق فتى به سكران؟!

وقوله وهو مما يتغنى به [من المتقارب] :

بأي المدامين لم أسكر	بكأسك أم طرفك الأهور ^(٢)
سقيت من الشمس مشمولاً	على غرة القمر الأزهر
إذا الماء خالطها جنتحت	أكاليل در على جوهر

(١) اثنه : اطوه ، والشمول : الخمر .

(٢) الطرف : النظر : والأحور ، الشديد البياض والشديد السواد .

كَانَ عَلَى الشَّرْبِ مِنْ لَوْنِهَا ثِيَاباً مِنَ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ
وَقَوْلُهُ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

أَنَا شَاعِرٌ ، أَنَا شَاكِرٌ ، أَنَا نَاشِرٌ ، أَنَا رَاجِلٌ ، أَنَا جَائِعٌ ، أَنَا عَارِي
هِيَ سِتَّةٌ فَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا أَكُنِ الضَّمِينِ لِنَصْفِهَا بَعِيَارِ
وَالنَّارَ عِنْدِي كَالسَّوَالِ فَهَلْ تَرَى أَنْ لَا تَكْلُفْنِي دُخُولَ النَّارِ
وَأُنْشِدْنِي غَيْرَهُ لِلخَلِيعِ ، وَأَنَا أَشْكُ فِيهِ [مِنْ السَّرِيعِ] :

لَوْلَمْ تَحُلْ مَا سَمَّيْتَ حَالاً وَكُلُّ مَا حَالَ فَقَدْ زَالَا
انْظُرْ إِلَى الظِّلِّ إِذَا مَا انْتَهَى يَأْخُذُ فِي النَقْصِ إِذَا طَالَا

* * *

٢١ - أَبُو الْفَرَجِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ الْغَسَّانِي الدمشقي الملقب بالوَأَوَاءِ

مِنْ حَسَنَاتِ الشَّامِ ، وَصَاغَةَ الْكَلَامِ ، وَمِنْ عَجِيبِ شَأْنِهِ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَبُو بَكْرٍ
الْخَوَارِزْمِيُّ قَالَ : كَانَ الْوَأَوَاءُ مَنَادِياً فِي دَارِ الْبُطَيْخِ بِدَمَشْقٍ يَنَادِي عَلَى الْفُوكَةِ ، وَمَا
زَالَ يَشْعُرُ حَتَّى جَادَ شَعْرُهُ وَسَارَ كَلَامُهُ ، وَوَقَعَ فِيهِ مَا يَرُوقُ ، وَيَشُوقُ وَيَفُوقُ ، حَتَّى
يَعْلُو الْعِيُوقُ^(١) . ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْمَصِيصِيُّ بِمَا يَصْدَقُهُ ، وَأُنْشِدْنِي لِمَعَا
يَسِيرَةٍ مِنْ شَعْرِهِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ سَمِعَهَا مِنْ إِنْشَادِهِ . وَأَوَّلُ مِنْ حَمَلِ دِيْوَانِهِ إِلَى نَيْسَابُورَ
أَبُو نَصْرِ سَهْلُ بْنُ الْمَرْزَبَانِ ، فَإِنَّهُ اسْتَصْحَبَهُ مِنْ بَغْدَادَ فِي جُمْلَةٍ مَا حَصَلَهُ مِنْ
الْطَّلَافِ وَالْبَدَائِعِ الَّتِي عَنَى بِهَا ، وَأَنْفَقَ الرِّغَائِبَ عَلَيْهَا ، وَأَتَحَفَّنِي بِذَلِكَ فِي دَفْتَرِ
صَغِيرِ الْجَرَمِ ، خَفِيفِ الْحَجْمِ ، ثُمَّ أَلْحَقَ بِهِ مَا اسْتَمْلَاهُ مِنَ الْقَوَالِ الْمَعْرُوفِ بِعَيْنِ
الزَّمَانِ . وَهُوَ غَيْرُ ثِقَةٍ فِي الرِّوَايَةِ وَالْحِكَايَةِ ، وَكَنتُ تَأْنَقْتُ فِي إِخْرَاجِ مَا يَفْتَقِرُ الْأَدِيبُ

(١) الْعِيُوقُ : نَجْمٌ أَحْمَرٌ مُضِيءٌ فِي طَرَفِ الْمَجَرَّةِ الْأَيْمَنِ يَتَلَوُّ الثَّرِيَا وَلَا يَتَقَدَّمُهَا .

إلى فقره ، ولا يستغنى الشاعر عن غرره . من شعر الوأواء في النسخة الأولى من هذا الكتاب ، ولم أزد في هذه المقررة كثير زيادة .

وقرأت في بعض الكتب عن ابن حمدون قال : كان الفتح بن خاقان يأنس بي ، ويطلعني على الخاص من سره ، فقال لي مرة : أشعرت يا أبا عبد الله أنني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة (يعني جارية له) فلم أتمالك أن قبلتها فوجدت فيما بين شفثيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا ، فكان هذا ما يستحسن ويستظرف من كلام الفتح وكأن الوأواء قد سمع ذلك فألم به ونظمه في قوله [من الطويل] :

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه فأفئته حتى الصّباح عناقا
بطيب نسيمٍ منه يستجلب الكرا ولو رقد المخمور فيه أفاقا
تملّكني لما تملّكت مهجتي وفارقني لما أمنت فراقا

ومما أنشدنيه كل من الخوارزمي والمصيصي له ، ووجدته في ديوان شعره والبيت الرابع منه نهاية في الملاحاة [من الوافر] :

أتاني زائراً من كان يدي لي الهجر الطويل ولا يزورُ
فقال الناس لما أبصروه : ليهنك ! زارك البدرُ المنيرُ
فقلت لهم ودمع العين يجري على خديّ له درٌ نثير :
متى أرعى بروض الحسن منه وعيني قد تضمّنها غديرُ؟
ولو نصّبت رحيّ بإزاء دمعي لكانت من تحدّره تدور^(١)

وأقدر أنه ألم في البيت الرابع بقول ابن المعتز [من الطويل] :

وإنّ تك في خديك للحسن روضةً فإنّ على خديّ غديراً من الدمعِ

(١) الرّحى : الطاحون.

ومن ملح قوله في وصف الدمع [من الخفيف] :

كلُّ دمعٍ فبالتَّكَلُّفِ يجري غير دمع المحبِّ والمهجورِ
ورَّدَ البين دمع عيني فأضحى كعقيقٍ أذيب في بلور^(١)

ومن ملحه في الخمر [من المنسرح] :

عذبتُها بالمزاج فابتسمت عن بردٍ نابتٍ على لهبٍ
كأن أيدي المزاج قد سبكتُ في كأسها فضةً على ذهبٍ

وقوله [من الكامل] :

فامزجُ بمائك نار كأسك واسقني فلقد مزجت مدامعي بدمائي
واشربُ عفى زهر الرياض مدامةً تنفي الهموم بعاجل السَّراءِ
لطفت فصارت من لطيف محلِّها تجري كمجرى الروح في الأعضاءِ
وكانُ مخنقةً عليها جوهرُ ما بين نارٍ أذكيت وهواءِ^(٢)
وكانها وكانَ حامل كأسها إذ قام يجلوها على الندماءِ
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها بدر الدجى بكواكب الجزاءِ

وقوله [من الطويل] :

يطوف براحٍ ريحها ومذاقها نسيم الصَّبَا والعيش في زمن الصَّبَا
ومن ملحه في الخط [من الطويل] :

وشمسٍ بأعلاه وليلين أسبلا بخديهِ إلاَّ أنها ليس تغربُ^(٣)
ولما حوى نصف الدجى نصف خدوِّ تحيِّر حتى ما درى أين يذهبُ

(١) البين : الفراق.

(٢) المخنقة : سلك ينظم به الجوهر.

(٣) أسبلا : أرخيا ، وأسبل الستر : أرخاه .

وقوله [من مخلع البسيط] :

زار بليلٍ على صباح
حتى أتت ألسن الليالي
فيا لها زورةٌ أخذنا
على قضيبٍ على كتيب^(١)
معتذراتٍ من الذنوبِ
بها أماناً من الخطوبِ

وقوله [من الكامل] :

بدرٌ تقنّع بالظلا
تدعو محاسنه القلو
فعلت به ريح الصبا
عقلت ركائب حسنه
وتلطّمت وجناتنا
وكأثما تشوشنا
يا بدر بالبدر الذي
وبعقرب الصدغ الذي
ترعى وما استرعيتها
هب لي مزارك في الكرا
م على قضيبٍ في كتيب
ب إلى مشافهة الذنوبِ
ما ليس تفعل بالقضيبِ
بعقولنا عند المغيب^(٢)
بيد الدموع من النحيبِ
تشویش ألفاظ المريبِ
أطلعت من فلك الجيوبِ
زرقت من حسنٍ وطيب^(٣)
ثمر القلوب بلا ديب^(٤)
كيما أراك بلا رقيب

ومن بدائع تشبيهاته قوله [من البسيط] :

قالت وقد فتكت فينا لواظها
وأسبلت لؤلؤاً من نرجسٍ ، وسقت
كم ذا ؟ أما لقتيل الحب من قودٍ ؟^(٥)
ورداً ، وعضّت على العناب بالبرد^(٦)

(١) الكتيب : التلّ من الرمل

(٢) عقلت : من العقال .

(٣) زرفن صدنميه : أدارهما وجعلهما كالحلقة .

(٤) الديب : مشي النمل .

(٥) القود : القصاص .

(٦) العناب : يقصد بها الشفاه ، والبرد يقصد بها الأسنان .

هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه :

إنسانةً لو بدت للشمس ما طلعتُ من بعد رؤيتها يوماً على أحدٍ
كأنما بين غاباتِ الجفون لها أسد الحمام على طرقِ الهوى رصدي
وقوله [من المنسرح] :

قد سترت وجهها عن النظر بساعدٍ حلَّ عقد مصطبري
كأنه والعيون ترمقه عمود نورٍ في دارة القمرِ

وقوله [من الخفيف] :

جعلت تشتكي الفراق وفي أج فأنها عقد لؤلؤٍ منشورٍ
فكأن الكحل السحيق مع الدم مع على خدّها بقايا سطورٍ

وقوله في قوس قزح مع البروق والشمس [من البسيط] :

سقياً ليوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرةً والبرق خلاسُ
كأنها قوسُ رامٍ والبروق له رشق السهام وعين الشمس برجاس^(١)

وقوله وهو مما يتغنى به [من الكامل] :

لا تنكري ما بي فليس بمنكرٍ عند التفرُّق دهشة المتحيرٍ
يا هذه روعي إليك هديةً فتجملّي في أخذها لي واعذري
وتأملّي غير الزمان فإنها تحكي تغيرُ عهدك المتغيرِ
ولربّ ليلٍ ضلّ عنه صباحه وكأنه بك خطرةُ المتذكرِ^(٢)
والبدر أول ما بدا متلثماً ييدي الضياء لنا بخدّ مسفرٍ

(١) البرجاس : غرض ينصب في الهواء على رأس رمح أو نحو.

(٢) ضلّ: لم يهتد ، والخطرة : الفكرة.

فكأنّما هو خوذةٌ من فضةٍ قد رُكِّبت في هامةٍ من عنبرٍ
وقوله في غلام عليل [من مخلع البسيط] :

إبيضٌ واصفرٌ لا اعتلالٌ	فصار كالنرجس المضعّف
كأنّ نسرين وجنتيه	بشعر أصداعه مغلفٌ
يرشح منه الجبين ماءً	كأنّه لؤلؤٌ مصنّفٌ

وقوله [من الخفيف] :

ليت ليلى أمدٌ من نفس العا	شق طولاً إذ زار فيه الخليلُ
ما اعتنقنا حتى افترقنا وخفّا	ن الدجى عن قميصه محلول ^(١)
وكانّ الهلال تحت الثريا	ملكٌ فوق رأسه إكليلُ

وقوله [من الخفيف] :

وغدافُ الظلام في شرك الفج	ر شريكى في قبضة الارتهان ^(٢)
وكانّ النجوم أحداق رومٍ	رُكِّبت في محاجر السودانِ

وقوله من أبيات [من المنسرح] :

كم حثّ شربي بكأسه قمرٌ	بقدّ غصنٍ وخصرٍ زنبورٍ
------------------------	------------------------

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

يقمن لنا برق الثغور أدلةً	إذا ما ضللنا في ظلام الذوائب ^(٣)
---------------------------	---

(١) الخفّان : الجوانب .

(٢) الغداف الغراب الأسود ، وهو لا يبيض أصلاً .

(٣) الذوائب : خصلات الشعر في مقدّمة الرأس .

ومما يتغنى به من شعره [من مجزوء الكامل] :

يا من سقام جفونه لسقام عاشقه طبيبُ
حزتَ المودة فاستوى عندي حضورك والمغيبُ
كن كيف شئت من البعا د فانت من قلبي قريبُ

وقوله [من البسيط] :

أستودع الله في بغداد لي قمرأ بالكرخ من فلك الأزارار مطلعهُ
ودعته وبودّي أن تودّعني روح الحياة وأني لا أودّعهُ
وكم تشبّث بي يوم الرحيل ضحى وأدمعي مستهلاتُ وأدمعهُ
وكم تشفّع في أن لا أفارقه وللضرورة حالٌ لا تشفعهُ

وقوله [من البسيط] :

بالله ربكما عوجا على سكني وعاتباه لعلّ العتب يعطفهُ
وعرضاً بي وقولا في كلامكما : ما بال عبدك بالهجران تتلفهُ ؟
فإن تبسّم قولا عن ملاطفةٍ ما ضرّ لو بوصالٍ منك تسعفهُ
وإن بدا لكما من سيدي غضبُ فغالطاه وقولا ليس نعرفهُ

وقوله [من المتقارب] :

زمان الرياض زمانٌ أنيقُ وعيش الخلاعة عيشٌ رقيقُ
وقد جمع الوقت حالهما فمن ذا يفيق ومن يستفيقُ
فيا من هو الفوز لي والمنى ومن هو بالودّ منّي حقيقُ
أدرّ لحظ عينيك وامرجه في مروج الرياض تجدها تشوقُ^(١)
ترى مزوج الحسن في مفردٍ جليلُ المحاسن فيه دقيقُ

(١) امرجه : ارسله ينظر إليها.

إذا ضاحك الزهر زهر الوجوه
 بهارٌ بهيرٌ به غيرُهُ
 فذا عاشقٌ وجلٌ خائفٌ
 مداهن يحملن طلَّ الندى
 تنظَّم أوراقها درَّها
 يميل النسيم بأغصانها
 ويوم سترته غيمة
 جعلنا البخور دخاناً له
 تظلُّ به الشمس محجوبةً
 على شجراتٍ رافعات الذبول
 سجدنا لصلبانٍ مثورها
 وقلنا بها ولضوء الصُّباح
 أدرِ يا غلام كؤوس المدام
 أيا من هو الفوز لي بالمني
 تغتم بنا غفلة الحادثات
 وحثَّ الصبوح لضوء الصبح

وقوله [من البسيط] :

وزائرٍ راع قلب الناس منظره
 ألقى على الليل ليلاً من ذوائبه
 أراد بالهجر قتلي فاستجرت به

أحلى من الأمن عند الخائف الوجل^(١)
 فهابه الصبح أن يبدو من الخجل
 فاستلَّ بالوصل روعي من يدي أجلي

(١) البهار : نبات طيب الرائحة ، والبهير : المنقطع النَّفس من شدة التعب .

(٢) الخلق : الطيب .

(٣) راع : أخاف ، والوجل : الخائف .

وصرت فيه أمير العاشقين فقد
وقوله [من الوافر] :

وما أبقى الهوى والشوق مني
خفيت عن النواشب أن تراني
وقوله [من البسيط] :

ما حكّم البين إلا جار محتكماً
يا دارهم خبرنا ما الذي فعلوا
الله يعلم أتى يوم بينهم
قد سرّني أنهم قد سرّهم سقمي
وقوله [من مجزوء الرجز] :

ب القلب منه إذ رمي ^(١)	رماه ريمٌ فأصاب
بأنه ما علما	واحتج في قتلته
ينصفني من ظلما؟	يا معشر الناس أما
جسمي منه سقما	علم سقم طرفه
من طرفه تعلما	فسقم جسمي في الهوى
مخيراً محكماً	لو قيل لي ما تشتهي
نحراً ووجهها وفما	لقلت أن أئثمه

وقوله [من المتقارب] :

له مضحكٌ برقه خاطفٌ
عقول الرجال إذا ما ابتسم

(١) الضنا : المرض والألم .
(٢) الريم : الظبي الخالص البياض .

أقول له إذ بدا درّه : شهدنا لصانعه بالحكم
أرى الدرّ يثقبه الناظمو ن وما ثقبوا ذا فكيف انتظم ؟ !
وقوله [من المتقارب] :

تملّكت يا مهجتي مهجتي وأسهرت يا ناظري ناظري
وفيك تعلّمت نظم الكلام فلقبني الناس بالشاعر
وما كان ذا أملّي يا ظلوم ولا خطر الهجر في خاطري
وقوله [من مجزوء الخفيف] :

وحديثٍ كأنّه أوبةٌ من مسافر^(١)
كان أحلى من الرقا د لدى طرفٍ ساهرٍ
بت ألهو بطيه في رياضٍ زواهرٍ
بين ساقٍ وسامرٍ ومغنٍ وزامرٍ

حدثني أبو بكر الخوارزمي ، قال : حضرت مع الشيخ أبي الحسن النمري
دعوة القاضي أبي بكر الحميري ، فغنى بعض القوالين بهذه الأبيات [من
الكامل] :

قمّ يا غلام إلى المدام قم داوني منها بجامٍ
قم فاسقني برق الثغو رفقد مضى برق الغمام
بادر إلى صرف الحميّا سابقاً صرف الحمام^(٢)
وتغنّم الغفلات من دهرٍ يجور على الكرام

فاستملحها أبو الحسن ، وسألني عن قائلها ، فأخبرته أنها لأبي الفرج

(١) الأوبة : العودة .

(٢) حرف الحميّا : أي الخمر الخالصة والحمام : الموت .

الوأء ، فاقترح عليّ معارضتها ، فارتجلت أبياتاً ثم أنممتها قصيدة منها [من
الكامل] :

لما بدت روح الضياء تدبّ في جسم الظلام
وغدت نجوم الليل وهي تفرّ من حلق الأنام
والديك يتلو دائماً هجو النيام على القيام
* ناقضت ما قال المؤذّن بالفعال وبالكلام
هو قال حيّ على الصلاة وقلت حيّ على المدام

ومنها :

لما رأيت الهم يطرق من أتاه بلا سلام
ضيفٌ يزور فليس يأكل غير لحمي أو عظامي
والدهر قد حمل السلاح على الكرام عن اللثام
داويته بالراح إنَّ الرّاح ترياق الكرام^(١)

ومن ملح الوأء وطرفه قوله في جرب معشوقه [من مجزوء الرمل] :
يا صروف الدهر حسبي أي ذنبٍ كان ذنبي ؟
طرقنتي نائباتُ الدهر في إعلال حبي
علةٌ عمّت وخصّت في حبيبٍ ومحبٍّ
دبّ في كفيه ما من حبه دبّ بقلبي
فهو يشكو حرّ حبٍّ واشتكائي حرّ حبٍّ

وقوله في زرقه عين محبوبه [من البسيط] :

يا من هو الماء في تكوين خلقته ومن هو الخمر في أفعال مقلته^(٢)

(١) الترياق : دواء السموم ، والراح : الخمر .

(٢) ظلّ دمي : سفكه .

ومن بزرقة سيف اللحظ ظلّ دمي والسيف ما فخره إلا بزرقته
علّمت إنسان عيني أن يعوم فقد جادت سباحته في بحر دمعه^(١)

وللسري الموصلي في مثله [من المتقارب] :

وقالوا بمقلته زرقه تشين فظلّ لها مطرقا
وهل يقطع السيف يوم الوغى إذا لم يكن منته أزرقا؟^(٢)

ومن ملح الوأواء [من البسيط] :

يا ذا الذي ورد خديّه إذا أخذت منه اللواحظ شيئاً ردّه الخجل
ماذا يضرّك أن تجني وقد ضمنت أضعاف ما تجتني من لحظها المقل
هذا لعمرك ماعونٌ بخلت به على العيون، وبس الخلّة البخل^(٣)

وله [من السريع] :

رثى له ممّا به نابه صبّ غدا صبّاً بأوصابه^(٤)
ميتٌ يرى حياً ولكنه تربته ما بين أثوابه
أيّ حياة لامرئٍ قد بلى بالقرب من فرقة أحبابه؟

وقوله من قصيدة [من الخفيف] :

قد أطلت الصلاة في قبلة الكأ س بتسبيح ألسن العيدان
كم صلاحٍ على فتى مات سكرأ قد أقيمت فينا بغير أذان



(١) إنسان العين : يؤؤها .

(٢) المتن : الحدّ .

(٣) الماعون : كلُّ ما انتفع به من أشياء البيت والخلّة : السجّة والصفه .

(٤) الأوصاب : الأمراض .

٢٢ - أبو طالب الرقي

لم أجد ذكره إلا عند أبي بكر الخوارزمي ، وسمعتة يقول : إنه أحد المقلين المحسنين ، الذين يطبقون المفصل في أغراضهم ، وينظمون الدر المفصل في معانيهم وألفاظهم ، ثم أنشدني له قوله [من الكامل] :

ولقد ذكرت في الظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق
وكان أجرام النجوم لوامعاً درر نثرن على زجاج أزرق
والفجر فيه كأنه قطر الندى ينهل من سح الغمام المغدق^(١)
وقوله [من الكامل] :

ومعير وجه البدر ما في وجهه والغصن ما في قده المتأود^(٢)
رمدت جفوني من تورّد خدو فكحلتها من عارضيه بائمد^(٣)
وقوله [من الكامل] :

دياج خدك بالعدار مطرر وشبيه وجهك في البرايا معوز
وكأنما إنسان عينك شاهر سيف اللحاظ يصيح : من ذا يبرز ؟
يا من أعز بذلتي في حبه مثلي رأيت بذلة يتعزز ؟
وقوله [من الطويل] :

ومشتمل ثوبي عفاف وفتنة يرى قتل من يهوى إلى النسك مسلکا
إذا طاف بالأركان طاف به الورى فيقضي ولا يقضون للحج منسكا^(٤)

(١) سح الغمام : مطوله .

(٢) المتأود : المتني والمتمايل .

(٣) العارض : صفحة الخد ، والائمد : الكحل .

(٤) المنسك : فرض من فروض الحج .

جنى اللحظ من خديهِ ورداً مورداً ومن عارضيه ياسميناً ممسكاً^(١)
فيا رائحاً منه بأوفر فتنةٍ تجهّزْ لعامٍ بعد هذا لعلّكا
وقوله [من الرجز] :

مصفرة الظاهر بيضاء الحشا أبدع في صنعتها ربّ السّما
كأنّها كفّ محبّ دنفٍ مبعّد يحسبُ أيّام الجفا
وقوله [من المنسرح] :

ووردو في بنان معطار جئت بها في لطيف أسرارٍ
كأنّها وجنة الحبيب وقد نقطها عاشقٌ بدينار

(١) الممسك : المشوب بالمسك .

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب وطرف أشعارهم ونواديرهم

هذا باب كثرته على غرر تلقفتها من أفواه الرواة ، وتطرفت منها من أثناء التعليقات ، ولم أجد لأصحابها أشعاراً مجموعة يتفصح في طريق الاختيار منها ، وإنما هي تفاريق تلتقي أطرافها ، وتجتمع حواشيها ، ولن تعدد القلائد فيها بحمد الله ومشيتته .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي للتلعفري ولم يسمه ولم يكنه [من السريع] :
ما أصعب العيش على بائسٍ معاشه في حلب النحو
ليس له في بردها جبةٌ ولا قميصٌ لا ولا فروٌ
ثم أنشدني له مرة هذين البيتين ومرة لبعضهم وزعم أنهما مما يتغنى بهما [من
مخلع البسيط] :

يا راكب العيس قفْ وعرجٍ واقراً سلامي على بني طي
وقل لهم ظبيكم جفاني لما رآني وما معي شي
ووجدت للسري والسمامي هجاء في التلعفري يدل على أنه من المذكوري
الشعراء بتلك البلاد .

ثم أنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد

التلعفري بنصيبين لنفسه من قصيدة أولها [من الكامل] :

من ذا يدلّ على الرقاد جفوني قد ضاع بين صبابتي وشجوني
أما النجوم فقد ألفت رعايتي والعائدات فقد ملن أنيني

قال : وأنشدني أيضاً علي بن محمد الشاشي بميا فارقين ، قال : أنشدني
لنفسه في غلام نصراني [من الوافر] :

غريب الحسن ، مَنْ سَمَّاكَ بدرا ؟ وبدر التَّم ، في خديك خالٌ
كتمت هواك إذ قلبي سليمٌ فذاب القلب وانحلّ العقل
وكننت كمودع الحلفاء ناراً وكننت النار في قصبٍ محال^(١)

وأنشدني أيضاً [من الخفيف] :

ربّ ليلٍ سهرت حتى تجلّى مغرمًا في ظلامه أنقلّى^(٢)
والثريّا كأنّها رأس طيرٍ أدهم زين باللّجام المحلّى^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ومتيمٌ أبدى إليّ غرامه فعذلتُه والعذل فعل الجاهلِ
حتى إذا أبصرت مالك رقه كادت لوحظه تصيب مقاتلي
إن عدت أعذل عاشقاً من بعده فأصابني ربّي بحتفٍ عاجلِ

* * *

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو نصر بن أبي الفتح بن كشاجم بصيداء

(١) الحلفاء : نبات محدّد الأطراف يصنع من ورقه القفف والحصر والجبال وهي سريعة الاشتعال.

(٢) أنقلّى : أتحرق.

(٣) الطرف : الحصان.

الشام لنفسه في وصف الكتاب من أبيات [من المنسرح] :

جالسني بالملوك والكبرا	وصاحب مؤنس إذا حضرا
يجلّ معنى وإن دنا خطرا	جسم موات تحيا النفوس به
فما أبالي ما قل أو كثرا	ملكته منه كنزاً غنيت به
بالناس طراً ولا أرى بشرا	أظّل منه في مجلس حفل
مستحسن منظرًا ومختبراً ^(١)	وإن أطفّل به فيا لك من
عليه كفّ المجلس لاستترا	أعجب به جامعاً ولو جعلت

وله في شمعة [من المنسرح] :

تفيض ناراً من موضع الماء	بركة صفر عمودها شمع
فرط حياء من الأخلاء	تبكي إذا ما المقصّر خمّشها
فيه بوادٍ لمقلة الرائي	كأنها عاشق مخايله
ودمع حزنٍ ، ونار أحشاء ^(٢)	صفرة لونٍ ، وذوب معتبه

قلت : شبه أربعة بغير حرف تشبيه ، وقال في بخيل [من الطويل] :

وأفضلهم فيه وليس بذي فضل	صديق لنا من أبدع الناس في البخل
فجئت كما يأتي إلى مثله مثلي	دعاني كما يدعو الصديق صديقه
يرى أنّه من بعض أعضائه أكلي	فلما جلسنا للطعام رأيته
وأعلم أنّ الغيظ والشتّم من أجلي	ويغتاظ أحياناً ويشتم عبده
والحاذ عنيه رقيبٌ على فعلي	فأقبلت أستلّ الغذاء مخافة
فيلحظني شزراً فأعبث بالبقل ^(٣)	أمدّ يدي سرّاً لأسرق لقمة

(١) أطفّل : أي يبقى حتى الغروب .

(٢) المعتبة : أي عاتية من العتاب ، أو غاضبة .

(٣) الشزور : النظر بغضب .

إلى أن جنت كَفَيَّ لحتفي جنايةً وذلك أنَّ الجوع أَعَدمني عقلي
فجَرَّتْ يدي للحين رجل دجاجةٍ فجَرَّتْ كما جَرَّتْ يدي رجلها رجلي
وقدَّمَ من بعد الطعام حلاوةً فلم أستطع فيها أمرٌ ولا أحلي
وقمت لو انسي كنت بَيِّتَ نِيَّةً ربحت ثواب الصوم مع عدم الأكلِ

وكتب على تفاحة حمراء بالذهب إلى الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل
ابن الفرات وأنفذها إليه وقد خرج إلى منزله بالمقس [من المنجث] :

إذا الوزير تجلَّى للنيل في الأوقاتِ
فقد أتاه سمياً ه جعفر بن الفراتِ

وله في طيب [من المجث] :

عيسى الطيب ترفقُ فأنت طوفان نوحِ
يأبى علاجك إلّا فراق جسم لروحِ
شتان ما بين عيسى وبين عيسى المسيحِ
فذاك محي مواتٍ وذا مميتٌ صحيحِ

وقال في فصد إسحاق بن كيغلغ [من المنسرح] :

يا فاصداً شقَّ عرق إسحاق أي دمٍ لو علمت مهراقٍ؟^(١)
سفكته من يدر معودو لنيل مالٍ وضرب أعناقِ
لو يوم حرب أصبت من دمه إذا أقام الدنيا على ساقِ

وأنشدني له يصف جونة الطعام من قصيدة مزدوجة [من الرجز] :

وجونةٌ موصوفةٌ من الجونِ قد جمع الطباخ فيها كلَّ فنٍّ^(٢)

(١) الفاصد : الذي يخرج الدم من الجسم بألة حادة .

(٢) الجونة : سلّة مستديرة تكون مع العطارين ويوضع عليها الطيب .

من كل سخنٍ منضجٍ وباردٍ
 فمن رفاقٍ ناعمٍ رفاقٍ
 وأرغف تشفٍ للصفاء
 ومن مصوصٍ من مخاليف الحجل
 ومن فراريج بماء الحصرم
 قد شوشت أكبادها ببيض
 وجاءنا فيها ببيضٍ أحمر
 حتى إذا قدمه مقشراً
 حتى إذا ما قطع البيض فلق
 يخال أن الشطر منه من لمح
 ما بين أوساطٍ لطاف القد
 من صدر درّاجٍ وصدر حجلة
 فيها جبن صادق الحرافه
 قد ألبست قضبان طلع غصّه
 وجاءنا فيها بياذنجان
 قد قارن الهليون بالممازجة
 ثم أتت سكارج الكوامخ
 ما بين طرخونٍ وبين صعتر

ما بين ألوانٍ إلى بوارد
 يحمد في المنظر والمذاق
 كما تشفٍ أوجه المرائي
 كأنما كانت ترفٍ في الجبل^(١)
 تصلح للمخمور أو للمحتمي
 فهي كمثّل نرجسٍ في روض
 كأنه العقيق ما لم يقشر
 أبرز من تحت عقيقٍ دررا
 رأيت منه ذهباً تحت ورق
 أعاره تلوينه قوس قزح
 مقدودٍ كمثّل قدّ الندّ
 بملحها وبقلها متبلّه^(٢)
 مقطّع باللفظ والنظافه
 كأنها سلاسل من فضه^(٣)
 مثل قدود أكر الميدان^(٤)
 تقارن الكرات بالصوالجه
 كمثّل أنوارٍ من اللخالخ^(٥)
 وفيجنٍ غصّ وبين كزبر^(٦)

(١) المصوص : الفراريج الطرية اللحم .

(٢) الدرّاج : طائر يشبه الحجل .

(٣) الطلع من النخل شيء كالقوز يخرج منه وفيه حب منضود .

(٤) الأكر : جمع أكرة وهي الكرة .

(٥) السكارج : الآنية التي يؤكل فيها الكوامخ : جمع كامخ نوع من الأدم معرب اللخالخ : ضرب من الطيب .

(٦) الطرخون : نبات ، والفيجن : الزاب .

وبين بن عدة المشطور
ثم أتى براضع لم يعتلف
وحمل مبزير مشبر
يتلوه جدي قارس بخل
تخاله في خلّه المزعفر
وقد عملت أطرافه سلاقة
زيدت من الخردل والصباغ
وصف فيه فلق الرمان
ثم أتى بناطف هياج
كانه في العين والقياس
ثم أتانا بعده لوزينج
تنشله من دهنه العميق
وجاءنا الغلطة بالمدام
بغير ترتيب ولا صواني
لأن في الجونة أنواع الأرب
هذا هو النوع الذي اختاره

كأنه تعلية النحور^(١)
كأن في جنبه قطناً قد ندف
كأنه مضمخ بعنبر
كأنه بالزعفران مطلي
مركباً تحت عقيق أحمر
عجبة الصنعة والمذاقة
وكشف القحف عن الدماغ
مثل رصيع خرز المرجان
يحرطبع البارد المزاج^(٢)
سباك جاءت من الروباس^(٣)
كأنه في الأتحمي مدرج^(٤)
كما أخذت بيد الغريق
ونحن لم ننهض من الطعام
وغير أنقال ولا ريحان^(٥)
وعوضاً من كل شيء يطلب
ليس الذي عذبنا انتظاره

* * *

وأنشدني عبد الصمد بن وهب المصري ، قال : أنشدني أبو نصر بن أبي

(١) المشطور : الخبز المطلي بالكامخ .

(٢) الناطف : نوع من الحلوى البيضاء .

(٣) الروباس : الفضة .

(٤) الأتحمي : نوع من البرد .

(٥) الأنقال : ما يقدم مع الخمرة من فستق وغيره .

الفتح كشاجم لنفسه [من الخفيف] :

غبط الناس بالكتابة قوماً حرّموا حظّهم بحسن الكتابة
وإذا أخطأ الكتابة حظاً سقطت تأوها فصارت كآبه

* * *

وأنشدني الخوارزمي لعبد الرحمن بن جعفر النحوي الرقي [من مجزوء الرمل] :

قل لمن تاب ولم يق خسر من اللذات نجبة
توبة الحشوي لا تع بدل عند الله حبة
أم من تسبقه أن ت إلى الجنة فحبه

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي ، قال : أنشدني أبو العميد
هاشم بن محمد المتيّم الاطرابلسي لنفسه [من الهزج] :

مضت للهو أوقات وللاوقات لذات
إليها أنا مشتاق وقد فاتت بمن فاتوا
وما لي عوض عنهم وأحيا الناس أموات
مضى أهل المروءات فلم تبق المروءات

* * *

وقرأت في كتاب التحف والظرف لابن لبيب غلام أبي الفرج البيهقي لأبي
عمارة الصوفي في ثقل خفيف على القلب [من الخفيف] :

وثقل لو كان في حسناتي وجميع الأنام في سيئاتي
لاستخف الذنوب بل كسر المي زان من ثقله على الكفات

وله في ثقیل [من الطویل] :

ثقیلٌ براه الله أثقل من برى ففي كلِّ قلبٍ بغضةٌ منه كامنه^(١)
مشى فدعا من ثقله الحوت ربّه فقال : إلهي زدت في الأرض ثامنه ؟

* * *

وأنشدنا أبو الحسن محمد بن أحمد الإفريقي المتيّم في كتاب أشعار الندماء لأبي
الحسن الممشوق الشامي - ولست أتحقّق اسمه - في المشمش [من الرجز] :

أما ترى المشمش يا خلّ الأدب مشطباً أكرم بهاتيك الشّطبُ
مثقّبُ الهامات من غير ثقبٍ كأنّها بنادقٌ من الذّهبِ

* قد صاغها صائغها بلا تعب * *

وله في جام فالودج [من الكامل] :

إنني اتخذت أبا عليّ ذا العلا معقودةً لك ذات طعمٍ طيّبٍ
فقد اغتدت في جامها وكأنّها شمسٌ على بدر أوانٍ المغربِ^(٢)
وتخال فيها اللوز وهو منصف أنصاف درّ فوق صحنٍ مذهبٍ
فتعال نخمش وجهها بأكفنا غضبت علينا أو غدت لم تغضبِ

وأنشدني غيره للممشوق [من المتقارب] :

فؤادي كفّيك إذا ما نطقت وصبري كخصرك في دقّته
وما آس عارضك المستيّ ر كالقلب منّي في حرّته^(٣)
وبالجسم منّي الذي يشتكيه طرفك من غير ما علّته

(١) براه الله : أنحله .

(٢) الجام : الإناء من فضة .

(٣) الآس : الريحان ، ورقه عطر ، خضرته دائمة .

أشبه وعدك إمّا وعدت بعقرب صدغك في عطفته
 وأزداد في كلّ يوم هوى وحبّيك يزداد في فتنه
 وأنشدني محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن الممشوق
 صاحب المتنبي لنفسه [من الخفيف] :

ليلةً بتّها بقرتم أسقي عاتقاً عتقت مداها الدهورُ
 وكأنّ السماء والبدر والأنجم روضٌ ورجسٌ وغديرُ

* * *

وأنشدني أيضاً محمد بن عمر الزاهر ، قال : أنشدني أبو الحسن علي بن
 محمد الأنطاكي [من الكامل] :

لما تأمل جودك القطرُ وسما ليدرك صدرك البحرُ
 خجلاً جميعاً مثل ما خجلاً إذ قابلاك الشمس والبدرُ
 يا صالح الخيرات ما صلحا إلّا لك التأييد والأمر

* * *

وأنشدني أيضاً للحسن بن عبد الرحيم الزلالي صاحب كتاب الأسجاع على
 معنى الحمدوني في طيلسان ابن حرب [من مجزوء الرمل] :

طيلسانُ كان رسماً ثم قد أصبح وهماً^(١)
 لا تراه العين إلّا بعد أن يهجع حلماً
 تتعب المقلّة كي تدرك منه أثراً ما
 تعب الفكرة في إخراجها البيت المعنى

(١) الطيلسان : كساء أخضر لا تفصيل له يلبسه خواص العلماء والمشايخ .

وقوله [من الرمل] :

نظرةً كانت لحتفي سببا جلب الحين لها ما جلبا
ضحكت أسماء من ذي لمّة ضاحك الأثيب فيه الأشياء
إنما يعرف أيام الصبا من صبا في غير أيام الصبا

* * *

وللأنطاكي في وصف عود [من البسيط] :

وبربطٍ سحب الترنام نغمته أحلى من السر وافى بعد إعسار^(١)
يملي القريض عليه لفظ محسنه فينيري مخبراً عنها بأجهار
ما حث أوتاره في وجه نائبة إلّا استفاد بتارات وأوتار
تحنو عليه أمّ تخاطبه سرّاً فيخبر بالنجوى بإظهار^(٢)
وإن هفا عركت آذانه شفقاً عليه من وصمة النقصان والعار

* * *

وأنشدني أبو الحسن علي بن مأمون المصيصي وغيره لتميم بن معد أبي تميم
صاحب مصر ، وهي مشهورة [من الكامل] :

ما بان عذري فيه حتى عذراً ومشى الدجى في خده فتحيراً
همتّ تقبله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجراً
والله لولا أن يقال تغيراً وصبا وإن كان التصابي أجدر
لأعدت تفاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبراً^(٣)

* * *

(١) البربط : آلة موسيقية تشبه العود والترنم : النغم والغناء .

(٢) النجوى : السرّ .

(٣) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من الصدر .

وأنشدني أبو نصر سهل بن المرزبان ، قال : أنشدت بمدينة السلام لمعد
ابن تميم ويروي للوأواء [من السريع] :

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأريَ اليوم أذى مسلم
ويا لقومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسم
وإنَّ أبى إلّا جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم
قولوا له يكشف عن وجهه فإنَّ فيه نقطةً من دمي

وأنشدني المصيبي له [من المنسرح] :

وَجَنَّةٌ من شَفَنِي هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي^(١)
كأئما الصيرفي دَنَر ما نجم منها ودرهم الباقي^(٢)

ووجدت له من قصيدة [من الطويل] :

وما بلد الإنسان إلّا الذي به له سكنٌ يشتاقه وحيبٌ
إلى الله أشكو وشك بين وفرقةٍ لها بين أحشاء المحبّ ندوبٌ
ترى عندهم علمٌ وإن شطّأت النوى بأنَّ لهم قلبي عليّ رقيب^(٣)

* * *

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه لأبي منصور نزار بن معد أبي تميم
وقد وافق بعض الأعياد وفاة ابنه وعقد المأتم عليه [من المنسرح] :

نحن بنو المصطفى ذوو محنٍ يجرعها في الحياة كاظمنا^(٤)

(١) شفني : براني وآلمني ، والآماق : عروق الدمع .

(٢) دَنَر : أي جعلها كالدينار .

(٣) شطّأت : باعدت .

(٤) الكاظم : المتحمّل للمحن والصابر عليها

عجيبۃ في الأنام محتنتا أولنا مبتلى وآخرنا
يفرح هذا الورى بعيدهم طراً وأفراحنا مآتمنا

* * *

وأنشدني المصيصي للأمير تميم [من الطويل] :

شربنا على نوح المطوقة الورق وأردية الروض المفوفة البلق
معتقة أفنى الزمان وجودها فجاءت كفوت اللحظ أو رقة العشق
كان السحاب الغرأ أصبحن أكوساً لنا ، وكان الراح فيها سنا البرق
فبتنا نحث الكأس فينا ، وإننا لنشربها بالحث صرفاً ونستسقي^(١)
إلى أن رأيت النجم وهو مغربٌ وأقبلن رايات الصباح من الشرق
كان سواد الليل والفجر طالعٌ بقية لطح الكحل في الأعين الزرق
أحسن في هذا البيت ما شاء .

* * *

وأنشدت للمرواني في الهلال وأجاد [من الكامل] :

والبدر في جو السماء قد انطوت طرفاه حتى عاد مثل الزورق
وتراه من تحت المحاق كأنما غرق الكثير وبعضه لم يغرق
وهو من قول ابن المعتز [من الكامل] :

* قد أثقلته حمولة من عنبر *

قال : وسمعت الشيخ الإمام أبا الطيب يحكي أن المرواني صاحب الأندلس
كتب إليه صاحب مصر كتاباً يسبه ويهجوه فيه . فكتب إليه « أما بعد فإنك عرفتنا

(١) الصرف : الصافية الغير ممزوجة .

فهجوتنا ، ولو عرفناك لأجبنك ، والسلام » .

وأنشدني أبو سعيد بن دوست ، قال : أنشدني الوليد بن بكر الأندلسي
الفقيه المالكي لأمرهم محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله المدعو
الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني ، من قصيدة كتب بها
إلى صاحب مصر يفتخر [من الطويل] :

ألسنا بني مروان كيف تبدّلتُ بنا الحال أو دارت علينا الدوائر؟
إذا ولد المولود منا تهلّلت له الأرض واهتزّت إليه المنابرُ
وذكر أن المستنصر وهو أبو الحسن قتل ابن أخيه خوفاً منه على المملكة .

* * *

قال : وأنشدني لوزير المستنصر وهو أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي
[من البسيط] :

يا مَنْ أَرَانِي بِالْحَاضِرِ يَصْرِفُهَا عَنِّي الصَّبَا وَالْهَوَى رَشْدِي وَتَوْفِيقِي
جَمَعْتَ فَيْكَ غَلِيلَ الْعَاشِقِينَ كَمَا جَمَعْتَ مَا تَشْتَهِي مِنْ كُلِّ مَعشُوقٍ
وله أيضاً [من الطويل] :

لعينيك في قلبي عليّ عيونُ لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى
فحبُّك غَضٌّ في الفؤاد مصونُ نصيبي من الدُّنيا هَوَاك ، وإنه
وله أيضاً في الخمر [من الكامل] :

صفراء تطرق في الرّجّاج فإن سرتُ في الجسم دبت مثل أيمٍ لاذع^(١)

(١) ضنين : حريص .

(٢) الأيم : الحية ، ولدغ : عض .

لم يحسن في تشبيه ديبب الخمر في جسم شاربها بديبب الحية اللادغة ،
وقد أحسن في البيت الذي يليه جداً :

خفيت على شربها فكأنهم يجدون رياءً من إناء فارغ.

* * *

قال : وأنشدني لعيسى بن وطيس كاتب المستنصر [من البسيط] :

يا سيداً أفرطتْ بالعبد سطوتهُ ما كلُّ مالك رِقٌّ مغضبٌ حنقٌ
أعتقُ وإلا فبعْ، كم ذا تعذبني ؟ إنَّ العبيد إذا ما عذبوا أبقوا^(١)
وثقت مني بأنَّ الحبَّ قيْدني أجل وحقك إنِّي فوق ما تثق

ومعنى بيته الثاني مما يزيفه نقدة الشعر المتغزلون ولا يرضونه . وإنما
يميلون إلى مثل ما قال أهل العصر [من الخفيف] :

لي مولى أفسى البرية قد قا سيت فيه الهموم والأشواقا
قلت إذ لجَّ في جفائي واحتجَّ عليه فساق نحوي السِّياقا
أيهذا المليك رأيك في سو ء امتلاكي فلن أروم الفراقا

* * *

قال : وأنشدني حبيب بن أحمد الأندلسي لنفسه [من الطويل] :

ثلاثون من عمري مضين فما الذي أوْمَلُ من بعد الثلاثين من عمري
أطايب أيامي مضين حميدةً سراعاً ولم أشعر بهنَّ ولم أدرِ
كأنَّ شبابي والمشيبي يروعه دجى ليلةٍ قد راعها وضح الفجرِ

(١) اعتقُ : من العتق : وهو التحرير والأبق : الهرب .

وأنشدت لأحمد بن عبد الرحمن المتيم النحوي^(١) [من الوافر] :

إذا ما نلتَ من دنياك حظاً فأحسنْ للغنيِّ وللفقيرِ
ولا تمسك يدك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثيرِ

* * *

٢٣ - عبد المحسن بن محمد الصوري

أحد المحسنين الفضلاء ، المجيدين الأدباء ، وشعره بديع الألفاظ ، حسن المعاني ، رائق الكلام ، مليح النظام ، من محاسن أهل الشام ، فمن شعره قوله [من الكامل] :

أترى بشأري أم بدينِ	علقت محاسنها بعيني
في خصرها وقوامها	ولحاظها ما في الرديني
وبوجهها ماء الشبا	ب خليط نار الوجنتينِ
بكرت عليّ وقالت اخـ	تر خصلةً من خصلتين ^(٢)
إمّا الصدود أو الفرا	ق فليس عندي غير ذين
فأجبتها ومدامعي	منهلةً كالمرزمين ^(٣)
يا هذه لا تعجلي	إن حان بينك حان حيني ^(٤)
فكأنما قلت اذهبي	فمضت مسارعةً لبيني

قال : وأعطاه بعض الأمراء عمامة حسنة فلبسها أياماً ، ثم باعها ، ولبس عمامة

(١) سينشد البيتين فيما يأتي لأحمد بن محمد بن عبد الكريم النحوي .

(٢) بكرت : أتته باكراً .

(٣) المرزم : المطر المصحوب بالرعد .

(٤) الحين : الأجل .

لطيفة ، ومشى ، فقال بعض من رآه : ثقلت عليه العمامة فباعها . فقال ارتجالا
[من الكامل] :

قالوا عسى ثقلت عليّ فباعها من غير عدم
والله ما ثقلت عليّ عمامتي بل خفّ كمي

وقوله [من الطويل] :

وكم أمر بالصبر لم يرَ لوعتي وما صنعت نار الأسى بين أحشائي
ومن أين لي صبرٌ وفي كلِّ ساعةٍ أرى حسناتي في موازين أعدائي ؟

وقوله [من الوافر] :

ومعتذر العذار إلى فؤادي لجرمٍ سابقٍ من مقلتيه
وكم أعرضتُ عنه فأعرضتُ بي عن الإعراض خضرةً عارضيه
ولمّا قلت إنّ الشعر يسعى لقلبي في الخلاص سعى عليه

وقوله [من مجزوء الرمل] :

لحظاتٌ تترامى بي إلى المرمى القصي
طرحتني من عليّ بين الحاظ عليّ
فادّعى رقي وما رقى بدعوى المدّعي
أنّ عبد المحسن الصو ريّ لا عبد المسي

وقوله [من مجزوء المتقارب] :

جنى ما جنى وانصرف وأنكر ثمّ اعترف
وظنّ بأن القصا ص يمنع منه الترف
سلوا صدغهُ لِمَ جرى ؟ ولمّا جرى لِمَ وقف ؟
وكان على أنّه يجوز المدى فانعطف

وقوله [من مجزوء الرمل] :

بالذي ألهم تعذيبــي ثنـايـاك العذابا
والذي ألبس خديـك من الورد نقابا
والذي صيّر حظي منك هجراً واجتنابا
يا غزلاً صاد باللحـظ فؤادي فأصابا
ما الذي قالتـه عينا ك لقلبي فأجابا ؟

وقوله [من السريع] :

تعلمت وجته رقيةً لعقرب الصدغ فما تلسعُ
صمتُ عن العاذل في حبهُ أذني فما لي مسمعُ يسمعُ

وقوله في صبي اسمه عمر [من السريع] :

نادمني من وجهه روضةً مشرقهً يمرح فيها النظر
فانظر معي تنظر إلى معجز سيف عليٍّ بين جفني عمرُ

وقوله [من الطويل] :

زففت إلى نيهان من عفو فكري عروساً غدا بطن الكتاب لها خدرا^(١)
فقبلها عشراً وهام بذكرها فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وأنشدني له وقد مر بقبر صديق له [من الخفيف] :

عجباً لي وقد مررت بآثا رك أتّي اهتديت قصد الطريقِ
أتراني نسيت عهدك يوماً صدقوا ما لميت من صديق

(١) الخدر : الستر والخباء .

وقوله [من الخفيف] :

أمنون بدت لنا أم جفونُ
بعثها ما حيت طول هجوعي
حركاتُ للسَّقم فيها سكونُ
بدموعي فأَيْنَا المغبون ؟^(١)

وقوله [من الطويل] :

تعلَّقته سكران من خمرة الصبا
وشاركني في حُبِّه كلُّ أغيدٍ
به غفلةٌ عن لوعتي ولهبي
يشاركني في مهجتي بنصيبٍ
فلا تلزمني غيراً ما عرفتها
فإنَّ حبيبي مَنْ أحبَّ حبيبي

وقوله [من السريع] :

قلت وقد أوردني حُبُّه
أفسدت دنيائي ولا دين لي
موارداً ليس لها مصدرُ
تفسده فاصدعُ بما تؤمِّرُ^(٢)

وقوله [من الطويل] :

أتابعك أهل البيعة اليوم في دمي
ولا تورثنُ عينيك سقمي فإنَّه
غلبت فخذ أخطارهم وتقدِّمِ
حرامٌ على الذَّمِّيِّ ميراثُ مسلمٍ

وقوله [من السريع] :

رأيت ما لم يره رائي
أومأت باللحظ إلى جسمه
ماءٌ غدا يسبح في ماءٍ
فكاد أنْ يدميه إيمائي

وقوله [من مجزوء الكامل] :

ظبيُّ أقامَ قيامتي
من قبل أنْ تأتي القيامةُ

(١) المغبون : المتنقص حقّه .

(٢) اصدعُ : امثل .

عطب القلوب جفونه فعلام سمّوه سلامه؟

وقوله [من الخفيف] :

ولئن كنت قد رحلت بقلبي فاعلمي أن سرّ حبك فيه
لا تقولي ضيّعته بعد بين ضيعه إن شئت أو فاحفظيه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

رقت فكادت لا ترى في كأسها إلا التماسا
لولا الحجاب لخالها شرابها في الكأس كاسا

وقوله [من المنسرح] :

لما تبّينت أن حبكم يحسن عندي وليس يحسن بي
بشرت طرفي بحسن عاقبتى فيكم وقلبي بسوء منقلبي

وقوله [من الخفيف] :

يا مطيع العذول في عصياني ومذيقي حرارة الهجران
اتق الله لا ترعني بالصدّ وجاز الإحسان بالإحسان^(١)
كيف أبقي على الزمان وهجرا نك ممّا جنت صروف الزمان
صرت أجفوك مكرهاً وعلى الحسب دليل من ناظري ولساني
فإذا عدت بالتجلّد عنكم كذبتني نواظر الأجفان
كيف تجني ولا تخاف عقاباً وفؤادي معاقب غير جاني
خلّ ما بين مقلتيك وقلبي فعلينا يد من السلطان
لا تكونن ثالثاً لقويّد من فلو كان واحداً لكفاني
لك والله في صميم فؤادي لذة الماء في فم العطشان

(١) ترعني : تخفني ، والصدّ : الإعراض .

وقال يهجو بعض من أضافه [من الخفيف] :

وأخِ مسّه نزولي بقرحٍ مثل ما مسّني من الجوع قرح^(١)
قيل لي إنّه جوادٌ كريمٌ والفتى يعتريه بخلٌ وشحٌ
بت ضيفاً له كما حكم الدهر وفي حكمه على الحرّ قبحٌ
قال لي إذ نزلت وهو من السكرة والهم طافحٌ ليس يصحو
لِمَ تغرّبت قلت قال رسول الله والقول منه نصحٌ ونجحٌ
سافروا تغنموا فقال وقد قال ل تمام الحديث صوموا تصحوا

وقوله [من الخفيف] :

بدر تمّ يثنيه دعصٌ وخوطٌ عذري في عذاره مبسوطٌ
أيّ درٌ للثقب أيّ كتابٌ لو تأتت بصفحتيه الخطوط
وإذا اغترّ قلت طبيّ غريّرٌ وإذا افتّر قلت درٌ سقيط^(٢)

وقوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترفٌ وتاب مما قد جناه واقترفٌ
لقوله قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلفٌ

وقوله [من المنسرح] :

طرةٌ مسكٌ وشاربٌ أخضرٌ وثغرٌ درٌ ومقلتا جوذر^(٣)
ريمٌ إذا رمت أن أكلمه كلّمني من جفونه خنجرٌ
وإن تعوّضت من عوارضه لثماً تجنّى عليّ واستكبر^(٤)

(١) القرح : الجرح ، والمرض .

(٢) افتّر : ضحك وتيسّم .

(٣) الجوّذر : البقر الوحشي .

(٤) تعوّض : استبدل .

كأنَّ خيلانه ووجتته
سبحان من صاغه على قدر
سماء حسن نجومها تزهّر
فذلك الله خير من قدر

وقوله [من السريع] :

يا حار إنَّ الركب قد حاروا
تبدو وتخبو إنَّ خبت وقفوا
فام عليها موقد مرشد
فلا تلوموني إذا مسكم
وسائل يسأل عن حالتي
وأين ما أسررت في لحظه
ما نظرة إلا لها سكرة
هذا هوى يصدر عنه جوى
وهذه أفعالها هذه
ولست أعتد عليك الضنا

فاذهب تجسّس لمن النَّارُ
وإنَّ أضاءت لهم ساروا^(١)
له بفضل الزَّاد إيثار
أو مسّها من قربكم عار
قلت كما تهوى وتختار
مما أسرَّ الطين والقار^(٢)
كأثما طرفك خمَّارُ
تتلوه لوعات وأفكارُ
ما بعد رأي العين إخبار
ألست من جفنيك أمتار^(٣)

وقوله [من الطويل] :

هوأي الذي أبدى وأضمّره يحيى
وعيني التي أرعى بها من يودّني
أأصبر عن يحيى وأطوي وصاله
كتمت الهوى جهدي ونفيت طاقتي
يودُّ أناسٌ لو عميت عن الصبا

وسؤلي في دار الخلود وفي الدنيا
وكفّي التي أرمي الأعادي بها رميا
إذا فطواني عنه صرف الردى طيا
وقد زاد حتى ما أطيق له نفيا
إذا فأراني الله أعينهم عميا

(١) خبت : انطفأت أو ضعفت .

(٢) القار : القطران .

(٣) أمتار : أجمع الطعام والمونة ، أنغذى .

فما بالهم لا قدّس الله بالهم يلومون في يحيى ولو أنْ لائماً فيا منيتي كم فيك عاصيت عاذلاً وكم جاءني ما قاله فيك كاشحُ أأسمع فيك العذل ممّن يلومني فما أحسن الدنيا إذا كنت جانبي

وله يهجو [من مجزوء الرجز] :

حديثه كالحدث يودُّ من يسمعه يرفث كلّ الرفث^(١) لو أنّه في جدث^(٢)

وله يرثي [من الكامل] :

قالوا ألم تحضر علياً بعد ما لا أستطيع أرى المعالي بينكم لم يمض قبلك من أراه أسوة قد كنت جزءاً والأكارم كلّهم ما كان أكثرهم وأنت جليسهم دفنوه قلت هناك بش المحضرُ محمولاً وأرى المكارم تقبرُ فأقول هذا مثل ذاك فأصبرُ جزءٌ ، ولكنّ الأقلّ الأكثر وأقلّهم إذ شيعوك ، وكبروا

ومما يتغنّى به من شعره قوله [من الخفيف] :

ما عليها سهرت أم بتّ نائمٌ بعد أن لا يلسمُ بي طيف حالمٌ تسأل الناس كيف حالي ومن أعلم منها ؟ وفاعل الشيء عالمٌ وغزالٍ أغنّ أغيد ساجي الطرف مستحسن الخلائق ناعم^(٣)

(١) الكاشح : المبغض .

(٢) الحدث : ما يخرج المرء من فضلات وريح والرفث : الجماع والفحش .

(٣) الجدث : القبر .

(٤) الأغن : الذي في صوته غنة ، وساجي الطرف : ساكنه .

لم يصلني ولم يعدني وقال اكــــتم فماذا أسرّ حتّى أكاتم
وقوله [من المنسرح] :

قبلتها أشتفي بقبلتها
وساءلتنني عن مبتدا سقمي
فزادني ذلك اللّمي ألما^(١)
مسقم جفنيك مسقمي بهما

وقوله [من السريع] :

يا علّة الأجفان كفّي كفّي
وساعدينا واعلمي أنّها
ما حملت منك وما استوثقت
قد نذرت قتلي وما اعتقت

وقوله [من البسيط] :

أرى الليالي إذا عاتبها جعلت
وليس عند الليالي أن أقبح ما
تمنّ أن جعلتنني من ذوي الأدب
صنعن بي أن جعلن الشعر مكتسبي
إن كان لا بدّ من مدحٍ فها أنا ذا
بحيث آمن في قلبي من الكذب

وقوله [من الطويل] :

إذا كسدت سوق الثناء فجوده
تضيق بما تحوي يداه ، وصدرة
طلبوبٌ لأسباب الثناء كسوبٌ
بتفريق ما تحوي يداه رحيبٌ

وقوله [من الخفيف] :

وغزالٍ مثل الغزالة يحكي
رقّ جسماً فرق دمعِي عليه
ها كمالاً إلّا بقلب وودّ
فجرى مثل خدّه فوق خديّ

وقوله [من السريع] :

والله ما عورضتُ في مهجتي
إلّا لأن أرفع عنها يدي

(١) اللّمي : السمة في الشفة .

الأهيف الأغيد والنفس ما ألفها للأهيف الأغيد^(١)
يعجبها أن ترتدي حسنه والحسن قد يُردى به المرتدي^(٢)
طوفان نوح طَبَّق الأرض لا يرح منها آخر المسند
طاف علينا فاستوينا على الجودي من جود أبي أحمد^(٣)
أبو العلا إذ ذكرتُ وابنها يا ذا المكانين من السؤدد
غير من حالي ومن نيتي في غيره كم مصلح مفسد
لو كان من أحبيته بعض ما في يده زارت بلا موعد

وقوله من قصيدة [من الطويل] :

فتى كلما قالوا تناهى صعوده إلى كل مجد خالف القول صاعدا
ترى كل ملقى المقاليد في الوغى إليه إذا لاقاه ألقى المقالدا^(٤)
ولست ترى بيتاً من المجد أو ترى من الجود أركاناً له وقواعدا
لقد شرفتُ أبيات عوفٍ وطهرتُ من الرّجس حتى خلتهن معابدا^(٥)
وكل يعاف الورد من بعد ربّه وأرماح عوفٍ لا تعاف الموارد^(٦)
ترى منهم يوم الوغى كلّ ناشر من النقع فوق الدار عين مطاردا
ينالون ما أمسى بعيداً مناله كأنهم طالوا الرماح سواعدا
وقلبت الهيجاء أعيان خلقهم فقد وثبوا أسداً ودبّوا أسودا^(٧)

(١) الأغيد : الجميل ، وآلفها : من الألفة ، وهي الصحبة والمحبة .

(٢) يردى : يقتل .

(٣) الجودي : جبل في العراق ، استوت عليه سفينة نوح عليه السلام بعد الطوفان .

(٤) المقالد : القيادة ، أي أوكله بالأمور .

(٥) الرّجس : الاثم .

(٦) يعاف : يملّ .

(٧) الأساود : الحيات ، واحدها أسود .

على أن من لا قيتَ منهم مسالماً لقيت به نوء السماء مجاوداً^(١)
وقوله [من البسيط] :

وقد حسدت على ما بي فواعجبي حتى على الموت لا أخلو من الحسد
ما بعثكم مهجتي إلا بوصلكم ولا أسلمها إلا يداً بيد
ومن قصيدة يقول في مدحها [من الخفيف] :

طلما جاد لي وظنُّ بأنَّ الجود يبلي في كلِّ يومٍ مجدِّ
بيمينٍ طالت فكم تضرب الأيدى أم عني بها وكم تتجلَّدُ
أحسن الفعل بي فأحسنْتَ قولاً فاشتبهنا فقيل جادٌ وجودٌ
وقوله [من الكامل] :

وغريرة مغرورةً بجماها وتظنُّ أنَّ المنتهى كالمبتدي
ظلت تناكرني الهوى من بعد ما اعترفت به زمناً فقلت تقلدي
ليكن عقابك لي بقدر تجلدي لا بالنوى فضعيفةً عنها يدي
وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الكامل] :

ما زال ينحلني أبو الجيش اسمه فإما يجدُّ وكلُّ يومٍ جوداً
حتى غدوت أنا المسمى حامداً وغدا يسمى حامداً محموداً
وقوله [من البسيط] :

نام الخليون من حولي فقلت لهم : ما كلُّ عينٍ لها عينٌ تسهِّدها
لا تنكروا عقلتي عامين في يده فإنَّ صيداء معروف تصيِّدها^(٢)

(١) نوء السماء : نجم السماء المضيء ومجاودا : متكرماً.

(٢) عقلتي : عقالي وأسري.

كأنما أهلها أهل المقيم بها فذلك الزهد في الأوطان يبعدها
وقال يهجو أخاه عبد الصمد [من الرمل] :

قال لي : أنت أخو الكلب ، وفي ظنّه أن قد تناهى واجتهد
أحمد الله كثيراً أنه ما درى أنني أخو عبد الصمد
وقوله من قصيدة أولها [من السريع] :

لا بتأديك على هجري ولا بإكثارك من ذكري
عهدكم من حيث عاهدتكم لم تعرفوا شيئاً سوى الغدر
فما لكم لما نذرتم دمي صرتم من الموفين بالنذر
جاءت عطايك موفرة فلم يكن عندي سوى النشر^(١)
مقرونة بالعدر إنني لفي التـ قصير أولى منك بالعدر

وقوله من قصيدة أولها [من المنسرح] :

حتى متى كلّ مشتك زاجر واللوم مثل الهوى بلا آخر
كم عاذل عاشقٍ وكنت أرى أنّ الذي جرّب الهوى عاذر
يا نافرأ نفرة الغزال وكا ن الحزم لو أنني أنا النافر
بيت ما تستعدّ مقلته من خمرها فوق ثغره قاطر
فطرفه عاصرٌ وليس به خمرٌ وفوه خمرٌ بلا عاصر
وشادن طائفٌ على نفرٍ شخص الكرى من يمينه دائر
صرعهم حوله وأوجسهم بما اشتكى نائبٌ له ساهر^(٢)
فحشني ساعة فلم ترني في أثر القوم بعدهم سائر
فقال أوصيك بي وأسلمه الصـ صبر على رغمه إلى الصابر

(١) في الأصول : «جاءت عطايك موفرة » وغيرها لإقامة الوزن .

(٢) أوجس : شعر وأحسّ .

فبتُّ في روضه ألفاً على الغداة طرقي وأمرح الناظر
يقول في مدحه بالكتابة وأجاد :

لا يخطر الفكر في كتابته كأن أقلامه لها خاطر
القول والفضل يجريان معاً لا أول فيهما ولا آخر
وقوله [من مجزوء الكامل] :

وأغنّ أغيد، ودّه مستأنسٌ بي، وهو نافرٌ
إن قلت زرنى قال نمُ فالطيف ليس يزور ساهر
ويقول لي فيما يقو ل نعم وما للقول آخر
حتى أشاور قلت لـكـني هويت ولم أشاور!

وقوله [من الخفيف] :

سهلت عنده المسالك حتى أوصلته إلى العلا وهي وعرة
ثم هامت به المعالي فصارت تتقي صده وتحذر هجرة

وقوله من قصيدة يقول فيها [من المتقارب] :

هلموا اسألوا عن سلوٍ يباع	أو استخبروا عن كرىٍ يكترى ^(١)
هل الناس مثلي؟ وإلا فما	أشدّ القلوب وما أصبرا
وصفراء تنفذ من كأسها	فتترك ما حولها أصفرا
بمدّ إذا شعشت كالهباء	لمن كان قدّامها أو ورا ^(٢)
وفي القوم من لم يكن عنده	إذا سكر القوم أن يسكرا

(١) الكرى : النعاس : ويكتري : يشتري .

(٢) شعشت : أضاءت ، والهباء : غبارٌ دقيقٌ يظهر مع نور الشمس إذا دخلت من كوة بيت مظلم .

سقاني وشدّ معي مئزرأ فإ شدّ من بعدها مئزرا
وقوله [من البسيط] :

عندي حدائق شكر غرس جودكم قد مسّها عطشٌ فليسق من غرسا
تداركوها وفي أغصانها رفقُ فلن يعود اخضر العود إن ييسا
وقوله من قصيدة يقول في مدحها [من الكامل] :

بش السياسة والرياسة منزلُ أصبحت وحدك في ذراه مقيا
وجعلت تفعل مثل ما فعل الألى فيه وتتخذ الخطوب خصوما
ولو اختصرت على القديم كفى العلا إن القديم ليجب التقديما
للحادثات معي حديثٌ مبهمٌ أضحى النهار على منه بهما
وصناعتى عريّةٌ وكأنتى ألقى بأكثر ما حفظت الروما
فلمن أقول وما أقول فأين بي فأسير أولاً أين بي فأقيا
وإذا اشتكيت إلى امرئ ما حل بي فأقول يرحمني أراه حلما
وقوله من قصيدة يقول فيها [من الطويل] :

يروح إلى كسب الثناء ويغتدي إذا كان همّ الناس كسبُ الدراهم
وإن جلس الأقوام عن واجب الندى وحق العطايا كان أوّل قائم
يزيد ابتهاجا كلما جاء قاصدٌ كأنّ به شوقاً إلى كلّ قادم
وقوله [من السريع] :

إنّ لها من لوعةٍ شانا أضربت الأحشاء نيرانا
وحالفت دمعى فلم يطفها وقد جرى سحاً وتهتانا^(١)

(١) سحاً : متصبياً، والتهتان : المطر الذي يتقطع ثم يعود فيهطل .

وآل ما زال عدواً لها
لكنّ في حيني وفي شقوتي
وغادق قمت لتوديعها
ففاض دمعي وجرى دمعها
ثم انثنت قائلةً : ما له
فقلت : جار الدمع في حكمه
مذ كانت النار ومذ كانا^(١)
ما يجعل الأعداء خلاناً^(٢)
أسعى إلى التفريق عجلانا
زوراً على الحبّ وبهتاناً
لم ييكه البين وأبكنا؟
ففاض من أجفان أجفانا^(٣)

وقوله [من السريع] :

ما زال ييني كعبةً للعلا
حتى أتى الناس فطافوا بها
ويجعل الجود لها ركناً
وقبلوا راحتها اليمنى

وقوله في أبي الجيش حامد بن سلهم [من الطويل] :

أبا الجيش ، حسب الشعر ما أنت صانعٌ فقد عجزت عن وصف ذاك القصائدُ
أما انصلحت للمال منك طويةً فتصلحه حتى متى أنت حاقدُ^(٤)
سبقت بني الدنيا فما هبّ قائمٌ سواك إلى جودٍ ولا قام قاعدُ

وقوله [من السريع] :

ومن بني القواد من بغته
سلطان عينه له سطوة
عن سيفه سيوف أجفانه^(٥)
أشدّ من سطوة سلطانه

(١) آل : أقسم .

(٢) الحين : الموت والخلان : الأصحاب .

(٣) جار : ظلم ، وأجفانا : أكثرنا جفاءً وهجرًا .

(٤) الطوية : دخيلة النفس ، وما تضمّره .

(٥) في الأصول : «عن سيفه سيف أجفانه» وغيرناه لإقامة الوزن .

وقوله [من الكامل] :

يا ذا الذي في خدّه جيشان من زنجٍ ورومٍ
هذا يغير على القلو ب وذا يغير على الجسومِ
إنّي وقفت من الهوى في موقفٍ ضنكٍ عظيمٍ
كوقوف عارضك الذي قد حار في ماء النعيم

وقوله [من الخفيف] :

غَنّني يا أعزّ ذا الخلق عندي حيّ نجداً ومن بأكناف نجد^(١)
واسقني ما يصير ذو البخل منه حاتمًا والجبان عمرو بن معدي
لي وما فوق وجتتك من الو رد مدام كالمسك في لون ورد
فاسقنيها ملأى فقد فضحَ اللب لَ هلالٌ كأنّه فترٌ رند^(٢)
والثريا خفاقةً بجناح الـ غرب تهوي كأنّها رأس فهد
في أوان الشّبّاب عاجلني الشّيـ ب فهذا من أوّل الدنّ دردي^(٣)

وقوله [من السريع] :

إنّ خيالاً زارنا وهنا من عندكم هاج لنا حزنا
أحبابنا، لا بلغت منكم أيدي النوى ما بلغت منا
فلم يغب عنكم على بعدكم ما فعلت غيبتكم عتّا
أيسر ما في عهدكم أنّا لما حفظنا عهدكم ضعنا

* * *

(١) الكناف : الجنبات .

(٢) الفتر : ما بين الخنصر والابهام والرند : عودٌ طيب الرائحة .

(٣) دردي : أي الكدر الذي يبقى في أسفل الإناء راسباً .

٢٤ - أحمد بن سليمان الفجري

شاعر ماهر ، كتب إلى عبد المحسن الصوري هذه الأبيات [من الوافر] :

أعبد المحسن الصوريّ لم قدّ جثمت جثوم منهاضٍ كسيرٍ؟^(١)
فإن قلت العباله أفعدتني على مضضٍ وعاقث عن مسيري^(٢)
فهذا البحر يحمل هضب رضوى ويستثني بركنٍ من ثبير^(٣)
وإن حاولت سير البرّ يوماً فلست بمثقلٍ ظهر البعير
إذا استحلّ أخوك قلاك يوماً فمثل أخيك موجودٌ النظير^(٤)
تحركّ علّ أن تلقى كريماً تزول بقربه إحن الصدور^(٥)
فما كلُّ البرية من تراه ولا كلُّ البلاد بلاد صور

فأجابه عبد المحسن [من الوافر] :

جزاك الله عن ذا النصح خيراً ولكنّ جاء في الزمن الأخير
وقد حدثت لي السبعون حدّاً نهى عما أمرت من المسير
ومذ صارت نفوس الناس حولي قصاراً عدت بالأمل القصير

* * *

٢٥ - أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكي المعروف بأبي الرقعمق

نادرة الزمان، وجملة الإحسان ، ومن تصرف بالشعر الجزل ، في أنواع الجد

(١) المنهاض : المقعد .

(٢) العباله : الضخامة : والمضض : الألم والإرغام .

(٣) رضوى : إسم جبل معروف ، وثبير إسم جبل .

(٤) قلاك : أبغضك .

(٥) إحن الصدور : أحقادها .

والهزل ، وأحرز قصب الفضل ، وهو أحد المداح المجيدين ، والفضلاء المحسنين ،
وهو بالشام كابن حجاج بالعراق ، فمن غرر محاسنه قوله يمدح من قصيدة أولها [وهو
الخفيف] :

قد سمعنا مقالَه واعتذارَه وأقلناه ذنبه وعثاره^(١)
والمعاني لمن عنيت ، ولكن بك عرضت فاسمعي يا جاره
من مراديه أنه أبد الدهر تره محلاً أزواره
عالم أنه عذاب من الد ه مباح لأعين النظاره
هتك الله ستره فلکم هت ك من ذي تستر أستاره
سحرتني ألحاظه وكذا كل ملح لحاظه سحاره
ما على مؤثر التباعد والأع راض لو أثر الرضى والزياره
وعلى أنني وإن كان قد عذ ب بالهجر مؤثر إثاره
لم أزل لا عدته من حبيب أشتهي قربه وأبى نفاره

يقول في مدحها :

لم يدع للعزیز في سائر الأرز ض عدواً إلا وأحمد ناره
فلهذا اجتباه دون سواء واصطفاه لنفسه واختاره
لم تشيّد له الوزارة مجداً لا ولا قيل رفعت مقداره
بل كساها وقد تخرمها الدهر ر جلالاً وبهجة ونضاره^(٢)
كل يوم له على ثوب الدهر ر وكر الخطوب بالبذل غاره^(٣)
ذو يد شأنها الفرار من البخ ل وفي حومة الوغى كزاره

(١) أقلناه : أعفيناه : والعثار : من التعثر أي السقوط في الخطأ وغيره .

(٢) تخرمها الدهر : ترك بها خروماً .

(٣) كر الخطوب : تجددّها واستمرارها .

هي فلتٌ عن العزيز عداه بالعطايا وكثرت أنصاره^(١)
هكذا كلُّ فاضلٍ يده تمسِّي وتضحى نقاعةُ ضراره
فاستجره فليس يأمن إلا من تقياً بظله واستجاره
فاذا ما رأته مطرقاً يُعمل فيما يريده أفكاره
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً في ضمير الغيوب إلا أناره
لا ولا موضعاً من الأرض إلا كان بالرأي مدركاً أقطاره
زاده الله بسطةً وكفاه خوفه من زمانه وحذاره^(٢)

وقوله من أخرى أولها [من الخفيف] :

إن ربعاً عرفته مألوفاً كان للبيض مربعاً ومصيفاً
غيرت آيةُ صروف الليالي وغدا عنه حسنه مصروفاً
ما مررنا عليه إلا وقفنا وأطلنا شوقاً إليه الوقوفاً
ألفاً فيه للبكاء كأنني لم أكن فيه للغواني ألوفاً
حاسداً للجفون لما أزلت في مغانيه دمعها المذروفاً
إن يعقوب قد أفاد وأقنى وأعاد الندى وأغنى الضعيفاً^(٣)
سل سيفاً من البصيرة والرأى فأغنائه أن يسل السيوفاً
باذلاً للعزيز دون حماه مهجةً حرّةً ورأياً حصيفاً
لم تزل دونه تخوض المنايا وتردّ الردى وتلقى الصفوفاً
ناصرها مشفقاً محبباً ودوداً قائماً في رضاه صعباً عسوفاً
ليس يخشى فساد أمرٍ تولاه وأوضحى برأيه مكنوفاً^(٤)

(١) فلتٌ : قطعت.

(٢) البسطة : القوة والهيبة .

(٣) أقنى : أملك وأعطى .

(٤) مكنوناً : محاطاً .

خلقاً طاهراً وفعلاً شريفاً
 منعماً مفضلاً رحيماً رؤوفاً^(١)
 د وأعطى يرى الكثير طففاً^(٢)
 يستلذُّ التّدى ويقري الضيؤفا
 د ويعطي ويسعف الملهوفاً^(٣)
 أبداً عن فئائه مصروفاً

ما رأيناه قطُ إلا رأينا
 ورأينا قرماً كبيراً همماً
 لذّ طعم العطاء وهو إذا جا
 خلقٌ منه - منذ كان - كريمٌ
 ويريش الفقير بالبذل والجو
 فأرانا الإله صرف الليالي

وقوله من أخرى [من المجتث] :

مغرى بأهل الخيام
 بصائبات السّهام
 ن لأشفين سقامي^(٤)
 والهجر غير حرام
 إلا بطول الغرام
 بشرّتي وغرامي^(٥)
 ش كان في الأحلام
 لحادث الأيام
 ل والأيادي الجسام
 من واكفات الغمام
 مستبشر بسّام

حيّ الخيام فإني
 بالراميات فؤادي
 أسقمتني وتألّي
 أيام وصلي حرام
 لا عذب الله قلبي
 سقياً لدهر تولّي
 كأنما ذلك العي
 لم يبق من نرتجيه
 إلا ابن أحمد ذو الطو
 كفاه أغدق جوداً
 يلقي العفاة بوجه

(١) القرم : السّيد .

(٢) الطفيف : القليل .

(٣) يریش : يقوّي ويغني .

(٤) تألّين : أقسم ودعون الله .

(٥) الشّرة : حدّة الشباب ونشاطه .

معظماً ترتجيه للنائبات العظام
يرمي الخطوب برأي أمضى من الصمصام
قرم له عزمات تفل حد الحسام

وله من أخرى [من المتقارب] :

توهمت أمراً فلم أنبس بحرفٍ وناديت بالأكؤس
حمياً كأن سنا نورها سنا بارقٍ لاح في الحندس^(١)
يعاطيكها رشاً طرفه سريع إلى تلف الأنفس
بخدر يروقك توريده وعين تنوب عن النرجس

يقول في مدحها :

له قلم أبداً ناطق بأسعد قوم وبالأنحس
إذا ما انتضاه لأمر رمى به الدهر عن صائب القسي^(٢)
رآه الوزير على غاية من الفضل تعلو على الخنس^(٣)

ومن أخرى [من الوافر] :

أظن ودادها من غير نية وهل هي فيه إلا مدعية
فتاة لا تمل عذاب قلبي ولا تخليه وقتاً من أذية
ولا ذنب له إلا التوافي لمن في الحب ليست بالوفية
ويعجبني التمتع والتشاجي من الخود الممنعة الشجية^(٤)
فوا أسفاً على حر يعزي أخا رزؤ على عظم الرزية^(٥)

(١) الحمياً : الخمر ، والحندس : الظلام.

(٢) انتضاه : استلّه وشهره ، والقسي : جمع قوس .

(٣) الخنس : الكواكب .

(٤) التشاجي : شدة الشوق والتذكر والخود : الفتاة الناعمة .

(٥) الرزية : المصاب .

ومنها^(١) :

وذلك أن إيري فيه رطلٌ
ومن بعث المدام فليس بدٌ
فثم هناك حرٌّ شافعيٌ
ونفسي غير مائلةٍ إليها
أحبُّ دنوَّها وتحبُّ قربي
وما لاقيتها إلا تلاقى
وهذا الرأي لا رأيٌ سواه
ولا عيشٌ سوى تقلبٍ بظُرٍ
على أتّي أقول بكلُّ شيءٍ
ولا ألوي على أحدٍ يراني
ومن نال العلاء حجاً ومجداً
تشابه خلقه والخلق حسناً
تشاهد منه طوداً مشمخراً
له الأقلام كيف يشاء تجري
كأنَّ اللفظ في القرطاس زهرٌ

وما في حرِّها إلا وقيةٌ
ولاتك غير بكرٍ بابليةٌ
عظيم الشأن واست مالكيةٌ
لأحوالٍ مقبحةٍ بذيةٌ
وهذا لا يكون بلا بليةٌ
مبالانا بإسقاط التقية
فلا تحفل بأقوال الرعية
وثقب من صبيٍّ أو صبية
سوى نيك العجوز القذمية^(٢)
بعين النقص والحال الدنية
وأفعالاً مهذبةً سنية^(٣)
وحسبك بالنقاسة والسجية
وأفعال الملوك الكسروية
بتأييد القضاء بالمشية
تفتّح عن معانٍ معنوية

ومن أخرى [من البسيط] :

كفّي ملائك يا ذات الملاماتِ فما أريد بديلاً بالرقاعاتِ

(١) لم نشأ أن نحذف شيئاً ممّا في هذا الكتاب من المجون - كما يفعل بعض الناشرين ، نحرّجاً منهم وتأنماً كما يزعمون ، وحرصاً على مكارم الأخلاق لأننا لا نؤلف ، وإنّا نحقق نصّاً قيده صاحبه في زمنٍ كان الناس فيه أشدَّ تحرّجاً من هذا الزمن الذي نعيش فيه ، ولأننا نرى من حقنا ان نتصرّف في كتب الناس ثم نيقها منسوبة إليهم . . .

(٢) القذمية : الواسعة .

(٣) الحجى : العقل والرأي .

كأنني وجنود الصفع تتبعني
 قسيس دير تلا مزماره سحراً
 وقد مجنتُ وعلمت المجنون فما
 وذاك أني رأيت العقل مطرحاً
 إنني سأدخل عذالي على عدلٍ
 أفدي الذين نأوا والدار دانيةً
 كم قد نفت سبالي في صدودهم
 سقياً ورعياً لأيامٍ لنا سلفتُ
 إذا لا أروح ولا أغدو إلى وطنٍ
 أيام أسحب أذيال الهوى مرحاً
 عوضت منهن أحزاناً تؤرقني
 لولا عذارُ تعالى كيف صوره
 كأنه مشقةٌ من خدٍ من شقيت
 لما حللت بدارٍ مالها أحدٌ
 لو كنت بين كرام ما تهضمني
 ومنها :

وقد تولت مزامير الرطانات^(١)
 على القسوس بترجيعٍ ورناتٍ
 أدعي بشيءٍ سوى ربِّ المجاناتِ
 فجئت أهل زمانِي بالحماقاتِ
 في الحبِّ أن عذلوني في الحراماتِ
 وشئتوا بالجفا شمل الموداتِ
 والصدِّ أصعب من نفث السبالات^(٢)
 بالقفص قصرها طيب اللذاتِ
 إلّا إلى ربع خمّارٍ وحاناتِ
 مصرعاً بين سكراتٍ ونشواتِ
 بعد السرور وفرحاتٍ بترحاتِ
 ربُّ العباد لتعذيبي وحسراتي
 روحي بهجرانه أو عطف نوناتِ^(٣)
 إلّا أناسٌ تواصلوا بالخساساتِ
 دهرٌ أناخ على أهل المروءاتِ^(٤)

لنال بالمجد أعنان السمواتِ
 إذا دجا الرأي من أهل البصيراتِ
 أو واقفاً في صدور السّمهرياتِ^(٥)

لو نيل بالمجد في العليا منزلةً
 يرمي الخطوب برأيٍ يستضاء به
 فليس تلقاه إلّا عند عارفةٍ

(١) الرطانة : الكلام الأعجمي .

(٢) السبال : الشارب .

(٣) المشقة : طول ورقة في الخد .

(٤) تهضمني : أنقصني حقوقي - ظلمي .

(٥) السمهرية : الرمح .

يا من غدت أوجه الأيام مشرقة
مالي بلا سبب غودرت مطرَحاً
ولي مدائح قدماً فيك سائرة

ومن أخرى [من البسيط] :

كلُّ بشعري مفتونٌ ومشغوفٌ
كلفت من أمرهم ما لا أقوم به
لأنتنن سبالي طاعةً لهم
أُسمي وأصبح مجفواً ومطرَحاً
وبي وعندي وفي ملكي ولا رزقوا
من تلك أافية القوم الكشاخنة الـ
مفوقات بتنفيشٍ وأطبعها
معطوفةً وبنفسي يا ابن أمّ قفا
كم قاتلٍ ويداه في أطايه
فإن يكن ذا فلا غرو ولا حرج
هذا الذي من رآه دون ملمسه
ولم يمدّ إلى رأسٍ على طربٍ
بيناً يرى الثوب منشوراً بلا سببٍ
فكم ألام ؟ وكم ألحى ؟ وهل حمقي
ألفتُهُ حسب مالي من محبته

بجوده مستهلاتٍ منيراتٍ
وقد حرمت عطايك الجزيلاتِ
مستطرفاتٍ بالفاظٍ طريفاتِ

وجيد الشعر منعوتٌ وموصوفٌ
ومن يقوم بأمرٍ فيه تكليفٌ
والذقن إن دام ذا الإعراض متوفٌ
هذا ورأسي وما والاه مكشوفٌ
رزقي قذالٌ أصمُّ السمع مكفوفٌ^(١)
غدم الذين لهم منها مجاديفٌ^(٢)
لا شك ما فيه تنفيشٌ وتقويفٌ
على الأخادع مثنيٌ ومعطوفٌ
وطيب الشيء مجنيٌ ومقطوفٌ
فلليالي وللأيام تصريفٌ
لم يأكل اللحم إلّا وهو معلوف
يديه إلّا وفي اليمنى تطاريفٌ^(٣)
حتى يرى وهو بعد النشر ملفوفٌ
إلّا نتيجة رأسٍ فيه تخفيفٌ؟^(٤)
دون البرية والمحبوب مألوفٌ

(١) القذال : القفا .

(٢) الكشاخنة : الفسدة والفسقة والقدم الأحق الغليظ .

(٣) التطاريف : من الأطراف .

(٤) ألحى : ألام .

إلف المكارم والجدوى فتى أسد
حر إذا ذكر الأحرار مشتمل
بمثله يدفع الخطب الجليل إذا
ندب نماء كرام سادة نجب
تحصى النجوم ولا تحصى فضائله
محمد خير من ناداه ملهوف
على السّماح ببذل العرف معروف
تصرّفت بيني الدنيا تصاريف
شم الأنوف بها ليل غطاريف^(١)
ولا يحيط بها وصف وتكييف

ومن أخرى [من الهزج] :

لمن أمدح بالشعر ؟ لمن أقصد ؟ لا أدري !
إلى من إن دجا خطب ونابت نوب الدهر
فقد والشفع والوتر ومن أقسم بالفجر
تحيرت فما أدري الذي أصنع في أمري
على أني بالدهر وبالأيام ذو خبر
ولكنني للحير ة سكران بلا سكر
كأنني لست مخلوقاً لغير الجهد والضر
ومذ كنت فمدفوع إلى الفاقة والفقر
فما أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصر ؟
وفي الآفاق أقوام يميلون إلى شعري
ونبت بأن القو م لا يخلون من ذكري
فقيم الترك للسير وهل في ذاك من عذر ؟
وقد قدّمت أثقالتي وسيري غرة الشهر
فأما أكثر الحمق فقد سيرت في البحر
وباقه معي يذهب ب في البر على ظهري

(١) الندب : السريع الى الفضائل والبهاليل : جمع بهلول، وهو السيد المحب للخير وكثيره
والغطاريف : جمع غطريف وهو الفتى الجميل .

ولا أترك في مصر
فمن بعدي ليطيب
ومن يلعب في الرأس
ومن من شدة الصفع
ومن هامته أقوى
ومن يضطرب في الذقن
ومن يتنف بالدبق
ولكنني لا كنت
إذا أمراني الصفع
وهيهات ترى صفعاً
لذكر الحمق من أثر
ه في النظم وفي النثر؟^(١)
من العصر إلى العصر؟
له رأس بلا شعر؟
على الصفع من الصخر؟
بلا كيل ولا حزر؟^(٢)
سبالات بني البظر؟^(٣)
لما في من الكبير
تجشأت من الدبر^(٤)
لغيري أبداً يمرى

ومنها :

ألا يا منتهى الجود
ويا ابن السادة الغر
ويا أبهى من الشمس
لماذا أنت لا تعدي
همام طاهر الذيل
كريم الأصل والخيم
جواد غير مدفوع
ويا ذا المجد والفخر
ويا ابن الأنجم الزهر
ضياءً ومن البدر
على الأيام والدهر؟
سليل السادة الغر
رحيب الباع والصدر^(٥)
عن الإفضال والبر

(١) أطباء : دعاه .

(٢) الخزر : المقدار والمعرفة .

(٣) سبالات بني البظر : أي شعر العانة .

(٤) أمراني : يقال أمري الدّم : استخرجه وربما الصفع أمرى دمومه .

(٥) الخيم : السجايا .

وما زال إلى كلِّ
لقد عمّت أياديه
له عارفةٌ تسري^(١)
جميع البدو والحضر

ومن أخرى [من المديد] :

عجبٌ ما مثله عجبٌ
قرقرت بطنسي فواحزني
هرباً من شرّها هرباً
ذهب الناس فما أحدٌ
حزّني أنّي مذّ زمنٍ
ولكم بتنا على طربٍ
وكؤوس الصفع دائرة
وانتخبناها وهامهمُ
وكأنّ الصفع بينهمُ
والعمى منهم وإن شغلوا
سوف يدرون أيما رجلٍ
بسيوفٍ شركها أدمُ
وعجيبٌ والحسين له
أنّ شربي عنده رنقُ
وله الورْدُ المعاذ به
فعلوا بي غير ما يجبُ
ذقن من بالسّلع يختضب^(٢)
فعسى أن ينفع الهربُ
يشتهي أن تنفخ القربُ
ما لعبناه ولا لعبوا
ورؤوس القوم تستلب
ملؤها اللّذات والطّربُ
وأكفّ القوم نصطخبُ
شعلُ النيران تلتهبُ
عنه باللّذات مقتربُ
ضيّعوا مني إذا طربوا
مرهفاتٍ للعمى سببُ^(٣)
راحةً بالجود تنسكب
ولديه مربعي جذب^(٤)
والجناب الممرع الخصب

(١) العارفة : النوال والفضل .

(٢) القرقرة : أصوات الريح في البطن .

(٣) الشرك : ما ينصب من الحبال ليصطاد به .

(٤) الرنق : الكدر .

وهو الغيث المثلث إذا أعوزتنا دَرَّها السُّحبُ^(١)
 وإلى الرِّسِّيِّ ملجؤنا من صروف الدهر والهربُ
 سيدُّ شادت علاه له في العلا آباؤه النجبُ
 وله بيتٌ تمدَّ له فوق مجرى الأنجم الطنبُ^(٢)
 حسبه بالمصطفى شرفاً وعليَّ حين ينتسبُ
 رتبةً في العزِّ شامخةً قصَّرت عن نيلها الوتبُ
 ذاك فخرٌ ليس تنكره لكمُ عجمٌ ولا عرب
 ولأنتم من فضلهم جاءت الأخبار والكتب
 وإليكم كلُّ منقبةٍ في الوري تعزي وتنسبُ^(٣)
 وبكمُ في كلِّ معركةٍ تفخر الهنديةُ القُضْبُ^(٤)
 وبكمُ في كلِّ عارفةٍ ترفع الأستار والحجب
 وإذا سمر القنا اشتجرت فبكم تستكشف الكُربُ^(٥)

وقوله من قصيدة في الرِّسِّيِّ أولها [من مجزوء الرمل] :

باح وجداً بهواه حين لم يعط مناهُ
 مغرمٌ أغرى به السَّقَمُ فما يرجى شفاهُ
 كاد يخفيه نحول الـ جسم حتى لا تراهُ
 لو ضناً يخفى عن العيْنِ لأخفاه ضناهُ

ومنها :

حبَّذا الرِّسِّيُّ مولى رضى النَّاسِ ولاهُ

(١) الغيث المثلث: المطر الهاطل والدرّ: يعني به مطر السحاب.

(٢) الطنب: الحبال.

(٣) المنقبة: المأثرة.

(٤) الهندية القُضْب: السيوف القاطعة المنسوبة الى الهند.

(٥) اشتجرت: تداخلت وتشابكت في العراك.

جعل الله أعاديـه من السوء فداه
فلقد أيقن بالثـرة من حلّ ذراه
من رقى حتى تنهى في المعالي مرتقاه
فات أن يبلغ في السؤدد والمجد مداه
ملكٌ مذ كان بالسطوة ممنوعٌ حماه
بحر جودٍ ليس يُدْرَى أين منه منتهاه
لم يضع من كان إبرا هيمٌ في الناس رجاه
لا ولا يفرق من صر ف زمان إن عراه^(١)
من به استكفى أذى الأيام والدّهر كفاه
كيف لا أمدح من لم يخلُ خلقٌ من نداه

وقوله من أخرى يقول فيها [من مجزوء الرمل] :

لو برجلي ما برأسي لم أبت إلا بنجـدٍ
خفّةً ليست لغيري لا أراني الله فقدي
ومحالٌ أن يرى مثلي أو يبصرَ بعدي
رجلٌ لا يضطر الضّرطة إلا بعد جهـدٍ
فلذا الأمر تراه يأكل التمر بزبدٍ
غير أنّي قيل عني إنني مغرّ بدعدٍ
وبليلى وبسلمي ويسعدى وبهندٍ
ثم لا أملك شيئاً غير سنورٍ وخلدٍ^(٢)
وحماقاتٍ وعمرى إن لي رأساً مرندي^(٣)

(١) يفرق : يخاف ، وعراه : أصابه وحلّ به .

(٢) السنور : الهرّ ، والخلد : حيوان يشبه الجردون يعيش داخل الأرض ويتخذ له فيها طرقاتاً عدّة .

(٣) المرندي : الصلب والقوي التحمل .

أصبر الأروُس في صفح بلا حزرٍ وعدٌ

ومنها :

خلقت كفّاه من جو دٍ لراجيه ورفدٍ
موردٌ يورد راجيه إلى أعذب وردٍ
لا خلا من منّةٍ منه إلى الأحرار يسدي^(١)
فهو القائم بالحق وموفي كلّ عهدٍ

ومن أخرى [من البسيط] :

قلبي لك الخير بالأفراح معمورٌ مستبشرٌ جذلٌ بالفتح مسرورٌ
يقول فيها :

خذ في هناتك ممّا قد عرفت به ممّا به أنت معروفٌ ومشهور^(٢)

واحك العصافير صي صي صي	صصي صصي
إذا تجاوبن	في الصبح العصافير
ففيك ما شئت من حمقٍ ومن هوسٍ	قليله لكثير الحمق إكسير ^(٣)
كم رام إدراكه قومٌ فأعجزهم	وكيف يُدركُ ما فيه قناطيرُ
لا تنكرن حماقاتي لأنّ بها	لواء حمقي في الآفاق منشورُ
ولست أبغي بها خلاً ولا بدلاً	هيهات غيري بترك الحمق معذور
لا عيب فيّ سوى إنسي إذا طربوا	وقد حضرت يرى في الرأس تفجير

(١) يسري : يقدّم ويتكرّم .

(٢) الهناة : الدّهاء .

(٣) الإكسير : ما يلقي على الفضّة أو نحوه فيحوّله إلى ذهب خالص ، وذلك من خرافات أصحاب الكيمياء القديمة .

والأخدعان فما زالا يُرى بهما
 وذا الفعال مع الإعراض مطرد
 فذا وذاك وهذا ثم ذاك وذا
 أستغفر الله ممّا قلته عبثاً
 أقول للنفس لما استشعرت جزعاً
 إنّ الإمام نزاراً مدحه فثقي
 هو الذي ليس بعد الله من أحذر
 مشمّر في المعالي ذيل مجتهد

ومن أخرى [من الوافر] :

أترضى بالتخلف والتواني
 وما أنا والأحاديث اللواتي
 ألا طربت إلى النشوات نفسي
 كما طربت أباريق الندامي
 ويومك إذ تطوف به فتاة
 مهفهقة القوام إذا تثنت
 ولم أر قبلها شمساً تبدت
 لحاه الله من شيخ ضروط
 ولكن رأسه جلدٌ جليدٌ

لكثرة المزمح توريمٌ وتحمير^(١)
 صفعٌ ونقعٌ وتيسيرٌ وتعسير
 كذا الليالي لها صفوٌ وتكدير
 لغير شيءٍ وما في الصّحف مسطور
 وبات يردعها خوفٌ وتحذير
 ذخرٌ لمثلك عند الله مذخور
 سواه في الناس محمودٌ ومشكور
 وماله في سوى العلياء تسمير^(٢)

على ضرب اللّجاجة والحران؟^(٣)
 تزهّد في المثلث والمثاني؟
 وتقت إلى معتقّة الدّنان^(٤)
 إلى أصوات قهقهة القناني
 على الخدين منها وردتان
 تثنت كالقضيّب الخيزران^(٥)
 ولا قمرأ بأعلى غصن بان
 ضجيجٌ ضراطه بالنهروان
 صبورٌ عند مختلف الطعان

(١) الأخدعان : عرقان في العتق .

(٢) مشمّر : متأهب .

(٣) الحران : العناد .

(٤) تقت : اشتقت .

(٥) تثنت : تمايلت .

ولم أر قبله رأساً سواه
ولا سيماً إذا الأيدي توالَتْ
غداً وقفاً على حربِ عوان^(١)
عليه والتقت حلقِ البطان^(٢)
ومنها :

إلى من راحتها ندى وجود
كريم لا يدافع عن سماح
تناهت عنده الآمال لما
علينا بالمواهب ثرُتان^(٣)
جوادُ ماله في الجود ثان
غداً أقصى النهاية في الأمان

ومن أخرى [من مجزء الرمل]

كلُّ يومٍ أنا من إـيـري في أمرٍ عجاب
ليس يخليني من همٍّ وحزنٍ واكتئاب
لم يدع لي ذهباً إلا رماه بالذهاب
وابتدى المشؤوم أن يعـمل في امر التَّباب^(٤)
هل مجيرٌ لي منه أهلٌ ودِّي وصحابي
أو وإلا تبت والرحـمـن من لعب الكعاب
أنا مبلي من بلايا هـ بنصبٍ وعذاب
أنا لولاه لألفـي ت قليل الاضطراب
وتجزئـت بنزـر من طعام وشراب
ولما طال انتزاحي عن بلادي واغترابي^(٥)
لعنة اللـه عليه وبراعـيـث الكلاب

طلا
بال
رسم

(١) الحرب العوان : الحرب الضروس المتتابعة .

(٢) حلقِ البطان : أي بطون الأكف .

(٣) الثرة : المنعمة بالخير الكثير .

(٤) التباب : الهلاك والخسران .

(٥) الانتزاع : الابتعاد .

فَلَكُمْ أَوْقَفْنِي مَوْ قَفْ خَزِيْ وَاكَتْشَابْ
 وَلَكُمْ أَغْلَقْتُ بَاباً مِنْ هَوَاهُ دُونَ بَابِ
 رَبِّ قَدْ أَبْلَيْتَنِي مِنْهُ بِمَعْتَوْهِ مَصَابِ
 عَيْنِهِ فِي كُلِّ مَنْ دَبُّ عَلَى وَجْهِ التَّرَابِ
 ثُمَّ لَا يَرْضِيهِ مِنْهُ غَيْرُ دَبْرِ مُسْتَطَابِ

ومنها :

وبإحسان تميم عَذْتُ مِنْ عَظْمِ مَصَابِي^(١)
 بِالْأَمِيرِ السَّيِّدِ الْمَا جِدِ وَالْقَرَمِ اللَّبَابِ^(٢)
 وَالْهَمَامِ الْمَنْعَمِ الْمَفْضَلِ وَالْبَحْرِ الْعَبَابِ
 وَالَّذِي لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ جَدَاهُ وَالسَّحَابِ^(٣)
 تَشْنِي مِنْهُ إِلَى ذِي كَرَمٍ رَحْبِ الْجَنَابِ
 رَافِعِ دُونَ بَنِي الْأَمَالِ أَسْتَارِ الْحِجَابِ
 لَمْ أَزِرْهُ قَطُّ إِلَّا بِتُ مُحَمَّدٍ الْإِيَابِ
 ذَكَرَهُ أَعَذِبَ فِي الْإِنْفَسِ مِنْ ذِكْرِ الشَّبَابِ
 وَلَقَدْ رَقَّ عَنِ الْمَاءِ وَعَنْ طَبْعِ الشَّرَابِ
 أَكْثَمُ فِي الرَّأْيِ وَالْفَضْلِ وَقَسُّ فِي الْخُطَابِ^(٤)

وقوله [من الكامل] :

كُتِبَ الْحَصِيرُ إِلَى السَّرِيرِ أَنْ الْفَصِيلِ ابْنِ الْبَعِيرِ

(١) عَذْتُ : احتमित .

(٢) القرم : السيد ، واللَّباب : الخالص من كل شيء .

(٣) جداه : تفضله وكرمه .

(٤) أكثم : هو أكثم بن صيفي حكيم العرب وقس : هو قس بن ساعدة خطيبهم .

فلمثلها طرب الأمير إلى طباهجة بَقِير^(١)
فلا منعن^٢ حمارتي ستين من علف الشعير
لا هم إلا أن تطير من الهزال مع الطيور
فلا خبرتك قصتي فلقد وقعت على الخير
إن الذين تصافعوا بالقرع في زمن القشور
أسفوا علي لأنهم حضروا ولم أك في الحضور
لو كنت ثم لقليل : هل من آخذ بيد الضرير ؟
ولقد دخلت على الصديق البيت في اليوم المطير
متشمرأ متبخرأ للصفع بالدكو الكبير
فأدرت حين تبادروا دلوي فكان عمى المدير
ياللرجال تصافعوا فالصفع مفتاح السرور
لا تغفلوه فأنه يستل أحقاد الصدور
هو في المجالس كالبحور فلا تملأوا من بخور
ولأذكرن إذا ذكرت أحبتي وقت السحور
ولأحزنن لأنهم لما دنا نضج القدور
رحلوا وقد خبزوا الفطير ففاتهم أكل الفطير
لا والذي نطق النبي^٣ بفضلته يوم الغدير
ما للإمام أبي علي في البرية من نظير

وله من أخرى أولها [من المتقارب] :

سلام على الربع ربع الجدا سلام على تمره واللبا^(٤)

(١) طباهجة : اللحم المشوح ، بَقِير : مقطّع ومشقّق .

(٢) اللَّبَا : أوّل اللبن عند الولادة .

سلامٌ عليه سلامٌ امرئٍ
 سلامٌ عليه فكمٌ موقفٍ
 لعهديّ فيه شيوخٌ لنا
 إذا ما قبضت على لحيّةٍ
 وكنا من الظّرف لو أنّا
 نعيب الوفاء ولهفي على
 ولا عذر إلاّ أدير اللّطام
 وقد كنت تبت ولكنتي
 فلا تترك الصّفع جهلاً به
 ومالي أكاتمكم قصّتي
 إذا كان في الصّيف لي جنةٌ
 ولم أكسب الحمق لكنتي
 لقد فقت فيه كما الفارسيّ في الرّمي فاق جميع الوري
 كأنّ البنادق طوعٌ له
 إذا ما رمى طائراً حطّةً
 فيالك من موقفٍ مبهجٍ
 فعيد الطيور به ماتمٌ

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :
 عاذلٍ كمٌ فيه تعذليني
 لو بك ما بي من التصابي
 وكمٌ إلى كمٍ تؤنّبيني
 لكنك لاشك تعذريني

(١) معنّى : مولعٌ ومغرمٌ ومُشقى .

(٢) الفراء : يعني الفراء .

(٣) السّها : النجوم .

إنّ الذي قد أذاب جسمي
بدر تمامٍ على قضيبٍ
ما شئت من نرجسٍ جنّي
عيناه تسطو على فؤادي

بالثغر والجيد والجفونِ
ركّباً من نغمةٍ ولين
غضٍ ووردٍ وياسمين
والموت في سطوة العيون

ومنها :

فأطيب العيش كان عندي
وكنّت طبّاً به بصيراً
فكم غزالٍ أخذت قسراً
والناس يسعون نحو داري
فذا يوافي بثوب خزٍ
وذا يفديّ وذاك يهدي
وكلُّ علقٍ الى مراحي
وكان خلقي لهم رضيعاً
قد أجمع الناس أن حمقي
قد عشت دهرأ أعول عقلي
فمذ تحامقت قد كساني
ومن بلائي أبو عميرٍ
متصبّ ما ينام وقتاً
من كان ذا زوجةٍ فأنّي
عميرةٌ قد جلدت حتى

أيّام للفسق قلّدوني
وأقوّد الناس في سكون^(١)
وكم مليحٍ حوت يميني
من كلّ أرضٍ ويقصدوني
وذا يوافي بثوب توني^(٢)
وذاك يمضي وذا يجيني
أهدى من الطير للوكون^(٣)
أصفعهم ثم يصفعوني
أحسن من عفتي وديني
والناس إذ ذاك يبعدوني
حمقي وقد عالني جنوني
معرّضٌ لي إلى المنون
وليس يهدي من الرنين
لشقوتي زوجتي يميني
خشيت والله يجلدوني

(١) طبّاً : عالماً .

(٢) التوني : نوع من الحرير .

(٣) الوكون : أعشاش الطيور .

فراقبوا الله في أموري فطلقوها وزوجوني

ومن أخرى [من السريع]:

يا أهل ذا المنزل هل حيلةٌ
عقرب صدغيه فقلبي إذا
وكلّما لاحظني طرفه
يسم إنّ ناولني ثغرةً
أنجبت في الحمق وهل فاضلٌ
لو علموا مالي من لذّة
أعتبني الدهر ولولا الذي
لما رأى الآمال مصروفةً
فارقني من شرّه صاحبٌ
هناك لو تبصرني نائهاً
تطلب منّي نائلاً بعد أن
كذاك من صاحبٍ من لم يزل
أكرم من جاد فما بعدهُ
أول من يشي به خنصرٌ
مذهب الآراء محمودها
لا فرق عندي بين أقلامه
ما استلّها إلّا أدلّت له

تنجي فمن ظبيكم مُعطي
هم توقّى لدغة العقرب
لاحظني عن مقلة الربّ
عن ذي غروبٍ واضح أشنب^(١)
كناقص في الحمق لم ينجب
لم ألح في الحمق ولم أعتب^(٢)
عمّ السورى بالبذل لم يعتب
إلى السديد ابن أبي الطيب
كان لعمري شرٌ مستصحب
على بني الدهر تعلّقت بي
كنت أرى الرزق مع الكوكب
ربّ جنابٍ ممرعٍ مخصب
لطالبي جدواه من مطلب
وأصفح النفس عن المذنب
مفضّل في الشرق والمغرب
وبين فعل الصارم المقضب
من الأعادي كلّ مستصعب

(١) عن ذي غروب أشنب : يقصد الرضاب البارد .

(٢) ألحى : ألأم .

ومن أخرى [من المجثث] :

إني	ليرتاح	قلبي	إلى اصطحاب	المثاني
بحيث	تنفي	همومي	معتقات	الدنان
مع	شادنٍ	ذي	دلا	لِ مهفهفٍ
يرنو	إليّ	بطرفٍ	وناظرٍ	وسنان ^(١)
أعار	حسن	الشني	تشئي	الأغصان
إذا	تبسم	تيهاً	يفتر	عن أقحوان
لأسخطن	عذولي	فيه	بخلع	العنان
فقم	رفيقي	فاحث	كؤوسنا	غير واني ^(٢)
وهاتها	كسنا	البر	ق لا ح	من نعمان
صفراء	مما	اقتناها	كسرى	أنو شروان
صفت	ورقت	ففاتت	إدراكها	بالعيان
فليس	تدرك	بالحس	لا ولا	الأذهان
روح	من الراح	لكنها	بلا	جثمان
فالريح	للمسك	منها	واللون	للزعفران ^(٣)

يقول في مدحها :

من قال	من غير خير	بأن في	الناس	ثاني
لسؤدد	ابني	علي	قد جاء	بالبهتان ^(٤)
يداهما	بالعطايا	وبالندي	ثرتان	

(١) يرنو : ينظر ، والوسنان : الناعس .

(٢) فاحث : أسرع وعجل ، والواني : المبطل .

(٣) الزعفران : نبات له أصل كالبصل زهره أحمر إلى الصفرة .

(٤) البهتان : الزور والكذب .

ومن أخرى [من مجزوء الرومل :

ربُّ يومٍ قد قطعنا هـ حديثاً وعتاباً
وجمعنا بين خمريْن مداماً ورضاباً
وشفينا غلةَ النَّفسِ دنواً واقتراباً
وترشفت على شو ق ثناياه العذابا
وسألنا ذلك الشي ء جهازاً فأجابا

يقول في مدحها :

ورحلنا نطلب السَّيد والقرم اللباباً^(١)
فرأينا العزَّ والثر وة والبحر والعبابا
ورأينا أفضل الناس وأحلامهم خطابا
يقظاً يدرك بالفطنة ما فات وغابا
هذبته فطنة العلم فما يخشى معابا
عرف اللذة للبذل فأعطى وأثابا
وإذا ما كرم الأصل زكا الفرع وطابا

ومن أخرى يقول فيها [من مجزوء الرجز] :

كأنما عذاره سطرًا سوادٍ في يقق^(٢)
كأنما رضابه خمرٌ بمسكٍ قد فتق

ومنها :

إن نكته فاستمعنْ نصحك من خلٍّ شفق

(١) اللباب : الخالص من كل شيء .

(٢) اليقق : الشديد البياض .

كن حذراً من الغرق	كن حذراً كن حذراً
يصلح للبحر طبق	لأنه من سعة
والحسن مني مسترق	ان قلت انني حسن
لا كذباً ولا خرق ^(١)	قلنا مقالاً بيناً
خالقه كما اتفق	كل امرئ صورته
كن شمس دجن في الأفق ^(٢)	كن غصناً كن قمراً
من طينة الحسن خلق	كن يوسف الحسن الذي
زدت على كل خلق	هل أنت إلا خلق
فحقته بلا غلق ^(٣)	يا أيها العلق الذي
بوده كنت تشق	خانك في الود الذي

ومن أخرى [من المتقارب] :

على الشوق خلاً بلا مسعد	خليلي من عامر اسعدا
فلولا الوفا لهوى الخرد ^(٤)	قفا وقفةً بربوع الحمى
دموعي على الطلل الملبد	لما عجت بالركب مستنجداً
بها بعد زينب لم يعهد	معاهد لهو كأن الهوى
جميعاً بكفأ أبي أحمد	فسبحان من جعل المكرمات
فكان النهاية في السؤدد	وقال له كن كما تشتهي
ويعدى على الزمن المعتدي	وهل غيره أحد يرتجى

(١) الخرق : الجهل والطيش .

(٢) الدجن : الغيم الكثير المظلم .

(٣) العلق : المخنث ، والفقحة : فتحة المخرج .

(٤) الخرد : الناعمات من النساء .

ومن اخرى [من مجزوء الرمل] :

عدُّ عن قالٍ وقيل وصعودٍ ونزولٍ
حصحص الحق فما [ذا] شئت من قولٍ فقولي
غير أني أقبل النا س لشيءٍ مستحيل
فاسمعن مني ودعني من كثيرٍ وقليل
وصغيرٍ وكبيرٍ ودقيقٍ وجليل
قد ربحنا بالحماقا ت على اهل العقول
فرعى الله ويبقى كلُّ ذي عقلٍ قليل
ما له في الحمق والخفّة مثلي من عديل^(١)
فمتى أذكر قالوا شيخنا طبلُ الطبول
شيخنا شيخٌ ولكنّ ليس بالشيخ النبيل
طالما نادى نداما ه إلى شرب الشمول^(٢)
قائلاً بالشادن الأغيد ذي الطّرف الكحيل
أطرب الناس إذا غنّى على ثاني الثّقل
قفّ على المنزل بالنحستين فالرسم المحيل
وقفّة الواله للتس آل ما بين الطلول
أهملنّ دمّك فالرا حة في الدمع المهمول
عدُّ عما أنت فيه من محالٍ وفضول^(٣)
واصرف المدح إلى ذي السّطول والفعل الجميل^(٤)

(١) العديل : المثل .

(٢) الشمول : الراح .

(٣) عدُّ : تجاوز .

(٤) ذي الطول : ذي القوّة والبأس .

الذي ذكره في كل محل وقيل^(١)
 ذى يد بالجوذ أندى من ندى الغيث الهطول
 لم يكن قط لراجيه سوى سمح منيل
 أسمح الأمة بالما ل وبالثيل الجزيل
 وإذا ما سيل الفي بالندى غير بخيل
 لم يزل يذخر للحادث والخطب الجليل
 ناهض إذ عجز الأقوام بالعبء الثقيل
 ليس يصغي في المقالات إلى عذل العذول
 وإذا ما قال قولاً لم يكن غير فعول
 ولقد عزت به الآداب من بعد الخمول

ومن أخرى في الرثاء [من الوافر] :

لعمرك إنه رزء عظيم	وخطب أمره جلل جسيم
رزئنا من صلاة الله ترى	عليه ما دجا ليل بهيم
وما أطت إلى البيت المطايا	وما طلعت على الأرض النجوم ^(٢)
لعمرك ما المصاب به خصوص	ولكن المصاب به عموم
سقى جدثاً به حماد أضحى	من الوسمي هطال سجوم ^(٣)
ففيه المجد أمسى والمعالي	وفيه العز والفخر القديم
أبعد وفاته يدعى همام	لخطب أو يقال بقي كريم
كأننا يوم منعه إيلنا	وقد فتكت بأنفسنا الهموم ^(٤)

(١) القبيل : الجماعة .

(٢) أطت : سارت وشقت الأرض .

(٣) الجدث : القبر ، والوسمي : مطر الربيع والساجم : اللامنقطع .

(٤) منعه : من النعي ، وهو نبأ الوفاة .

ثواكل حزنهنّ على الليالي
وكان ربيعنا في كلّ محلّ
جميل الفعل محمود السجايا

ومن أخرى [من البسيط] :

هل من سبيلٍ إلى بيتي وجاريتي
أم هل سبيلٌ إلى البيت الذي سكنتُ
لا أحمد البعد عنها بعد معرفتي
أشكو إلى الله دهرًا غير مثبّر
ما زدت فيه اجتهداً في معاتبه
أقول والدهر لا يألو مراغمةً
يا واحداً ليس إلّا من يؤمّله
وامن عليّ على أني وإن نزحت
ناشدتك الله فيما أشرت به
واستعمل السخف واترك ما سواه فما
والصفع إياك منه فالعمى أبداً

ومنها :

لكن مدحت حميداً فامتدحت فتى
رأيتك فرأيت البدر في أفقٍ
والبحر معترضاً والغيث منبجساً

وإن قدم المدى حزنٌ مقيم
إذا ضنّت بوابلها الغيوم
يزين فعاله كرمٌ وخيمٌ^(١)

أنّى ؟ وكيف وما داري بدانية ؟ !
فيه التي بفراقي غير راضية
بأنّها لبعادي غير حاملة
من قبح ما لجّ فيه من معاندتي^(٢)
إلّا وزاد اجتهداً في مغايطتي
وليس يشيه شيءٌ عن مراغمتي^(٣)
ويرتجى عفوه جدّ لي بواحدة^(٤)
عنّي فما هي عن قلبي بنازحة
إلّا قبلت ولا تهمل مناشدتي
لذاذة العيش إلّا في المساخفة
بغير شكٍّ منوطٌ بالمصافعة

وقفاً على منّة تسدى وعارفة
والشمس طالعةً من كلّ شارقة
برائحٍ لمرجيّه وغادية^(٥)

(١) السجايا : الصفات ، والخيم : المآثر والمزايا الحميدة .

(٢) اتنّد : تواقف وامتنع وتمهل .

(٣) يألو : يترك ويمتنع ، ويقصّر .

(٤) جدّ : تكرّم .

(٥) انبجس الغيث : هطل ، وانبجس الماء : تفجّر .

ساس الأمور بآراءٍ مهذبةٍ
مستحسن اللفظ في القرطاس موجزه
ذو أناملٍ ما انتضت في حادثٍ قلماً
في كلِّ يومٍ له نعمى مجددةٌ
ما زال يتبع معروفاً بعارفةٍ
حتى رأيت صروف الدهر عائدةً

ومن أخرى [من الوافر] :

نشدتك أن تحول عن الوداد
ولو عاينت ما لك في ضميري
إذاً لعلمت أنك منه تُمسي
فما آلوك نصحاً في وداي
وليس سوى المودة والتصافي
ولو في ذاك حاولت ازدياداً
ولم أعهدك في طلب المعالي
ومن ألف المكارم والعطايا
ويوشك أن يجود بما حواه
ووعدك في الحياة له مرادي

ومنها :

صوادرٍ بين أفكارٍ وبادرة
موفِّقُ الرأي محمود المخاطبة
إلاَّ وفلَّ شباه كلِّ حادثة^(١)
ليست إذا طلعت عنا بأفلة
جوداً ويجهد نفساً في معاونتي
من بعد ضربتي وحربي بالمسالة

وعن حال الصلاح إلى الفساد
ولو شاهدت ما لك في فؤادي
وتصبح دون غيرك في السواد
ولا آلوك جهداً في اجتهاد^(٢)
أبا عبد الإله لك اعتقادي
إذاً ما اسطعت فيه على ازدياد
وكسب الحمد غير فتى جواد
كإلفك جاد عن غير اعتداد
وأن يهب الطريف مع التلاد^(٣)
ولست أريده يوم التناد^(٤)

فكم مننٍ قرنت بهنَّ شكرياً كشكر الروض منهل الغوادي

(١) انتضت : استلكت وحملت ، فلَّ شياه كلَّ حادثة : أي قصمها وقطعها وأعان من أصابته عليها .

(٢) آلوك : أقصر في نصحك .

(٣) الطريف والتلاد : المال المكتسب والموروث .

(٤) يوم التنادي : يوم القيامة .

وكم لك يا محمد من أيام
ومن أخرى [من البسيط] :

ليلى بتيس ليل الخائف العاني
أقول إذ لج ليلى في تطاوله
لم يكف أني في تيس مطرَح
حتى بليت بفقدان المنام فما
ما صاعد البرق من تلقاء أرضهم
ولا حننت إلى نجران من طرب
لا تكذبن فما مصر وإن بعدت
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت
أصبر إلى هنوات فيك لي سلفت
مع سادق نجب غر غطارفة
وذي دلال إذا ما شئت أنشدني
سقيته وسقاني فضل ريقته
ما زلت أجنبي بلحظي ورد وجتته
ما زال يأخذها صفراء صافية
الله يعلم ما بي من صبابته
كم بالجزيرة من يوم نعمت به
سقياً لليلتنا بالدير بين رباً

تفنى الليالي وليلى ليس بالفاني^(١)
يا ليل أنت وطول الدهر سيان
مخيم بين أشجان وأحزان
للنوم إذ بعدوا عهداً بأجفاني
إلاً تذكرت أيامي بنعمان
إلاً تكثفني شوق لنجران^(٢)
إلاً مواطن أطرابي وأشجاني
ورق الحمام على دوح وأغصان
قطعتهن وعين الدهر ترعاني^(٣)
في ذروة المجد من ذهل بن شيبان^(٤)
وإن أردت غناء منه غثاني
وجاد لي طرفه عفواً ومثاني
وأستغير على تفاح لبنان
حتى توسد يسراه وخلاني
وما علي جناه طرفه الجاني
على تصاخب نايات وعيدان
باتت تجود عليها سحب نيسان^(٥)

(١) العاني : الشاكي والقلق .

(٢) تكثفني : أحاط بي ، وشملني .

(٣) الهنوات : أوقات جمع هنو .

(٤) الغطارفة : جمع غطريف وهو الشاب الفتى الجميل .

(٥) سقياً : دعا له بالمطر والخير .

والطلُّ منحدرٌ والروضُ مبتسمٌ
والنرجسُ الغضُّ منهلٌ مدامعه
ومنها :

أستغفر الله من عقلٍ نطقْتُ بهِ
لا والذي دون هذا الخلقِ صيرني
ما للشذائيٍّ من مثلٍ يقاس بهِ
مهذبُ الرأي محمودٌ خلائقه
من كان في الجود والإفضال لذته
وجملة الأمر فيه أنه رجلٌ
إن كنت قلت سوى ما فيه أعرفهُ
إذا جرت يده في الطرسِ كاتبةٌ
وإن تكلم جاءت به براءته

مالي وللعقل ليس العقل من شاني؟!
أحدوثه وبحبِّ الحمق أغراني
ولا له في اصطناع العرف من ثانٍ
رحبُ المكارم سمحٌ غير مثانٍ
لم يخله الجود من فضلٍ وإحسانٍ
يراقب الله في سرٍّ وإعلانٍ
إذا كفرت بمعبودي وديّاني
تبليج الطرس عن درٍّ وعقيانٍ^(١)
بكلِّ ما شاء من فهمٍ وتبيانٍ

٢٦ - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانة بن محمد

المعروف بالواساني

أعجوبة الزمان ونادرته ، وفريد عصره وباقعته^(١) ، وهو أحد الفضلاء
المجيدين في الهجاء ، وكان في زمانه ، كابن الرومي في أوانه : فمن شعره قوله
يهجو ابن أبي أسامة [من الكامل] :

يا ساكني حلب العوا صم جادها صوب الغمامة
أنا في مدينتكم غريبٌ لست من أهل الإقامة

(١) الباقع : الخالص الصافي من الألوان .

(٢) الطرس : الصحيفة ، تبليج : أشرق

والخان يحدث للغريب إذا أبى به سامة^(١)
فقرضت من طول المقام بها وأعوزت المدامه
وخرجت في بعض الليالي قاصداً باب السلامه
وشربت من بشر بها من ياتها ينقع أوامه^(٢)
ورفعت في فلواته وعلوت مرتقياً أكامه^(٣)
فلمحت في بعض الوها د وقد قعدت سواد هامه^(٤)
فسعيت أحسبها غرا باً أو حداة أو حمامه^(٥)
وإذا بأسود كالفنيق يقل إيراً كالذعامه^(٦)
وإذا بشيخ تحته حسن الوسامة والقسامه
والشيخ يعصر تحته قد بل من عرق حزامه
فرجرت نايكه فقا ل له ألت ترى مقامه
انهض فديتك علنا نقضي بنهضتنا ذمامه
ونعود بعد عزوبه عنا وتربحنا خصامه
فسطا عليه وقال نك لا كان ذاك ولا كرامه
هذا الرقيق بعينه لي في رقاعته علامه
لولا فضول فيه لم يصرف إلى دبري اهتمامه
وبكى وقال لي امض ويحك واسأل الله السلامه

(١) الباقعة : الرجل الذكي الداهية .

(٢) أبى : أقام بالمكان .

(٣) الأوام : العطس .

(٤) الأكام : القمة والمرتفع .

(٥) الهامه : طائر كان العرب يعتقدون أنه يخرج من رأس القتل ويطلب الثار .

(٦) الحدأة : طائر كبير من الجوارح يصطاد الجرذان والحيوانات الداجنة .

(٧) الفنيق : الفحل من الإبل .

واشكره لما صار سر	مك لا يريد له صمامه ^(١)
واعلم بأنني كنت من	أهل الرئاسة والزعامه
يومي إلي إذا عبر	ت يقال ذا ابن أبي أسامه
حتى ابتليت بمبعري	فحصلت بين الناس شامه
فعجبت من تلك الفصا	حه وهو يعفج والعرامه ^(٢)
شيخ له سمه تخا	طبني بالفاظ مقامه
والأير يغرق في استه	قد غاب في مفساه قامه
فتضحك الحبشي منه	وقال لا تسمع كلامه
هذا وعيشك دأبه	من قبل مبلغه احتلامه
أبدا يباري باسته	بين الوري صوب الغمامه
واستله من دبره	وكأنه عنق النعامه

وقال يهجو منشأ بن إبراهيم القزاز [من المنسرح] :

قال منشأ يوماً لسعدانه	وهي سحور العينين فتأنه
من بعد أن غلّف العوارض بال	طيب وغلا بالمسك أسنانه ^(٣)
وامتص من خمرة معتقة	تحول بين الدنان في الحانه
وكان خشف قد باسها بفم	وهي من البوس بعد شبعانه
هل لك في قبله وهاك خذي	خمسین حمراً وحل هميانه ^(٤)
قالت له هاتها ودونك فاس	طعني بجعص وعجل الآنه
فباسها ثم قال قد بقيت	أخرى فقالت وعظمت شأنه

(١) الصمامة : السدة .

(٢) يعفج : يلاط ، والعرامة : الشدة والقوة .

(٣) العوارض : الأسنان .

(٤) الهميان : حزام من الجلد توضع فيه الدراهم .

ما هي قل لي ألم أبس شرجاً
 ألم أقدم فما أضنّ به
 فقال أن تدخلني لسانك في
 يا ألف كشخان وابن زانية
 لم ترض أنني قبلت مقعدةً
 حتى تناهيت في الهوان فشبه
 جمشت أعفاجه ومصرانه^(١)
 إلى كنيف أطرت ذبانه ؟
 في فردت مردّ حردانه
 نعم ويا زوج ألف كشخانه^(٢)
 تحت سبال كأنها عانه
 ت لسانني بينت وردانه^(٣)

وقوله فيه [من المنسرح] :

إن منشأ قد زاد في التيه
 فلا ابن هندي ولا ابن ذي يزن
 وهو مغيطٌ عليّ الوصي ومن
 يذكر أيام خير بهم
 وقد حكى أن فاه أطيب من
 ومن يقول القبيح فيه ومن
 فسوكوه بكل طيبة الر
 ومضمضوه بالخل واجتهدوا
 وأطعموه من الجوارش ما
 واسقوه من خمر معتقة
 واستفحقوني واستنكهوه فإن
 وزاد في شامنا تعدي
 ولا ابن ماء السما يدانيه
 يعزى إليه من يواليه
 وهم قذئ جال في أماقيه
 سرمي وأني ممن يعاديه
 أصبح بالمعضلات يرميه
 يح تعفي على مساويه^(٤)
 معاً بكل اجتهدكم فيه
 يعمل بالمسك والأفاويه^(٥)
 قد صانها القس في خوابيه
 كان لسرمي فضل على فيه

(١) الشرح : المخرج ، وجمش : داعب وقبل .

(٢) الكشخان : الفاسد والفاسق .

(٣) بنت وردان : بنت آوى .

(٤) سوكوه : من السواك ، وهو عود تخلل به الأسنان من بقايا الأطعمة .

(٥) الجوارش : نوع من الحلوات .

فحملوا الكلب والحمار على عياله واصفحوا محبيه

وقوله فيه [من السريع] :

يا راكباً يقطع عرض الفلا
أبلغ أبا سهل إذا جثته
وقل له عرنين ذاك الفتى
قد ذاب مذ ليلة سارته
يبكي فما ترقا له عبرة
حزناً على أرنبه غودرت
فهو بسم الكلب يا سيدي
من عاذري من رجل زرت
فقال عندي لك أحدىة
فادن لي تسمعها واحتفظ
فقلت للغفلة مستعجلاً
فناه عن أتن من جعسه
وشارب فيه دم فارث
تحوم ذبان الخلا حوله
كشعر زق الدبس أو شعرة الـ
وشك خيشومي بنشابة

على أمون جسر حرف^(١)
رسالة عن عبده المنفي
في حالة جلت عن الوصف^(٢)
وصار للسقم على النصف
ويسهر الليل فما يغفي
تقطر قطراً من دم صرف
من داء أنفاسك يستشفي
للحين والإدبار والحرف
مليحة تكتب في الصحف
بالسر في مكنون ما تخفي
أمشي برجلي إلى حنفي
يعد بين البحر بالألف^(٣)
ولث تشخب كالحلف^(٤)
مثل حمام طار من كف
حائض أو مكنسة الكنف^(٥)
من يد حر طامش وجف^(٦)

(١) أمون : الناقة ، الحرف : الناقة القوية .

(٢) العرنين : الأنف .

(٣) الجعس : الرجيع مؤنث ، أو اسم الموضع الذي يقع فيه الجمعوس .

(٤) الفارث : من الفرث وهو بقايا الطعام في الكرش ، والدم الفارث : المتجمد .

(٥) الكنف : المرحاض .

(٦) الوجف : المضطرب .

تصمى العرانيين ولو أنها في الدلص الموضونة الزغف^(١)
وتدرك الهارب منها ولا ينجو ولو كان على طرف^(٢)
فانغمرت روعي وناديته يا أيها الثعبان بالكهف
بحق من كلم موسى على الطور فذكّ الطور بالرجف
هب لي ما أبقيت منّي فقد أشفى على مثل شفا الجرف^(٣)
ولم أزل أدفعه جاهداً وقد تقاعست إلى خلف
فانقدّ بعض الثوب في كفّه وقال أفلتّ فياهفي
وكان للحين على موضع مستشرف مرتفع السقف
فانكسرت ساقى وهيضت يدي واندقّ صدري ووهى كفي^(٤)
وقمت أجري بعدها هارباً أسعى على رجلي كالحشف^(٥)
يا معشر الناس اسمعوا ما أنا قائله واسمعوا وصفي
إذا أردتم سرم أستاذنا فلتكن الأناف في غلف^(٦)
ثم اغسلوا شعر اللحي بعدها غسل الدرايبك أو القطف
وبخروها بعد تطيبها بكلّ شيء طيب العرف
وما أرى سائر ما قلته يغني ولا أحسبه يكفي
أو فانتفوها واستريحوا فما ينجيكم شيء سوى التنف
وسوكوه بخروا أمه في رأس كرناف من الرّعف^(٧)

(١) تصمى : تقتل ، والدلص : الدروع ، والموضونة : المنسوجة ، والزغف : الدرع الفضفاضة الطويلة .

(٢) الطرف : الجواد السريع .

(٣) شفا الجرف : شفير الهاوية .

(٤) هيضت يدي : ضعفت ورضضت ، ووهى : ضعف .

(٥) الحشف : صغير الغزال ، غلف : أي في غلاف .

(٦) الكرناف : أصول قضبان النخل التي تبقى في الجذع بعد قطع القضبان .

فإن جالينوس ما عالج الـ بخرة إلا بخرا القلف^(١)
وقال في الغزل ، ويعرض بابن بسطام في الهجاء ، ويذكر أنها لميسر [من الكامل]:

ومهفهف يزهو عليّ بجيده	وبخصره ويردفه وبساقه
وافي إليّ وقلبه متخوف	كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مدّته وحللت عن	كفل مباح الحلّ بعد وثاقه
وافت إليّ أصنّة من دبره	بخلاف ما قد فاح من أطواقه ^(٢)
فأجبتّه ماذا فقال بحرقه	ودموعه تنهلّ من آماقه
هذا ابن بسطام أتاني طارقاً	بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على كفلي وبلغم مثقي	برياله المنهلّ من أشداقه ^(٣)
فبقى صنان رضابه في مثقي	زماً لحاه الله بعد فراقه
فالله يحرمه معيشته كما	قد سدّ مكسب مثقي ببصاقه

وقال يصف ما جرى عليه في الدعوة التي عملها في قرية حرايا من أعمال دمشق [من الخفيف] :

من لعين تجود بالهملان	ولقلب مدلّو حيران؟ ^(٤)
يا خليلي أقصرا عن ملامي	وارثيا لي من نكبتني وارحماني
ومتى ما ذكرت دعوة أولاً	د البغايا والعاهرات الزواني
فانتفأ لحيتي وجزأ سبالي	وبنعل الكنيف فاستقبلاني ^(٥)
ما الذي ساقني لحيني إلى حد	نفي ؟ وما غالني ؟ وماذا دهاني ؟

(١) القلف : الذي لم يختن .

(٢) الأصنّة : الرائحة الكريهة من البول .

(٣) الكفل : المؤخرة .

(٤) المدلّ : المعلّّب من العشق .

(٥) السبّال : الشارب .

من عذيري من دعوة أوهنت عظ
كنت في منظرٍ ومستمتعٍ عند
فنزت بطنتي وهاجت على نفد
كان عيشي صافٍ فكدره أهـ
فارثوا لي يا معاشر الناس من ضد
ضرب البوق في دمشق ونادوا
النفيرَ النفيرَ بالخيـل والرجـ
جمعوا لي الجموع من خيل جيلا
ومن الرّوم والصقالب والتّر
ومن الهند والطماطم والبر
لم يبقوا ممن عدت من الآ
والبوادي من الحجاز إلى نجـ
كلّ ضربٍ فمن طوالٍ ومن حُد
وشيوخٍ مثل الفراخ وشبّا
مِعْدُ جَوْعَتُ ثلاثين يوماً
من مرندٍ ومن تكيـنٍ وطرخا
وخمارٍ وزيركٍ وعجيبٍ
وجريحٍ ونار قسطا ويونا
وطرادٍ وجَهْلٍ وزيادٍ
قَمْسٌ جَمَعُوا بغير عقولٍ

مي وهدت بهولها أركانـي ؟
ها ومن ذا يغتـرُ بالحدثان^(١)
سي بلاءٌ ما كان في حسابـي^(٢)
ل صفائي بنو أبي صفوانٍ
رّي ومن طول عطلتي وامتحاني
لشقاـي في سائر البلدانِ
ل إلى فقر ذا الفتى الواساني
ن وفرغانةٍ إلى ديلمانِ
ك وخلقاٌ من بلغـرٍ واللّانِ
بر والكيلجوح والبيلقانِ
فاق من مسلمٍ ولا نصراني
لـ معديها مع القحطاني
ب قصارٍ والحول والعورانِ
ن رحاب الأشداق والمصرانِ
بـسلاحٍ شالئٍ من الأسنانِ
ن وكسرى وخرّـي وطعانِ
وبديعٍ وفارسٍ وجوانِ
ن وبرحفثيا ويوحنانِ
وشهابٍ وعامرٍ وسانِ
ردعتهم عني ولا أديان^(٣)

(١) الحدثان : الليل والنهار .

(٢) فزت : وثبت ، والبطنة : كثرة الأكل .

(٣) القمس : رتبة كنهوتية عند الأقباط

هل سمعتم بمعشر جمعوا الخيد
 رحلوا من بيوتهم ليلة المر
 يركضون البريد تسعة أميا
 شره بارد وحرص على الأك
 ما شعرنا ونحن من آمن العا
 أدركوني فهذه غرر الخيد
 لست أنسى مصيبتى ويوم جاءو
 وردوا ليلة الخميس علينا
 متلثب كالسيل لا يلتقي من
 شزروني بأعين تقدح الد
 أشرفوا لي على زروع وأحطا
 لبن قارس وخبز كثير
 وشواء من الجداء ومعلو
 وشراب ألد من زورة المد
 ينجل الورد في الروائح والطع
 أذكرتني جيوشهم يوم جاءو
 بقدوم القوم هاشمي هريت الشـدق رحب المعى طويل اللسان^(٨)

(١) الوجيف : الاضطراب والخفقان ، والذملان : الإسراع .

(٢) الديدبان : الحارس والرقيب .

(٣) الأشطان : الحبال .

(٤) الخميس : الجيش ، والمحاني : الأرض المنحنية كالأودية .

(٥) متلثب : مندفع .

(٦) الشزور : النظر بغضب ، والخص : الضيقة .

(٧) الدادكان : المواعد .

(٨) الهرت : الواسع .

هو نمسُ الدَجَاج والبَطِّ والأو
والشريفان أشرفا في خلال الـ
وسوادٍ من عظمه طَبَّق الأرض
وأبو القاسم الكبير على طير
وأخوه الصغير يعترض الخيـ
وهما يهويان بالسوط والرجـ
أيُّ قلبٍ يطيق شتم بني خيـ
غير أنِّي يوم القيامة أشكو
وأنادي يا بنت خير النبيـ
أيُّ شيءٍ صنعت بابنيك حتَّى
والسرِّيُّ الذي سرى في جيوشـ
بفمٍ أشوهِ وشدقٍ رحيبـ
وأخوه الفضل الذي بان للعا
والشموليُّ خلقه خلق تراء
لست أنساه جاثياً جاحظ العيـ
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحـ
والأديب الذي به كنت أعتـ

زَ وذئب النعاج والخرفان ^(١)
خيل في موكبٍ من الحبشان
وخيل تهوين كالظلمان ^(٢)
في كميته أقبُ كالسرحان ^(٣)
ل على قارجٍ عريض اللبان ^(٤)
ل إلى ما يسوءني مسرعان
ر البرايا وأكرم النسوان ؟
هم إلى الحرَّة الحصان الرزان ^(٥)
ن ويا أمَّ أكرم الفتيان
غزواني في الزنج والسودان ؟
أضعفتني وقصرت من عناني
وبكفٍ يحول كالصولجان
لم من فضل أكله نقصاني
س عريض الأكتاف عبل الحران ^(٦)
من عبوساً في صورة الغضبان
م ويهوي إلى طيور الخوان
مدُّ غزاني للحين فيمن غزاني

(١) النمس : حيوان قصير اليدين والرجلين .

(٢) الظلمان : ذكور النعام .

(٣) الطرف : الجواد ، والكميت : الذي لونه أحمر مائل إلى السواد ، والأقب : الضامر الخصر
والسرحان : الذئب .

(٤) القارج : القوي من الخيل ، واللبان : الصدر .

(٥) الحصان الرزان : العفيفة الراجعة العقل .

(٦) ترأس : صانع التروس ، عبل الحران : ضخم .

وكذا الكاتب الذي كان جاري
غيرته الأيام حتى أتاني
وصديق الأشراف أخنى على خد
كلما شقق الفراريج شققاً
وهو في أمره مجدٌ رخيُّ الـ
مجهدٌ كالسوس في الصوف في الصيف بقلبٍ خالٍ من الإيمان^(١)
قلت قل لي يا ابن البشر ما شأ
ليس هذا من شهوة الأكل هذا
قلت للفيلسوف لما غدا في الـ
واستحث الكؤوس صرفاً بلا مز
ليت شعري أمن رسائل بقرا
أنت تزدد يا خليلي بهذا الـ
ثم لا تنس ما لقيت وما مرَّ
أعجمي اللسان أفصح من قد
قال قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ
وغلامٍ مقينٍ حسن الوجه
لم توكل فرغان إلا بتفريد
إن من أعظم المصائب يا قو
رجلٌ كالفنيق قدمٌ بلا لـ

وصديقي ومُشتكى أحزاني
جائعاً للشقاء مذ سستان
ري وأفنى بالكرع ما في دناني^(٢)
ت لغيظي من فعله قمصاني
بال لم يعنه الذي قد عناني
بجره بقلبٍ خالٍ من الإيمان^(٣)
نك من بين من غزاني وشاني
من طريق البغضاء والشنآن
أكل أعني فتى أبي عدنان
ج مكباً كالهائم العطشان^(٤)
ط تعلّمت ذا وسمع الكيان
فعل علماً بالعالم الروحاني
لشؤمي من عسكر الفرغاني
س إذا ما نشأ ومن سحبان
ونبيذ في حمرة الأرجوان
ه يحاكي بقده غصن بان^(٥)
غ دناني وصبها في الجفان
م بلائي بذلك الطرمذان^(٦)
ب طويل في صورة الشيطان^(٧)

(١) أخنى : جثم وأفحش في الشراب .

(٢) المجهد : المشتغل والعابث .

(٣) استحث الكؤوس : أكثر منها .

(٤) المقين : المؤدب من القيان .

(٥) الطرمذان : الأبله .

(٦) الفنيق : الفحل من الإبل ، والقدم : الأحمق .

يقف كالعمود يستغذب الصف
 زائد الخلق ناقص العقل والديب
 يلع الطيبات بلعاً بلا مض
 لا تمتني حتى أراه وقد قص
 وأتوني بزامرٍ زمرة يح
 ومغنٍ غناؤه يطلق البط
 قصدت هذه الطوائف حمرا
 قلت ما شأنكم قالوا أغثنا
 وأناخوا بنا فيا لك من يو
 نزلوا حجرتي وأطلقت الأفرا
 لم يكن مربعاً سوى ساعة ح
 أفقروني وغادروني بلا دا
 حيروني ودھوني فقد صر
 أسمع اللفظ كالطينين لسهوي
 تركوني يا قوم أفقر من فر
 أكلوا لي من الجرداق ألفي
 أكلوا لي أضعافها غير مسطو
 أكلوا لي من الجداء ثلاثين

ع ورأسٌ أصمٌ كالسندان^(١)
 ن غليظ القذال كالقلتان^(٢)
 غر ويحسو النيذ كالثعبان
 ر من فضل طوله شبران
 كي ضراط العبيد والرعيان
 ن ويأتي بالقيء والغثيان
 يا لهتكى وذلتى وامتحاني
 ما طعمنا الطعام منذ ثمان
 م عبوسٍ عصبصٍ أرونان^(٣)
 س بين الرطبان والقصلان^(٤)
 تى رأيت الزروع كالفلحان
 ر ولا ضيعة ولا بستان
 ت بليداً كالذاهل السكران
 وهو لفظٌ يجري لغير معاني
 خ وأعرى ظهراً من الأفعوان
 ن بين تشاقه العارضان^(٥)
 ر ومالوا إلى سميد الفران
 قريصاً بالخل والزعفران^(٦)

(١) اليق : الشديد البياض .

(٢) القذال : القفا حيث يكون الصفع .

(٣) عصبص : أي عصب شديد ، والأرونان : الصعب من الأيام .

(٤) الرطبان والقصلان : العلف الطري والناضج .

(٥) الجرداق : الأرغفة .

(٦) الجداء : جمع جدي ، وهو الحمل الصغير ، والقريص : ضرب من الأدم .

أكلوا ضعفها شواءً وضعفياً
أكلوا لي تبالةً تبَلَّتْ عقد
أكلوا لي مضيقاً ضاعفت ضرّاً
أكلوا لي كشكيةً قرّحت قلـد
أكلوا لي سبعين حوتاً من النهـد
أكلوا لي عدلاً من المالح المشـد
أكلوا لي من القريشاء والبر
ألف عدلٍ سوى المصقر والبر
أكلوا لي من الكوامخ والجو
ومن البيض والمخلل ما تعد
فتّوا لي من السفرجل والتـد
والرياحين ما رهنـت عليه
درسوا لي من البنفسج والنـر
ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا
ما كفاهم ما مرّ من غنـم القر
ذبحوها والدمع يجري على خـد
أكلوا كل ما حوته يميني
ثم قالوا هلمّ شيئاً فنـادى
لم تدع لي بطونكم يا بني البظـد
فقالوا عليّ شتاً ولعنأ
من له قدرة على الشعر يهجو

ها طيخاً من سائر الألوان
لي بعشر من الدجاج السـمان
ي بروس الجداء والعصـبان
سبي وهاجت لفقدها أشجـاني
ر طرياً من أعظم الحيتـان
ويّ ملقى في الخلّ والأنجـدان
ني والمعقلي والصرفـان
دي واللؤلؤي والصيحـاني
ز معاً والخلاط والأجـبان
جز عن جمعه قرى حورـان
فاح والرازقيّ والرّمـان
جبّتي عند أحمد الفاكهـاني
جس ما ليس مثله في الجنـان
س ثمانين من معينٍ وضـان
ية حتى أحنوا على الثيران^(١)
ي انسياباً مثل انسياب الجـمان
وشالي وما حوى جيرانـي
ت غلامي قم ويك فاخبأ حصـاني
ر سواه وذا شطوبُ يمانـي^(٢)
واستباحوا عرضي بكلّ لسان
ني ومن كان مفحماً يلحاني^(٣)

(١) أحنوا : أفحشوا بقتلها وذبحها .

(٢) شطوب يمانـي : سيف يمانـي .

(٣) مفحماً : عاجزاً .

وكأنّي أنا الذي عثت في الخيد
ثم جاء المعقبون من السّا
فرايت النخاع واللطم والددف
وتفانوا صفعاً وفاح من القو
ثم لما أتوا على كلّ شيء
ثم قاموا إلى الجلاّهق والبا
فرايت الحمام بعضاً على بعد
ورأيت الدّجاج في وسط القر
أكلوا ما ذكرت واستعملوا لي
ومن المحلب المطيب بالبا
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا
فأقاموا سواسهم والمكارب
ينقلون الأحطاب من حيث وافو
جوزةً كان حملها أحسن الحم
كان لي في فنائها منزلٌ رح
ورياضٌ مثل البرود علاها ال
وطيورٌ ما بينها تتغنّى
هي كهفي ومستظليّ من الح
أحرقوها يا قوم في ساعة القف
كسروا السّكر فاختلطت فقالوا
قطعوا اللوز والسفرجل أحطاً

ر وغيرت صورة الحيوان
سة والشاكريّ والعبدان
ع وكدم الأنوف والأذان
م غباراً من الفسا والصّنان
ختموا محتني بكسر الأواني
شق والمحدقات والزربطان^(١)
ضرٍ وبعضاً ملقى على الأغصان
ية ملقى مكسراً السيّقان
يا ثقتاني كراً من الأشنان^(٢)
ن وماء الكافور سبع يراني
ح لذيد المذاق أحمر قان
ن إلى أن سمعت صوت الأذان
ها فبالطير مرّ لي غيضان
ل وكانت ظليلة الأفنان
باً أنيقٌ يحفه نهران
طلٌ بين البهار والأقحوان
بجميع اللّغات والألحان
ر وذخري لنائبات الزّمان
ز وضرب الأحطاب بالنيران
كيف تبقى بغير شاذروان^(٣)
باً ومالوا بها على غلمانني

(١) الجلاّهق : القوس التي يرمى بها البندق .

(٢) الأشنان : حمض تغسل به الأيدي والثياب .

(٣) الشاذوران : نوع من الحلوى .

والنواطير مددوا وعلوهم طالبوني بالنيك في آخر الليد
 قم فأسرع فبعضنا يطلب المر فتوهمته مزاحاً فجدوا
 ليس يبقي على أرامل حمرا لو سمعتم يا قوم في غسق الليد
 يتنادون بالعويل والويد ويقولون ويلنا من أبي القا
 قصدته الأعداء فاستملكونا أوجروني النبيذ بالرطل حتى
 فجعوني لما سكرت بهميا كان في أول النهار على رأ
 ثم راحوا بعد الهدوء إلى دا كان لي مفرش وكل ملوح
 وبساط من أحسن البسط مذخور لعرس اودعوة أوختان^(١)
 غرقوه بالزيت والبول والق أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كيد
 خلعت داراي يا إخوتي المسجد الجا مع ليلاً للنصف من رمضان
 سرقوا جبتي وسيفي وسكيني وخفي وجوربي وراني

(١) المطرمذ : الأبله . والمخرقان : الكاذب المختلق .

(٢) الفرزان : من حجارة الشطرنج .

(٣) الختان : طهور الطفل الذكر .

ثم لما انتهت بهم شدة الكظّة خرّوا صرعى على الأذقان^(١)
هوّموا ساعة كتهويمة الخا ثف في غير ارضه الفزعان
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النسر ومال السّمّاك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البيت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من جوف بيتي على وجهي كأني أدعى إلى السلطان
بقلوب أشدّ حرّاً من الجمر وأقسى من الصفا الصوان
قلت رَقُوا لذلك الطفل ميمو نْ ولا تؤتموه يا إخواني^(٢)
ما تفي أكلةً بقتل غريبٍ ذي عيالٍ ناءٍ عن الأوطان
علّقوني بفرد رجلٍ إلى السّقد ف وعذبت ليلتي بالدخان
لو رأي أبي وأمي على رأسي ورجلاي بالعصا تنقران
بكيا لي من ذاك واشترياني من يديهم بكلّ ما يملكان
وقع الضرب يا خليلي على جسم من السّوط والعصا قرحان^(٣)
قلت للفضل والسري غثاني ومماتي قد حلّ بي خلصاني
واذكرا عشتري وودّي وإخلا صي وحنّا عليّ واستبقاني
أنتما إن قتلتماني وحقّ الد ه من أجل أكلةٍ تندمان
أيّ شيء تركتماه لضعفي قد مضى لي بالأمس ما قد كفاني
أحلفاني أن ليس عندي مشرو بٌ ولا في خزانتي لقمتان
فاستشاطا عليّ غيظاً وقال ال فضل قلّ لي بأيّ عينٍ تراني
نحن من أجهل البرية طراً إن حصلنا منكم على الأيمان
قطعوا الجبل فانقلب على رأ سي وظهري فاندقّ لي ضلعان

(١) الكظّة : التخمّة .

(٢) تؤتموه : أي تجعلوه يتيماً .

(٣) قرحان : سريض .

ثم لما تمكّن اليأس خلّو ني ومالوا حشواً على الأتبان^(١)
وأجيري مسخّر ينقل الأتبان بالذل عارياً والهوان
وهو يبكي فقلت ويحك ما تصد نع بالتبن بعد موتة الفدان
سرقوا السرج والفساديل والزبد ت وأقداحنا وكلّ القناني
والنبذ استقوه واغتتموه آخر الليل كاستقاء السواني^(٢)
زوّدوه سواسهم والمكاريب ن معاً بالجرار والكيزان
لو ترى الفضل وهو يحمل في السر ج قميصاً مخيطة الأردان
قد حشاه لحماً وطيراً وسبعي ن رغيماً من أعظم الرغفان
سرقوا الراح في الزقاق وراحوا بطعام منضد في الصواني
ميزوا خيلهم بكلّ كسير وعقير مدبر جربان
خلفوه يرعى بقية زرعى رعى لا خائف ولا متوان
مارثى لي سوى المبارك من ضرى وذاك القصير الدحدحاني
رفهاني وخفقا الثقل عني فهما من ملامتي سالماني
والسري السرى حقاً كما س مى أيضاً من بطنه أعفاني
هل سمعتم فيما سمعتم بأنسا ن عراه في دعوة ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي بدموع تجري من الأجفان
إخوتي من لواقف الدمع محزو ن كتيب مدله حيران
هائم الفكر ساهر الليل باكي ال عين واهي القوى ضعيف الجنان
لم يكن ذا القران إلا على شؤ مي فويلي من نحس ذاك القران

قد أحسن في هذه القصيدة غاية الإحسان ، وأبان فيها عن مغزاه أحسن بيان . وتصرف فيها وأطال ، وأمكنه القول فقال . وإذا تخلص الشاعر عند الإطالة

(١) الأتبان : قصب القمح والشعير وغيره اليابس ، يطحن ويستعمل علفاً للحيوانات .

(٢) السواني : البهم .

والوصف هذا التخلص ، وسلم مما يؤديه الى التكلف والتلصص . فهو الذي لا يدرك غوره ، ولا يخاض بحره .

وقال أيضاً يهجو أبا الفضل يوسف بن علي ، ويعرض فيها بمنشأ بن إبراهيم ابن القزاز ، ويقال : إن هذه القصيدة كانت سبب عزله من عمله ، وقد تصرف فيها كل التصرف ، وهي سالمة عن التكلف ، ولم يقل في معناها مثلها ، وهي [من المنسرح] :

يا أهل جيرون هل لسامركم	إذا استقلت كواكب الحمل
في ملح كالرياض باكرها	نوء الثريا بعارض هطل
أو مثل نظم العقود بالشذر والـ	درّ ووشي البرود والكلل ^(١)
يلذ للسامع الغناء بها	على خفيف الثقل والرمل
كنت على باب منزلي سحراً	أنتظر الشاكري يسرج لي
وطال ليلي لحاجة عرضت	باكرتها والنجوم لم تمل
فمرّ بي في الظلام أسود كالـ	فيل عريض الأكتاف ذو عضل
أشغى له منخر ككوة تد	ور عين سجاء كالشعل ^(٢)
ومشفر مسبل كخب رحي	على نيوب مثل المدى عضل ^(٣)
مشقق الكعب أفدع اليد والر	جل طويل الساقين في سمل ^(٤)
فأهدت الريح منه لي أرجاً	مثل جني الروض في الندى الخضل
مسكاً وقفصية معتقة	شيبا بيان وعنبر شمل ^(٥)
فقلت ما هكذا يكون إذا	راح الندامى روائح السفلى

(١) الشذر : العقد ، والكلل : جمع إكليل .

(٢) الأشغى : الطويل المنقر المعقوف ، والمسجور : المحمى والمستعر .

(٣) العصل : المعقوفة .

(٤) أفدع : أعوج ، والسمل : البالي الرث من الثياب .

(٥) شيبا : مزجا .

أسود غادر من الأتون له
هذا وربّ السّماء أعجب من
أرددهُ يانصر كي أسائله
فقال يخشى فوات حاجتنا
فقلت ترك الفضول يا ناقص الـ
بادره من قبل ان يفوتك في
فصدّ عني تغافلاً ومضى
وصاح من خلفه رويدك يا
ارجع إلي ذلك الرّقيع وإن
أجب إذا ما سئلت مقتصداً
وهو بترك الفضول أجدر لو
فكرّ نحوي عجلان يعثر في
وقد مذى والمذى يقطر من
وظنّ أنّي صيدٌ فأبرز لي
سوداء قد طوّقت بطوق خرا
وقال ليحّ داركم لأولجها
فطالما أسهلت طبيعة من
هذا على أنّها مؤدّبة
وطال والله ما خدمت بها الـ
وكنّت أغشاهم على فرش الـ

عرف أمير نشوان في فضل
حمار وحشٍ في البرّ متعل
فشأنه عضلةٌ من العضل
وليس هذا من أكبر الشغل
همّة عين الإديبار والكسل
سلوكه بين هذه السُّبل
يعجب من عقله ومن خللي
أسود مالي بالعدوّ من قيل
أطال في خطبه فلا تطل
في اللفظ واسكت إن أنت لم تسل
يسلم من خفةٍ ومن خطل^(١)
مرطٍ كسائٍ مبرغثٍ قمل^(٢)
غرموله في الذبول كالوشل^(٣)
فيشلةٌ مثل ركبة الجمل^(٤)
أصفر تزهى به على الحجل
فيك وإن كنت لم تبّل فبل
ليس لأمثالها بمحتمل
من الفياشي المروضة الذلل
ملوك خلف السّتور والكلل
خزّ بلا سقطةٍ ولا زلل

(١) الخطل : فساد الرأي .

(٢) المرط : الثوب الطويل المذيل .

(٣) المذى : ما يخرج من القضيب عند تهيجه ، والوشل : الماء القليل .

(٤) الفيشلة : عتق القضيب الضخم .

لأنها صنعتي وصنعة آ
وزاد في دولة اليهود بها
حتى لقد فتقت فروشهم
فانظر إليها فإن رأيت لها
وخذ عموداً أغلافه شرج
قلت له لا عدمت برك قد
وجدت عفواً من غير مسألة
لكنني والذي يمدُّ لك الـ
ما شقّ دبري مذ قطّ فيشلة
ولا لهذا دعيت فاطلب لمـ
وهاتِ قل لي بالله من أين أقد
فقال لي بتٌ عند عاملكم
فصاك بي طيبه وصاك به
تركته بالنهار اخفش لا
قلت تزيّدت وادّعت على
أبوه سمحٌ وجدّه ملكٌ
لعلّ ذا غيره فصفه فما
فإن تكن صادقاً نجوت وأنـحيت عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالنـعمل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمكـر وهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بتٌ عنده نصفٌ دون مسنٍّ وفوق مكتهل

(١) الشرح : نهاية المعنى .

(٢) صاك : لزق .

في فيه نتنٌ وتحت عصعصه
آدر رخو العجان منخرق ال
حيضة بأسوره إذا اختلطت
له إذا ما علوته نفسُ
يصرع طير السماء في الأفق ال
أتن من كلُّ ما يقال إذا
وهو على ذاك مولعٌ أبداً
نعم وفي باب سرمه وضحُ
أخاف يعدى أيري ببرصته
أسود كالليل بين أكرعه
فقلت هذى صفاته ولقد
فقال أمّا إذ اهتممت به
قد طاب عيشاً وقد أصاب من ال
يكون مثل العروس مفترشاً
فيجمع اللذتين مغتبطاً
وهو عوانٌ لم يخش من ألم ال
وأنت يا ابن الخراء محتفلٌ
فقلت قل لي من أين تعرفه
كنت أجيراً بيدَ معصرةٍ
وكنت أضحي النهار في ظاهر ال

عينٌ تمجُّ الصيد في دغل^(١)
مبعر ألحى مهيج السفلى^(٢)
بالسِّلح كالسمن شيب بالعسل
أمضى من السيف في يد البطل
أعلى ويوهي مخارم القل
بالغ في الوصف ضارب المثل
لشؤم بختي بالعضُ والقيل
أبيت ليلي منه على وجل
فاغتدى مثلةً من المثل
عمود صبحٍ ينجاب عن طفل^(٣)
شغلت قلبي بذلك الرجل
فإنه في نهاية الجذل
لذة ما لم يصب ولم ينل
طوراً وطوراً كالفحر في الإبل
ذي دبره تارةً وفي قبل
حمل عقيمٌ لم يخش من جبل^(٤)
بأمره وهو غير محتفل
فقال ذرني من هذه العقل
بصور كانت لكاتب البجل
يد إذا ما انصرفت من شغلي

(١) الدغل : في خفاء .

(٢) آدر : فاسق ، والعجان : الإست .

(٣) الطفل : وقت مغيب الشمس .

(٤) العوان : نصف المرأة ، لا بكر ولا متزوجة .

ليل وقيداً كالشارب الثمل^(١)
أشعر وطار الشراع عن قبلي
حمّ منشا في موكب زجل
جل وييض الصفيح والأسل
صماء قدت من قنّة الجبل^(٢)
أهضم طاوي الحشى ولا شغل^(٣)
جرد الهوادي شواذب المقل^(٤)
حين قطاعٍ أو كالقنا الذبل^(٥)
ذيل قميصي قد قدّ من قبل
حدّق ذئبٌ طاوٍ إلى حمل
مولاي حتّى دعيت بالرسل
عصفور مستكرهاً على الورل^(٦)
وكدت أخرى من شدة الوهل
يسطني بالمزاح والغزل
أنت - بريد النكول والفشل^(٧)
واعتزل الخوف أيّ معتزل
قدري فبعض الهوان أنفع لي

فنمت يوماً وكنت من سهر الـ
وهبت الريح فانكشفت ولم
واجتاز للحين والقضاء الذي
حف بصفر البنود والخيّل والر
على كميّة أقبّ كالصخرة الـ
ليس بأشغى ولا أجش ولا
وهو أمام الصفوف تقدمه
مجنّبات كأنهنّ سرا
وحان منه التفاتة فرأى
فاشدّ تحديقه إليّ كما
ولم أبت ليلتي وعيشك يا
فجئته خائفاً كما يلج الـ
فارتعت لما رأيت لحيته
وظنّ أني استحييته فغدا
وقال هذا الحياء - يا بابي
فاطرح الهية المضرة بي
إن كنت أكرمتني لترفع من

(١) الوقيذ : المحزون والثقيل والشديد المرض ، والثل : السكران .

(٢) قنّة الجبل : قمّة الجبل .

(٣) طاوي الحشى : جائعه وضامره ، والشاذب : الضامر والخشن .

(٤) الجرد : الخيل ، والشاذب : الضامر والخشن .

(٥) السراحين : الذئاب .

(٦) الورل : دابة تشبه الضبّ تكون في الصحارى والرمال .

(٧) النكول : النكوص والهرب .

انتف سبالى واصفع قفاي ولا
 ولا عبيدي ولا فروشي ولا
 إن يشقّ أعلاي باللطام فقد
 وليس بعد المزاح يا أبّي
 ولم يزل دائباً يشمرخ شا
 فحين أدليت كالحمار بدا
 وخرّ للوجه والجبين وقد
 طعنته طعنةً بصدق الأنا
 فقال : أوجعت جوف مقعدتي
 وقرقرت بطنه وربّما
 ثم رماني بسلحة خطمت
 فقلت : يا سيدي ويا أُملي
 فقال : أخطأت إذ أسلت دمي
 أين النجيع القاني ؟ فديتك من
 ألا تبرّزت لا أبالك أو
 فقال لما أنشأت تعفجني
 ألم تكن عالماً بأنّ سلا

تنظر إلى قدرتي ولا خولي
 طيبي ولا حليتي ولا حللي
 يسعد بالرهز بعده سفلي^(١)
 في الرأس من حشمة ولا خجل
 قلبي ويختال لي على مهل^(٢)
 يرفع أجلاله عن الكفل
 رطب حول خصيه بالبلل
 يبب أصمّ الكعوب معتدل
 وظلّ يدعو بالويل والهبل
 حذرت من مثلها ولم أبل
 أنفى فزاولتها على ميل^(٣)
 أظن ذا السرم من بني ثعل
 فقلت : كلا والله لم يسلم
 لطح رجيع كالورس منسحل^(٤)
 شددت من باب سرمك النغل ؟^(٥)
 في استى برمّح لم يعتصم سفلي^(٦)
 ح استى سلاحي في كلّ منتضل^(٧)

(١) الرهز : النهز والإدخال .

(٢) يشمرخ : ينتصب ، والشاقول : القضيبي .

(٣) خطمت : أصابت وقطعت .

(٤) النجيع : الدم ، ومنسحل : مطحون .

(٥) تبرّزت : خرجت ، والنغل : الفاسد .

(٦) تعفج : تعالج وتترك .

(٧) منتضل : معترك .

خذ أبنوساً حلّيته ذهباً
ولا تلمني فكيف أصنع في
تمنعه اللذة الحياء فتسـ
نعم وعاجلتني بجانفة
عاجلت قلبي عن التحفظ في
وخاض جمعي أيرٌ به هوجٌ
يا سيدي ما اسمه فقلت أبوالـ
فقال: يا حبذا أبوالأسود الزا
هل رابه غيرها وقد جعل الـ
فامض وعد بعدها لترويني
ولاتخف بعدها وصاح بفرأ
فقال ذاك الفراش: مالك قد
فهذه عادةٌ لسيدنا
ولم أزل في خزانة الفرش أيـ
حتى اثنت صعدتي وبان له
ثم تغني والأير في يده
يا دار هندٍ بالخيف من ملل
وقال لي ويك في دمشق أخٌ
وهو بحبّ السودان أعرفه
فخذ كتابي وسر إليه ولا

فالحلي أولى به من العطل^(١)
سرمٍ شديد الحكاك مؤكل
ترخي حواشي مثقفٍ نغل
أصمت ومرّت في موضع العلل^(٢)
أمري برهنز كالبرق مشتعل
يجوز حدّ الجنون والخبل^(٣)
أسود يكنى وليس بالدولي
هد فينا بسلحة قبلي
ماء طهوراً لكلّ مغتسل
من بعد نومي علأً على نهل
شقصير السربال معتمل
متّ كذا فاغتسل ولا تبل
موروثه عن أبيه لم تزل
أماً مخلى في زيّ معتقل
فيّ اناة الفتور والكسل^(٤)
قد خفّ بعد العتوّ والثقل
حييت من دمنةٍ ومن طلل
للوقف والخرج والضياح بلى
وليس عن رأيه بمتقل
ترك مقالاً مذ قطّ لم يقل

(١) الجيد العطل : الخالي من الحليّ .

(٢) الجانفة : الجالفة ، جلف وجنف بمعنى كشط الجلد .

(٣) الخبل : فساد العقل .

(٤) الصعدة : القوة ، أي ضعفت شهوته وفتّر قضيبه .

وقلّ سرتُ بي في الليل ذعلبةً
تمطو جماحاً إذا المطيُّ ونثُ
أهوى بطون الأقطار في غسق الـ
وليس لي شافعٌ إليك سوى
فإنه سوف يلتقيها ويحد
وتغتدي عنده أعزّ من الـ
فجئته واثقاً بقول أبي
فما حصلنا إلا على سهرٍ
وكان هذا ابتداء معرفتي
وقد مضى يومنا بلا عملٍ
ظننت للنك قد دعيت، ولم
تهدي صدور المهرية البزل^(١)
حتى تراخى لها من الجذل^(٢)
لميل وآوي مناهل الوعل
فيشلة أسهلت أبا سهل
بوما إذا أقبلت بحيهل^(٣)
أهلين والأقربين والخول
سهلٍ ومن يسمع المنى يخل
يعمي ورهز يوهي القوى نكل
به ، فحسبي فاقطع ولا تصل
ترجى له أجرة ولا أمل
أدري بأنّي دعيت للجدل

صرف عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أصال ولم يصرفه صرف
عنه بعض الأدباء وهو ابن خيران العبد لأنه أطل ولم يصرفه بعد مشور يتقدم ذلك :

قلت له : اذهب مصاحباً فلقد
فمرّ يسعى كأنه ثملٌ
يقول في سيره وقد وضح الـ
كان نكاح إبليس زوره
لا بارك الله فيهما فلقد
حدثت عنه بحادثٍ جللٍ
من سهرٍ كده ومن ملل^(٤)
صبح : ألا ربّ واثقٍ خجل
بلا شهود ولا حضور ولي
جاء بما لا يجوز في الملل

(١) الذعلبة : الناقة السريعة ، البزل : النوق والجمال .

(٢) تمطو جماحاً : أي تسرع في مشيتها ، والوني : الضعف .

(٣) بحيهل : كلمة منحوتة ، من حيّ أي أقبل ، وأهلاً وسهلاً .

(٤) كده : أرهقه .

وعدت بالله أستعيد من الـ سوء ومن كلّ موقفٍ رذل
والحمد للواهب السلامة من جرحٍ يداوي بهذه الفُتْل^(١)
وإن اتفق وجود المنشور ألحقته بعون الله وقدرته .

٢٧ - أحمد بن محمد الطائي الدمشقي

قال [من الخفيف] :

قد غدونا إلى صلاة الغداة ثم ملنا منها إلى الحاناتِ
فشربنا مدامةً كدم الخشد ف عقاراً تضيء في الكاساتِ
فإذا شجّها السقاة بماءٍ أبرزت مثل ألسن الحياتِ^(٢)
وكانّ الأنامل اعتصرتها من شقيق الخدود والوجناتِ

* * *

٢٨ - أبو محمد الموصلي

قال يرثي أم الأمير أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان ، وقد رثاها الناس على
طبقاتهم [من الخفيف] :

يا أميراً علا على النّجم همّة مثل ما قد زرى على الخلق عزيمة^(٣)
أكثر الناس في التعازي وقالوا كلّ معنى ينسي أcha الهمّ همّة
فاختصرت العزاء في نصف بيتٍ كلّ خطب إذا تعدّلك نعمة

* * *

(١) الفتل : جمع فتيل ، وهو ما يداوى به الجرح ويستخرج به قيحه .

(٢) شجّها : مزجها وشققها .

(٣) زرى : عمّ .

٢٩ - أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي

شاعر بارع . وعالم جامع . قد برع في إبانه ، على أهل زمانه ، فلم يتقدمه
أحد في أوانه . وله كل بديعة تسحر الأوهام ، وتستعبد الأفهام . فمن ملح شعره
وغرائب قوله من قصيدة مربعة [من الرجز] :

رسالةً من كلفٍ عميد حياته في قبضة الصّدودِ
بلغه الشّوق مدى المجهود ما فوق ما يلقاه من مزيدِ

* * *

جار عليه حاكمُ الغرام فدقّ أن يدرك بالأوهام
فلو أتاه طارقُ الحمام لم يرده من شدة السقام

* * *

له اهتزازٌ وارتياحٌ وطربُ لوجه من أورثه طول الكربِ
فهل سمعتم في أحاديث العجبِ بمن مناهُ قُربٌ من منه العطبِ

* * *

ما غاب عنه الحزم في الأمور لكنّ مقدار الهوى ضروري
صاحبه يخطب في ديجور منفسد التقدير بالمقدور

* * *

إذا التقى في مسمعيه العذلُ وقيل من دون المراد القتلُ
قال لهم لوم المحبّ جهلُ إنّ الهوى يغلب فيه العقلُ

* * *

ما العذر في السلوة عن غزالٍ منقطع الأقران والأشكالِ

تستخلف الشمس لدى الزوال ضياء خديّه على الليالي

* * *

بخفة الروح احتوى صلاحه فصرت لا أرغب في الفلاح
والشكل والخفة في الأرواح أملح ما يعشق في الملاح

* * *

من عشق القدم وإن دقّ البصرُ فليقصد البيعة وليهو الصُور^(١)
من كان يهوي منظراً بلا خبر فما له أوفق من عشق القمر

* * *

ظبيّ سلويّ عنه مثل جوده ظبيّ سلويّ عنه مثل جوده
أجفانه أسقم من عهده أردافه أثقل من صدوده

* * *

يا وصله صل مثل وصل صده يا وصله صل مثل وصل صده
يا قلبه كن رقة كخده يا قلبه كن رقة كخده

* * *

أما وخصر ضعفه كصبري له ووجه حسنه كشعري
له عذار قام لي بعذري لا تبت من شوقي إليه دهري

* * *

أضحى لإيليس به استقدار على بني آدم واستبشار
وقال : في ذا تستطاب النار ما لهم عن مثل ذا اصطبار

* * *

(١) القدم : الغليظ الأحمق .

تمّت لي الحيلة في العباد أدركت من صالحهم مرادي
بمثل ذا أمكنني إفسادي لأنفس العباد والزهاد

* * *

والهفتي من خدّه الأسيل إذا انجلي عن صفحتي صقيلي^(١)
واحربي من طرفه الكحيل من منصفى منه ومن مديلي؟^(٢)

* * *

من مقلّة كالصّارم البتار ألحاظها أمضى من المقدار^(٣)
تحكم في لبّي وفي اضطباري نظير حكم الدهر في الأحرار

* * *

حلّ قواي العقد من زناره ألهب قلبي خدّه بناره
عذر صبري مبتدا عذاره حيرني بالطرف واحوراره^(٤)

* * *

جاء بوجه حسنه محبوب تطيب في أمثاله الذنوب
وقامة ذلّ لها القضيب والقدر تنقذ به القلوب

* * *

هفا بقلبي منه إفراط الهيف فقلت لما أن تشئ وانعطف :^(٥)
يا سيدي من دون ذا الميل التلف وشرط من كان ظريفاً في القطف^(٦)

* * *

(١) الأسيل : الأملس الناعم ، والصقييل : السيف المصقول .

(٢) الحرب : الأسف والحزن ، والمديل : المعين والمغلب .

(٣) البتار : القاطع .

(٤) الحور : شدة سواد العين وشدة بياضها .

(٥) هفا : حنّ ومال ، والإفراط : الإكثار .

(٦) التلف : الهلاك .

ما قَصَرَ القامة مثل الطول ولا البدين الجسم كالمهزول
عشق الرشيق الأهيف المجدول شأن ذوي الأفهام والعقول

* * *

لا يعشق الضخم الغليظ الجسم غير غليظ الطبع جافٍ فدمٍ
مكدر الحسن ركود الفهم يقول في الحسن بغير علمٍ

* * *

قد صحت لما خفت منه القتل وكدت من فرط السقام أبلى :
يا حاكماً جانباً في العدلا مهلاً بمن يهواك مهلاً مهلاً^(١)

* * *

يا ظالماً يقتلني مجاهره قد منع الوجد من المساتره
هلم إن شئت إلى المناظره واستعمل الانصاف لا المكابره

* * *

في أي دين حلّ قتل الروح وهل لما تفعل من مبيعٍ
إن قلت ذا جاء عن المسيح فليس ما تزعم بالصحيح

* * *

مُرْقُصٌ ما أخبرنا بذا الخبر عنه ولا لوقا حكاه في الأثر
وقد نهى عن ذا يوحنا وزجر ولا ارتضى متى به ولا أمر

* * *

أربعة ليس لهم عديلٌ ولا لهم في أمرهم كفيلٌ

(١) جانب : ابتعد وفارق .

ما فيهم من قال ما تقولُ فهل سوى إنجيلهم إنجيلُ

* * *

فلإن زعمت أن ذا موجود في زبرٍ جاء بها داودُ
فما الزبور بيننا مفقود فكيف لم تعلم به اليهودُ

* * *

ولم يخبر أحدٌ سواكا من النصارى كلهمُ بذاكا
لا تتقول غير ما أتاكا وغلب الحق على هواكا^(١)

* * *

سفك دمي يحظر في الأديانِ فدع حجاجاً ظاهر البطلانِ
لا تجمع الإثم مع البهتانِ وكن على خوفٍ من العدوانِ^(٢)

* * *

واعلم بأنني إن تمادى بي الهوى ودمت في هجرك لي كما أرى
وخفت أن أتلِف من فرط الضنى ولم أجد منك لما بي مشكى

* * *

شكوت ما تلقاه نفسي البائسة من خطراتٍ للهموم هاجسة
عفت رسوم الصبر فهي دارسة إلى جميع عصبة الشمامسة

* * *

فلإن هم لم يرحموا أنيني وخيئوا في قصدهم ظنوني

(١) لا تتقول : لا تخلق الأقوال .

(٢) البهتان : الزور وعدم الحقيقة .

ولم أجد في القوم من معين ينصفني منك ولا يعديني

* * *

شكوت ما يلقي من الأحزان قلبي إلى مشيخة الرهبان
عساك تستحي من الشيوخ وإن تهاونت بهم في شاني

* * *

فلا أراك مغضباً عبوساً إذا أتيت أسأل القسيساً
معونة أرجو لها التنفيسا عن مهجة قاربت النسياساً^(١)

* * *

واعلم بأنني إن رددت شافعي هذا ولم يرجع بأمرٍ نافع
فليس ذا بحاسمٍ مطامعي كم طالب جدٍّ بجدٍّ مانعٍ

* * *

لو كنت مبذولاً لنالمت تطلب وإنما نرغب إذ لم ترغب
وكلت النفس بترك الأقرب وشدة الحرص على المستصعب

* * *

وإن تماديت على جفائكَا ودمت بالقلّة من حبائكَا^(٢)
في هجرنا عل قبيح رأيكا واستيأس الرهبان من إصفاكَا

* * *

(١) النسياس : آخر الرمي والروح .
(٢) الحياء : العطاء والتكرم بالوصل .

فلا تلمني إن قصدت الأسقفا من برّح السُّقم به رام الشُّفا^(١)
فلا تقل أبديت مكنون الخفا أنت الذي أحوجتني أن أكشفا

* * *

سوف إلى المطران أنهي قصّتي إن دام ما تؤثّره من هجرتي
فإن رثى لي طالباً معونتي ولم تشفعه بكشف كربتي

* * *

شكوت ما يلقاه من فرط السقم قلبي إلى البطرك والحبر العلم^(٢)
عساك إن حالفته فيما حكم يدخلك الحرم فويل من حرم

* * *

هناك تأتي مستقيلاً ظلمي تسألني عطف الرضى بالرغم
ترضى بما ينفذ فيك حكمي إذا بك اشتدّ عذاب الحرم

* * *

دع ذا فهذا كله تهديد أرجو به قربك يا بعيد
هيهات سرّي أبداً جحود فيك وقولي كلما تريد

* * *

مولاي قد ضاقت بي الأمور فقلت ما قلت وقولي زور
قلبي إلا في الهوى جسور فلا تلم أن ينفث المصدور^(٣)

* * *

(١) برّح : ألم وعذب .

(٢) الحبر : العالم التحرير ، وهو رئيس الأساقفة .

(٣) المصدور : المسلول ، مريض الصدر .

مولاي بالرحمن أحي مغرماً
إليك أشكو فعسى أن تنعما
يخاف أن تغضب إن تظلماً
مهلاً قليلاً قد قتلت المسلما

* * *

يا جرجس ارفق بفؤادِ هائمٍ
وقد رضينا بك في التّحاكمِ
يا سيدي خفْ سوء عقبي الظالمِ
والجور لا يشبه فعل الحاكمِ

* * *

أقصى رجائي منك نيل الودِّ
يا جائراً أفرط في التعدي
وقبله تشفي غليل الوجدِ
منك إليك في الهوى أستعدي

* * *

وقال في أزمنة السنة مزدوجة [من الرجز] :

يا سائلي عن أطيب الدّهور
سألتني أيّ الزمان أحلى
وقعت في ذاك على الخير
وأيةً بالقصف عندي أولى
عندي في وصف الفصول الأربعة
مقالةً تغني اللبيب مقنعه

فصل الصيف :

أما المصيف فاستمع ما فيه
فصل من الدّهر إذا قيل حضر
تبصر فيه النبات مقشعرا
نهاره مقسّم بين قسَم
أوله فيه ندى مبغض
يلصق منه الجسم بالثياب
من فطن يفهم سامعيه
أذكرنا بحرّه نار سقر^(١)
والأرض تشكو حرّه المضراً
جميعها يعاب عندي ويذم
كأنه على القلوب يقبض
وتعلق الأذيال بالتراب

(١) سقر: جهنم .

حتى تراها مثل منديل الغمر
حتى إذا ما طردته الشمس
فتحت النار له أبوابها
حرٌ يحيل الأوجه الغرانا
يعلوه الكرب . ويشد القلق
تبصره فوق القميص قد علا
إن كان رثاً زاد في تمزيقه
ثم يعيد الماء ناراً حامية
شاربه يكرع في حميم
ينسيه ما يلقي من التهابه
حتى إذا عنا انقضى نهاره
تحركت في جنحه دواهي
من عقرب يسعى كسعي اللص
وحية تنفث سمّاً قاتلاً
تبصر ما في جلدها من الرقش
لونهشت بالناب منها الخضرا
فإن أردت الشرب في إبانة
أبشر بما شئت من الصراع

فيهنّ تخطيطٌ كتخطيط الحبر^(١)
وفرحت بأن يزول النفس
وشبّ فيها مالكٌ شهابها
حتى ترى الروم بها حبشانا^(٢)
وتنضج الأبدان منه بالعرق
حتى ترى مبيضه مصندلا^(٣)
أو مستجداً حلّ حلّ زيقه^(٤)
تزيد في كرب قلوب الضاويه^(٥)
كأنه من ساكني الجحيم
أن يحمد الله على شرابه
وأرخت من ليله أستاره
ساريةً وأنت عنها ساهي
سلاحها في إبر كالشص^(٦)
تزود الملدوغ حفاً عاجلاً
كوجنة مصفرة فيها نمش
لبترت منه الحياة بتر^(٧)
على الذي وصفته من شأنه
فضلاً عن التهويس والصّداع

(١) الحبرة : الملاءة .

(٢) يحيل : يجعل ويحوّل ، والغران : البيضاء .

(٣) الصندل : شجر هندي أبيض الزهر خشبه طيّب الرائحة .

(٤) الزيق : من القميص ما أحاط بالعنق .

(٥) الضاوية : الملتهبة .

(٦) الشص : حديدة معكوفة الرأس تشدّ بها حبال الرجل .

(٧) بترت : قطعت .

وعلى تعجز إحصاء العدد
وبعد حمى الكبد لا تنساه
ولا تقل إن جاء يوماً أهلاً

فصل الخريف :

حتى إذا زال أتى الخريفُ
أهويةً تسرع في كلِّ الجسدُ
يخشى على الأجسام من آفاته
لا يمكن الناس اتقاء شرِّه
تبصره مثل الصبي الأرعن
فإن أردت الشرب للعقار
فانت منه خائفٌ على حذرٍ
أحسن ما يهدي لك النسيما
وهو على المعدود من ذنوبه

فصل الشتاء :

حتى إذا ما أقبل الشتاءُ
أقبل منه أسدٌ مزيرٌ
لو أنه روحٌ لكان قدما
يأتيك في إبانهِ رياحٌ

من جربٍ ومن دُوارٍ ورمَدُ
لأنه أولُ ما تلقاه
فلعنة الله عليه فصلاً

فصلٌ بكلِّ سوءٍ معروفُ
وهو كطبع الموت يساً وبردُ
فأرضه قرعاء من نباته^(١)
من اختلاف برِّه وحرِّه
في كثرة التغير والتلون^(٢)
في حينه بالليل والنهار
لأنه يمزجُ بالصَّفْوِ الكدرُ
يقلُّه في ساعةٍ سموماً^(٣)
خيرٌ من الصنيف على عيوبه

جاءتك منه غمَّةٌ غمَاءُ^(٤)
له وعيدٌ وله تحذيرٌ
أو أنه شخصٌ لكان جهماً^(٥)
ليس على لاعنها جناحٌ^(٦)

(١) قرعاء : جرداء .

(٢) الأرعن : الطائش .

(٣) السَّموم : الريح اللافة تهب صيفاً فتشوي الوجوه شيئاً .

(٤) الغمَّة : الكرب .

(٥) الجهم : العابس المقطب .

(٦) جناح : إثم أو ذنب أو ملامة .

حراكها ليس إلى سكونٍ
يحدث من أفعالها الزكام
ثم يليها مطرٌ مداومٌ
يقطعنا بغضاً عن الطريقِ
وربّما خرَّ عليك السَّقْفُ
هذا وكم فيه من المغارمِ
في ملبسٍ يدفع شرَّ بردهِ
ملابسٌ تعمي الجليد حملاً
يحكي بها المنحوف أصحاب السَّمَنِ
فإن أردتَ بالنَّهار الشُّرباً
واحتجت أن توقد فيه النارا
ترك مبيضُ الثياب أرقطاً
وبعد ذا تسدُّ الثُّقَابا
نعم وترخي نحوه الستورا
فحسنُ لون الراح فيه لا يُرى
تشرب فيه إن شربت الخمر
لكن لتحمي خضر الأعضاء
وإن أردت الشرب في الظلام
حسبك أن تندسَّ في اللحاف

تضرُّ بالأسماع والعيون
هذا إذا ما فاتك الصدامُ
كأنَّه خصمٌ لنا ملازمٌ
وعن قضاء الحقِّ للصديق
وإن عفا عنك أذاك الوكفُ^(١)
وكثرة الإنفاق للدَّراهمِ
يكفُّ عنا منه غُربٌ حدُّو^(٢)
كأنَّما يحمل منها ثقلاً
لكن تراه سمناً غير حسنٍ
فيه فقد قاسيت خطباً صعباً
تطير نحو الحدق الشَّرا
تحكي السعيدُ لك المنقُطاً^(٣)
من خوفه وتغلق الأبوابا^(٤)
حتى ترى صاحبه ديجورا
لأنَّه صار سواءً والدُّجى
ليس لأنَّ تلهو أو تسراً
فشرها ضربٌ من الدواء^(٥)
عاقك عن تناول المدام
وخشيَّة البرد على الأطرافِ

(١) الوكف : الانحراف والثقل والضعف .

(٢) الغُرب : السهم .

(٣) الأرقط : المنقط .

(٤) الثُّقَابا : الكوى والفتحات والثقوب .

(٥) خضر الأعضاء : كسلها وفترها .

ورعدو تشغل عن كل عمل
حتى إذا ملت إلى الرقاد
إنّ البراغيث عذابٌ مزعج
لا يستلذّ جنبه المضاجعا
قبّح فصلاً فوق ما ذمته
حتى إذا ما هو عنا بانا
وتؤثر النوم وتستحلي الكسل
نت على فرشٍ من القتاد^(١)
لكلّ ما قلبٍ وجلدٍ تنضج
كأنما أفرشته مباضعا^(٢)
لو أنّه يظهر لي قتلته
وزال عنا بعضه لا كانا

فصل الربيع :

جاء إلينا زمنّ الربيع
لبرده وحرّه مقدار
عدل في أوزانه حتى اعتدل
نهاره من أحسن النهار
تضحك فيه الشمس من غير حجب
وليله مستلطف النسيم
لبدره فضل على البدور
كجامة البلور في صفائها
كانها إذا دنت من نحره
رومية حلّتها زرقاء
هذا وكم يجمع من أمور
فيه تظلّ الطير في ترئم
غناؤها ذو عجمة لا يفهمه
فجاء فصل حسن الجميع
لم يكتنف حدّهما الإكثار
وحمد التفصيل منه والجمال
في غاية الإشراق والإسفار
كانها في الأفق جام من ذهب
مقوم في أحسن التقويم
في حسن إشراق وفرط نور
أو غرة الحسناء في نقابها
جوزاؤه قبل طلوع فجره
في الجيد منها درة بيضاء
إسراف مطربها من التقصير
حاذقة باللحن لم تعلّم
سامعه ، وهو على ذا يقرمه^(٣)

(١) القتاد : الشوك الحاد .

(٢) المباضع : جمع مبضع ، يستعمل في الجراحة والشق .

(٣) يقرمه : يقضمه ، والقرم : شدة الشهوة .

من كل دبسي له رنينٌ
 في قرطقي أعجل أن يوردا
 هذا وفيه للرياض منظر
 سرّ نباتٍ حسنه إعلانهُ
 فيه ضروبٌ للنّبات الغضّ
 من نرجسٍ أبيض كالثغور
 وروضةٍ تزهّر من بنفسج
 قد لبست غلالة زرقاء
 تبصرها كشاكرٍ أولادها
 يضحك فيها زهر الشّقيق
 مضْمَنَاتُ قطعاً من السّجّ
 كأنّما المحمرُّ في المسود
 أما ترى أترجه ما أحسنهُ
 وانظر إلى الخشخاش إن نظرنا
 واربم بعينيك إلى البهار
 كأنّه مداهنٌ من عسجدٍ
 فانهض إلى اللهو ولا تخلفِ
 واشرب عقاراً طال فينا كونها
 وكلّ قمريّ له حنين^(١)
 خاط له الخياط طوقاً أسوداً^(٢)
 يفشي الثّرى من سرّها ما يضمُرُ
 إذا سواه زانه كتمانهُ
 يحكي لباس الجند يوم العرض
 كأنّه مخانق الكافور
 كأنّها أرضٌ من الفيروزج
 فكأيدت بلونها السماء^(٣)
 قد لبست من حزنٍ حداها
 كأنّه مداهنٌ العقيق
 فأشرفت بين احمرارٍ ودعج^(٤)
 منه إذا لاح عيون الرمد
 يختال في غلائلٍ مبيّنة
 يحكي كراتٍ ظوهرت كيمختا^(٥)
 فإنّه من أحسن الأنوار^(٦)
 قد سمّرت في قصب الزّبرجد
 فلست في ذلك بالمعنفِ
 يصفرُّ من خوف المزاج لونها

(١) الدبسي : طائر أدكن يقرقر .

(٢) القرطقي : نوع من الأردية .

(٣) الغلالة : الثياب الرقيقة ، وكأيدت : مائلت .

(٤) السّجّ : خرز أسود ، والدعج : سعة العين مع شدّة بياضها وشدّة سوادها .

(٥) كيمخت : رفعت رأسها تكبراً .

(٦) البهار : نبت طيّب الرائحة .

من كفّ طبي من بني النصارى
إذا بدا جماله لذي النظر
بيدي جمالاً جلّ عن أن يوصفا
تزينه أحشاء كشح طاوية
لاسيما مع مسمع وزامر
ألبابنا في حسنه حيارى
قال : تعالى الله ما هذا بشر
لو أنه رزق حريص لاكتفى
وسرّ محشوّ بالغالية^(١)
قد سلما من وحشة التنافر

دونك هذي صفة الزمان
فأصغ نحو شرحها كي تسمعا
وارض بتقليدي فيما قلته
ولا تعارضني في هذا العمل
مشروحة في أحسن التبيان
ولا تكن لحقها مضيعاً
فإنني أدري بما وصفته
فإنني شيخ الملاهي والغزل

وقال أيضاً [من الرجز] :

باعثاً لدعوتي غلامه
إذا أردت أن تزار في غد
واعمد إلى ما أنا منه واصف
ابعث فخذ عشراً من الرقاق
تكاد مما رق من حرسائها
أرقها الصانع حتى خفت
تكاد لولا حذقه في صنعه
حتى أتت في صورة البدور
وعاتبنا من تركنا إمامه^(٢)
فلا تغال في الطعام واقصد
فإنني بالطيبات عارف
تلذها نواظر الأحداق
تشف للأعين من صفائها^(٣)
ولطفت أجسامها ومدت
تطيرها أنفاسه من راحته
أو مثل جامات من البلور

(١) الغالية : أنواع الطيب .

(٢) الإلمام : الزيارة ، والقصد .

(٣) الحرساء : الغلاف والجلد الحافظ للشيء .

حتى إذا فرغت منها متقناً
فاعمد إلى مدورٍ من البصل
يحكي لعينيك اخضرار قشره
غلائلاً خضرا على جسوم
حتى إذا أحكمته تقطيعا
خلطته باللحم خلطاً جيّداً
حتى إذا أنت أجدت فعله
صيرته يا ذا العلا السنية
ثمت أغل الشبرق المقشراً
مكتسباً حلته الخمرية
ثم أدير كأس الشمول منما
فلست في فعلك ذا مبذراً

وله في الروض [من الرجز] :

أسفر عن بهجته الدهر الأغر
أبدى لنا فصل الربيع منظراً
وشياً ولكن حاكه صانعه
عاينه طرف السماء فانشى
فالأرض في زيّ عروسٍ فوقها
وشيّ طواه في الثرى صوانه

ولم ير العائب فيها مطعناً^(١)
فإنّه أكبر أعوان العمل
إذا رماه ناظرٌ بفكره
بيض رطابٍ من بنات الروم
وقلت قد جودته صنيعا
ولم تزل تخلطه مردداً
ثم جمعت في الرقاق شمله
شابورةً ليست لها سمية^(٢)
من فوقه حتى تراه أحمرأ^(٣)
من بعدما عهدتها فضية
أكرم بهذا مشرباً ومطعماً
كلأ ولا في حقنا مقصراً

وابتسم الروض لنا عن الزهر
بمثله تفتن ألباب البشر
لا لابتذال اللبس لكن للنظر
عشقاً له يبكي بأجفان المطر
من أدمع القطر نثاراً من درر^(٤)
حتى إذا ملّ من الطي نشر^(٥)

(١) المطعن : الانتقاص .

(٢) شابورة : ملكة (شاه بور) .

(٣) الشبرق : نبات رطب .

(٤) نثار : ما يثر من الماء والمال وغيره .

(٥) نشر : فاح وعرض لأشعة الشمس .

أما ترى الورد كخديّ كاعبٍ
كأثما الخمر عليه نفّضتْ
أخجله النرجس إذ جادله
قال له العين وما الخدُّ لها
ماذا الذي يرجى لخدِّ بهجٍ
فاحمرّ من حجّته إذ ظهرتْ
وانظر إلى التارنج في بهجته
مثل دنائير نضارٍ أحمرٍ
وانظر إلى المثور في ميدانه
كجوهٍ مختلفٍ ألوانه
كأنّ نور الباقل إذا بدا
كمثل الحاظ اليعافير إذا
كأنّه مداهنٌ من فضّةٍ
كأنّها سوافٌ من خرّذٍ
وانظر إلى الأطيّار في أرجائه
كأنّها تصفر في رياضها
فانهض إلى اللهو ولذات الصبا
فقلّما يغنيك من يعذل فيه
فكيف هجران اللذات ولم
والنّسك في عصر الصبا كأنّه

راودها فامتنعت منه ذكرُ
صباغها أو هي منه تعتصرُ
فاحمرّ من فرط حياءٍ وخفر^(١)
موازناً في عظم قدرٍ وخطر
مستحسنٍ صاحبه أعمى البصر
والحق لا يدفع يوماً إن ظهر
يلوح في أفنان هاتيك الشجر
أو كعقيقٍ خرّطت منه أكر^(٢)
يرنو إلى الناظر من حيث نظر
أسلمه سلك نظامٍ فانثر
لناظريه أعينٌ فيها حور
روّعها من قانصٍ فرط الحذر^(٣)
أوساطها بها من المسك أثر
قد زينت بياضها سود الطّر^(٤)
إذا دعا الشاكل منها وصفر
سرب قيانٍ فوق بسطٍ من حبر
لامك من يعذل فيها أو عذر
ما تشتهي حتى تواريك الحفر
يبدل نهار الشيب في ليل الشعّر
من قبحه خلع عذارٍ في الكير

(١) الخفر : الحياء .

(٢) الأكر : الكتل .

(٣) اليعافير : جمع يعفور ، وهو ظبيّ بلون التراب .

(٤) الطّر : خصال الشعر في مقدمة الرأس .

يا لائماً يعذلني في طربي
أعرف فضل العقل إلا أنه
الجهل ينبوع مسرات الفتى
فاجسر على ما تشتهي جهالة
واشرب عقاراً لو أصابت حجراً
عدوة الحزن الذي ما ظفرت
لو رام أن يجيره من كيدها
أرقها الدهر إلى أن شاكنت
خفية الحيلة في جسم الفتى
كأنما الأوطار فيها جمعت
لاسيماً من كفّ ظبي لم يشن
له سهام من لحاظ صيب
مزنر شككني في دينه
لأنه كالحور في تصويره
لو لم يكن زناره في وسطه
وبان منه نصفه عن نصفه
إن قلت يحكي قمراً عتّني
أنى يوازيه وهذا ناطق

حسبك قد أكثرت من هذا الهذر^(١)
لعيش من أثره عين الكدر
والعقل ينبوع الهموم والفكر
ما فاز باللذات إلا من جسر^(٢)
لطار من خفته ذاك الحجر
قطّ به إلا أساءت في الظفر
صرف الزمان الحتم يوماً ما قدر
من رقّة شعر جميل وعمر
تحدث في الجسم ديباً وخدر^(٣)
فليس في العيش لجافيتها وطر^(٤)
بفرط طول لا ولا فرط قصر
كأنما يرمين عن قوس القدر
حتى أحلت الكفر فيمن قد كفر
والحور لا يسكنها الله سقر^(٥)
يمسك ضعف الخصر منه لانبتر
لكنه جاء له على قدر
عقل له أعدمه عند القمر
وذاك إن خوطب لم ينطق حصر^(٦)

(١) الهذر : الهذيان والكلام الذي لا طائل وراءه .

(٢) جسر : تجرّأ .

(٣) الدبيب : المشي ، والخدر : الضعف والفتور .

(٤) الوطر : الحاجة .

(٥) سقر : جهنم .

(٦) حصرأ : إعياء .

يا لك منه منظراً أشهى إلى
يا طيب ذي الدنيا لنا منزلة

وقال أيضاً [من البسيط] :

علل فؤادك والدنيا أعاليل
ولا يصدئك عن أمرهممت به
فخير يومك يوم أنت فيه إذا
وإن أتوك فقالوا كن خليفتنا
فإن ذلك أمر مع نفاسته
وارض الخمول فلا يحظى بلذته
ولا تبع عاجل الدنيا بأجل ما
واسفك دم القهوة الصهباء تحي به
يا خائف الإثم فيها حين تشربها
قم فاسقني النضر ممّا حرّمه ، ولا
من قهوة عتقت في دنّها حقبا
عروس كرم أتت تختال في حلل
كأنّها بأكفّ القوم إذ جليت
في فتيّة جعلوا للهو طاعتهم
جليسهم ليس يروى من حديثهم
لا كالذين إذا ما كنت حاضرهم
ترى مجالسهم مملوءة لجبا

قلبي من جنة عدن أو أسر
لو لم تكن نزعج منها بسفر

لا يشغلنك عن اللهو الأباطيل
من العواذل لا قال ولا قيل
ميّزت في الناس محمود ومعدول
فقل لهم إنني عن ذاك مشغول
ونبله بفناء العمر موصول
إلا امرؤ خامل في الناس مجهول
ترجو فذلك أمر شأنه الطول
روحي فإن دم الصهباء مطلول^(١)
لا تقنطن فعفو الله مأمول
تعرض لما كثرت فيه الأقاويل^(٢)
كأنّها في سواد الليل قنديل^(٣)
صفر على رأسها للمزج إكليل
ذوب من الذهب الإبريز محلول
فما لهم عن طريق اللهو معدول
يوماً وبعض حديث القوم مملول
ففي سكوتهم المأمول والسؤل
وكلّ ذاك فضول عنك معزول^(٤)

(١) المطلول : مباح سفكه .

(٢) نضر الماء : سال قليلاً ، أخرج رشحاً ، والناض : الزائد .

(٣) الحقب : مفردا حقة وهي مدّة طويلة من الزمن .

(٤) اللجب : الصخب .

وقال أيضا [من مخلع البسيط] :

اشرب فقد طابت العقارُ	وابتسم الورد والبهارُ
من قهوة ما انبرت لهمُ	إلاَّ وولَّى له انشمارُ ^(١)
لها جيوشُ من الملامي	للهمَّ قدامها الفرارُ
لألاؤها في الدجى نهارُ	يظلم من نوره النهارُ
إذا استقرت حشا لببٍ	رأيتَه ما له قرارُ
لم يرها ناظرُ حديدُ	إلا ثنى لحظه انكسارُ
خيالها جسمه لجينُ	وجسمها شخصه نضارُ ^(٢)
كأنها تحته كميّتُ	عليه من فضةٍ عذارُ
لها لدى حزن شاريبها	ثأرُ وعند الحلوم ثارُ
فالحزن عن أهلها مطارُ	والحلم في إثره مطارُ
فلا انتصار لذا عليها	ولا عليها لذا انتصارُ
يسعى بها جؤذرُ غريّرُ	في لحظ أجفانه احورارُ
يحسن مني الوقار إلاَّ	فيه فما يحسن الوقارُ
أغار مني عليه حتّى	عليه من نفسه أغارُ
كلّ جمالٍ ترى فمَنهُ	إذا تأملت مستعارُ
كأنّ صدغاً له تراه	وهو على خدو مدارُ
ميدان آسٍ بدا جنياً	ألهب في جانبيه نارُ ^(٣)
بيتٌ من الحسن لي إليه	حجٌ مدى الدهر واعتمادُ
زيارة البيت كلّ عامٍ	ودهر ذا كلّه يزارُ

(١) ولّى : ذهب ، وانشمار : انقباض .

(٢) اللجين : الفضة ، والنضار : الذهب .

(٣) الآس : الريحان .

من لاعج الشوق مستطاراً^(١)
للناس من شرطك اختصاراً
عليك إلاّ امرؤ حماراً

قلت له إذ بدا وقلبي
يا جامع الحسن كلّ حسنٍ
ما فضل الغانيات عندي

وقوله أيضاً [من مخلع البسيط] :

وافترّ عن ثغره الغمام^(٢)
والصبر عن مثلها حرام
يدقّ شأنها الكلام
فما له عندها ذمام
ليس لمتشوره نظام^(٣)
عليه من فضة لجام
وهي لإعظامها قيام
ينفع منها ولا اعتصام
وخير من يُصحب الكرام
ظرفاً ولا يكسد الغلام
بكلّ ما فعله أئام
وصفت من فضلهم إمام
في لحظ أجفانه سقام
للصبر قدامها انهزام
كمثل ما يثقل الملام
من قبل أن يفتنّ الحمام

اشرب فقد طابت المدام
من قهوة حرّمت علينا
جلّت عن الوصف فهي شيء
إذا استنمّ الأسى إليها
طوّفها الماء سمط درّ
كأنّها تحته كميّة
إذا بدت للهموم ظلّت
تلوذ منها فلا لواذ
في فتية كلّهم كريم
يكسد سوق الفتاة فيهم
أئمة كلّهم عليم
لكنني فيهم على ما
وعندنا شادنٌ غريب
للحسن قدّامه جيوش
يخفّ في حبّه التصابي
ذا العيش فافطنّ له وبادر

(١) لاعج الشوق : حرّة وشدّته ، ومستطار : أي شرر يتطاير .

(٢) افترّ : تبسّم .

(٣) السمط : العقد .

وانعم فعام السرور عندي

يومٌ ، ويوم الهموم عامٌ

وقال أيضاً [من الكامل] :

جانبت بعدك عفتي ووقاري
ورأيت إشار الصبابة في الذي
لا تأمرني بالتسُّر في الهوى
إنَّ التوقر للحياة مكدرٌ
من تابعت أمر المروءة نفسه
لا تكثرنَّ عليَّ إنَّ أخا الحجا
خوفتني بالنار جهدك دائماً
خوفي كخوفك غير أنَّي واثقٌ
أقررتُ أنَّي مذنبٌ ومحرمٌ
انظر إلى زهر الربيع وما جلتُ
أبدت لنا الأمطار فيه بدائعاً
ما شئت للأزهار في صحرائه
وجواهرٍ لولا تغيُّر حسنِها
من أبيضٍ يققٍ وأصفرٍ فاقعٍ
ناحت لنا الأطيَّار فيه فأرهجت
دارٌ له اتصل البقاء لأهلها
فانهضُ بنا نحو السَّور فإنَّه

وخلعت في طرق المجون عذاري
تهوى النفوس ممحِّق الأعمار^(١)
فالعيش أجمع في ركوب العار
والعيش فهو تهتُّك الأستار
فبيت من الحسرات والأفكار؟
برمٌ بقرب الصَّاحب المهدار^(٢)
ولججت في الإرهاب والإنذار
بجميل عفو الواحد القهار
تعذيب ذي جرمٍ على الإقرار^(٣)
فيه عليك طرائف الأنوار
شهدت بحكمة منزل الأمطار
من درهم بهجٍ ومن دينارٍ
جلتُ عن الأثمان والأخطار
مثل الشموس قرنٌ بالأقمار
عرس السرور ومأتم الأطيَّار^(٤)
لم يحفلوا بنعيم تلك الدَّار
ما زال يسكن حانة الخمَّار

(١) ممحِّق الأعمار : متلفها .

(٢) برم : ضجُر ومال .

(٣) الجرم : الذنب .

(٤) أrahجت : أقامت .

فاشرب معتقة كأن نسيما
أخفى ديباً في مفاصل شربها
أحكامها في العقل إن هي حكمت
يرضى على الأقدار شاربها الذي
وكانها والكأس ساطعة بها
لا سيما من أغيد شادن
فضل الغصون لأنها من غرسنا
قد غيب الزنار دقة خصره
متنصر قويت على إسلامنا
قالوا أيصنع مثل هذا ربكم
مع مسمع حلفت له أوتاره
فطن يحرك كل عضو ساكن
شدو إذا الحلماء زار حلومهم
والشدو أحسنه الذي لم يستمع
ذا العيش ، لا نعت المهامه والفلا
لا فرج الرحمن كربة جاهل

وقال أيضا [من الخفيف] :

قد رضينا من الغزال الكحيل
وهجرنا سواه وهو منيل

مسك تضرعه يد العطار^(١)
وأدق الطافاً من المقدار
أحكام صرف الدهر في الأحرار
ما زال ذا سخط على الأقدار
ذوب تحلل في عقيق جاري
يسبي العقول بطرفه السحار
عند التأمل وهو غرس الباري
حتى ظنناه بلا زنار
بالحسن منه حجة الكفار
ويرى فساد صنيعه بالنار
أن لا تنافر رنة المزمار^(٢)
تحريكه لسواكن الأوتار
باعوا بطيب السخف كل وقار
إلا أطار العقل كل مطار
وسؤال رسم الدار والأحجار^(٣)
يكي على الأطلال والآثار

بغرور العادات والتعليل^(٤)
وهوينا وهو غير منيل

(١) تضرعه : تشرعقه .

(٢) المسمع : اسم فاعل من مصدر أسمع ، وأراد به المغنى .

(٣) نعت : وصف ، والمهامه : القفار .

(٤) العادات : جمع عدة ، وهي الوعد .

فكثير البغيض غير كثير
يا عدولي زعمت صبري صواباً
هلك العزم بين شوقٍ صحيحٍ
لا تعبٍ من هويتٍ بالبخل ، إني
يجمل البخل بالملاح وإن كا
كل من سره حبيبٌ جوادٌ
وقال أيضاً [من الطويل] :

ألست ترى وشيَّ الربيع المنمنا
فقد حكت الأرض السماء بنورها
فخضرتها كالجوِّ في حسن لونه
فمن نرجسٍ لما رأى حسن نفسه
وأبدى على الورد الجنيَّ تطاولاً
وزهر شقيقٍ نازعَ الورد فضلهُ
وظلٌّ لفرط الحزن يلطم خدهُ
ومن سوسنٍ لما رأى الصبغ كلهُ
تجلب من زرق اليواقيت حلةً
وألوان مشورٍ تخالف شكلها
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها
فقم فاسقني ما حرّموه ، فما أرى

وما رصّع الربيع فيه ونظماً^(١)
فلم أدِر في التشبيه أيُّهما السّما
وأنوارها تحكي لعينيك أنجما
تداخله عجبٌ بها فتبسّماً
فأظهر غيظ الورد في خدهُ دما
فزاد عليه الورد فضلاً وقدّما
فأظهر فيه اللّطم جمرأ مضرماً^(٢)
على كلّ أنوار الرياض تقسّماً
فأغربَ في الملبوس منه وأعلماً^(٣)
فظلُّ بها شكل الربيع متمّماً
رأيت بها كلّ الملوك مختماً
من العيش حلوأً غير ما قيل حرّماً

(١) الربيع : مطر الربيع .

(٢) المضرّم ؛ المتقدّ .

(٣) تجلب : أي لبس ، وأعلم : أي صار معروفاً عن غيره .

وقال أيضاً [من البسيط]:

قالوا عشقت كثير البخل ممتنعا فقلت هيهات عنكم غاب أطيبه
لو جاد هانٍ وقيل الجود عادته وإنما عزٌ لَمَّا عزٌ مطلبه
وقال [من الطويل]:

أرجي دنو الوصل من بعد بعده كما قد ترجى في الجدوب السحائب
وأكثر في الهجر العتاب كأنتي لدهري من ظلم الكرام أعاتب
وأهوى مواعيد المنى عنك بالرضى وقد تمنع الآمال وهي كواذب
وقال [من الرمل]:

حبذا زورٌ أتاني طارقاً بعد اجتنابه
شقٌ جنح الليل بدرٌ لاح من ثني نقابه
طربت نفسي إليه وإلى طيب اقترابه
طربَ الشيخ إذا دُكِّرَ أيام شبابه

وقال [من مixel البسيط]:

خلعت في حبه عذاري وطاب لي العيش باشتهاري
وذقت طعم الجنون فيه فكان أحلى من العقار^(١)
إن أبرد في حبه خضوعاً فليس ذلّ الهوى بعارٍ
لو كان في الحب لي اختيارٌ لكان تركي له اختياري
من روحه في يدي سواه فهو حقيقٌ بأن يداري
لا تحمدوني على احتمالي هوانه واحمدوا اصطباري

(١) العقار : الخمر .

وقال [من البسيط]:

متى وعدتك في ترك الهوى عدةً
أما ترى الليل قد ولّت عساكره
وجدّ في أثر الجوزاء يطلبها
كصولجان لجين في يديّ ملكه
فم بنا نصطبح صفراء صافية
عروس كرم أتت تختال في حلل
وقال [من المنسرح]:

قم فاسقني والخليج مضطرب
كأنّها والرياح تعطفها
والجوّ في حلّة ممسكة
وقال [من الخفيف]:

وسحاب إذا همى الماء فيه
مثل ماء العيون لم تجر إلاّ
وقال [من الخفيف]:

جوهريّ الأوصاف يقصر عنه
شارب من زبرجد وثنايا
وقال [من السريع]:

صوّره خالقه جامعاً
لكلّ شيء حسنٍ بارعٍ

(١) اللجب : الكثير العدد والصخب .

(٢) العذب : أطراف الرماح .

وكلّ حسنٍ من جميع الورى مختصرٌ من ذلك الجامع
وقال [من المنسرح] :

عشقت من لا ألام فيه وما يخلو من اللوم كلُّ مَنْ عشقا
رأى الورى في سواه مختلفٌ وأنت تلقاه فيه متفقا
وكل قلبٍ إليه منصرفٌ كأنه من جميعها خلقا
ألم فيه بقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي : « خلق من كل قلب ، فهو يغني كلا ما
يشتهيه » .

وقال [من الخفيف] :

زارني في دجا الظلام البهيم قمرٌ بات مؤنسي ونديمي
بحديثٍ كأنه عودة الصّحة في الجسم بعد يأس السّقيم
تتلقى القلوب منه قبولا كتلقى المخمور برد النسيم
وقال [من الوافر] :

ظفرتُ بقبله منه اختلاسا وكنت من الرقيب على حذارٍ
ألدُّ من الصّبوح على غمامٍ ومن برد النسيم على خمارٍ^(١)
وقال [من الكامل] :

لا تلفينٌ مقارنا من لا يزين من الصّحاب
فالثوب ينفذ صبغه فيما يليه من الثياب

وقال [من السريع] :

ريقٌ إذا ما ازددت من شربه رياءُ ثناني الريّ ظمّانا

(١) الصبوح : شرب الخمر صباحاً .

كالخمر أروى ما يكون الفتى من شربها أعطش ما كانا
وقال [من الخفيف] :

حملت كأسه إلى شفتيه كفهُ والظلام مرخي الإزار
فالتقى لؤلؤا حبابٍ وثغري وعقيقان من فمٍ وعقارٍ
وقال [من الطويل] :

وصفرا من ماء الكروم كأنها فراقٌ عدوٌّ أو لقاء صديقٍ
كأنَّ الحباب المستدير بطوقها كواكب درٌّ في سماء عقيقٍ
صببت عليها الماء حتَّى تعوّضت قميص بهارٍ من قميص شقيقٍ
وقال [من الوافر] :

سلا عن حبك القلب المشوقُ فما يصبو إليك ولا يتوق^(١)
جفاؤك كان عنك لنا عزاءٌ وقد يسلى عن الولد العقوق
وقال [من المجث] :

كانَ أوراق زهرٍ للباقلاء بهيه
خواتمٌ من لجينٍ فصوصها حبشيه

وقال [من الكامل] :

أسنى الأمانى كلّها وأجلّ منها ما ينالُ
كأسٌ ومسمعةٌ وإخوان تحادثهم ومالُ

وقال [من مخرج البسيط] :

أبصره عاذلي عليه ولم يكن قبل ذا رآه

(١) سلا : من السلو ، وهو التجمّل والنسيان ، ويتوق : يشواق .

فقال لي لو هويت هذا ما لامك الناس في هواه
قل لي إلى من عدلت عنه فليس أهل الهوى سواء^(١)
فظل من حيث ليس يدري يأمر بالحب من نهاه

وقال في ثقیل [من البسيط] :

ما السقم في سفر والدین مع عدم يوماً بأثقل منه حين يلقاني
مالي عليه معين حين أبصره غير الصدود وتغميضي لأجفاني

وقال [من الكامل] :

إن كان قد بعد اللقاء فودنا دانٍ ونحن على النوى أحباب
كم قاطع للوصل يؤمن وده ومواصل بوداده يرتاب

وقال [من الرمل] :

لا و وعد الوصل باللحظ على رغم الرقيب
واختلاس القبله الخلوقة من خد الحبيب
وسماع مستطاب جاء في لفظ مصيب
ما سوى الراح لداء الهم عندى من طيب

وقال [من الكامل] :

يا من إذا لاحت محاسن وجهه غفرت بدائعها جميع ذنوبه
النجم يعلم أن عيني في الدجا معقودة بطلوعه وغروبه
إن كان في تعذيب قلبي راحة لك فاجتهد بالله في تعذيبه
لو كان سفك دمى إليك محبباً لرأيتني متضرجاً بصيبه^(٢)

(١) عدلت : ملت وغيّرت .

(٢) متضرجاً بصيبه : أي مصبوغاً بما يسيل منه من الدماء .

وقال [من الكامل] :

ازهد إذا الدنيا أنالتك المنى فهناك زهدك من شروط الدين
فالزهد في الدنيا إذا ما رمتها فأبت عليك كعفة العنين^(١)

وقال [من المجتث] :

لا تحسداً صديقاً على تزايد نعمة
فإن ذلك عندي سقوط نفس وهمة

وقال [من المجتث] :

وجلنا ربهم ضرامه يتوقد
بدا لنا في غصون خضر من الرى مبد^(٢)
يحكى فصوص عقيق في قبة من زبرجد

وقال [من السريع] :

أقبل والعذال يلحونني فكلهم قال : من البدر؟
فقلت : ذا من طال في حبه منكم لي التعنيف والزجر
قالوا : جهلنا فاغفر جهلنا فليس عن ذا لامرئ صبر
عذرك في الحب له واضح وما لنا في لومنا عذر

وقال [من خلع البسيط] :

بما بعينيك من فتون ومن فتور بها وسحر
وبالعذار الذي تولى خلع عذارى وبسط عذري

(١) العنين : الفاقد الفحولة .

(٢) مبد : متمائلة .

ومضحكٍ منك لؤلؤيٌ
جذلي بالصّفح عن ذنوبي
ممتزجٌ مسكه بخمر
أولا فعاقبٌ بغير هجر

وقال [من مخلع البسيط]:

عدت إلى الغيِّ بعد نسكي
أضحك للكاشحين جهراً
أمنعني أن أبوحَ نفسُ
عيني التي أوقعت فؤادي
ولذّ لي فيك طعم محكي^(١)
ولي ضميرٌ عليك يبكي
تأنفُ من ذلّةِ التّشكّي
يا عين ماذا لقيت منك

وقال [من مخلع البسيط]:

واحربي من جفون ظبي
أسقم جسمي بسقم طرفي
عجبت من جمر وجنتيه
هذا اختياري فأبصروه
أقام عذري به عذاره
حيرني في الهوى احوراره
يحرقني دونه استعاره
شاهد عقل الفتى اختياري

وقال [من الكامل]:

لا تقبلن من الرشيد كلامه
ودع التزمّت والتجمل للوزي
واشرب مزعفرةَ القميص سلافةً
كأسٌ إذا رمت الهموم بسهمها
وإذا دعاك أخو الغواية فاقبل
فالعيش ليس يطيب بالمتجمل^(٢)
من صبغة البردان أو قطربل^(٣)
لم يخطِ نافذه سواء المقتل
تخلو وتعذب في النفوس كأنها
كبتُ العدو ورغم أنف العذل

(١) الغيّ: الضلال ، والمحك : من المماحكة .

(٢) التزمّت : التضييق والتشدّد .

(٣) المزعفرة : المصبوغة بالزعفران ، وهو نبات زهره أحمر إلى صفرة ، له أصل كالبصل .

معها ويُفتح كل بابٍ مقفل
نارٌ لعمرك ليس تؤذي المصطلي^(١)
ترنو بناظرتي خذولٍ مطلق^(٢)

وقال [من الوافر]:

وقد بعد اللقاء على التداني
جعلت فداك يا مولاي ثاني
وما يرضى الخليل إذا أتاني
تأنقه فليس له مداني
وظاهره غلالة زعفران
لها حجبٌ كمنظوم الجمان
تطرف منه مبيضُ البنان^(٣)
تمكّن طالعاً في غصن بانٍ
محدقةٌ بأصناف الأغاني
بتحريك الثالث والمثاني
لعمرك ما كفاك وما كفاني
تمّ لنا بزورته الأمانى

حمراء يرحبُ كل صدرٍ ضيقٍ
تحكى ضرام النار إلا أنها
لا سيما من كف طاوية الحشا

كتبت وفرط شوقي قد عناني
وما في البيت لي ثانٍ فكن لي
فعندى ما يجاوز كل وصفٍ
خروفٌ أظهر الشواء فيه
غلالة باطنٍ منه لجينٌ
وكأسٌ مثل عين الديك صرفٌ
لها في كف شاربها شعاعٌ
يطوف بشمسها قمرٌ منيرٌ
وإن أحببت مسمعةً أتتنا
تطلق همٌ سامعها ثلاثا
فهذا عندنا، ولدون هذا
فزرنا لاعدمتك من صديقٍ

وقال [من الخفيف]:

فَحَمُّ شِبْهِ الغلام وأدلى في كوانينه حياة النفوس^(٤)

(١) ضرام النار : إيقادها .

(٢) الخذول : الكثيرة الخذل وهي التي تتخلف عن القطيع وتنفرد ، والمطفل : التي تربي أطفالها .

(٣) تطرف : تزيّن وتوشّح .

(٤) شِبْهِ : أوقده .

كان كالآبنوس غير على فغدا وهو مذهب الآبنوس
لقي النار في ثياب حداد فكسته مصبغات عروس

وقال [من الخفيف]:

بتُّ ضيفاً لسيد يمني فقراني والجود قدماً يمني
وأنت عرسه تغازل إيري قلت لا تفعل فلست بزاني
ولو أني فعلت ما كنت ممن يتصدى لنسوة الإخوان
فأتاني وقال نكها بعيشي فهي موقوفة على الضيفان
قلت قد زدت في الضيافة معنى ما عرفناه في قديم الزمان
قال من أجل ذاك طار لي اسم وألح الضيوف في غشيان^(١)
فمتى يدعى مع اسمي ضيوف قيل مرعى وليس كالسعدان



٣٠ - القاضي أبو الحسن علي بن النعمان

أنشدني له ابن وهب [من المنسرح]:

ولي صديق ما مسني عدم مذ وقعت عينه على عدي
أغنى وأقنى فما يكلفني تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمري لما قعدت به وغت عن حاجتي ولم ينم

وأنشدني له أيضاً [من مجزوء الوافر]:

صديق لي له أدب صداقة مثله نسب
رعى لي فوق ما يرعى وأوجب فوق ما يجب

(١) الغشيان : الأم والقصد والنزول .

فلو نقدت خلائقه لبهرج عندها الذهب^(١)

* * *

٣١ - إسحاق بن أحمد بن المارديني

أنشدني له ابن وهب يصف الثريا [من السريع] :

أرقني الشوق فلم أكتحلُ	بلذّة الغمض إلى الفجر
تسري همومي فأراعي بها	كواكباً دائبةً تسري
حتى كأنّ البدر إذ أشرقتُ	على الثريا غرةً البدر
صفحة مرآةٍ وقد أذهبتُ	بمقبضٍ رصعٍ بالدرّ

وله في الليل والنجوم [من البسيط] :

كم مجهلٍ بسواد الليل ملتبسٍ	باتت تقمّه العيسُ المراسيلُ
ليلٌ قد اختلفت أشكال أنجمه	كأنهنّ عيونٌ للدجى حولُ
تبدو الثريا ككفٍّ للدعاء بها	قد مدّها الصبح والجوزاء إكليلُ
تلوى رقاب المطايا من تطاوله	وينهض الفجر فيه وهو مشكول

* * *

٣٢ - القاضي أبو عبد الله محمد بن النعمان

أنشدني له عبد الصمد بن وهب هذه الأبيات وهي مما يتغنى بها [من الرمل] :

ربّ ليلٍ لم أذق فيه الكرى	حظّ عيني فيه دمعٌ وسهرٌ
طال حتى خلته لا ينقضي	ونأى الصبح فما منه أثرٌ

(١) نقدت : أي جعلت نقوداً ، وبهرج الذهب : زينه ، أو أصبح رديئاً .

غاب عني قمرٌ أحبته فتعللت بأنوارِ القمرِ
كلما هيج شوقي حزنِي صحت ياليلي أما فيك سحرُ
وقال [من الخفيف] :

ربَّ خودِ عرفتُ في عرفاتِ سلبتني في حسنِها حسناتي
حرمت يومَ أحرمت نومَ عيني واستباححت حماي باللحظات^(١)
وأفاضت مع الحجيج ففاضت من جنوني سواكب العبراتِ
ولقد أضمرت بقلبي جمرأ حين راحت للرمي بالجمراتِ^(٢)
لم أنل من منى منى النفس حتى خفت بالخيف أن تكون وفاتي^(٣)
وقال يصف الهلال [من المنسرح] :

انظرُ الى حسنِ ذا الهلالِ وقد بدا لستُ مضينَ منْ عُمرة
وقد أطافت به كواكبه حسناً فيبئته لمعتبره
مثل زناجٍ قد صيغ من ذهبٍ يقدح ناراً وهن من شره
ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهي في أثره
فخلته غائصاً ببحر دمٍ يقذف بالرائعات من دره
فلم أزل ليلتي أراجعه لحظي وأبكي للوقت من قصرة
حتى تبدى الصباح متبهاً قبل انتباه المخمور من سكرة
وقوله في مליح بعمامة حرير حمراء [من الكامل] :

يا من يمرُّ ولا تمُرُّ به القلوب من الحرق

(١) استباححت الحمى : أي جعلته مباحاً لها تدخله ساعة تشاء .

(٢) أضمرت : أشعلت ، والجمرات : من مناسك الحج ، وهو مكان يرمى به بالحصى .

(٣) منى والخيف : أماكن فيها بعض مناسك الحج .

بعمامةٍ من خدِّه أو خدِّه منها سرق
فكانها وكأنه قمرٌ أحاط به شفقٌ
فإذا مشى وإذا انثنى وإذا رنا وإذا نطقُ
شغل الجوارح والخواطر والمسامع والحدقُ

* * *

٣٣ - صالح بن مؤنس

أنشدني له ابن وهب في ابن رشدين صالح [من السريع] :

يفديك بالمهجة يا صالحُ من كلِّ ما يكرهه صالحُ
فأنت غصنٌ صيغ من درؤٍ على ذراه قمرٌ لائحُ

وله فيه بديها [من الهزج] :

شربنا مثل ماء الور د في الطيب على الوردِ
ونادمت ابن رشدين فما حدث عن الرُّشدِ
فتى كالبدر في الرفعة والإشراق والسعدِ
كأني منه في الجنة لو أظفر بالخلدِ

وله فيه [من مجزوء الرمل] :

بك يا صالح أرضى عن زمانى حين أسخطُ
فأدم لي الوصل إنني بك في العالم أغبطُ
أنت والرحمن مذ كنت على قلبي مسلطُ
ومصيبٌ أنا في الحبِّ ومن بعدي يغلطُ
يا جواداً في لهاه بندها أتبسط^(١)

(١) لهاه : عطاياه ، واتبسط : أتكرم وأتوسع في العيش .

أسقط الحشمة في العشرة فالحشمة تسقط

وله جارية اسمها خمرة وأضمرة [من الكامل] :

ما اسم إذا صحفته وعكسته ونقصت حرفاً منه كان سلاحاً^(١)
وإذا قام ولم يحل عن حاله عادى العقول وصالح الأرواحا
وله في بعض آل الفرات [من المجث] :

قد مرَّ عيدٌ وعيدٌ ما اخضرَّ لي فيه عودٌ
وكيف يخضرُّ عودي والماء منه بعيدٌ ؟
يا من له عددُ المجد كلها والعديدُ
آل الفرات نداهم على الفرات يزيدُ
وأنت فضلك فيهم عليك منه شهودُ
وكلَّ يومٍ لغيري من راحتك مدودُ
هل لي إلى الرزق ذنبٌ إن كان منه صدود ؟
ما الناس إلا شقيُّ في دهرنا وسعيدُ

وقال في صفة جدي [من الرجز] :

جدُّ لي بجدي نعته من اسمه لم يلج التنور مثل جسمه
كأن بين جلده ولحمه لفات قطن بسطت من شحمه
* يؤكل من نعمته بعظمه *

وله يصف رءوساً [من الخفيف] :

قد غدونا على رءوسِ سمانٍ ناعماتٍ من رؤسِ الخرفانِ

(١) « خمرة » إذا صحفته صار « حمرة » فإذا عكسته بعد حذف حرفه منه صار « رمح » وهو من أدوات القتال .

شحماتِ العيونِ والأذانِ
 مسها كفّ آكلٍ بينانِ
 لك من الطيبِ مصّ طرفِ اللسانِ
 كوجوهِ المخدّراتِ الحسانِ
 ض وتنسيك خضرة البستانِ
 واح مثل الأرواح في الأبدانِ
 فرأينا السرور في الأحزانِ
 وهو عبدٌ لسائر الإخوانِ
 فأريت الزّمان حكم الزّمانِ

وارمات الخدود من غير سوءٍ
 تتداعى بالوهم من قبل أن تد
 ولأصل اللسان طيبٌ ينسي
 ورقاقٍ ذي نعمةٍ وبياضٍ
 وبقولٍ تغنيك عن زهرة الرو
 وأنت راحنا التي هي في الأر
 ثم وافى بنفسجٍ في حدادٍ
 عند حرٍّ يستنفد الوصف مدحاً
 أحكمتك الأيام يا ابن حكيمٍ

وقال أيضاً [من الطويل] :

وأمدح من شرّابها كلّ مدمن^(١)
 ولا تحسن الأيام إلّا لمحسنٍ

سأدمنُ شرب الراح ما دمتُ باقياً
 فما تكمل الأوقات إلّا بقهوةٍ

وقال [من السريع] :

وخفض الصّوت عن الرفعِ
 فإنّما خاف من الصّقع^(٢)

إذا هجا الشاعر في خفيةٍ
 ولاذ بالجحد لما قاله

وقال في يوم شديد البرد [من البسيط] :

من قرّو شعّرُ الهامات بالرّعدِ
 قبضت فيه على جمر الغضا بيدي^(٣)

هذا لعمرك يومٌ يستطيع له
 لو شئت لا خائفاً لذعاً ولا ألماً

(١) أدمن الشراب : أي أصبح الشراب عنده عادة لا يستطيع مفارقتها .

(٢) الجحد : الإنكار .

(٣) الغضا : شجر فحمه أو حطبه شديد التوقّد والحرارة .

وله في غلام صوفي [من السريع] :

عشقت صوفياً له شاهدٌ يقيم عذري عند عذالي
قد قصد الله بأحواله فليته يقصد في حالي^(١)

وقال يهجو عبيد الله بن أبي الجوع من قصيدة أولها [من السريع] :

هاجيك فيما قاله ماحٌ فأنت في صفقتك الرابعُ
وما يقوت الفيل من بقّةٍ أمثالها في فمه طائحُ
وربّ من ترفعه خزيةٌ ميسمها في وجهه لائحُ^(٢)
ففخر عبد الله في الناس أن يقول قد ناقضني صالحُ
يا ابن أبي الجوع قدحْتَ امرءاً من فكره يحترق القادح
لقد تعرّضت على غرةٍ قريحةٍ صاحبها قارحُ^(٣)
فاركب ذلول الأمر أو صعبه فيّ فقد جدّ بك المازح
وعقّ من أهلك من شتته فإنّما أنت له فاضحُ^(٤)
واغد بما تهوى وروح إنني غادٍ بما تكرهه رائحُ
يا أيّها الصعو الذي لم يزل يرقص حتى دقّه الجارحُ^(٥)

ومنها :

إن زار الليث على ما أرى وهاج يوماً شرط النابحُ
وودّ أن يفلت من بعدما أنحى على أوداجه الذابحُ

(١) أحواله : طرائقه بالعبادة .

(٢) الميسم : الأثر والعلامة .

(٣) الغرة : الجهل ، والقارح : من ذي الحافر : ما شقّت نابه وطلعت ، يقصد أنه قادر على مواجهته وليس صغيراً .

(٤) عقّ : من العقوق ، وهو نكران الجميل وجود الفضل .

(٥) الصعو : العصفور الصغير .

إِنَّ الذي تَطْمَع في قَرْبِهِ
 يا شارباً في يده حتفه
 أراك قد لَجَجْتَ في غَمْرَةٍ
 فقد تَمَرَّسْتَ بَمِنْ شَعْرِهِ
 كم جَامِحٍ قَبْلَكَ أَلْجَمْتَهُ
 نَجْمٌ لِمَنْ يَرْمِقُهُ لَائِحٌ
 لم تَدْرِ ما خَاضَ لَكَ الجَارِحُ
 يَغْرُقُ في تيارها السابِحُ
 كالبحر لا يَنْزِفُهُ المَاتِحُ^(١)
 بالذِّلِّ حَتَّى سَكَنَ الجَامِحُ^(٢)

وقوله فيه [من السريع] :

يا ذا الذي عن رشده قد عَمِي
 لو كنت شهماً حازماً ضابطاً
 ما أنت في فعلك إلا كَمَنْ
 كيف يخوض البحر من مثله
 فائِثٌ أو أَجْزَعُ كُلِّ ذا واحدٌ
 استقدر الله على كُلِّ ما
 تجاسر الجوع على صالحٍ
 وفاه باسمي مفصحاً بعدما
 وقال قَوْماً قد غدا شاعراً
 فقلت لا لَوْمَ على مثله
 أنا الذي أَلْبَسْتَهُ حَسْرَةً
 والله لا يجهل من بعدها
 لو كنت جلدأ حدث عن أسهمي
 لما تقلبت على الشَّيْهِمِ^(٣)
 تَطْعَمَ الرُّيْقَ من الأَرْقَمِ^(٤)
 يغرق في دائرة الدرهم
 لا عاصم اليوم لمستعصم
 ألصق منك الأنف بالمرغم
 تجاسر الكلب على الضيغم^(٥)
 تركته أسكت من أبكم^(٦)
 والشعر لا يعرف للمفحم
 من أخذ الصَّقْعَ قفاه حمي
 بما جرى من ذكره في فمي
 وفي قفاه للردى ميسمي

(١) الماتح : الغارِف منه وينزفه : يقيته .

(٢) الجامح : الشرود .

(٣) الشَّيْهِم : الدلدل ، وذكر القنفذ ، أو ما عظم شوكة من ذكرانها .

(٤) الأرقم : الأفعى السامة .

(٥) الضيغم : الحيوان المغترس .

(٦) الأبكم : الأخرس .

أَبَيَّنَ بِهِ مِنْ مَيْسَمٍ وَاضِحٍ . يَضِيءُ كَالْغُرَّةِ فِي الْأَدْهَمِ^(١)
فَلَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ رَامَ الْعَلَا وَهَمٌّ أَنْ يَرْقَى بِلَا سَلَمٍ !؟

ومنها :

ثُمَّ أَتَيْتِ بِالصَّعْوِ مُسْتَبْشِرَةً يَرُومُ أَنْ يَلْحَقَ بِالْقَشْعَمِ^(٢)
فِي الثَّمَرِ الْمَرْدِلُ عَلَى رِدَاءَةِ الْأَصْلِ لِمُسْتَطْعَمِ

وله فيه [من البسيط] :

لَا تَعْجِبِي لِسُكُوتِي بَعْدَ أَشْجَانِي لَا تَعْجِبِي لِسُكُوتِي بَعْدَ أَشْجَانِي
قَدْ أَرَقَا اللَّهُ دَمْعِي بَعْدَ جَرِيته قَدْ أَرَقَا اللَّهُ دَمْعِي بَعْدَ جَرِيته
فَمَا أَرَى أَحَدًا يُصْفِي الْهَوَى أَحَدًا فَمَا أَرَى أَحَدًا يُصْفِي الْهَوَى أَحَدًا
لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْوَرَى إِلَّا مَكَاشِرُهُ لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الْوَرَى إِلَّا مَكَاشِرُهُ
أَقُولُ لَابْنِ أَبِي الْجَوْعِ الْمَنَافِقِ إِذْ أَقُولُ لَابْنِ أَبِي الْجَوْعِ الْمَنَافِقِ إِذْ
أَرَاكَ تَقْرَعُنِي سِرًّا وَتَعْجَمُنِي أَرَاكَ تَقْرَعُنِي سِرًّا وَتَعْجَمُنِي
تَرْدٌ فِي جِهَةِ النَّقَارِ مَعُولُهُ تَرْدٌ فِي جِهَةِ النَّقَارِ مَعُولُهُ
الْعَزُّ دَارِي وَظَهَرَ الْعَزْمُ رَاحِلَتِي الْعَزُّ دَارِي وَظَهَرَ الْعَزْمُ رَاحِلَتِي

وله في العناق ، وأحسن ما شاء [من السريع] :

لِي سَيِّدٌ مَا مِثْلُهُ سَيِّدٌ تَصَدَّتِ الْحَمَى لَهُ فَاشْتَكَى
عَانَقْتَهُ عِنْدَ مُوَافَاتِهَا وَالْأَفْقُ بِاللَّيْلِ قَدْ احْلُولُكَ

(١) الميسم : الأثر والعلامة . والغرة : بياض في رأس الفرس ، والأدهم ، من الخيل : ما كان لونه مائلاً إلى الحمرة والسواد .

(٢) القشعم : النسر المسن .

(٣) أرقاً : كَفَّ .

(٤) ترقع : تطرق ، وتعجم : تحك وتنفخص .

(٥) الكدآن : القوي الكثير الشحم واللحم .

فجاءت الحمى كعادتها فلم تجد ما بيننا مسلکا

وقوله يصف برادة على حامل نحاس [من الكامل] :

أُمُّ الحِياةِ على سريرِ نحاسٍ عريانةٌ أبداً بغيرِ لباسٍ
هي في المواتِ لدى الورى معدودة لكنها ضمنتُ حياةَ الناسِ

وقوله [من الوافر] :

بعين الله أنت فإنَّ عيني إذا ما غبت داميةَ الجفون
كأنَّكَ مهجتي فإذا تدانى فراقك حمٌّ لي ريبُ المنون^(١)

وقال يصف البنفسج والورد [من مixel البسيط] :

بنفسجٌ جاء في حدادٍ ووردنا في معصفراتٍ
فاشرب على مأتمٍ وعرسٍ جلا جميعاً عن الصفتِ

وسأله ابن رشد بن المسير معه إلى القاش فقال مرتجلاً [من المنسرح] :

يا آمري بالمسير في لجج النيل كأنَّ سَخَرْتُ لي الريح
ما جمَدَ الماءَ لي فأركبهُ كلاً ، ولا صامتِ التماسيح

* * *

٣٤ - محمد بن الحسن اليماني

أنشدت له في صالح [من المجتث] :

يا قاطعي بعد وصل تسوم ما لا أسومك^(٢)

(١) حمٌّ : نزل ، وحمّ القضاء : أي نزل .

(٢) الوصل : من الوصال وهو القرب ، وتسوم : من سام : أي عرض البضاعة وغيرها للبيع وذكر ثمنها ، وسامه الخسف : أذله .

يا ليت أتى يوماً من الزمان نديمك
فالشوق عندي غريمٌ كما السلو غريمك
وقوله [من مجزوء الرمل] :

فاضحَ الغصنِ النضيرِ كاسف البدر المنيرِ
أنت عذري في حياتي ومماتي ونشوري
ما سرورٌ غاب عنه صالحٌ لي بسرورِ

٣٥ - محمد بن هرون بن الأكتمي

أنشدت له في بعض الوزراء يهجوهُ [من مجزوء الخفيف] :

يا وزيراً إلى المكايل والبيع ينسب
من يرُم حَبَّكَ يتعبُ وأمانيه تكذبُ
وإذا ما رجوته قلت ما مات أشعب
يا وضيعاً ترجِّل الـ مجد مذ صار يركب^(١)

وله يهجو ابني كشاجم أبا النصر وأبا الفرج [من الكامل] :

يا ابني كشاجم أنتما مستعملان مجربان
مات المشوم أبوكما فخلفتماه على المكان^(٢)
وقرنتما في عصرنا ففعلتما فعل القران
لغلاء أسعار الطعا م وميتة الملك الهجان

وقوله في عزاء [من الوافر] :

بقاؤكما يعيد الميت حياً وإن غطاه دونكما الترابُ

(١) ترجِّل : أي أصبح يمشي على رجليه .

(٢) المشوم : من المشؤم خفَّت الهمة للضرورة الشعرية .

فلا تستشعرا حزناً عليه فيذهب لاعدمتكما الثوابُ

وله في غلامه راشد [من مخلع البسيط] :

يا قمر الليل كن شهيدى	فأنت من أعدل الشهود
هل نمت أو ذقت طعم غمضٍ	مذ هجعت أعين الرقودِ
وكيف يلتذُّ باغتماضٍ	من لجَّ مولاه في الصدودِ
فكن شفيعى إلى حبيبٍ	قد زاد في كثرة الجحودِ

وقال رحمه الله [من المتقارب] :

كأنَّ الأباريق مملوءةٌ	طباءٌ وقوفٌ على ساحلٍ
رمaha بأسهمه قانصٌ	فخضبها بالدم السائلِ

وقوله في شمعة [من مجزوء الرجز] :

باكيةٌ	ضاحكةٌ	خدأها	جلاسها
مظهرةٌ	أنوارها	إن جزَّ منها رأسها	
كأنها	عاشقةٌ	تذيبها	أنفاسها

وقال [من السريع] :

لو أنصفت عطفتُ أو رقتُ	ما أضنت الجسم ولا سلَّتْ
أفدي التي إن أقبلتُ أقبلتُ	دنيائى أو غنَّتُ لنا أغنتِ

وقال [من مخلع البسيط] :

يا أيها ذا أستمعُ مقالى	فليس في قصتي ضلالُ
ثلاثةٌ مالها مثالُ	السَّجن والجوع والعيالُ
إن دام هذا علىَّ منهمُ	صححت ما شنعوا وقالوا
أليس إن متَّ مات شعري	أفنى وما قلته يقالُ

وقوله [من مجزوء الرمل] :

أكثر العذال لومي يا ابن رشدين وزادوا
وبقلبي منك وجدٌ ماله الدهر نفاذُ
قد تجافى عن جفوني مذ تجافيتُ الرقادُ
فيك يا صالح للقلب صلاحٌ وفسادُ
أنا من حبك مولا ي عليلٌ لا أعاد^(١)

وقوله [من السريع] :

دافعت أيامي بأيامي حتى مضى أكثر أعوامي
وإنما عمر الفتى كله كأنه طارقُ أحلامِ
يا ويح من أمسى على غرّةٍ وأنفه من حتفه دامي^(٢)
يرمى بسهمٍ للردى صائبٍ من حيث لا يشعر بالرامي

* * *

٣٦ - عبيد الله بن محمد بن أبي الجوع

أحد رواه المتنبي الأدباء ، وأصحابه العلماء ، وممن تمهر في لغات العرب
وأجاد أنواع الأدب ، فمن شعره قوله رحمه الله تعالى [من المتقارب] :

أظنك يا سيدي إذ جفوت توهّمت بي نبوة الغادر^(٣)
وخلتَ بأني ملأاً سلوتُ ولست بسالٍ ولا صابرٍ
وقد علم الله أنني عليه ك أشفق منّي على ناظري

(١) أعاد : أزار .

(٢) الغرّة : الغفلة ، والحتف : الموت والهلاك .

(٣) النبوة : الجفوة والبعد .

وقال [من السريع] :

صالح يا مشبه بدر الدجى بالحسن والإشراق والرفعة
وجهك في الليل كشمس الضحى نوراً فما تصنع بالشمعة

وقال [من المجتث] :

يا أطيّب الناس ريحاً وأطيّب الناس راحا
وما به أتصدى الـ أطراب والأفراحا
هات اسقني أو تراني لا أعرف الأقداحا
واحفظ عليّ فؤادي من أن يطير ارتياحا
لو كنت كاسمك يا صا لح اعتمدت الصّلاحا
لكن أبى الله إلّا أن تفسد الأرواحا

قال : وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه بهذه الأبيات [من المجتث] :

شعبان قد صار نضواً ولم نفذ فيه لهوا؟^(١)
وليس ذلك منّا جهلاً ولا كان سهوا
فبالمودة إلّا بكرت للقصف عدوا^(٢)
حتى نقوم فترفوا ما خرق الدهر رفوا^(٣)
من بعد تقديم جدي مسمّن ظلّ يشوى
له ثلاثون يوماً يجبو إلى الضرع حبوا^(٤)
وأوفر الزور في الخ لّ قد تبوّأ مثوى

(١) النضو : الهزيل ، أي أنّ قمر شعبان أصبح في لياليه الأخيرة وهذا دليل على انتهائه .

(٢) القصف : اللهو ، والعدو : الإسراع في السير .

(٣) نرفوا : أي نصلح عيب الثوب أو ما تمرّق منه .

(٤) الضرع : الثدي .

لما انتزعت حشاه	عوضته البقل حشوا
وقد عنيت بجامٍ	ملأته لك حلوى
وقهوة بنت كرمٍ	صفت من الذم صفوا
ما شعشت قط إلا	سقط على الهم سطوا
جنبها كل وغدٍ	يمحو المحاسن محوا
إلا إذا ما اقتنصنا	عذب الخلائق حلوا
وشادنٍ ذي دلالٍ	يشدو فيلهيك شدوا
إما غناءً وإما	عجائباً عنه تروى
حتى تظل بما فيه	من وقارك خلوا
وعندنا لك وردٌ	يحدو المسرة حدوا ^(١)
ريحانه لا يوازي	لوناً وعطراً وسروا
فما اعتذارك في أن	تُفني زمانك صحوا
وأنت بعد قليلٍ	بالصوم والله تطوى
أبا عليٍّ ألا اسمعُ	نصيحةً ليس تزوى ^(٢)
فإنما نحن سقرٌ	على محجة بلوى
ولا تعرج ذميماً	على معاهد حزوى

وله في أبخر [من الخفيف] :

لا تنفّس في مجلسٍ أنا فيه	وتنفّس سرّاً وراء البابِ
ثم لا تعترض لسرّ صديقٍ	إنّ ذاك السّراء سوطُ عذابِ
إنّما فوك فقحة كلّ وقتٍ	تتصدى الأنوف كالنّشابِ

(١) الورد : المنهل ، ويحدو : يسوق .

(٢) تزوى : تبعد ولا يعمل بها .

تصرع الطائر المحلّق في الجوّ ولو غاب في سواء السّحاب
وقوله [من الوافر]:

أرى اللذات تعبر بي يميناً على رغمي وتعبر بي شمالاً
فأجرعُ دونها غصصاً لأنّي أشاهدها وما اعطيت مالاً
وقوله [من مجزوء الخفيف]:

وعذارٍ مجعدي فوق خدٍّ موردي
كلّما رمتُ فرصةً لسعت عقربُ يدي

* * *

٣٧ - الحسن بن محمد الشهاجي

كتب إلى صالح بن رشدين يستهديه مشوراً في يوم نيروز [من السريع]:

اليوم يا صالح ما تبصرُ وصحو مثلي فيه مستنكرُ
وقد مضى الوعد وحصلته وصفوه من مظهله يكدر^(١)
فهات ما يحضر إنّي امرؤُ يقنعه منك الذي يحضرُ

وله [من المنسرح]:

قولِي ماض على العباد فما يُردُّ في جدّه ولا لعبه
ولي لسانٌ كأنّه ظبّةُ السّيف طویلُ أكاد أعثر به^(٢)
وقوله [من البسيط]:

وقهوة كشعاع الشمس صافيةً شربتها مع شرب سادة كرمها

(١) المظل : التسويف بالوعد وعدم الوفاء به .

(٢) ظبّة السيف : شفرته .

حازو الفخار وأجروا بالسيوف دما^(١)
نجومٌ كلٌّ فخارٍ لا نجوم سما

وقوله [من الطويل] :

وأسرح في أقطارها حين تقرب
وسيفي الذي أسطوبه حين أضرب

وقوله [من الرجز] :

ترمي الندامي بالشرر
وبرد انفاس السحر^(٢)
على غناء ووتر
كعبتها ثم اعتمر

إذا ثنوا أرؤس الفرسان في رهج
إذا رأيتهم أيقنت أنهم

تضيق بي الدنيا إذا كنت غائباً
وأنت جناحي كلما طرت للعلا

وقهوة في كأسها
قد جمعت نشر الربا
أطيب ما شربتها
طوبى لمن حجَّ إلى

وقوله [كن الكامل] :

في كلِّ حالٍ من علو الكوكب
ألبيسته ثوب الثناء الطيب
أقصى حديثك من بأرض المغرب

وعلو قدرك وهو أبعد غاية
لأسيرن مديحك الحسن الذي
حتى يحدث من بأرض المشرق الـ

وقوله [من الكامل] :

قبل الصبوح سلافة عذراء
حتى توسد كفه اغفاء
لما استقلَّ لسانه فافاء^(٣)

ومفهف ساقٍ أغن سقيته
ما صاح ديك الصبح إلا صيحة
جعلته قبل رقاد كاسلته

(١) الرهج : غبار الحرب .

(٢) نشر الربا : عبثها الطيب .

(٣) الفافاء : الذي يفأء في كلامه فيخرج الكلام من بين شفتيه كثير الفاء .

٣٨ - أبو علي صالح بن رشدين الكاتب

أحد أئمة الكتاب ، المهرة في سائر الآداب ، صحب المتنبي وروى شعره ، وكان جيد المعاني ، أنشدني له محمد بن عمر الزاهر [من مجزوء الخفيف] :

قل لمولاي منعماً لم صرمت المتيمماً^(١)
أنت أعطشتني إليك وأبكيتهني دماً
فإذا شئت أن ترى عاشقاً ميتاً ظماً
فأدر في ناظريك تجدني توهُماً

وقوله [من المَجْنُث] :

أَجْنَةُ نحن فيها أم نحن في المرزجوش^(٢)
ما بين آسٍ وماء ينساب بين العروش
وقهوة ذات حسن وطاجنٍ ذي نشيش^(٣)
وسيدٍ رشت منه لما تطاير ريشي^(٤)

وزاره ابن أبي الزلازل في منزله ، فلم يره ، فطرح له رقعة من طاق في المنزل ، وكتب اسمه على الباب . فلما أتى صالح ورأى اسمه على الباب ووجد الرقعة فقرأها فوجده يعتبه فيها على انقطاعه عنه ، فذهب صالح في

(١) صرمت : هجرت وقطعت .

(٢) المرزجوش : معرب مرزنكوش ، ويسمى أيضاً مردقوش ، وعربيته السمق وهو نبات الياسمين ، ويطلق على الزعفران .

(٣) الطاجن : ما يقلى فيه ، والنشيش : الغليان وصوته .

(٤) رشت : تقويت واستغنيت .

الوقت إلى منزل ابن أبي الزلازل فلم يجده . فكتب اسمه على بابه وترك رقعة فيها [من الخفيف] :

قد ، ومن حصّني بوّدك، أذكى	طول شوقي إليك في القلب نارا ^(١)
سرت فيه تلقاء داري قصداً	فإذا النور قد تغشّى الدّيارا
فتعجبت أن أرى الأفق ليلاً	مدلهمأ وجوف داري نهارة
وإذا خطك البديع على البا	ب يبت الضياء والأنوارا
فتمنيت أن خدي نعلًا	أخمصيك للذين نحوي سارا
غير مستنكر لمثلك أن يسبق فضلاً وأن يفوت فخارا	
ثم أصبحت أشتكي عثر السكر وعزمي زيارتيك ابتكارا	
فإذا رقعة تمرُّ بها الريح يميناً طوراً وطوراً يسارا	
فتأملتُها وكانت من اللا	ئي تروق القلوب والأبصارا
ما توهمت أنني قبلها أقرا خطأ يزيل عني الخمارا	
قابلتني منها سهام عتاب	جعلت درعي الحصين اعتذارا
وأحاشيك أن تكون خليلاً	مذق الودّ للصديق معارا ^(٢)

فلما رأى ابن أبي الزلازل الرقعة كتب إليه بهذه الأبيات [من الخفيف] :

بأبي أنت سابق لا يجارى	قاده نحوي اشتياق فزارا
عاقني الحظ أن أراه وأن نق	ضي عند اجتماعنا الأوطارا
يا ابن رشدين قد أفدت بك الرش	د وبدلت بعد عسر يسارا
كنت بالأمس عند إخوان صدق	أدباء ندير كأساً عقارا
قد جعلنا محمود ذكرك نقلاً	وشربنا من قبله تذكارا ^(٣)

(١) أذكى : أوقد .

(٢) المذق : المدهن .

(٣) النقل : ما يؤكل مع الخمر كالفسق وغيره .

ثم إني انصرفت سكران أعتسُ طريقِي تمايلاً وعشاراً^(١)
والدجى كالهوم في قلب من فا رَقَ عشقاً وغربةً واذكاراً
أخبط الليل مفرداً إذ تراءى لي نورُ أضاء ثم استطارا
فهنيئاً إني أودك ودّاً ترتضيه مغيباً وجهاراً
ثم أخبرتني بشكواك فيها فوقاني الإله فيك الحذارا
لم أزل دائباً أكرّر قولي كان لي فيك حافظ الجار جاراً



٤٠ - أحمد بن محمد العوفي

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر قوله [من المبحث]:

يا حسرةً في نفوسٍ ويا شجىً في حلوقٍ^(١)
يا فضةً بين ثنبي غلالةٍ من عقيقٍ
عليّ لا زلت همي في صبحتي وغبوقي
ودون سلوةٍ وجدي وجدان بيض الأنوق^(٢)

وأنشدني أيضاً [من المبحث]:

يا موقظاً طرف همي من بعد ما كان أغفى
تظنّ ما بتُ أخفيه من جوى بك يخفي
ولي لسان دموعٍ ما يكتّم الناس حرفاً
إذا تظلم طرفي وقعت بالطرف تُكفى

(١) عسّ : طاف بالليل .

(٢) الشجى : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

(٣) الأنوق : العقاب ، أو طائر أسود يحرز بيضه فلا يكاد يوصل إليه .

وأنشدني له [من المجتث] :

قد عابني برقادي	خياله حين زارا
ولا وحبّيه ما إنْ	فعلت ذاك اختيارا
طمعت في أن أراه	طوعاً فنمت اضطرارا
فَتلك علّةٌ نومي	يا ملزمي فيه عارا

* * *

٤١ - القائد أبو تميم سليمان بن جعفر

كتب إلى صالح بن رشدين رسالة يستدعيه فيها إلى الشراب ، فامتنع عليه وكتب له هذه الأبيات [من المنسرح] :

يا أيها القائد الجليل ومنْ	أصبح بالمكرماتِ يفتخرُ
آليت لا أشرب المدام ، وإنْ	كانت ذنوب المدام تغتفرُ
يكفي أخا العقل أنْ سورتها	تجني على عقله ويعتذر ^(١)

فكتب إليه القائد أبو تميم [من المنسرح] :

أبا عليّ حاشاك يا أملي	من أن أراك الغداة تعتذرُ
قلبي إذا غبت ساعةً قلقُ	يكاد شوقاً إليك يستعرُ
فسرّ إلينا فوقتنا حسنُ	ساعد فيه السحاب والمطر

قال ابن رشدين : حضرت عند القائد أبي تميم في ضيعة له ، فلما عمل فينا الشراب نظرت إلى جارية له تسمى عبدة ذاهبة وجائبة ، فحملني

(١) سورة الخمر : حدّتها .

النبذ أن أخذت رقعة وكتبت فيها إليه [من الخفيف] :

صالحٌ لا يزال يطلب عبدهً من كريمٍ يصفى الأخلاء وده
قد بثت الغداة وجدي وحيي من ولي يولي لمولاه مجده
فإذا شئت أن أرى لك عبداً فتفضل أبا تميم بعبده

فقرأها وأمسك ، فارتعت وخفته ، وتماديت في الشرب معه ، ثم
نهضت الى منزل أنزلي فيه بقربه ، فلما استقري انفذ لي الجارية ومعها
درجٌ فيه طيب كثير، وعليها ثياب رفيعة حسنة ، ورقعة فيها شعر [من
الخفيف] :

قد بعثنا أبا عليّ بعبده وقضينا بذاك حق المودة
وحمدناك إذ خطبت إلينا أسأل الله أن يهنّيك حمده
فخذنها فأنّت أكرم كفاءٍ وهي ما عشت كاسمها لك عبده

وقال الخادم الذي جاء بها : يقول لك مولاي : لا تخرج غدا من
منزلك او يأتيك رسولي . فلما أصبحت جاءني القائد أبو تميم بجواريه
المغنيات وطباخه ، معه طعام كثير قد أعده وشراب ، فمازلنا نأكل ونشرب إلى
الليل وانصرف فرحاً مسروراً .

٤٢ - أبو هريرة أحمد بن عبد الله بن أبي العصام

أنشدني له ابن وهب [من الطويل] :

لئن ذهبَ أيام لَدَتْنَا الأولى بذى الأسل ما وجدي عليها بذهاب
ألا ليت أياماً مضت لم تكن مضت ففقدني لها يا صاحٍ إحدى المصائب
رعى الله أيام السرور فإنّها تمر سريعاتٍ كمرَّ السحاب

وقوله في رثاء صالح [من السريع]:

كلُّ الذي أصلحه صالحُ
وصاح في مجلسه الصائِحُ
وناح في اوطانه النائح
إذ راح في حفرته الرائح
قولي فأني مشفقٌ ناصحُ
ففرقُ ما بينهما واضح
كلُّ امرئٍ عن أهله نازحُ

قد أفسد الموت على صالح
وانصرف البواب عن بابه
خلَّوه في دار البلى مفرداً
يا ليت شعري ما الذي قاله
يا أيُّها الناس ألا فاسمعوا
لا تؤثروا الدنيا على غيرها
فالحمد لله وشكرُ له

وقوله [من الخفيف]:

ياشبيه الهلال عند الطلوع ؟
من ضميري وأنت بين ضلوعي

مَنْ رسولي إليك أو من شفعي
أنت في القلب شاهدٌ ليس يخلو

وقوله [من البسيط]:

والأرض تضحك كالجدلان من فرح
من الزمان وما نلقى إلى القدح

أما ترى الغيم كالباكي بأربعةٍ
فقمٌ فديتك نشكو ما نكابدهُ

وقوله [من المنسرح]:

مع كل ذي نشوةٍ وذِي ظُرفٍ^(١)
تقصر عنه بدائع الوصفِ

كم لي بدير القصير من قصفٍ
لهوت فيه بشادنٍ غنجٍ

وقوله [من السريع]:

من أهل ودي ومصافاتي

أذكرتني ياديرُ مَنْ قد مضى

(١) القصف : المجون .

كم كان لي فيكَ وفيهمُ معاً من طيب أيامٍ وليلاتٍ
أشكو إلى الله مصاباتهم وفقدنا أهلَ المروءاتِ
وقوله [من البسيط]:

كتمتُ حَبْكَ في قلبي فما وسعهُ هذا وليس له شغلٌ سواه مَعَهُ
يا من إذا ما بدت للناس صورتهُ رأيت فيها فنون الحسن مجتمَعَهُ
والله ما حلتُ عما قد عهدت ولا أصغيت أذناً إلى العَذالِ مستمعهُ^(١)
رفقاً بمن لو تسلى عنك يا أملي بكلِّ شيءٍ على الدُّنيا لَمَّا نفَعَهُ

* * *

٤٣ - أبو القاسم بن علي بن بشر الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف العذار [من الخفيف]:

مَنْ عذيري إلى العذار الجديد؟ مَنْ رسولي إلى القريب البعيد؟
دَبَّ في خدِّه العذار فحاكى ظلمة النَّحس في بياض السَّعودِ
وقوله [من السريع]:

أما ترى لي ناظراً شاهداً بالحبِّ والأعين رسلُ القلوبِ
ودون إلحاح جفوني به تخبر عما في فؤادي الكئيبِ
وأنت لا شك به عالمٌ لأن عند المِرْدِ علمُ الغيوبِ
وقوله [من المنسرح]:

ضممته ضمَّ مفرط الضمِّ لا كأبٍ مشفقٍ ولا أمٍّ^١
ولم نزل والظلام حارسنا جسمين مستودعين في جسمٍ

(١) حلت : تحوكت وتغيّرت .

أَلْثَمَهُ فِي الدُّجَا وَبَرَقَ ثَنَا يَاهُ يَرِينِي مَوَاقِعَ اللَّثَمِ
ثُمَّ افْتَرَقْنَا عِنْدَ الصُّبْحِ وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ كَهَيْئَةُ الْخَتَمِ
وَقَوْلُهُ [مِنْ الْبَسِيطِ] :

إِذَا ذَكَرْتَ أَيْادِيكَ الَّتِي سَلَفَتْ مَعَ قَبْحِ فَعْلِي وَزَلَّاتِي وَمَجْتَرَمِي
أَكَادُ أَقْتُلُ نَفْسِي ثُمَّ يَدْرِكُنِي عِلْمٌ بِأَنَّكَ مَجْبُولٌ عَلَى الْكِرَمِ
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

أَنْتَ مِنِّي بِحَيْثُ مَأْوَى الْغَرَامِ وَبِحَيْثُ افْتِقَادِ طِيبِ الْمَنَامِ
فِي فَوَادِي وَنَاطِرِي وَهَمَا مِنْكَ قَرِينَا صَبَابَةٍ وَانْسِجَامِ
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْوَافِرِ] :

لَحَى اللَّهُ امْرَأً يَوْعِيكَ سِرًّا لَتَكْتُمَهُ وَفَضَّ اللَّهُ فَاؤُهُ^(١)
فَإِنَّكَ بِالَّذِي اسْتَوْدَعْتَ مِنْهُ أَنْتُمْ مِنَ الزُّجَاجِ بِمَا حَوَاهُ^(٢)
وَقَوْلُهُ [مِنَ الْكَامِلِ] :

بِيضَاءَ جَنَحٍ جَبِينَهَا فِي لَيْلٍ طَرَّتْهَا الْبَهِيمُ
ضِدَّانَ مَا اجْتَمَعَا لَغِيٍّ رَتَشْتُ الصَّبْرَ الْمَقِيمُ
وَلَذِكْرُهَا أَنْدَى عَلَى الْـ أَكْبَادٍ مِنْ بَرْدِ النَّسِيمِ
وَوَصَفَتْ نِعْمَةً حَسَنَهَا فَنَعَمْتُ فِي صِفَةِ النَّعِيمِ

وَقَوْلُهُ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

دِيُونُ الْمَكَارِمِ لَا تُقْتَضَى كَمَا تُقْتَضَى وَاجِبَاتُ الدِّيُونِ

(١) لَحَى اللَّهُ : لَعَنَ اللَّهُ ، يَوْعِيكَ : يَكْتُمُكَ وَيَأْتِمُنْكَ ، وَفَضَّ : فَتَحَ وَشَقَّ .

(٢) أَنْتُمْ : أَدُلْ .

ولكنّها في قلوب الكرام تجول مجال القذى في العيون
وقوله [من المنسرح] :

طرفي على ما عهدت في أرقه فيك وقلبي يزداد من حُرَقه
ولي حبيب أقام معتنقي كما أقام الشّهاب في غسقه^(١)
وجملة الأمر أنني رجل قدّمْتُ قبل الفراق من فرقه^(٢)
هذا حديثي والشمل مجتمع فما حديثي في عقب مفترقه !؟

قال لي الزاهر : أخبرني ابن بشر أنه كان له جد لأم يعرف بكولان ،
وكان هو من أهل الأدب والكتابة ، وحسن الشعر والخطابة قال لي حججت
سنة من السنين ، وجاورت بمكة حرسها الله ، فاعتلت علة تطاولت بي ،
وضاق معها خلقي ، ثم صلحت منها بعض الصلاح ، ففكرت في أنني
عملت في أهل البيت تسعا وأربعين قصيدة مدحا ، فقلت : أكملها خمسين .
ثم ابتدأت فقلت :

* بني أحمد يا بني أحمد *

ثم ارتج على^(٣) فلم أقدر على زيادة ، فعظم ذلك عليّ ، واجتهدت
في أن أكمل البيت فلم أقدر ، فحدث لي من الغم بهذه الحالة ما زاد على
غمي بإصاقتي وعلتي ، فمنت اهتماماً بالحال ، فرأيت النبي ﷺ ، فجئت إليه
فشكوت إليه ما أنا فيه من الإضاقة وما أجده من العلة وأخرى من القلة ، فقال
لي : تصدق يوسع عليك ، وصم يصح جسمك ، فقلت له : يا رسول الله ،
وأعظم مما شكوته إليك أنني رجل شاعر اتشيع ، وأخص بالمحبة ولدك

(١) الغسق : الظلام .

(٢) الفرق : الخوف .

(٣) أرتج عليه : استغلق عليه الكلام .

الحسين وتداخلى له رحمة لما جرى عليه من القتل ، وكنت قد عملت في أهل بيتك تسعاً وأربعين قصيدة ، فلما خلوت بنفسي في هذا الموضع حاولت أن أكملها خمسين ، فبدأت قصيدة قلت فيها مصراعاً وأرتج عليّ إجازته ، ونفر عني كل ما كنت أعرفه فما أقدر على قول حرف ، قال : فقال لي قولا نحا فيه إلى أنه ليس هذا إليّ ، لقول الله تعالى : ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ (١) ثم قال لي : اذهب الى صاحبك ، وأوماً بيده الشريفة إلى ناحية من نواحي المسجد ، وأمر رسولا أن يمضي بي إلى حيث أوماً ، فمضى بي الرسول على ناس معهم عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه . فقال له الرسول : أخوك وجه إليك بهذا الرجل ، فاسمع ما يقوله ، قال : فسلمت عليه ، وقصصت عليه قصتي كما قصصت على النبي ﷺ ، فقال لي : فما المصراع ؟ قلت [من المتقارب] :

* بني أحمد يا بني أحمد *

فقال للوقت قل :

بكث لكم عُمَدِ المسجدِ	بيثرب ، واهتزّ قبر النبي
أبي القاسم السيّد الأصيل (٢)	وأظلمت الأفق أفق البلاد
وذّر على الأرض كالإثم (٣)	ومكّة مادتْ بيطحائها
لإعظام فعل بني الأعبد	ومال الحطيم بأركانه
ولو شاء كان طويل اليد	وكان وليّكم خاذلاً

(١) من الآية ٦٩ من سورة يس .

(٢) يثرب : المدينة المنورة ، والأصيل : الكريم العظيم .

(٣) ذرّ : نثر ، والإثم : الكحل .

قال : ورددها عليّ ثلاث مرات ، فانتبهت وقد حفظتها :

* * *

٤٤ - الحسن بن خلاد رحمه الله تعالى

أنشدني الزاهر له [من مجزوء الوافر] :

وَمُنْهَتِكَ لَهُ نَظَرٌ يصون مواقع النظر^(١)
هَلالٌ لوبدا للسَّفَرِ أَلْهَامُ عَنِ السَّفَرِ
فوا ويلاه من قمرٍ يريك مساوي القمرِ
لقد أصبحت من كلّفي بغرته على غرر^(٢)

وقوله [من مجزوء الرمل] :

يا مريداً منّي الوصل ووصلني في يديه
أنا لا اعرف من لا يعرف الحقّ عليه

وقوله من أبيات [من مجزوء الكامل] :

نختال في حلال الصبا كالبدري في حلال الغيوم
وإذا تثنّيت جال في أعطافها ماء النعيم
ينسيك طيب نسيمها بعد الكرى برد النسيم

وله أول قصيدة [من الطويل] :

هو السيف لا يكسوك مالم يُجَرِّد فجرّده واسترفد بغريبه تُرفد^(٣)

* * *

(١) ومنهتك : غير محبوب ،

(٢) الكلف : العشق ، والغرر : الطيش .

(٣) الغريب : الحدّ ، واسترفد : أي اطلب الرزق بحدّه .

٤٥ - أبو الحسن اللطيم

أنشدني ابن وهب قوله [من مخلع البسيط] :

لا تنكري سرعة اختلاسي لذات أيامي القصار
فإن علمي بغدر دهري صيّرني خالع العذار

وقوله [من السريع] :

أهديت لي تذكرة خاتماً اسمك منقوش على فصّه
فما اعترتني زفرات الهوى إلا تروّحت إلى مصّه

٤٦ - سليمان بن حسان النصبي رحمه الله

أنشدني ابن وهب له [من الخفيف] :

وهتوف ورقاء أرقبت العيــــنَ، وزادت خبل الفؤاد خبالاً^(١)
ذات طوقٍ من الزبرجد يحكي صفو عيشٍ عني تولّى وزالا
أيقظتني والصبح قد خالط الليل كما خالط الصدود الوصالا
وتراها كأنما بدموعي خضّبوها أو خاضت الجريالاً^(٢)

وقوله يصف الراي المقلي وهو ضرب من السمك [من مجزوء الرمل] :

ما رأينا مثل هذا السراي حسناً ، ما رأينا
صار تبراً بعد أن كا ن عقيقاً ولجينا

وقوله في شمعة [من المتقارب] :

ومجدولة مثل صدر القناة تعرّت وباطنها مكتسي

(١) الخبال : فساد العقل والرأي .

(٢) الجريال : صينج أحمر .

وتأج على الرأس كالبرنس
وقطت من الرأس لم تنعس^(١)
لساناً من الذهب الأملس
ضياءً يجلي دجا الجندس^(٢)
وتلك من النار في أنحس
وعن ذا البنفسج والنرجس
ونجم تألق في المجلس
ورؤيتها منية الأنفس
فتفنى وتُفنيه في مجلس
ويا حامل الكأس لا تحبس
على الدهر في عزك الأقس^(٣)

لها مقلّة هي روح لها
إذا رنقت لنعاس عرا
وإن غازلتها الصبا حرّكت
وتنتج في وقت تلقيحها
فنحن من النور في أسعد
وقد ناب وجهك عن ضوئها
ولكنها آله للندام
توقدّها نزهة للعيون
تكيد الظلام كما كادها
فيا ربّة العود حثي الغناء
ويا صالح انعم وعش سالمأ

وله يصف روضة [من الرجز] :

وزهرٍ مثل عشور المهرق^(٤)
أجفانها من لؤلؤٍ مفلّق^(٥)
وسوسنٍ غضّ النبات موتق^(٦)
وقد حكاها في ضياء الرونق
يا حسنّها من روضةٍ لم تطرق

وروضةٍ ذاتٍ غديرٍ متثقٍ
ونرجسٍ مثل العيون الرّمق
باهتةٍ قد فتحت لم تطبق
يشفّ فيه كالزجاج الأزرق
بنفسجٍ مثل اللجين المحرق

(١) رنقت : انكسر طرفها ، وخفقت ، عرا : حلّ ، وقطت : أي قطعت .

(٢) الجندس : الظلام الشديد .

(٣) الأقس : المنيع الثابت .

(٤) متثق : المملوء من كل شيء بما يناسبه ، والعشور : المختلطة ، والمهرق : الصحيفة البيضاء .

(٥) الرّمق : المتطلعة من رمق : أي نظر .

(٦) الموتق : المعجب والجميل المنظر .

كأنها سافرة عن خلقي أو حسن ما ألفته عن منطقي
 باكرتها مثل انفلاق الفلق وشهبه حائرة في الأفق
 في عصبه غر كرام سُبَقِ يخطرُن فيها بقسي البندق^(١)
 كل فتى في قصده موفّق كأنه من نفسه في فيلق
 مقرطس في رميه مؤنّق وهو يراعيها بطرف شيق^(٢)
 خوفاً عليها وهو عين المحنق فصاد ما شاء بلا تعوّق

* وراح من نجيعه في يلمق *

وقوله في الحمام [من مجزوء الرمل] :

أنت في الحمام موقو فتأملها تجدها
 جرّها من حر أنفا سي وفيض الماء دمعي
 كُؤنّت من بعض طبعي ف على قلبي وسمعي

وله يصف ناعورة [من السريع] :

كم نَعَرْتُ بالحيّ ناعورة حنينها كالبربط الناعر^(٣)
 فتارة تحسبها قينة تردّد الزمّر على الزامر
 وتارة ثكلى جرى دمعا في مستهلّ واكف ماطر^(٤)
 كأنما كيزانها أنجم دائرة في فلك دائر

* * *

(١) البندق : ما يرمى بالقسي ليصطاد به .

(٢) مقرطس : الذي يكتب في القرطاس ، مؤنّق : متمهل ومتقن أي الصحيفة

(٣) البربط : آلة موسيقية تشبه العود .

(٤) الواكف : السحاب الممطر .

٤٧ - الحسن بن علي الأسدي كاتب السر

كتب إليه أحمد بن محمد بن إسماعيل الرسي يطلب منه الكتاب الذي عمله المعروف بالأنيس ، فأنفذ إليه الجزء الأول منه وكتب إليه [من الخفيف] :

قد بعثنا بمؤنسٍ لك في الوحشة خلٌ يدعى كتاب الأنيسِ
فيه ما يشتهي الأديب من العلم ، وفيه جلاء همّ النفوسِ
فيه ما شئت من بدور معانٍ ضاحكاتٍ إلى وجوه شمسِ
والنفيس البهيّ ما زال يُهدى كل حينٍ إلى البهيّ النفسِ

فلما قرأ رقعته كتب على ظهرها ارتجالاً [من الخفيف] :

قد قرأت الكتاب يا خلٌ نفسي فهو لي مؤنسٌ وأنت الأنيسُ
فهو تأليف ذى ذكاءٍ وفهمٍ وهو وقفٌ على العلوم حبيسُ

وحكى عنه أنه قال : قد كان أبو الحسين جنبك الأخشيدي من كرماء الناس ، وكانت بيني وبينه مودة ، فكنت أغشاه كثيراً للحوائج التي تعرض إليه ، فاستخدم بواباً ، فحجّني غير مرة ، فكتبت إليه [من المنسرح] :

يا علّم المكرماتِ والسؤددِ	إليك أشكو بوابك الأسودِ
يبعدني كلّما دنوتُ ، وما	حقّ كريم الوداد أن يبعدُ
في كلّ يومٍ ألقى بطلعته	طالع نحسٍ يسوءني أنكدُ
وجهٌ شتيمٌ بكلّ فاحشةٍ	عليه من كلّ مشهدٍ يشهدُ
كلبٌ يهرّ الضيوف إن طرقوا	فناءك الرّحب كالحِ اعقدُ
أبعده وأنفٍ الخبيت عنك كما	ينفي القذى عنه خالص العسجدُ
أولا ، فلن تستطيع تنظم ما	عنك من المكرمات قد بدّدُ

وما انتفاع الورى ببحر ندى تذادُ عنه العطاش لا توردُ^(١)
 فما شعرت حتى جاءني خادم له يقال له بشرى ، وكان يحبه ، والبواب
 الأسود معه ، وقال لي : إن مولاي يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : قد
 غمني ما جرى من البواب ، وقد قرئ عليّ الشعر . ولو كنت أحسن قوله
 لأجبتك ، ولكني قد أنفذته اليك ، وأمرت بشرى أن يضربه بين يديك ثلاثين
 مفرقة ، ونجسه ، فشكرت له ، وقلت لبشرى : قل له ياسيدي ما أحب ان
 تبلغ به إلى هذا كله ، وسألت بشرى أن لا يضربه ، فقال : والله مالي إلى
 تركه من سبيل ، وقد قال لي : سيقول لك لا تضربه وعليّ لئن رددته إليّ بلا
 ضرب لأضربه بين يدي مائة مفرقة ، قلت : فإذا كان كذلك فاضربه ضرباً
 خفيفاً . ولا تحتنه^(٢) ، فضربه بحضرتي ضرباً خفيفاً ، وانصرف به ، ولا والله
 ما رأيته في داره بعدها .

٤٨ - أبو القاسم أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن طباطبا الحسني الرسي

أنشدني له ابن وهب قوله [من المنسرح] :

يا بدرُ بادرُ إليّ بالكاسِ فربّ خيرٍ أتى على ياسِ^(٣)
 ولا تقبلْ يدي فإنّ فمي أولى بها من يدي ومن رأسي
 لا عاش في الناس من يلوم على حبّي وعشقي لأحسنِ الناسِ -
 وقوله [من البسيط] :

قلّ للذي حسنت منه خلائقهُ باكرُ صبحك واسبقُ من تسابقهُ

(١) تذاد : تمنع وتحجب .

(٢) تحتنه : أي تجعله لا يفي بقسمه .

(٣) بادر : أسرع وتقدّم ، والياس : أي اليأس وهو القنوط .

أما ترى الغيم مجموعاً ومفترقاً
كعاشقي زار معشوقاً يودّعه
وقوله [من البسيط] :

قالت : أراك خضبت الشيب قلت لها :
فاستضحكت ثم قالت من تعجبها :
وقوله [من الخفيف] :

عيرتني بالنوم جوراً وظلماً
اسمعي حجّتي وإن كنت أدري
لم أنم لذة ولا نمت إلا
وقوله [من الطويل] :

خليلي، إني للثريا لحاسد
أبقى جميعاً شملها وهي سبعة
كذلك من لم تخترمه منية
وقوله [من الطويل] :

وقوله، وهو مما يتغنى به [من البسيط] :

قالت لطيف خيال زارني ومضى :
فقال : أبصرته لو مات من ظمأ
صف لي هواه ولا تنقص ولا تزيد^(١)
وقلت قف عن ورود الماء لم يرد

(١) آلى : أقسم .

(٢) أن يلماً : أن يحلّ .

(٣) اخترمته المنية : قضت عليه .

(٤) تنسب هذه الأبيات لجماعة من الشعراء منهم يزيد بن معاوية مع اختلاف طفيف في الرواية .

قالت : صدقت الوفا في الحبِّ عادتهُ
يا برد ذاك الذي قالت على كبدي
وقوله [من المتقارب] :

سأعتبها حقَّ ما استعتبتُ
وإن لم تكنُ أبداً مُعتَبَةً
وسوف أجربها بالصّدود
ومن يشرب السَّمَّ للتجربه ؟ !

* * *

٤٩ - ولده أبو محمد القاسم بن أحمد الرّسيّ

أنشدني له ابن وهب [من الوافر] :

إذا الكروان صاح على الرمال
وحجَّد وجه بركتنا هبوباً
وحركت الغصون فشابهتها
فهاهنا الكأس مترعةٌ ودعني
فكلُّ جماعةٍ لا شك يوماً
وحلَّ البدر في برج الكمال
تمرُّ به الجنوب مع الشمال^(١)
قدودُ سقاتنا في كلِّ حال
أبادرُ لذتي قبل ارتحالي^(٢)
يفرِّقُ بينهم صرفُ الليالي

وقوله [من المتقارب] :

إذا التحف الجوّ بالأدكن
وهبَّ نسيم الصِّبا سحرةً
وحنَّ إلى القصف الألفه
فنفسُ من الحنق أوداجه
وغنى الحمائم بالأعني^(٣)
بريح البنفسج والسوسن
فبادر إلى شيخك المنحني^(٤)
وسقِّ الندامى ولا تنسني^(٥)

(١) جعد : ترك صفحة الماء متموجة ، والجنوب والشمال : كناية عن الريح ومهبها .

(٢) المترعة : المملوءة .

(٣) الأرعن : مكان بالبحرين ، وربما كانت الأرغن ، وهي آلة موسيقية .

(٤) القصف : المجون ، والآلاف : العشاق .

(٥) وسقِّ : أي أسقي .

وقوله يهجو ابن كلس المتطبب [من الطويل] :

توقَّ معزَّ الدين شؤم ابن كلس ولا تقبلنَّ منه مقال مدلسٍ
فإنَّا أردناه لكافور شربةً فزاد على تقديرنا ألف مجلسٍ

* * *

٥٠ - أخوه أبو إسماعيل إبراهيم بن أحمد الرسي

أنشدت له [من المتقارب] :

عرفتُ الدِّيارَ على ما بها وأوقفتُ ركي على بابها
وناديت فيها بأعلى النداء مراراً بأسماء أربابها
فلم أر فيها سوى بومها تصيحُ جهاراً بأتربها
فأعلمني ذاك أنَّ الزما ن أخني عليها وأودي بها^(١)

* * *

٥١ - ولده أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم

ابن أحمد رحمهما الله تعالى !

أنشدني له الزاهر [من المجتث] :

شُمَّ النسيم لذيذاً من قبل أن لا تشُمَّهُ
واصرف عن القلب ما اسطعت بالمسرة همةً
وغالطِ الدهر إن كنت لست تملك حُكْمَهُ
وقد نصحتك جهدي فلا تصمَّ وتكْمَهُ^(٢)

(١) أخني عليها : أهلكها ، وطال ، وأودي بها : أهلكها وذهب بها .

(٢) الأكْمه : الأعمى .

وقوله [من مجزوء الرمل] :

صَدَفْتُ عَنَّا نَوَارَ ولقد كانت تزور^(١)
ثم قالت : كيف أودى ذلك الغضنُ النصيرُ ؟
وشبابٌ يتللا فيه لناظر نورُ
قلت : إنْ أنصفتِ هذا لابن خمسين كثيرُ

* * *

٥٢ - أبو الحسن العقيلي رحمه الله

أنشدني الزاهر قوله [من السريع] :

لنا أخٌ يحسن أنْ يحسنا جناه للجنانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه بأنّها تنبت زهر الغنى
إذا تبدّى وجه إحسانه تنزّهت فيه عيون المنى

وقوله [من الكامل] :

الصبح ينشرُ فوق مسكك الليل كافور الضياء
والبرق يُذهب ما تفضّضه الغيوم من السماء
فاشربْ على ديباج نبيّ قد أحاط بشرب ماء
فالعيش في زمن الربيع رقيق حاشية الرداء

وقوله [من المتقارب] :

وراح تتيه بأنفاسها على ما يفوح من العنبر^(٢)

(١) صدفت : امتنعت عن الزيارة ، وهجرت .

(٢) تتيه : تتكبر وتفخر .

كَأَنَّ زَجَاجَاتِهَا دُرَّةٌ

تَشْفُ عَنْ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ^(١)

وقوله [من البسيط]:

تَاهَ الرِّبِيعُ بِآذِرِيونِهِ وَزَهَا
كَأَنَّ أَغْصَانَهُ فَيُرَوِّجُ بِهِجٌ

لَمَّا بَدَأَ مِنْهُ نَشْرُ فِي الرُّبَا أَرْجُ^(٢)
مِنْ فَوْقِهِ ذَهَبٌ فِي وَسْطِهِ سَبَّحُ^(٣)

وقوله [من الكامل]:

اشْرَبْتُ عَلَى زَهْرِ الْبِنْفَسِجِ قَهْوَةً
فَكَأَنَّهُ قَرَصُ بَخْدٍ غَرِيرَةٍ

تَنْفِي الْأَسَى عَنْ كُلِّ صَبٍّ مُكَمِّدٍ
أَوْ أَعْيُنُ زَرْقٍ كَحَلْنٍ بِأَثْمِدٍ

وقوله [من الطويل]:

وَنَارِنْجَةٍ بَيْنَ الرِّيَاضِ نَظَرْتَهَا
إِذَا مِيلَتْهَا الرِّيحُ مَالَتْ كَأَكْرَةٍ

عَلَى غَصْنِ رَطْبٍ كَقَامَةِ أَغْيَدٍ
بَدَتْ ذَهَباً فِي صَوْلْجَانٍ زَمْرُدٍ^(٤)

وقوله [من الكامل]:

وَمَدَامَةٌ يَبْدُو إِلَيْكَ جَنِينُهَا
تَخْفَى لِفَرْطِ صَفَائِهَا فَكَأَنَّمَا

وَعَلَيْهِ تَاجٌ لَمْ يَصْغُهُ صَائِغٌ
إِبْرِيْقُنَا الْمَلَانِ مِنْهَا فَارِغٌ

وقوله [من الكامل]:

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ لِي
فَاعْمَلْ بِحَسَبِ وَصِيَّتِي
وَدَعْ الصَّغِيرَ مَكَانَهُ

عِلْماً بِأَسْرَارِ السُّرُورِ
لَكَ فِي مِلَازِمَةِ الْبُكُورِ
وَاعْدِلْ إِلَى جِهَةِ الْكَبِيرِ

(١) تشفّ : تنمّ وتظهر .

(٢) آذريون : فارسية الأصل « أزهاره » .

(٣) السبج : خرز أسود .

(٤) الأكرة : الكرة .

ما بين وردٍ كالخدو د وأقحوانٍ كالثَّغور
وعليك بالذهب الذي أجراه روباس العصير^(١)
ما زال يسبك بالذي قد شبَّ من نار الهجير
حتَّى صفا فكأنَّه دمع الطليق على الأسير

وقوله [من المنسرح] :

نحن أناسٌ نوالنا خَضِلُ يرتعُ فينا الرجاء والأملُ^(٢)
كلُّ فتىٍّ ليس في مودَّتِه مذقُّ . ولا في خلاله خَلَلُ^(٣)
لو أبصر البحر فيض أنملنا فاض على وجه فيضه الخجلُ
تسبق أموالنا مؤمِّلنا لا يعترينا مطلٌ ولا بُخْلُ^(٤)
تسمح قبل السؤال أنفسنا بخلاً على ماء وجه من يسلُ^(٥)

* * *

٥٣ - أبو القاسم بن أبي العفیر الأنصاري، رحمه الله !

أنشدت له [من الطويل] :

وروضٍ كحسن العُرفِ يسري وبهجةٍ من الزَّهر فيها شاكَلتْ بهجة الحمدِ
يريك عناق العاشقين عناقه بثغرٍ على ثغرٍ وخدٌّ على خدٍّ

(١) الروباس : الفضة .

(٢) الخضيل : النديّ الناعم .

(٣) المذق : الملل والكدر .

(٤) المطل : التسويف والمماطلة .

(٥) أي أننا نكفي الناس مذلَّة السؤال .

وعارضه المتنبي بحضرة كافور في قصيدته الميمية التي أولها [من الكامل] :

* نظرُ المحبِّ إلى الحبيب غرامُ *

فقال له : العرب لا تقول «إليه غرام» وإنما تقول «له» فقال له
الأنصاري : تقول : إليه ، ولديه ، وله ، وحروف الخفض ينوب بعضها عن
بعض . والوزير ابو بكر بن صالح الروزباري حاضر . والوزير ابو الفضل جعفر
بن الفرات حاضر . فقال الأنصاري [من الكامل] :

أما الثناء فصادر بك وارِدُ	بادِ بما تسدي إليَّ وعائدُ
لك يا أبا بكرٍ إليَّ صنائعُ	أيقظن أحوالي وجدى راقِدُ
أوليتني نعماً متى انكرتها	شهدت عليَّ مواهبُ وفوائد
نعمُ أقرُّ بها ، وكم من نعمةٍ	يخفى المقرُّ بها ويحظى الجاحد ؟
ولربِّ ليلٍ قد هجرت رقادهُ	لك والردي مغفٍ وطرفي ساهدُ
أتحلل الكلمَ العوانَ تحللاً	فأغافص المعنى كأني صائد ^(١)
وقصائدٍ لي فيك لولا انها	كلمُ شهدت بأنهنَّ مشاهدُ
ولهنَّ في عين الوليِّ شواهدُ	تتري ، وفي عين العدو جلامد
لَمَّا رعيت مودتي وخلطتني	ببني أبيك ظننت أنك والدُ
ولقد علمت ، وأنت خير معلِّم ،	أنَّ الثناء على الليالي خالدُ
لَمَّا تعرَّض لي بمقتِ حاسدي	أبدى الملام ، وكيف يرضى الحاسد ؟ ^(٢)
ما زال ينشد قائماً حتَّى إذا	أنشدت عارضني لأنِّي قاعدُ
في مجلسٍ أما الوزير فمكبُّ	فيه يؤيِّدهُ وأنت الساعدُ
ولَّى ولا أنا شاكرٌ لسؤاله	فيه ، ولا هولاً لإجابة حامد

* * *

(٢) المقت : الكره .

(١) أغافص : أفاجىء وأعالج .

٥٤ - أحمد بن محمد الكحال

أنشدني له الزاهر وقد كتب إلى بعض إخوانه يستهديه جرة نبذ [من
الكامل] :

لو قد سألتك حسب قد رك ما رضيت بألف جرّة
ولقلّ ذاك لقدّر من لا تحصر الأوصاف قدرّة
فابعث إليّ بجرّة وكفاف ما أبغيه جرّة
وتوخّها كبر الجرا ر ، فربّ وافية كزكره^(١)
من رسم بسطام الذي أحيا بحسن الرّسم ذكره
لا بوطساً يؤذي النديم ، ولا مذاقته بمرّه^(٢)
واعلم بأنّ محلّها عند الضرورة مثل صرّه^(٣)

وكتب إلى بعض إخوانه يستدعيه [من البسيط] :

لا تتركّن لغدٍ مالاً ولا سبدا فلست تقتل علماً هل تعيش غدا^(٤)
خذ من زمانك ما جاد الزمان به فمن جنى بعض ما يهوى فقد سعدا
أنت ابن وقتك فاحذر أن تضيّعهُ فليس يرجع وقتٌ فائتٌ أبداً
وعند عبدك شيءٌ إن نشطت له وزرت زدت أياديك الكرام يدا
رايٍ طريٍّ كقابِ الفتّر تحسبه ذوباً من الفضة البيضاء او بردا^(٥)
كأنّ كفّاً عليه جرّشتُ قطعاً من اللجين صغار النظم او زردا

(١) الزكرة : زق الخمر .

(٢) البوطس : إسم فارسي (نوع من الخمر) .

(٣) الصرّة : كيس الدراهم .

(٤) السبد : البقية من النبات والقليل من الشعر .

(٥) الراي : ضرب من السمك .

كأنَّ قالِيَه بالقلِيِ البَسَه
 كأنَّه في سَعِيرِ القليِ منقلِيَاً
 كأنَّ ياقوتَه حمراءَ هَلَّلَهَا
 كأنَّه كان في نهرِ الحَيَاةِ فما
 وقهوةٌ تذكُرُ الأفلاكَ ساكنَه
 يديرها قمرٌ في كَفِّه قمرٌ
 فلا تَضِيعُ سروراً جاءَ عن كَثِبٍ
 من الشَّقَاتِقِ أثواباً له جِداً
 صبَّ ثَقْلَبَه كَفُّ الهوى كِداً
 صَوَّأَهَا ذهباً للحسنِ مَتَّحداً
 يكاد يسلمُ منه روحه الجِسا
 مشمولَه أَفْنَتِ الأيَّامَ والمدداً
 من الرحيقِ يزيلُ الهمَّ والكِداً
 عجزاً فتكتسبُ التوبِخَ والفندا^(١)

* * *

٥٥ - أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ

كتب إلى صديق يستدعيه الانجلاً [من الهزج] :

لنا مسمعةٌ حلوه ولونٌ يفتقُ الشَّهْوَه
 فالبارع من مجدٍ ك إن لم تجب الدَّعْوَه

وأهدى إلى بعض إخوانه مقطاً وكتب إليه [من البسيط] :

إنِّي بعثتُ مقطاً غير محتشمٍ ولم أجُلْ في الغنى فكري ولا العدمِ
 ولو بعثتُ سوادِي نَاطِرِي لما كانا كفاءً لما تولي من النِّعمِ
 فأقبله واجعله ممَّا يستعان به فإنه خادم السَّكِينِ والقلمِ

وقوله يصف النرجس [من المجث] :

خواتمٌ من لجينٍ فصوصها كارباء^(٢)
 وليس تضحك إلا إذا بكتها السماءُ

(١) الفند : المعجز والباطل والكفر بالنعمة .

(٢) الكارباء : نوعٌ من الحجارة الكريمة يستعمل في صنع السبحة أيضاً .

وقوله [من الخفيف] :

منذُ حلَّ السَّوادُ زادَ البياضُ واعتداءاته طوالُ عراضُ
وإذا ما طغى المشيبُ فلا المَدَّ قاش يقوى به ولا المقراضُ
وكثيراً أرى جساماً صحاحاً لأناسٍ فيها قلوبُ مراضُ

وأهدى إلى الإخشيد خاتماً ، وكتب معه [من مجزوء المتقارب] :

وذى عنقٍ لم يطلُ عليه ولم يقصر
ومتنين قد حصرا على قدر الخنصر
وقد زاد في ضمِّره على الفرس المضمِر^(١)
وأسفله فضةً وأعلاه من جوهر
بعثت به معسراً إلى ملكٍ موسر
ولا غرو أن يهدي المقلُّ إلى المكثِر

وقوله [من الكامل] :

قد قلت إذ سار السفين بهم والسَّوقُ ينهب مهجتي نهبا^(٢)
لو أن لي عزاً أصول به لأخذت كل سفينة غصبا

٥٦ - أحمد بن محمد بن عبد الكريم اليتيم النحوي

أنشدت قوله^(٣) [من الوافر] :

إذا ما نلت من دنياك حظاً فأحسن للغني وللفقير

(١) الضمر : الهزال والنحول .

(٢) السفين : القافلة .

(٣) قد أنشدهما قبيل ما اختاره لعبد المحسن الصوري منسوبين إلى أحمد بن عبد الرحيم النحوي

ولا تمسك يديك على قليلٍ فإنَّ الله يأتي بالكثير

وقوله [من المنسرح]:

خاطبت شمس النهار إذ بدت وقلت ما أنت لي بمنصفةٍ
إنَّ التي أشبهتك مائلةً من بعد ذاك الوصال قد جفتِ
فعاتبها فليس يقنعني يا شمس من شبهك الذي أتتِ
لما رأني على الوفاء لها صدَّت وما أنصفتُ ولا وفيتِ

* * *

٥٧ - أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي

أنشدت له من [مجزوء الرجز]:

نارٌ جرت في غايةٍ ترمى العلا بالشُّهُبِ
كأنها جيشٌ وغى فرسانه من ذهبٍ

وقوله يصف الفستق [من مجزوء الرجز]:

وفستق رأيت منه طرفاً من الطرفِ
كأنه لما بدا والراح فينا تختلفُ
زمرّدٌ ضمَّنَه من خالص العاج الصدفِ

٥٨ - أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب

أنشدت له [من الخفيف]:

ربِّ صبحٍ كطلعة الوصل جلى جنح ليلٍ كطلعة الهجران^(١)

(١) جلى : أضاء وأزاح .

زار في حلة البزاة فولى الليل عنه في حلة الغربان

وقوله [من الطويل]:

يومٌ كأنَّ الروضَ خاط لضوئه قراطقٌ من وشي غلائلها الغدرُ
كأنَّ صفاءَ الجوِّ ناظر أزرقٍ له الغيمُ جفنٌ هُذَّبُ أجفانه القطرُ
كأنَّ أعالي السرويين رياضه مطارف لَفَّت في مواكبها خضرٌ^(١)

* * *

٥٩ - أبو القاسم عبد الصمد بن فضالة الصفار

قال يصف الورد [من الكامل]:

لا تصحبِ الدُّنيا كَثِيباً مكمداً من ذا رأيت من البرية خالداً ؟
قم فاغتنم طيب الربيع وحسنه فلقد حباك به الغمام وأسعدا
وردٌ كأنَّ أصوله وفروعه سُقيت دماً حتى ارتوى فتورداً
وشبائق شقِّ القلوب كأنه خدٌ مليح ضمَّ صدغاً أسودا
والماء يجري في الرياض كأنه سيفٌ صقيل من قرابٍ جُرِّداً^(٢)
فاشربْ عليه فإنَّه وقتٌ إذا ولَّى تفاوت أن يُنال فيوجدا

وله [من المتقارب]:

فلو زَيْنَ الحسن في وجهه بهجر الصدود ووصل الوصالِ
لتمَّ وإن كنت ما إن أرى بديع الجمال جميل الفعالِ

* * *

(١) المطارف : أردية من حرير ذات أعلام .

(٢) القراب : الغمد .

٦٠ - ابن الزيعي

قال يصف دير القصير من قصيدة يقول فيها [من الرجز] :

يا حسرةً في القلب ما أقتلها	كأنها في القلب اطرافُ الأسْل
فكم وكم من ليلةٍ طيّبةٍ	أحييتها في الدّير في خير محلّ
دير القصير الفرد في صفائه	يا من رأى الجنة من غير عمل
أشربها راحاً شمولاً قرقفاً	تدبُّ في الجسم فما تبقي عللّ
يديرها ذو غنجٍ بطرفه	يحيي إذا شاء وإن شاء قتلّ
كأنه غصنٌ من البانٍ وقد	زاد عليه بالقوام المعتدل
ألثغُ حَتَفَ النفس في لثغته	تاه بها على الورى تيه مدلّ ^(١)
إن قال نارٌ قال ناغٍ أو يقل	نورٌ يقل نوعٌ بدلٌ وغزل
فاحث كؤوس الراح ياساقينا	واغنمِ الدهر فللدهر دُول
من قبل أن يطرّقا بين فلا	ينفع عند البين ليست ولعلّ

* * *

٦١ - محمد بن عباس البصري

المعروف بصاحب الراقية

قال [من البسيط] :

لا تعذّلوني فما مثلي بمعذول	جسمي سقيمٌ وأمري غير مجهول
إن ملّ مولاي وَصَلِي بعد ألفته	فإنّ مولاي عندي غير مملول
ملكْت قلبي ولم تعطف على دنفٍ	ما كلُّ ذاك على قلبي بمعزول ^(٢)

(١) الألتغ : هو الذي ينطق السين شيئاً أي يغيّر في نطق بعض الحروف وتاه : فخر ، ومدلّ : من الدلال .

(٢) المدنف : المريض المشرف على الهلاك .

وقوله [من الرجز]:

يا حاملَ الكأس أدرها واسقني
أما ترى البركة ما أحسنها
أما ترى نوارها أما ترى
كأنما الجواهر في ألوانه

وقوله [من مجزوء الكامل]:

أما طغان فقد طغى
شهر السلاح بطرفه
لولا مخافة عقرب
لثمت منه ممسكاً
والطُّرفُ منه قد بغى
فتكاً وما شهد الوغى
في صدغه أن يلدغا
ومصنلاً ومصبغاً

وقوله [من الوافر]:

أتاني في قميص اللاذ يسعى
فقلت له لم استحلّيت هذا
فقال الشمس أهدت لي قميصاً
فصوبي والمدام ولون خدي
عدو لي يلقب بالحبيب^(١)
فقد أصبحت من زي عجب؟
غريب اللون في شفق المغيب
قريب من قريب من قريب

وقوله [من السريع]:

وشمعةٌ ظَلْتُ أناجيها
كأنما صفرتها صفرتي
أعارها قلبي من ناره
تبيت تبكي وأبكيها
ومدمعي دمع مآقيها
فمثل ما فيه كذا فيها

* * *

(١) اللاذ : حرير صيني أحمر .

٦٢ - أبو عبد الله الحسين المعروف بالجمل

له في طيب [من المنسرح] :

إذا سقامَ عراك نازلُهُ فاندبَ أبا جعفرٍ لنازلِهِ
يعرف ما يشكّيه صاحبه كأنما جال في مفاصله

٦٣ - أبو عبد الله بن العرمم

قدم له صديق سمكا في يوم شديد البرد فقال ارتجالا [من مجزوء الرجز] :

شيخٌ وبرْدٌ وسمكٌ لكلٌ ما يخشى شَرَكُ^(١)
فهاثها صافيةً وضمنَ الكأسَ الدَّرَكُ^(٢)
ولا تبالِ بعدها من لام فيها وترك

وقوله [من الكامل] :

وليتُّمَ أمرَ الخراجِ محمّدا فغدا الخراجِ بغيرِ جيمٍ يكتبُ
إن كان من عدم الرجالِ دهيتُ فالكلبُ فيكم عن قليلٍ يخطبُ

وقوله في أبخر [من الوافر] :

أردتُ لقاءه فلقيت منه كما يلقي الخلاء من الفقاح
وجالسني فلم أشعر بأني ولم أبعد جليس المستراح^(٣)

(١) الشرك : المصيدة .

(٢) الدَّرَك : الغاية والحاجة .

(٣) المستراح : الكنيف .

٦٤ - أحمد بن صدقة الكاتب

كتب إلى ابن رشيد يستدعيه [من السريع] :

بالله يا صالح قم مسرعاً إلى عقارٍ أدركت تبّعاً^(١)
وساعد الليلة في شربها وخذ من السكر بها مصرعاً
وقد بذلنا لك أرواحنا لما رأيناك لها موضعاً

* * *

٦٥ - أبو الحسن بن أبي ياسر

قال يصف شمعة [من المتقارب] :

وهيفاء من ندماء الملوك تزيد فينقص من قدرها
إذا ضحكت جنح داجي الظلام بكت فجرى الدمع من نحرها
فإن نعست للكرى نعسة فإيقاظها القص من شعرها

* * *

٦٦ - محمد بن عاصم الموقفي

أنشدني له الزاهر في الفصادة [من المتقارب] :

ألا قل لعلوان كيف أجتزأت على الأسد الباسل الخادر^(٢)؟
وكيف أرقى دماً دونه يراق دم الجحفل الثائر؟
ترفق قليلاً على مرفقي به مرفق البدو والحاضر
فليس الحديد على ساعدٍ ولكن من الدهر في الناظر

(١) تبّع : من ملوك الدولة الحميرية في اليمن ، كناية عن قدم عهدها .

(٢) الخادر : المقيم في أجمة .

وقوله [من الخفيف] :

أسكر الخمر خمر ريقك حتّى
فلهذا أراك تزداد صحواً
باتت الخمر من رضاك سكرًا
وأراها عليك لا تتجرأ

وقوله [من السريع] :

أشرب على الجيزة والمقس
وروح النفس بها إنّما
وأنس بإخوان الصفا إنّهم
فلست تدري أيما ساعة
والمرء لا يعرف في يومه
من قهوة صفراء كالورس^(١)
عيش الفتى في راحة النفس
من أكبر النزهة والأنس
تبيت تحت اللحد والرّمس^(٢)
يصبح في دنياه أو يمسي

وقوله [من السريع] :

أقول والليل دجى مسبل
يا طول ليل ماله آخر
والأنجم الزهر به ميل
فيك وصبح ماله أول

وقوله [من السريع] :

اشرب ستسى ويك مع من نسي
في قمرٍ للربيع من شهره
وقوله [من السريع] :
يا حاديّ اللذات عرس بنا
من قهوة قوصية المغرس
كشقة من درهم أطلس^(٣)
ويا مدير الكأس قم فاسقنا

(١) المقس : موضع على نيل مصر ، والورس : الزعفران .

(٢) الرمس واللحد : أي القبر .

(٣) أطلس : أغبر يميل إلى السواد .

قد لبست مطرفها الأدكنا^(١)
أذهبها من بعد مالونا^(٢)

أما ترى شمس ضحى يومنا
والروض للوسمي في حلّة

وقوله [من البسيط] :

هبت شمالاً ولاح الصبح فاتّضحاً
تبدو فيخفي ضيا أنوارها القدحا
وافى بها أولها من خدّه اقتدحا

اشرب شمولاً على ريح الشمال فقد
كأنها جنّة في الكفّ مائلة
كأن حاملها من خمر ريقته

وقوله [من الوافر] :

نعمت بقربه بأتمّ سعدٍ
على عجلٍ وحيّاني بورٍ
بقلبي مثلها من أجل صدّ^(٣)
عليها أسطرّ باللازورد^(٤)

وظبي زارني من غير وعدٍ
سقاني ثم نقلني بلثمٍ
وشمر ساعداً فيه وشومٍ
فكان كفضّة سكّت عموداً

وقوله في دير القصير من قصيدة أولها [من الخفيف] :

لهوأيامي الحسان القصار
وشباباً مثل الرّداء المعار
فعرفت الربوع بالإنكار
لشكت جفوتي وبعد مزاري
كنت فيها سيرت من أشعاري
لم يكن من منازلٍ ودياري

إن دير القصير هاج ادكاري
وزماناً مضى حميداً سريعاً
عرفتني ربوعه بعد نكرٍ
ولو أنّ الديار تشكو اشتياقاً
ولكادت نحوى تسير لما قد
وكأنّي إذ زرتّه بعد هجرٍ

(١) الأدكن : الذي يميل لونه إلى السواد .

(٢) الوسمي : أول مطر الربيع .

(٣) الوشوم : جمع وشم وهو العلامة .

(٤) سكّت : سبكت وصنعت وضربت .

إذْ صعودي على الجياد إليه
 بصقورٍ إلى الدماء سوارٍ
 منزلاً لست محصياً ما لقلبي
 منزلاً في علوه كسماءٍ
 وانحداري في المعقباتِ الجواري^(١)
 وكلابٍ على الوحوش ضواري^(٢)
 ولنفسي فيه من الأوطار
 والمصاييح حوله كالدراري

ومنها :

غرّدت بينها الطيور فطارتُ
 كم خلعت العذار فيه ولم أر
 كم شربنا على التصاوير فيه
 صورةً من مصوّرٍ فيه ظلّت
 أطربتنا من غير شديو فأغنتُ
 لا وحسن العينين والشفة اللـمـيـاء
 لا تخلّفت عن مزاريّ ديراً
 فسقى الله أرض حلوان فالنخـ
 كم تنبّهتُ من لذاذة نومي
 والنواقيسُ صائحاتُ تنادي
 قبل أن ييلي الجديد الجديداً
 إنّما هذه الحياة عوارٍ
 بفؤاد المتيمّ المستطارٍ
 عَ مشيباً بمفرقي وعذاري
 بصغارٍ محثوثةٍ وكبار
 فتنةً للقلوب والأبصار
 عن سماع العيدان والمزمار
 هي فيه ولونأى بي مزاري
 ل فدير القصير صوب العشار^(٤)
 بنعير الرهبان في الاسحار^(٥)
 حيّ يا نائماً على الابتكار
 ن بليلٍ معاقبٍ ونهار
 وعلى المستعير ردُّ العواري^(٦)

(١) المعقبات : المتابعات السير .

(٢) سوارٍ : أي سائره .

(٣) اللّمي : سمرة تستعذب في الشفة .

(٤) العشار : الغزير من المطر .

(٥) نعير الرهبان : تراتيلهم ، مأخوذ من صوت الناعورة .

(٦) عوارٍ : أمانات ، وأشياء مستقرضة .

وقوله [من الوافر] :

أأيامي بشاطى البركتين لقد أذكرتني طربي ولهوي
وَوَكَلْتُ الفؤاد بلوعتين تُرى أيا منا فيك المواضي
يعود وصالها من بعد بين سقى الله البقاع ملثَّ قطرٍ
وأعطش منزلاً بالجلهتين ودار على المدار رهام مزني
تسير إلى جنان السروتين فكم من بيعةٍ عقدت لقصفٍ
وعزفٍ في رياض البيعتين وكم من مدنفٍ قد حاز وصلاً^(١)

وقوله [من البسيط] :

إشرب بطموة من صفراء صافية تزرى بخمر قراهيتٍ وغايات^(٢)
على رياضٍ من النوار زاهرة تجري الجداول فيها بين جنات
منازلاً كنت مفتوناً بها يفعاً وكنَّ قدماً مواخيرٍ وحناتي^(٣)
كأنما النيل في مرِّ النسيم بها مسيلٌ في دروعٍ سامريات^(٤)

* * *

(١) المرزمين : المطر المصحوب بالرعد .

(٢) البين : الفراق .

(٣) ملثَّ قطرٍ : أي المطر الدائم المقيم .

(٤) الرهام : المطر المتصبّب برفق .

(٥) البيعة : مكان يُختلى به للشراب .

(٦) المدنف : المريض المشرف على الهلاك وهنا مريض العشق .

(٧) طموة وقراهيت : أسماء بلدان .

(٨) اليفع : الصبا والشباب ، مقتبل العمر .

٦٧ - أبو الفتح البستي الكاتب

أنشدني له محمد بن عمر الزاهر يصف شمعة من أبيات [من البسيط] :

قد شابهتني في لونٍ وفي قصفٍ وفي نحولٍ وفي دمعٍ وفي سهر

هذا تشبيه خمسة بخمسة وقد أجاد غاية الجودة وقوله [من الكامل] :

صحَّت السلاح لشدة الحرب والمستغاث لشدة الكرب
حتى إذا لبسوا سلاحهم وتشددوا لوقائع الحرب
ناولتهم قلبي وقلت لهم : هذا المسىء فقطعوا قلبي

وقوله [من الطويل] :

لئن صدع الدهر المشتت شملنا وللنجم من بعد الرجوع استقامة
وإن نعمة زالت عن الحب وانقضت فكأن زوال الشر عنك سريع

وقوله [من الكامل] :

وغزالة غاللتها في المقس من أولاد حام^(١)
نظرت بعيني ظبية ونظرت من عيني قطام^(٢)
وتبسمت وكأنها برق تألق في غمام
ثم انثنت مثل المهى وتبعها رتك النعام^(٣)

(١) صدع : فرق .

(٢) حام : من أبناء نوح ، وهو أبو الزنج .

(٣) قطام : امرأة من العرب يضرب المثل بصواب رأيها وحدة نظرها وفيها يقول الشاعر :
إذا قالت قطام فصدقها لأن القول ما قالت قطام

(٤) رتك النعام : مقاربة خطوة .

حتى دخلنا بيتها فحصلت في البيت الحرام
فجعلت أفتح ميمها لما جثوت لها بلامي
وكأَنني إذ ذاك أو لجت الضياء على الظلام
ضدان لم يجمعهما إلَّا المحبَّة للحرام
كانت لعمري عاهة جمعت غراباً مع حمام

* * *

٦٨ - أبو سهل بن أسباط الكاتب

قال [من السريع]:

إن كنت يا قلب عزمت الهوى فاستخر الله إذا قبلاً
ولا تكن يا قلب مثل الذي قدّم رجلاً وثني رجلاً
حتى تلاقني في الهوى أهله وقلما تلقى له أهلاً
لا تورّدني مورداً كلّما قطعت وحلاً ألتقى وحلاً

* * *

٦٩ - عبد الله الصفري

قال يصف الشيب [من الطويل]:

بد الشيب في رأسي فقلت تعجّباً: لقد شبت من هجري وأنت صغيرُ
فقلت لها: لا غرو إن وصالكم يردّ شباب المرء وهو كبير

٧٠ - أبو العباس الكندي

قال يصف الندى على البحر [من الطويل]:

كأنّ الندى في البحر بحران مائع على مائع هذا على ذاك مطبقُ
فهذا لجينٌ سابحٌ متفرّق وذاك لجينٌ في السماء معلقُ

إذا أبصرته الشمس بعد احتجابها له ساعة أبصرته يتمزق
وقوله [من المتقارب] :

عذارك المنقطع المسبل يقطع عذري عند من يعذل
ووجهك المقبل إقبال من أنت على طلعتة مقبل
لا عشت أن أعدمه فالذي يعدمه يعدم ما يأمل
وقوله يصف السحاب [من الرجز] :

سارية في غسق الظلام دانية من قلل الآكام
جاءت مجيء الجحفل اللهام فافترت كالإبل السوامي^(١)
كأنها والبرق ذا ابتسام كتيبة مذهبة الأعلام
دنت من الأرض بلا احتشام ثم بكت بكاء مستهام
وانتشرت بسائغ الإنعام وثروة تحكم في الإعدام

٧١ - أحمد بن بدر المعروف بالبلاط

قال في ولده وقد حم [من الكامل] :

أعزز عليّ بنيّ ما تلقى سدّت عليّ شكاتك الطرّقا^(٢)
قد كنت بالحمى أحقّ فليتني ألقى من الحمى الذي تلقى

٧٢ - أبو العباس الزوفي

أنشدت له في الشيب [من المنسرح] :

قد رابني من شببتي ريب وفلّ من غرب صبوتي الشيب

(١) الجحفل : الجيش الكثير العدد ، واللهم : العظيم ، والسوامي : المرسل لترعى .

(٢) شكاتك : ألمك وما تشتكي منه .

وكان ثوب الشباب أحسن ملبوساً بهاءً فأخلق الثوب^(١)
من عابني بالمشيب قلت له : صدقت فالشيب كله عيبٌ
طلائع الشيب كلما طلعت شقَّ على ميت الصبا جيبٌ

عبد الوهاب بن جعفر الحاجب

أنشدت له [من الكامل] :

هاتر هتورٌ بكثرة الفرح واقدح زناد اللهو بالقدح^(٢)
وصل الغبوق إذا وصلت إلى المسمى ، وإن أصبحت فاصطح
أبرد إلى الندمان رسلك ما برَدَ النَّسيم وغنٍّ واقترح
أصلح فساد العيش مجتهداً ففساد عمرك غير منصلح

* * *

٧٤ - أبو بكر الموسوس المعروف بسيبويه

أبو بكر هذا من البصرة . وكان يشبهه - في حضور جوابه ، وبيان
خطابه . وحسن عبارته ، وكثرة درايته - بأبي العيلاء ، وكان قد تناول البلاذر
فعرضت له منه لوثة ، وكان الناس يتبعونه ويكتبون عنه ما يقول . فقال يوماً
للمصريين « يا أهل مصر . أصحابنا البغداديون أحزم منكم ، لا يقولون باتخاذ
الولد حتى يقتنوا له العقد والعدد ، فهم أبداً يعزبون . ولا يقولون باتخاذ
العقار . خوفاً أن يملكهم شر الجار ، فهم أبداً يكنزون . ولا يقولون بإظهار
الغنى في موضع عرفوا فيه بالفقر ، فهم أبداً يسافرون » .

ووقف يوماً بالجامع - وقد أخذت الحلق مأخذها - فقال « يا أهل مصر ،

(١) أخلق الثوب : بلي ورث .

(٢) الهتور : الاستهتار والعبث .

حيطان المقابر أنفع منكم يُسْتَنَدُ إليها ويستدرى بها من الريح ، ويستظل بها من الشمس ، والبهائم خير منكم ، تمتطى ظهورها ، وتؤكل لحومها ، وتحتذى جلودها .

وكان ابن خزابة الوزير ربما رفع أنفه تيهاً ، فقال له سيويه وقد رآه فعل ذلك : أيشم الوزير رائحة كريهة فيشمر أنفه ؟ فأطرق واستعمل النهوض ، فخرج سيويه فقال له رجل : من أين أقبلت ، فقال : من عند هذا الزاهي بنفسه ، المدل بعمره . المستطيل على أبناء جنسه . وكانت زوجته ابنة الإخشيد .

وأخلى الحمام لمفلح ، فجاء سيويه ليدخل فمنع ، وقيل له : الأمير مفلح داخل ، فقال : لا انقي الله مغسوله ، ولا بلغه رسوله ، ولا وقاه من العذاب مهوله . وجلس حتى خرج من الحمام ، فقال له : إن الحمام لا يخلى إلا لأحد ثلاث مبتلي في قبله ، أو مبتلي في دبره ، أو سلطان يخاف من شره ، فأبي الثلاثة أنت ؟ . ومن شعره [من الكامل] :

اعذرْ أخاك على رداءه خطُّه	واغفرْ رداءته لجودة ضبطه
فالخطّ ليس يراد من تحسينه	وبيانه إلا إبانة سمطه ^(١)
فإذا أبان عن المعاني سمطه	كانت ملاحظته زيادة شرطه

* * *

أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم

أنشدت له [من الكامل] :

غَنَّتْ فأخفت صوتها في عودها	فكأتما الصوتان صوت العود
غيداء تأمر عودها فيطيعها	أبدأ ويتبعها اتباع ودود

(١) السمط : ترتبه ونظمه .

وأرق من نشر الشنا المعهود
ماء الغمامة وابنة العنقود

أندى من النّوار صباحاً صوتها
فكأنما الصوتان حين تمازجا

وقوله [من الطويل] :

بضرب من المزن الكتهور هامل^(١)
غدا وهو حلّي للرياض العواطل
ووسواس رعدٍ ليس بين مفاصل
قلقاهُ درّ النّور بين الخمائل^(٢)

سقى الله أحياء اللّوى كلّما سقى
إذا نشرت ريحُ جمانٍ سحابةً
به خفق برقي ليس بين جوانحٍ
إذا كاد درّ البرق يلمس نبتة

وقوله [من الكامل] :

وأرق منه ما يمرُّ عليه
فعكست فتنة ناظريه إليه

يجري النسيم على غلالة خدّه
ناولته المرآة ينظر وجهه

وقوله [من الوافر] :

له لمّا تأملّه اختباري
كما نمّ الظّلام بسرّاً نار^(٣)
ومن صافى الزّجاج على عقارٍ

صديقٌ قد ندمت على اختباري
ينمُّ بسرّاً مستوعبه سرّاً
أنمّ من النصول على مشيبٍ

وقوله [من الوافر] :

لوارثه ويدفع عن حماه
فريسته ليأكلها سواه

وذى حرصٍ تراه يلمّ وفرّاً
ككلب الصّيد يمسك وهو طاوٍ

وقوله [من السريع] :

وآفة المرء من الكبرِ

لكل شيء في الورى آفة

(١) الكتهور : المتراكم من السحاب ، أو هو قطع منه كالجبال .

(٢) النّور : الأزهار .

(٣) ينمُّ : يدل ويشير .

يحسب أن الكِبَرَ فخر له وليس غير العلم من فخرٍ

* * *

٧٦ - أبو القاسم عبد الغفار المصري

أنشدت له [من مجزوء الخفيف]:

إنما الفضل غرّة في وجوه المدائح
أريحي رياحه عبقأت الروائح
كعبة الجود كفه بين غادٍ ورائح
إنما تصلح الأمور ر برأي ابن صالح

* * *

٧٧ - أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي

أنشدني ابن وهب له [من مجزوء الرمل]:

لم يطل ليلى ولكن سهري كان طويلا
وكذا ليس يلدّ الـ نوم من كان عليلا
يا غزالاً لم أجذّ عند له إلى الصبر سبيلا
هب لعينٍ سهرت فيك من الغمض قليلا

* * *

٧٨ - محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب المعروف بالقصير

من شعره [من السريع]:

قد طال منك المظل في الوعد لي وأنت في مطلق لا تخطي^(١)

(١) ورد عجز البيت في بعض النسخ هكذا : « وأنت في مطلق لي تخطي » .

لو كنت تعطي مال مصر وما حوت من الدور على الشطّ
وما لدار الضرب من عسجدٍ لكان كفرأً بالذي تعطي

* * *

٧٩ - أبو علي تميم بن معد صاحب مصر

أنشدني له علي بن مأمون المصيصي [من الكامل] :

يا دهر ما أقساك من متلونٍ في حالتك وما أفلك منصفاً
أتروح للنكس الجهول ممهداً وعلى اللبيب الحرّ سيفاً مرهفاً ؟
فإذا صفوت كدرت شيمة باخلٍ وإذا وفيت نقضت أسباب الوفا
لا أرتضيك وإن صفوت لأنني أدري بأنك لا تدوم على الصفا
زمنٌ إذا أعطى استردّ عطاءه وإذا استقام بدا له فتحرفاً
ما قام خيرك يا زمان بشره أولى بنا ما قل منك وما كفى

وقوله [من الطويل] :

أيا دير مرخنا سقتك رعود من الغيم تهمني مزنها وتجوّد
فكم واصلتنا من رباك أو انسُ يطفن علينا بالمدامة غيّد
وكم ناب عن نور الضحى فيك مبسّم وناب عن الورد الجني خدودُ
وماست على الكئبان قضبان فضّة فأثقلها من حملهنّ نهودُ^(١)
ليالي أغدو بين ثوبي صباية ولهو ، وأيام الزمان هجود^(٢)
وإذا لمتي لم يوقظ الشيب ليلها وإذا أثري في الغانيات حميدُ

(١) ماست : تمايلت بغنج ودلال ، والكئبان : جمع كئيب وهو التلّ من الرمل .

(٢) هجود : راقدة .

وقوله [من البسيط] :

يا منتهى ألمي لا تدن لي أجلي ولا تعذبُ ظنوني فيك بالظنِ
إن كان وجهك وجهاً صيغ من قمرٍ فإنَّ قَدَّك قد قدَّ من عُصنِ
وأشدني له من قصيدة أولها [من الطويل] :

* سرى البرق فارتاع الفؤاد المعذبُ *

يقول فيها :

وبات ضجيجي منه أهيف ناعمٌ وأدعجُ نشوانُ والعسُ أشنبُ^(١)
كأنَّ الدجى في لون صدغيه طالعٌ وشمس الضحى في صحن خديهِ تغربُ
وإني لألقي كلَّ خطبٍ بمهجةٍ يهون عليها منه ما يتصعبُ
وأستصحب الأهوال في كلِّ موطنٍ ويمزج لي السمَّ الذعاف فأشربُ^(٢)
فما الحرَّ إلَّا مَنْ تدرُّع عزمه ولم يك إلَّا بالقنا يتنكبُ^(٣)
وما لي أخاف الحادثات كأنني جهولٌ بأنَّ الموت ما منه مهرُبُ
خليلي ما في أكؤس الراح راحتي ولا في المثاني لذتي حين تضربُ
ولكنني للمدح أرتاح والعللا وللجود والإعطاء أصبو وأطرب
ومن بين جنبيه كنفي وهمتي يروح له فوق الكواكب موكبُ !

وقوله [من الطويل] :

إذا حان من شمس النهار غروبُ تذكُّر مشتاقٍ وحنَّ حبيبُ

(١) الأدعج : من الدعج وهو سعة العين مع شدة سوادها وشدة بياضها ، والألمس : الذي في شفته سمرة ، والأشنب : البارد الرضاب .

(٢) الذعاف : القتال .

(٣) تدرُّع : جعله درعا ، ويتنكب : يتكل ويتكى .

تُرى عندهم علمٌ وإن شطَّت النوى
لهم كبدي دوني وقلبي ومهجتي
فأية حزني لوعةً وصباةً
وما بلد الإنسان إلا الذي له
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة
وقوله [من الطويل]:

بأن لهم قلبي عليّ رقيبٌ
ونفسي التي أدعى بها وأجيبُ
وعنوان شيني زفرة ونحيب
به سكن يشتاقه وحبيب
لها بين أحشاء المحب ديبُ

أما والذي لا يملك الأمر غيره
لئن كان كتمان المصائب مؤلماً
وبي كل ما تشكو العيون أقله
وقوله ، وهو مما يتغنى به [من البسيط]:

ومن هو بالسّر المكتّم أعلم
لإعلانها عندي أشدّ وآلم
وإن كنت منه دائماً أتبسمُ

قالت وقد نالها للبين أوجعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفتُ
واعطف عليّ المطايا ساعةً فعسى
كأنتني يوم ولّت حسرةً وأسى
وقوله [من الطويل]:

والبين صعبٌ على الأحباب موقعه
قواه عن حمل ما فيه وأضلعه
من شتّ شمل الهوى بالبين يجمعه
غريق بحرٍ يرى الشاطي ويمنعه

وغضبي من الإدلال والتّيه والهوى
كأنّ على لباتها رونق الضحى
ترى البدر مثل البدر في صحن خدّها
وقوله [من السريع]:

بلا غضبٍ سكرى الجفون بلا سكرٍ
وفي حيث يهوى القرط منها سنا الفجر^(١)
وتفتّر عن مثل الجمّان من الثغر

أما ترى الرعد بكى فاشتكى

والبرق قد أومض فاستضحكا

(١) اللبة : موضع القلاد من الصدر ، والسنا : الضياء .

أضحك وجه الأرض لما بكى
كأنه صُنْدِلٌ أو مُسْكَا

فاشرب على غيمٍ كصبغ الدجا
وانظر لماء النيل في مدّه

وقوله [من المنسرح] :

آخرها مشبه لأولاها
وألثم الشمس من محياها^(١)
بأكؤس السكر وهي عيناها
بآخر اللحظ في فمي فاها
وليس إلا الخدود مأواها
ونقلها اللثم حين أسقاها^(٢)
بدار حزوى ما كان أحلاها
أعلى رباها الى مصلاها
والعز من فجرها ومغداها^(٣)
أو صعبت خطّة حويناها

وليلة بتها على طرب
أقبل البرق من ترائبها
سقتني الراح وهي خذاها
إذا أرادت مزاحها جعلت
فيالها قهوة معتقة
حباها الثغر حين يمزج لي
لله أيامنا التي سلفت
فالقصر من حيرة الملوك إلى
إذ نجتني اللهو من أصائلها
إن عرضت لذة ملكناها

وقوله [من الطويل] :

على وجه معشوق السجا يا مقرطق^(٤)
وإشراقها من خدّه المتألق

وصفراء لم تطبخ بنار شربتها
كأن حباب الكأس من نظم ثغره

وقوله [من المنسرح] :

ما قدرته كمثل ما قدرا

لو صوّرت خلقها إرادتها

(١) الترائب : جمع تريبة وهي موضع القلادة من الصدر .

(٢) الحباب : فقاع الخمر ، والنقل : ما يؤكل معها .

(٣) مغداها : أي وقت الغدو صباحاً .

(٤) المقرطق : الذي يلبس القرطق وهو نوع من الثياب .

كاسك نشرأ ، والبرق مبتسماً
وقوله [من السريع] :

شبهتها بالبدر فاستضحكت
وسفّحت قلبي وقالت : متى
والبدر لا يرنو بعينٍ كما
ولا يميّط المرط عن ناهِدٍ
من قاس بالبدر صفاتي فلا
وقوله [من البسيط] :

ناولتها شبه خديها مشعشةً
فقبلتها وقالت وهي ضاحكة
أليس خدّاي ذابا إذ لمستهما
قلت : اشربي إنّها دمعي وحمرتها
قالت : إذا كنت من حبي بكيت دماً
يا ليلةً بات فيها البدر معتنقي
وبتٌ مستغنياً بالثغر عن قدحي
وقوله [من الطويل] :

وما أمّ خشفٍ ظلّ يوماً وليلةً

والغصن قدأ ، والحقف مؤتزرا^(١)

وقابلت قلبي بالنُّكرِ
سمجتُ حتّى صرت كالبدر؟^(٢)
أرنو ، ولا يبسم عن ثغر
ولا يشدّ العقد في نحر^(٣)
زال أسيراً في يديّ هجري

صرفاً كأنّ سناها ضوء مقباسٍ^(٤)
وكيف تسقى خدود الناس للناسِ
فاستنبطا قهوةً حمراء في الكاس
دمي وطابخها في الكأس أنفاسي
فسقّيتها على العينين والراسِ
وباتت الشمس فيها بعض جلّاسي
وبالخدود عن التفاح والأسِ

بيلقعةً بيداء ظمآن صاديا^(٥)

(١) الحقف : المعوجّ من الرمل .

(٢) سمجت : أصبحت ثقيلة .

(٣) يميّط : يزيح ، والمرط : الثوب .

(٤) المقباس : الضوء والسراج .

(٥) البلقعة : الأرض الخالية التي لا شيء فيها .

تهيم فلا تدري إلى أين تنتهي
أضرَّ بها حرُّ الهجير فلم تجدْ
إذا بعدت عن خشفها انعطفتْ له
بأوجع مني يوم شدوا رحالهم
وقوله مفتخراً [من الكامل] :

ألقي الكميّ فلا أخاف لقاءه
وأكرّ في صدر الخميس معانقاً
ويزيدني كلّ الخطوب تعظماً
وعلمت أخلاق الزمان فلم أضقْ
وكما يملّ الدهر من إعطائه
وكما يكرّ لمعشرٍ بسعادةٍ
فإذا رماك بشدةٍ فاصبرْ لها
وسلّ الليالي عن نفاذ عزيّمي
يخبرك عني أنني لم ألقها
أصبحت لا أشتاق إلّا للندى
وإذا السيوف قطعن كلّ ضريبة
وقوله [من الخفيف] :

مولهةً حيرى تجوب الفياfia
لغلّتها من بارد الماء شافيا
فألفته ملهوفاً إلى الجوع ظاميا
ونادى منادي الحي أن لا تلاقيا

ويقلّ إقدامي شبا الحدثان^(١)
للموت حين يفرّ كلّ جبان^(٢)
وتسلّط الأيام عزّ مكان
ذرعاً بأيامي وعرّ زمان
فكذا ملالتُهُ من الحرمان
فكذا يكرّ لمعشرٍ بهوان
فلسوف يأتي بعدها بليان
وسلّ الحوادث عن ثبات جناني
بين العزائم واهن الأركان
إلفاً ولا أهوى سوى الإحسان
قطع السيوف القاطعات لساني

اسقياني فلست أصغي لعذرٍ ليس إلا تعلّة النفس شغلي،
أطيع العذول في ضدّ ما أهوى كأني اتهمت رأيي وعقلي
علّاني بها فقد أقبل الليل كلون الصدود من بعد وصلٍ

(١) الشبا : حدّ السيف والسهم والنصل والحدثان : الليل والنهار .

(٢) أكرّ : أقدم وأهجم ، والخميس : الجيش .

وانجلى الغيم بعدما أضحك الروض بكاء السحاب فيه بوبل
عن هلال كصولجان نضار في سماء كأنها جام ذبل^(١)

أحسن في هذا التشبيه ما شاء ! وقوله [من الطويل] :

إذا هب سلطان المريسي نافحاً سُحيراً وحلّ القرّ كل نقاب^(٢)
ومدّ على الأفق الغمام ثيابه فقم فالحقه في عدّة وحراب
بكنّ وكانون وكأس مدامة وكيس وكس وافر وكباب^(٣)

وقوله [من الكامل] :

ورد الخدود أرق من ورد الرياض وأنعم
هذا تنشّقه الأنوف ف وذا يقبله الفم
فإذا علت فأفضل الوردين ورد يُلثم
هذا يُشم ولا يضم وذا يضم ويشم

وأشدني المصيبي له [من المنسرح] :

وجنة من شفني هواه ومن أفنيت فيه دموع آماقي
كأنما الصيرفي دثر ما يحمر منها ودرهم الباقي

وأشدني له أبو الحسن علي بن مأمون المصيبي من قصيدة مخمسة

اولها [من الهزج] :

دم العشاق مطلول ودَيْن الحب ممطول^(٤)

(١) الجام : الإناء ، وذبل : مصنوع من عظام بحرية .

(٢) سحيراً : وقت السحر ، والقرّ : البرد .

(٣) الكنّ : البيت والستر .

(٤) مطلول : مسفوك ، والمطل : التسويف وعدم الوفاء بالوعد .

وسيف اللحظ مسلول ومبدا العيب معزول
وإن لم يصغِ للأثم

إذا لم يظهر الحب ولم ينهتك الصب
ويفشي سره القلب فجملة ما ادعى كذب
فُبِّحْ يا أيها الكاتم^(١)

وأحور سامر الطرف يفوق جوامع الوصف
مليح الدلّ والظرف جنت الحاظه حتفي
فمن يعدي على الظالم

أطاع جفونه السحر وذلّ لوجهه البدر
وماد بردفه الخصر وأشبه ثغره الدر
فقلب محبه هائم؟

يعتفني على حبي ويهجرتي بلا ذنب
كأنني لست بالصّب لقهوة ريقه العذب^(٢)

أما في الحب من راحم؟
غزال لحظه شركه وبدر ثوبه فلكه
لو أني كنت أمتلكه فأنهب ما حوت تكه^(٣)

نهاب الظافر الغانم
خذوا بدمي قنا القدّ وحسن تورد الخدّ

(١) باح : أعلن .

(٢) الصّب : العاشق .

(٣) التكه : حبل يربط به السروال .

وليل الشعر الجعد وثقل الكفل النهـد
وسقم الأعين الدائم

متى يظفر بالوصل وينفي الجور بالعدل
محبٌ دائم الخبل سليب الصبر والعقل
كثيبٌ مدنفٌ هائم

بحسن الأعين النجل وعُضُّ الوقف والحجل^(١)
وذاك القصب الجدل وريق كجنا النحل
وثغر يطمع الشائم^(٢)

سلوا الشمس التي طلعت علينا ثم ما أفلت
عسى ترثي لمن قتلت بعينها وما علمت

فقد يستعطف العالم

أما والخرد الصفر شبيهات سنا البدر
وألوان صفا الخمر لقد أضر من في صدري^(٣)

غراماً ليس بالنائم

وراح تبعث الطربا وتحسي الظرف والأدبا
يثير مزاجها حبا تخال به عيون دبي^(٤)

(١) النجل : الواسعة ، والوقف : السوار في يد المرأة .

(٢) الشائم : الناظر والمتطلع .

(٣) أضر من : أوقد النار .

(٤) الدبي : الجراد .

ودراً صفه الناظم

أما والجمرة الكبرى وزمزم والصفاء ومنى
ومن لبي بها ودعا وطاف البيت ثم سعى
خميصاً مخبئاً صائماً^(١)

لقد أضحى لنا خلفاً نزاراً وابتنى شرفاً
وأصبح خامس الخلفاء وأحيا سعيه السلفاً
وأضحى بالهدى قائماً

نمى في المجد عنصره وطال النجم مفخره
وفاق البدر منظره فصرف الدهر يحذره
أبي لئن صارم

وقوله في الراي [من الوافر] :

كأن الراي حين أتى طرياً بأذنب كمجمرة العقيق^(٢)
بإسقيات بلورٍ لطاف بأسفلها بقايا من رحيق

٨٠ - محمد بن أبي مروان بن أخي المستنصر بالله

المدعو الخليفة بالأندلس ، وهو الحكم بن عبد الرحمن المرواني من

شعره [من الطويل] :

وما كان من عطفٍ عليّ حديثها ولكن لتعذيب الفؤاد المعذب
حديث لو استسقت به الصخر جادها بأعذب من صوب الغمام وأطيب

(١) الخميص : الجائع ، والمخبئ .

(٢) الراي : نوع من السمك .

وقوله [من مخلع البسيط]:

راجعه شوقه فحنّا
وسال من دمه مصون
فعاد فيه الهوى يقيناً
لو كان يلقي الذي تلاقي

وقوله [من الخفيف]:

بين أجفانها وبين ضلوعي
لست أدري أين مدى طرفها الفا

وقوله [من الخفيف]:

قد رضيت الهوى لنفسي خلاً
وتذلت للحبيب وعزّ الـ
بأبي من أحلّ قتلي عمداً
سوف أجزي الحبيب بالصدود وداً
وإذا ما استزاد تيهاً وعُجباً

وقوله [من الخفيف]:

غير مستنكر همول دموعي
ليس عزّي إلّا فناء عزائي
وبحسبي أني ألاقي عدولي

وقوله [من الطويل]:

أعدّ نظراً واستوقف الطرف منعماً

وشفّه شجوه فأنّا^(١)
أظهر ما كان مستكنّا
وكان عند الرقيب ظناً
أوسع رحمةً ومنّا

نازعتني الحياة أيدي المنون
تن موتي أم طرفي المفتون

ورأيت الممات في الحبّ سهلاً
صبّ في سنة الهوى ان يذلاً
وهنيئاً لسيدى ما استحلّ
مستجداً وبالقطيعة وصلاً
زدت نفسي له خضوعاً وذلاً

في التصابي وغير بدع خشوعي
وسنائي إلّا بقاء خضوعي
باصطبارٍ عاصٍ ودمع مطيع

تجدّ كلفاً صبّا بحبك مغرماً

(١) أنا : من الأنين ويكون وقت المرض .

سرى الحبُّ في أخلاقه فأرقَّها
ولست تراه سائلاً منك عطفةً
فإن جدت لاقته الحياة كريمةً
وقوله [من الطويل]:

لئن وعدتني وصلها وعدَّ عاتبٍ
فأفضل ثوب الغيث في الأرض دافقُ
فإن ما نعتني فضل إنجاز موعِدٍ
فلا كان لي في الأرض رزقُ أناله
وقوله [من الخفيف]:

ياربِّعي ما كان ضرَّك لوجد
ورده ذاهبٌ ووردك باقٍ
كن شفيعي إليك ياجنة الخلد
وقوله [من الخفيف]:

كم تصابٍ أردفته بتصاب
وكؤوسٍ عاطيتها بدر تمَّ
وغصونٍ جنيت منها ثماراً
زمنٌ بكيته حسب وجدي
وقوله [من الطويل]:

ومختطفٍ للعين بتُ أشيمه
سرى يخطط الظلماء حتَّى كأنه

وعلمهُ احكامه فتعلَّمَا
حذاراً من التقبيل إلَّا توهُمَا
وإن لم تجد لاقى الحمام مقدَّها

يجاحدني وعذي وينكرني حقِّي
وأبلغه ما جاء بالرَّعد والبرق
فإن الحيا الممنوع أشهى الى الخلق
إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

ت علينا كما يجود الربيعُ
وهو سهلٌ به وأنت ممنوعُ
د فمالي غير الخضوع شفيعُ

واضطباحٍ وصلته باغتباق
جلَّ أن يعتريه نقصُ المحاق
لم يشنها تساقط الأوراق
كنت أبكيه من دم الأحداق

مجالسةً والليل حيران مطرُقُ^(١)
بوجدني يسرى أو بقلبي يخفق

(١) أشيمه : أتبعه وأنظر إليه .

وقوله [من الطويل] :

تبَدَّتْ بأكناف الحجاز ديارها كأَنَّ بأنفاسي استمدَّ ضرامها
وعن كبدي الحرَّى تَلْظِي استعارها^(١) يحنُّ إليها القلب حتَّى كأنما

وقوله [من الطويل] :

ولما حمى الشوق المَبْرَحَ ناظري شربت عقاراً أذكرتني بريقه
كراه حذاراً أن يريني مثاله فهل هي إلَّا نعمةٌ مسترقَّةٌ

* * *

٨١ - حبيب بن أحمد الأندلسي

قال [من الخفيف] :

ودعنتني بزفرةٍ واعتناقٍ وتصدَّتْ فأشرق الصُّبحُ منها
بين تلك الجيوب والأطواقِ يا سقيم الجفون من غير سقمٍ
ثم نادت متى يكون التلاقي ؟ إنَّ يومَ الفراق أفظعُ يومٍ
بين عينيكَ مصرعُ العشَّاقِ ليتني متُّ قبل يومِ الفراقِ

وله [من الرمل] :

هيَّجَ البين دواعي سقمي أيُّها البين أقلني مرَّةً
وكسا جسمي ثوبَ الألمِ يا خليَّ الروع نم في غبطةٍ
فإذا عدت فقد حلَّ دمي إنَّ من فارقتَه لم ينمِ

(١) تَلْظِي استعارها : أي وهج اتقادها .

ولقد هاج لقلبي سقماً حُبُّ من لو شاء داوى سقمي
وقوله [من الخفيف] :

وجنة كالربيع جاد عليها من حياءٍ لا من حياءٍ وسمي
ووجوه قلبتها كالذنانير ومثلي لمثلها صيرفي
تهادى الريح منها نسيماً شابه عنبر ومسك ذكي^(١)

وقوله [من الطويل] :

ألا بأبي من قلبه غير مشفق عليّ ، ولي قلبٌ عليه شفيق
وإني لأبدي للوشاة تبسماً وإنسان عيني في الدموع غريق^(٢)
وكم شافهتني للصبا أريحى ومازج ريقى للأحبة ريق

* * *

تم - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الأول من كتاب
يتيمة الدهر ، في محاسن اهل العصر « لأبي منصور الثعالبي . ويليهِ - إن شاء
الله تعالى - الجزء الثاني ، مفتتحاً بترجمة « الوزير أبي مروان عبد الملك بن
جهور » نسأل الله المعونة والتوفيق إلى إكماله .

(١) شابه : خالطه ومازجه .

(٢) إنسان عيني : يؤؤناظرها .

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة الطبعة الجديدة	٣
فهرس بأهم آثار المؤلف	٩
مقدمة الناشر	١١
مقدمة المؤلف	٢٥

الباب الأول

من فضل شعراء الشام على سائر البلدان	٣٧
---	----

الباب الثاني

في ذكر سيف الدولة	٣٧
فصل في انفجار ينابيع جودة على الشعراء	٤٢
ملح شعر سيف الدولة	٥٣

الباب الثالث

في ذكر أبي فراس واشعاره	٥٧
قطعة من أخباره مع سيف الدولة	٥٨

الموضوع	الصفحة
الشكوى والعتاب سوى الروميات	٧٦
أوصافه وتشبيهاته	٨١
الحكمة والموعظة	٨٣
الروميات من غرر أبي فراس	٨٥
من طرديات أبي فراس	١٠٨
فصل في آخر أيامه	١١٢

الباب الرابع

في ملح شعر آل حمدان وغيرهم	١١٥
منصور وأحمد ابنا كيغلف	١١٩
أبو محمد جعفر وأبو أحمد عبدالله ابنا ورقاء الشيباني	١٢٢
أبو حصين علي بن عبد الملك الرقي القاضي بحلب	١٢٦
أبو الفرج سلامة بن بحر أحد قضاة سيف الدولة	١٢٩
أبو محمد عبد الله بن عمرو	١٣٠
أبو القاسم الشيطمي وأبو ذر أستاذ سيف الدولة	١٣٢
أبو الفتح البكتمري	١٣٣
أبو الفرج العجلي	١٣٥
أبو عبدالله الحسين ابن خالويه	١٣٦
أبو الفتح عثمان بن جني النحوي	١٣٧
الشمشاطي	١٣٨

الباب الخامس

في ذكر أبي الطيب المتنبي	١٣٩
ذكر ابتداء أمره	١٤١
نبذ من أخباره	١٤٦
الاستعانة بالفاظه ومعانيه	١٥٣
سرقات الشعراء منه	١٥٩

الموضوع	الصفحة
من سرقاته	١٦٤
بعض ما تكرر في شعره من معانيه	١٧١
قبح مطالعه	١٨١
اتباع الفقرة الغراء بالكلمة العوراء	١٨٤
استكراه اللفظ وتعقيد المعنى	١٩١
عسف اللغة والإعراب	١٩٣
الخروج عن الوزن	١٩٥
استعمال الغريب	١٩٦
الركاكة والسفسفة	١٩٩
الخروج عن حد الاستعارة	٢٠١
الاستكثار من قول « ذا »	٢٠٢
الإفراط في المبالغة	٢٠٤
تكرير اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين	٢٠٥
إساءة الأدب بالأدب	٢٠٨
ضعف العقيدة ورقة الدين	٢١٠
الغلط بوضع الكلام في غير موضعه	٢١١
امثال ألفاظ المتصوفة	٢١٣
الخروج عن طريق الشعر إلى طريق الفلسفة	٢١٤
استكراه التخلص	٢١٥
قبح المقاطع	٢١٦
حسن المطالع	٢١٧
حسن الخروج والتخلص	٢١٨
النسيب بالاعرابيات	٢١٩
حسن التصرف في سائر الغزل	٢٢٢
حسن التشبيه بغير أداة التشبيه	٢٢٤
الإبداع في سائر التشبيهات والتمثيلات	٢٢٥
التمثيل بما هو من جنس صناعته	٢٢٧
المدح الموجه	٢٢٩
حسن التصرف في مدح سيف الدولة بجنس السيفية	٢٣٠

الموضوع	الصفحة
الإبداع في سائر مدائحه	٢٣٢
مخاطبة الملوك بمثل مخاطبة المحبوب والصديق	٢٣٧
استعمال ألفاظ الغزل في أوصاف الحرب	٢٣٩
حسن التقسيم	٢٤١
حسن سياقة الأعداد	٢٤٣
إرسال المثل في أنصاف الأبيات	٢٤٥
إرسال المثاليين في مصراعي البيت الواحد	٢٥٠
إرسال المثل والاستملاء والموعظة وشكوى الدهر	
والدنيا والناس	٢٥١
افتضاضة أبكار المعاني في المراثي والتعازي	٢٦٣
الإيجاع في الهجاء	٢٦٦
إبراز المعاني اللطيفة في معارض الألفاظ الشريفة	٢٦٧
حسن المقطع	٢٧٤

الباب السادس

في ذكر النامي والناشي والزاهي وإخراج غرر أشعارهم	٢٧٩
أبو القاسم الزاهي	٢٨٩

الباب السابع

في ذكر أبي الفرج عبد الواحد البيغاء وغرر نثره وشعره	٢٩٣
في بيان غرر من رسائله الموصولة بمحاسن شعره	٣٠٢
ذكر ما دار بينه وبين أبي اسحاق الصايي	٣٠٩
ما أخرج من شعره يتغنى به	٣١٦
من غرر شعره في الغزل والخمر	٣١٩
غرر شعره في سائر الفنون	٣٢٥

الباب الثامن

في ذكر الخليل الشامي والأواء الدمشقي أبي طالب الرقي	٣٣٣
---	-----

أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الملقب بالوأواء	٣٣٤
أبو طالب الرقي	٣٤٦

الباب التاسع

في ملح أهل الشام ومصر والمغرب	٣٤٩
عبد المحسن بن محمد الصوري	٣٦٣
أحمد بن سليمان الفجري	٣٧٩
أبو حامد بن محمد الانطاكي المعروف بالرقعمق	٣٧٩
أبو القاسم الحسين المعروف بالواساني	٤٠٨
أحمد بن محمد الطائي الدمشقي	٤٣٣
أبو محمد الموصلي	٤٣٣
أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع التنيسي	٤٣٤
اسحاق بن أحمد المارديني	٤٦٦
القاضي أبو عبدالله محمد بن النعمان	٤٦٦
محمد بن هارون ابن الأكمي	٤٧٥
عبيد الله بن محمد أبي الجوع	٤٧٧
الحسن بن محمد الشهواجي	٤٨٠
أبو علي صالح بن رشدين الكاتب	٤٨٢
أحمد بن محمد العوفي	٤٨٤
القائد أبو تميم سليمان بن جعفر	٤٨٥
الحسن بن خلاد	٤٩٢
أبو الحسن اللطيم	٤٩٣
سليمان بن حسان النصبي	٤٩٣
الحسن بن علي الأسدي	٤٩٦
ابن طباطبا الحسني الرسي	٤٩٧
ولده أبو محمد القاسم	٤٩٩
أخوه أبو اسماعيل	٥٠٠
أبو الحسن العقيلي	٥٠١

الموضوع	الصفحة
أبو محمد بن أبي العفيرة الأنصاري	٥٠٣
أحمد بن محمد الكحال	٥٠٤
أبو الحسن محمد بن الوزير الحافظ	٥٠٦
أبو محمد بن أبي عمرو الطرازي	٥٠٨
أبو الحسن علي بن لؤلؤ الكاتب	٥٠٨
أبو القاسم عبد الصمد بن فضاله الصفار	٥٠٩
ابن الزيعي	٥١٠
محمد بن عباس البصري	٥١٠
أبو عبد الله الحسين المعروف بالجميل	٥١٢
أحمد بن صدقة الكاتب	٥١٣
أبو الحسن بن أبي ياسر	٥١٣
محمد بن عاصم الموقفي	٥١٣
أبو الفتح البستي	٥١٨
أبو سهل بن أسباط	٥١٩
أبو العباس الكندي	٥١٩
أحمد بن بدر المعروف بالبلاط	٥٢٠
أبو العباس الزوفي	٥٢٠
عبد الوهاب بن جعفر	٥٢١
أبو البكر الموسوس	٥٢١
أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن يونس	٥٢٢
أبو القاسم عبد الغفار المصري	٥٢٤
أبو العباس أحمد بن مروان بن حماد النحوي	٥٢٤
محمد بن جعفر الأنصاري الكاتب	٥٢٤
أبو علي تميم بن معد صاحب مصر	٥٢٥
محمد بن أبي مروان	٥٣٤
حبيب بن أحمد الأندلسي	٥٣٧
فهرس الكتاب	٥٤٠